

ديوان الملحماني

للامام الفروي الأديب
أبي هلال العسكري

شرعه وضبط نصّه
أحمد حسن بسج

للجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
لِدَارِ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ
بِیروت - لَبْنَان

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ بِبِیروت - لَبْنَان

ص.ب : ٩٤٢٤ / ١١ - تلکس : Le 41245 Nasher

هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاکس : ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ - ٠٠ / ٦٠٢١٣٣ / ٩٦١١ / ٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

هذا الكتاب «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري، كتاب حوى من الشعر أعذبه، وفيه من المقتطفات الثرية ما يسر النفس.

وقد جعله المؤلف أبواباً وفصولاً، حسب الأغراض، وفي كل فصل طائفة من الأشعار والأقوال، كلها تدور حول موضوع واحد، ثم لا يلبث أن يدلي بدلوه في ما يوافق المقام شعراً أو نثراً، فضلاً عن انتقاداته اللاذعة حيث يقتضي الأمر.

وتعود قيمة الكتاب لما يحويه من غزارة المادة وجودتها؛ فهو قد اختار ما اختاره عن شعراء فحول مشهود لهم، ومن عصور مختلفة، مما جعل الكتاب عدة دواوين في ديوان واحد. وقد اكتسب الكتاب قيمة دينية وأخلاقية، لما اشتمل عليه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. بالإضافة إلى طائفة كبرى من الحكم والأمثال كلها استحضرها المؤلف، لتكون رديفاً لما قدمه من الشعر.

أما تحقيق الكتاب، فقد اعتمدت على طبعة القدسي ١٣٥٢ هـ، التي تفتقر إلى الضبط، كما أنها لا تخلو من أخطاء، أصلحتها بالمقابلة مع النسخة البريطانية، وضبطت الكتاب، بالعودة إلى الدواوين حيناً وإلى أمهات كتب الأدب حيناً آخر، وقابلت الأبيات في مصادرها وأشرت إلى ذلك في الهوامش. ومن أهم المصادر تلك: «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة و«الأمالي» لأبي علي القالي.

ومع ذلك، لا أدعي أنني وفيت هذا العمل حقّه، ولكنني بذلت من الجهد ما استطعت، فإن حاز على رضى القارىء الكريم، فذلك لحسن ظنه بنا، وإنه بفضل الله أولاً وآخرأ، فله الحمد وله الشكر على ما أعطى. وإن كنت قصّرت، أو زلت لي قدم فإنني ألتمس لديكم العذر أيها القراء الكرام، وأرجو الله أن يسد لنا ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

والحمد لله رب العالمين

المحقق: أحمد حسن بسج

بيروت في: ٢٧ محرم ١٤١٤ هجرية

الموافق ١٩٩٣/٧/١٧ رومية

ترجمة المؤلف

أبو هلال العسكري

هو الحسن^(١) بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، صاحب الصناعتين. وهو تلميذ أبي أحمد^(٢) العسكري وابن اخته، وينسب كلاهما إلى عسكر مكرم^(٣)، ويبدو أن أبا هلال نشأ في هذه الناحية وليس لدينا من أخباره الأولى أكثر من ذلك. إلا أنه كان يتزّرع احتراراً من الطمع والدناءة. وكان موصوفاً بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر. وقد روى عنه أبو سعد السّمان الحافظ وغيره. أما وفاته فلم تؤكد المصادر تاريخها، وقد أفاد ياقوت بأنه لم يبلغه شيء في وفاته، إلا أنه فرغ من إملاء «الأوائل» يوم الأربعاء لعشر خلّت من شعبان سنة ٣٩٥ هـ^(٤). مؤلفاته^(٥):

- ١ - جمهرة الأمثال.
- ٢ - كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. وصفه سنة ٣٩٤ هـ.
- ٣ - ديوان المعاني في اثني عشر باباً.
- ٤ - كتاب المعجم في بقية الأشياء.
- ٥ - كتاب الزواجر والمواعظ^(٦).
- ٦ - شرح ديوان أبي معجن.
- ٧ - كتاب الأوائل. أتمه سنة ٣٨٩ هـ. وقيل سنة ٣٩٥ هـ. واختصره السيوطي.

(١) ترجمته في: بغية الوعاة: ٥٠٦/١. معجم الأدباء: ٢٥٩/٨. الأعلام: ١٩٦/٢.

(٢) هو الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري، خال أبي هلال. فقيه أديب رئيس في الإملاء والتدريس في بلاد خوزستان، ولد ونشأ في عسكر مكرم، وهي بلد مشهور من بلدان الأهواز. أخذ عن ابن دريد وأقرانه. مات سنة ٣٨٢ هـ. (الأعلام ١٩٦/٢). وواضح توافق الإسمين.

(٤) معجم الأدباء: ٢٥٩/٨.

(٥) تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ٢٥٢/٢.

(٦) نسبه الذهبي في (سير أعلام النبلاء: ٤١٢/١٦) إلى أبي أحمد العسكري.

- ٨ - الفروق اللغوية . وله مختصران .
- ٩ - رسالة في ضبط وتحرير مواضع من ديوان الحماسة لأبي تمام .
- ١٠ - النوار في العربية (مجموعة جوابات على مسائل في اللغة والأدب) .
- ١١ - كتاب الكرماء . ونشر بعنوان «فضل العطاء على العسر» .
- ١٢ - الحث على طلب العلم .
- ١٣ - التلخيص معرفة أسماء الأشياء .
- ١٤ - ما احتكم به الخلفاء إلى القضاة .
- ١٥ - المغرب عن المغرب .
- ١٦ - رسالة فيما يشق على الإنسان .
- ١٧ - تفسير القرآن الكريم .
- ١٨ - أشعاره .
- ١٩ - محاسن النثر والنظم من الكتابة والشعر .
- ٢٠ - مجموعة رسائل العسكري .
- وقد ذكر أبو هلال من كتبه :
- ١ - كتاب الدينار والدرهم . وذكره في كتاب الكرماء .
- ٢ - صنعة الكلام . ذكره في كتاب الأمثال ، وفي ديوان المعاني .
- ٣ - شرح الفصيح . ذكره في كتاب الأمثال .
- مكانته :

أبو هلال العسكري ، وبشهادة من ترجموا له ، أديب بارع متفنن ، فقيه وشاعر متفوق ، وفوق كل ذلك هو ناقد ثاقب النظر ، لا ذع في انتقاداته ، لا يشبه عما عزم على قوله أي مانع فيما يراه حقاً .

ونظرياته في الأدب والنقد ، مبنوثة - خصوصاً - في كتابيه : الصناعتين وديوان المعاني . وملخص نظريته في الأدب أنه يحث على طلب العلم وتعلم الكتابة ، واشترط للكتاب شروطاً وهي إعداد ما يلزم لها من «معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى ، وإلى الحساب ، وعلم المساحة والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة»^(١) . وهو إذ يهتم بالكتابة ويطيل الحديث عنها ، فلأنها ترتبط بالسلطان وعليها مداره ، وهي مرتبطة بالخطابة والخطابة بدورها ترتبط بالدين .

وللشعر عند العسكري أهميته فهو «ديوان العرب» ، وخزانة حكمته ومستنبط آدابها ، ومستودع علومها وانساب العرب تستمد من الشعر وكذلك أيامهم ووقائعهم وتواريخهم ، والشعر من المصادر ، التي تضبط من خلالها اللغة .

(١) كتاب الصناعتين : ١٥١ وما بعدها .

وعناصر العمل الأدبي، عند أبي هلال تدور حول أمرين عظيمين ورئيسين: اللفظ والمعنى، فمن «حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف»^(١)، ومع شريف اللفظ يشترط عذوبته وفخامته وسهولته ووضوحه وقربه إلى النفس، وعدم مجافاته للأذواق السليمة.

ومع اهتمامه باللفظ والمعنى، فإنه لم ينس أن يشير إلى أهمية سبل الفصاحة وسنن البلاغة التي ينبغي لعلماء العربية وكتابها وشعرائها أن يسلكوها دون خروج على قوانين اللغة في التركيب.

أما أبو هلال الناقد، فإنه ذو بصر حاد ثاقب، ولا يدع شاردة أو واردة إلا وينبه إلى ما فيها من مواطن الضعف أو القوة، والقبح أو الجمال، دون مراعاة أو محاباة وبسخرية لاذعة في كثير من الأحيان. ففي قول امرئ القيس في وصفه للفرس:

وللسوط ألهور وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مُهذَّب
يلق أبو هلال عليه قائلاً: «فلو وصف أحسن حمار وأضعفه ما زاد على ذلك»^(٢).

ومن مآخذة على المؤلفين من العلماء والكتاب أن بعضهم يضع الشيء في غير مكانه المناسب، فيتهمهم، لذلك، «بسوء الرأي وقلة العقل»، «فيخاطبون السوقي، والمملوك الأعجمي، بألفاظ أهل نجد».

وبما أن الكلام المنظوم ثلاثة أجناس عند أبي هلال: وهي الرسائل والخطب والشعر، فجميعها يحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً، فإذا كان المعنى سيئاً ورصف الكلام رديئاً، لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة»^(٣).
شعره^(٤):

كان ذا شاعرية مفלקة، وذا إحساس مُرهف، لذلك جاء بما يبذ به شعراء عصره وغيرهم. فكان شعره قوي الرصف، حسن الديباجة، عليه طلاوة تجعله محبوباً إلى النفس لا تمنعه الأذن. وقد ارتبط شعره بعوامل اجتماعية أو طبيعية واقعية، فتراه يصف حاله وهو يجلس في السوق، ويربط ذلك بالمجتمع ويتهمه بالتقصير ويلقي بمسؤولية فقره على الناس أجمعين:

جلوسي في سوق أبيع واشتري دليل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذلل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود
وتهجروهم عني رثانة كسوتي هجاءً قبيحاً ما عليه مزيد
وللأسباب التي ذكرها هي نفسها، يشكو مرة أخرى من ظلم المجتمع:
لا يغرنكم علو لئيم فعلوا لا يستحق سفالاً

(١) كتاب الصناعتين: ١٥١ وما بعدها.

(٢) عن القلقشندي. صبح الأعشى: ٢/٢٢٠.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٦٧.

(٤) راجع: تاريخ الأدب العربي: بروكلمان: ٢/٢٥٢.

فارْتَفَاعُ الغَرِيقِ فِيهِ فَضُوحٌ وارْتَفَاعُ المَصْلُوبِ فِيهِ نَكَالٌ
ومما أنشده القاضي أبو أحمد الموحّد بتستّر عن أبي أحمد العسكري عن أبي هلال لنفسه
بالعسكر:

إذا كان مالي مال من يلقط العجم و حال فيكم حالٌ من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجا وما ربحت كفي على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الناس يُبصرُ حالتي فلا يلعنُ القرطاسَ والحبرَ والقلم
وواضح في هذه الأبيات شكواه من عمله ومن علمه ومن الناس إذ إنهم لا يبصرون ولا
يقدرّون العلم وأهله.

وفي الزهد يقول:

قد تعاطاك شباب وتغشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضي ومضى ما لا يؤوبُ
فتأهب لسقام ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيداً إنما الآتي قريب

وهو يخرج الزهد بالحكمة والعودة إلى الذات لاستخراج العبر والعظات مما فات من
سالف الأيام، استعداداً للمرحلة المقبلة. وكما نراه يشكو، نراه يصف فيها هو يصف^(١) فصل
الشتاء، ويفضله على غيره:

فترت صبوتي وأقصر شجوي وأتاني السرور من كل نحو
إن روح الشتاء خلص روحي من حرور تشوي الوجوه وتكوي
برد الماء والهواء كأن قد سرق البرد من جوانح خلّو
ريحه تلمس الصدور فتشفي وغماماته تصوب فتروي
لست أنسى منه دماثة دجن ثم من بعده نضارة صحو
وجنوباً تبشر الأرض بالقطر كما بُشر العليل ببرو
وغيوماً مطرّزات الحواشي بوميض من البروق وخفو
كلما أرخت السماء عُراها جمع القطر بين سفلى وعلو
وهي تعطيك حين هبت شمالاً برد ماء فيها ورقة جو
وترى الأرض في ملأة ثلج مثل ريط لبسته فوق فرو
فاستعار العراء منها لباساً سوف يُمنى من الرياح بنضو
فكأن الكافور موضع ترب وكأن الجمان موضع قرو
وليالٍ أطلن مدة درسي مثلما قد مددن في عمر لهوي
مر لي بعضها بفقه وبعض بين شعرٍ أخذت فيه ونحو

(١) هذه الأبيات والتي قبلها لم ترد في ديوان المعاني. وقد رواها ياقوت عن السلفي وغيره.

وحديث كأنه عقد رِيَا بَسْتُ أرويه للرجال وتروي
في حديث الرجال روضة أنس بات يرعى بأهل نبل وسرو
ولم يقتصر، في شعره، على التشكي والهجاء والوصف، بل كانت له اليد الطولى في
الفنون الأخرى كالمَدح والحكمة والعتاب وغير ذلك مما عرف من الفنون في عصره، وفي بيئته
المشرقية.

وأخيراً، قال بعض الشعراء^(١):
وأحسنُ ما قرأتُ على كتاب
فلو أني جُعلت أمير جيش
فإنَّ الناسَ ينهزمون منه
بخط العسكري أبي هلالٍ
لما قاتلت إلا بالسؤالِ
وقد صبروا لأطراف العوالي

(١) معجم البلدان : ١٢٤/٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه، وفواضل آلائه وقسمه، والرغبة إليه فيما يزلف لديه، ويمهد المنزلة عنده، ويوجب الحظوة قبله، والصلاة على خير بريته محمد ﷺ وعترته.

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، رحمه الله تعالى: جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن، وأبدع ما روي في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها، إلى عواديها وشذاذها، وتخيرات من ذلك ما كان جيد النظم محكم، الرصف غير مهلهل رخو، ولا متجعد فج، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة، والمشاهد الجامعة، إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه، فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه، قلت الرغبة فيه، وانصرفت القلوب عنه، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد^(١) رحمه الله تعالى قال: كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد^(٢) لمنادمته، وشفع له في ذلك جماعة من بطانته، فأحضره يوماً وفاوضه ليوقف على مقداره في المعرفة، فقال له فيما قال: ما أحسن ما قيل في صفة شعر؟ فبقي ملياً يتفكر، فقال أبو الفضل: فندّ عند خاطرك حُداجة^(٣)، ثم قال: هات أيها الشيخ: فقلت: أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر:

فإن أهلك، فقد أبقىْتُ بعدي قوافي تُعجبُ المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يُلبسُ لارتدينا
وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام^(٤):
ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنحلاً

(١) هو الأديب العلامة صاحب التصانيف، يعرف بالعسكري، وهو شيخ المؤلف أبي هلال. من مؤلفاته: الحكم والأمثال. توفي سنة ٣٨٢ هـ.

(٢) أبو الفضل محمد بن الحسين العميد بن محمد، (هكذا الاسم في سير اعلام النبلاء: ١٦/١٣٧)، وزير من أئمة الكتاب، وكان متوسعاً في الفلسفة وعلم النجوم. ويلقب بالجاحظ الثاني. مات سنة ٣٦٠ هـ.

(٣) حُداجة وفند: فتیان يضرب بهما المثل في السرعة والابطاء.

(٤) أبو تمام: حبيب بن اوس الطائي الشاعر العباسي المشهور مات سنة ٢٣٢ هـ. والأبيات في ديوانه: ٢٢٥.

تُخَالُ بِهِ بُرْدًا عَلَيْكَ مُحَبَّرًا
أَلْسَدُ مِنَ السَّلَوى، وَأَطْيَبَ نَفْحَةً
أَخْفَفَ عَلَى رُوحٍ، وَأَثْقَلَ قِيَمَةً
وَيُزْهِى بِهِ قَوْمٌ وَلَمْ يُمْدَحُوا بِهَا
وقوله^(١):

إِنَّ الْقَوَافِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ
هِيَ جَوْهَرٌ نَثَرٌ، فَإِنْ أَلْفَتْهُ
فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ وَكُلِّ مَقَامَةٍ
فَإِذَا الْقَصَائِدُ لَمْ تَكُنْ خَفَاءَهَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعُرْبُ الْأَلَى
وَتَنَدَّ عِنْدَهُمُ الْعُلَا الْأَعْلَى الَّتِي

قال: وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد. قوله فند: يعني أن خاطره بطيء،
وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٢)، وكانت بعثته ليقبس نارًا، فأتى
مصر وأقام بها سنة، ثم جاء بنار وهو يعدو، فعثر فتبدد الجمر فقال: تعست العجلة، فقالت فيه:
بعثتك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غيائك من تغيث
وقال الشاعر:

ما رأينا لغيراب مثلاً إذ بعثناه لحمل المشمله^(٣)
غير فند أرسلوه قابساً فشوى حولاً وسبب العجلة

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند^(٤). وحداجة رجل يضرب به المثل في السرعة فقليل
أسرع من حداجة^(٥).

وممن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فحظي النضر بن شميل^(٦)، أخبرنا أبو أحمد
الحسن بن عبد الله بن سعيد قال: حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم بن حامد قال: حدثنا أبو بشر
محمد بن ناصح الأصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال: كنت أدخل على المأمون^(٧) في

(١) الأبيات في الديوان: ٨١ وفيه «مثل الجمان» وفي البيت الأخير «القصيد» و«يدعون هذا».

(٢) هي عائشة بنت بن أبي وقاص، كانت تقيم بالمدينة. ماتت سنة ١١٧ هـ وكانت تروي الحديث. (الاعلام: ٢٤٠/٣).

(٣) غراب: اسم رجل. المشمله ما يُشتمل به من كساء وغيره.

(٤) مثل يُضرب للبطيء: مجمع الأمثال ١١٧/١. جمهرة الأمثال: ٢٠٣/١.

(٥) مثل يُضرب للسريع: مجمع الأمثال ٣٤٧/١. جمهرة الأمثال: ٤٣٢/١.

(٦) النضر بن شميل بن خَرْشَة بن زيد العلامة أبو الحسن المازني البصري، نزيل مرو كان اماماً في العربية والحديث. تولى قضاء مرو، وتوفي فيها سنة ٢١٢ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٣٢٨/٩).

(٧) الخليفة العباسي، أبو العباس كان محباً للعلم والعلماء، مات سنة ٢١٨ هـ.

سمره، فدخلت عليه ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع، فقال: يا نضر ما هذا القشف؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! أنا شيخ ضعيف وحر مرّو شديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال: لا، ولكنك قشف، فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال: حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل امرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوزٍ» فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تزوج الرجل امرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوزٍ»^(١). قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد؟ قلت: يا أمير المؤمنين، السّداد ههنا لحن، قال: ويحك أتلحني؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، قال فما الفرق بينهما؟ قلت: السّداد القصد في الدين والسبيل، والسّداد البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد، قال: وتعرف العرب هذا؟ قلت: نعم العرجي^(٢) يقول^(٣):

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا! ليوم كريبهة وسداد تُغر
قال قبح الله من لا أدب له، ثم أطرق ملياً ثم قال: أنشدني أخلب بيت قالته العرب، قلت: حمزة بن يبيض^(٤)، يقول في الحكم بن مروان:

تقول لي: والعيونُ هاجعةُ	أقم علينا يوماً فلم أقم
أئي الوجوه انتجعت قلت لها	وأني وجه إلا إلى الحکم
متى يقل صاحباً سرادقه	هذا ابن يبيض بالباب يتسم
قد كنت أسلمت فيك مقبلاً	فهات إذ حل أوفني سلمي

فقال أحسن ما شاء، أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت: أبو عروة المدني حيث يقول^(٥):

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه

(١) الحديث في جمهرة الأمثال: ٤٢٩/١، وفي هامشه: أخرجه الشيرازي في الألقاب. وفي الجامع الصغير ٥٢٧.

(٢) العرجي: من ولد عثمان بن عفان، وهو اشعر بني امية، وينسب إلى العرج وهو موضع بالطائف. مات سنة ١٢٠ هـ. (الاعلام: ١٠٩/٤).

(٣) البيت من شواهد اللسان (سدد). وفي الشعر والشعراء: ٤٧٨/٢.

(٤) شاعر كوفي، من البلغاء، كان منقطعاً إلى المهلب بن ابي صفرة وبنيه. له أحبار في الأغاني ٢٠٢/١٦ مات سنة ١٢٠ هـ. الأبيات في الأغاني ٢١٤/١٦ وفيه: «قالت فأني الوجوه قلت لها» «لأي وجه» و«يقل حاجباً» و«أعطني سلمي». والسلم: السلف. مقتبل: مستأنف.

(٥) الأبيات من الأغاني: ٢١٤/١٦ ونسبها إلى ابي عروة المدني. وفيها «عمي عاتباً» و«مفيدة نصري» «كنت امرأة» و«عن ارضه».

وَمُيِّدَهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ أَمْرًا
وَأَكُونُ وَالْيَ سِرَّهُ فَأَصُونُهُ
وَإِذَا الْحَوَادِثُ أَجَحَفَتْ بِسَوَامِهِ
وَإِذَا دَعَا بِاسْمِي لِنَرْكَبِ مَرْكَبًا
وَإِذَا رَأَيْتَ لَهُ رَدَاءً نَاضِرًا
لَمْ يُلْفِنِي مُتَمَنِّيًا لِرَدَائِهِ^(٢)
صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْبَانِهِ^(١)
حَتَّى يَجِينُ عَلَيَّ وَقْتُ أَدَائِهِ
مُتَزَحِّحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ، أَنْشَدَنِي أَقْنَعُ بَيْتَ لِلْعَرَبِ قُلْتُ الرَّاعِي^(٣) حَيْثُ يَقُولُ^(٤):

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ السَّرَّازِ لِنَفْسِي فَأَجْمِلُ الطَّلِبَا^(٥)
وَاحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ وَلَا
إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا
وَالنَّذْلُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا
مَثَلُ الْحِمَارِ الْمَوْقِعِ السَّوِّءِ لَا
وَلَمْ أَجِدْ غُرَّةَ الْخَلَائِقِ
قَدْ يُرَزِّقُ الْخَافِقَ الْمَقِيمُ وَمَا
وَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّارِحِلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا
لَا الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسْبَا^(٩)
شَدَّ لَعِيسَ رَحْلًا وَلَا قَتَبَا^(١٠)
يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهْبًا^(٧)
يُحَسِّنُ شَيْئًا إِلَّا إِذَا ضَرْبًا^(٨)
رَغْبَتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغْبَا
أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلْبًا^(٦)

فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ، مَا مَالِكُ يَا نَضْرَ؟ فَقُلْتُ أَرِيضُ لِي بِمَرُوءَاتِهَا وَأَتَمَزَّجُهَا قَالَ: أَلَا نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا؟ قُلْتُ: إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ، قَالَ: فَأَخَذَ الْقِرْطَاسَ وَكَتَبَ وَلَا أُدْرِي مَا كَتَبَ، قَالَ: كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتْرَبَ؟ قُلْتُ أَتْرَبُهُ، قَالَ: فَهُوَ مَاذَا، قَالَ قُلْتُ مَتْرَبٌ، فَمَنْ الطِّينُ؟ قُلْتُ طَنَهُ، قَالَ: فَهُوَ مَاذَا؟ قُلْتُ: مَطِينٌ، قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَ يَا غَلَامُ أَتْرَبُهُ وَطَنَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءِ ثُمَّ قَالَ لَخَادِمِهِ: تَبْلُغْ مَعَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ^(١١). فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ

(١) فِي الْأَغَانِي «لِنَرْكَبِ مَرْكَبًا». وَالسَّيَّاسُ مِنَ الْحِمَارِ: ظَهْرُهُ.

(٢) فِي الْأَغَانِي:

وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبًا جَمِيلًا لَمْ أَقْلُ يَالَيْتَ أَنَّ عَلَيَّ حَسَنَ رَدَائِهِ.

(٣) الرَّاعِي النَّمِيرِيُّ عُبَيْدُ بْنُ حَصِينٍ، شَاعِرُ أُمَوِيٍّ مَدَاحٍ مَاتَ سَنَةَ ٩٠ هـ. الْأَعْلَامُ ٤/ ١٨٨.

(٤) الْأَبْيَاتُ فِي الْأَغَانِي وَنَسَبُهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ الْأَسَدِيِّ. ٢١٤/ ١٦. وَفِيهِ اخْتِلَافٌ. وَالْأَبْيَاتُ لَيْسَتْ فِي الدِّيَوَانِ.

(٥) فِي الْأَغَانِي «وَأَجْمِلُ الطَّلِبَا».

(٦) الثَّرَّةُ مِنَ الْعَيُونِ: الْغَزِيرَةُ.

(٧) فِي الْأَغَانِي: «وَالْعَبْدُ لَا».

(٨) فِي الْأَغَانِي: «يُحَسِّنُ مَشْيًا».

(٩) فِي الْأَغَانِي: «أَجْدُ عَدَّةً».

(١٠) فِي الْأَغَانِي: «بَعِيسٌ» وَالْقَتَبُ: الرَّمْلُ.

(١١) السَّرَخْسِيُّ الْوَزِيرُ، اسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمَأْمُونِ وَلَقِبَ بِذِي الرِّئَاسَتَيْنِ: الْوِزَارَةُ وَالْحِزْبُ. مَاتَ سَنَةَ ٢٠٢ هـ.

(الْأَعْلَامُ ٥/ ١٤٩).

الكتاب قال: يا نضر إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب؟ فأخبرته ولم أكذب، فقال: لحننت أمير المؤمنين؟ فقلت: كلا إنما لجن هشيم، وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفقهاء، فأمر لي الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفاده مني.

وأخبرنا أبو أحمد قال: أخبرني الصولي قال: أخبرنا أحمد بن يحيى المهلب قال: حدثني أبي قال: جرى في مجلس الواثق بالله^(١) تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبيذ، فأمرت أن يسأل أبو محلم عن أحسن ما قيل في ذلك، فسئل بعد أن أحضر، فقال: أحسنه قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلي^(٢):

وَفِتِيَّةٌ كَالسِّيَوفِ أَوْجَهُهُمْ	لَا خَصَرَ فِيهِمْ وَلَا بَخْلُ
بِيضٌ مَسَامِيحُ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ	أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبْلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
لَا يَتَأَرَوْنَ فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ	نَادَى مُنَادٍ أَنْ أَنْزِلُوا نَزَلُوا ^(٤)
لَا يَغْنُرِي شَرِينَا لِلْحَاءِ وَقَدْ	تَوَهَّبَ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلُّ

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب أبا محلم.

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه إليه عتيدة، وأولى ما يصنف ويؤلف، ويقرب مأخذه، ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة، فوقعت العناية عليه، وانصرفت بالاهتمام إليه، حتى تهذب وتثقف وتشذب، وتدانت شعبه وتقاربت سبله، ولم أبال ما ألفى فيه من زيادة تعب، وفضل كد ونصب، إذ لم يكن الإنسان يبلغ ما يريد وينال ما يريغ^(٥) إلا بتكلفة لغوب^(٦) ومواصلة دؤوب، لا سيما إذا كان الغرض الذي ينزع إليه جسيماً يكسبه حسن الذكر، ويمنحه طيب النشر، من علم يتقنه أو يصنفه وما وانه، أو رياسة أرادها فارتادها، وسيادة طلب اقتيادها، وليس ذلك للمتواني المتهاون، ولا المتواكل المتواهن، وقد قيل:

سَهَرْتُ عُيُونَهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل:

وَأَنْ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاغْلَمَ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلٌ
وقيل:

إِنَّ السِّيَادَةَ وَالرِّيَاسَةَ وَالْعُلَى أَعْبَاؤُهُنَّ كَمَا عَلِمْتَ تُقَالُ
وقيل:

(١) الخليفة العباسي أبو جعفر، ولي سنة ٢٢٧، بعهد أبيه، وكان وافر الأدب مات بسامراء سنة ٢٣٢ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٣٠٦/١٠).

(٢) شاعر جواد مخضرم بين الجاهلية والإسلام. شعره حسن، ومات سنة ١٤ هـ. (الأعلام: ٤٨/٨).

(٣) الويل: المطر الغزير.

(٤) تارى المكان: احتبس.

(٥) يريغ: يطلب.

(٦) تكلفة لغوب: مشقة.

وإن جسيمات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأسود
وقلت:

إن الأمور مريحها في المتعب
وفي المثل^(١) «عند الصباح يحمد القوم السرى»

وقيل:

ما لمن لم يركب الأهوال حظ

وقلت:

ولم يتسهل للفتى ذرُّك العُلا إذا هو لم يصبر على المتصعب
ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به، وفرغ له، واستندب التعب فيه، حتى بلغ مراده منه، وقيل:

طوامس لي من دونهن عداوة ولي من وراء الطامسات حبيب
بعيد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضاً أني لم أجد فيه كتاباً مؤلفاً، ولا كلاماً مصنفاً،
يجمع فنونه ويحوي ضروبه، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب، وتضاعف الصحف، غير
مقنع. بشفي الراغب ويكفي الطالب، فجمعت ههنا، وأضفت إلى كل نوع منه ما يقاربه من أمثاله
وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة، وجعلته نظماً ونثراً، وخبراً
وشعراً، لأبعث به نشاط الناظر وأجلي به صداء الخاطر، لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفى
للملال وأعدى على الكلال، من لزوم نهج لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه.
وجعلته إثني عشر باباً:

الباب الأول: في التهاني والمديح والافتخار.

الباب الثاني: في الخصال.

الباب الثالث: في المعاتبات والهجاء والاعتذار.

الباب الرابع: في الغزل وأوصاف الحسان.

الباب الخامس: في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب وما يجري مع ذلك.

الباب السادس: في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجري مع ذلك.

الباب السابع: في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين والرياض

والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجري مع ذلك.

الباب الثامن: في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك.

الباب التاسع: في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجري مع ذلك.

الباب العاشر: في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة سائر الحيوانات.

(١) المثل في مجمع الأمثال: ٣/٢. وجمهرة الأمثال: ٣٨/٢.

الباب الحادي عشر: في ذكر الشبابة والمشيب والعلل والموت والمرائي والتعازي والزهد.

الباب الثاني عشر: في صفات أشياء مختلفة.

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله، وكبر حجمه، وبعد غايته، فجعلت كل باب منه ينفرد بنفسه، ويتميز من جنسه، ليخفف محمله ويقرب مأخذه، على أن فوائد الكتاب على قدره في صغره وكبره، ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته، ويكلف على حسب مقدراته، ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه، وتقريب الحكمة حكمة ثانية ويكسوها المحبة، ويوجد إليها الرغبة، وأرجو أن أوافق الصواب في جميع ما ضمنت هذه الأبواب، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل أو تخلله خلل، فغير بديع ولا قبيح شنيع، لأن النقصان منوط بالإنسان، لا يسلم منه خلقه وخلقه، وقوله وفعله، وقد شمل العيب كل شيء، حتى صارت في وجنة القمر سفعة، وقد قلت:

وفي كل شيء حينَ تَخْبُرُ أمرَه معايِبُ حتى البدر أكلَفُ أسْفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق.

كتاب المبالغة

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول .

الباب الأول من كتاب ديوان المعاني الفصل الأول في المديح

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، رحمه الله تعالى يقول: أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني^(١).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ^(٢)

ثم قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال: حدثني أبو ذكوان قال:

أدخلت إلى إبراهيم بن العباس^(٣) وهو بالأهواز لخدمته، فقال: ما تقول في شعر النابغة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ - البيتين فقلت: ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور، يقول:

فضلك على الملوك، كفضل الشمس على الكواكب فقال: نفهم معناه قبل هذا، إنما يعتذر إلى

النعمان من مدحه آل جفنه الغسانيين وتركه له، ويريد أن له، في مدحه لهم عذراً ألا ترى إلى

قوله^(٤):

ولكنني كنتُ أمراً لي جانبُ من الأرض فيه مسترادٌ ومذهبُ
مُلُوكٌ وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب^(٥)
كحكمتك في قوم أراك اصطفتيهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا^(٦)

(١) الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية أبو أمانة . من أصحاب المعلقات مدح امرء الحيرة والغساسنة . مات سنة ١٨ ق . هـ . والبيتان في ديوانه : ٤٦ .

(٢) في الديوان : «فإنك شمس» .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، كاتب العراق في عصره، كان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل . وكان شاعراً مجيداً . مات سنة ٢٤٣ هـ . (الأعلام : ١ / ٤٥) .

(٤) ديوانه ٤٦ .

(٥) ملوك : هم ملوك غسان .

(٦) في الديوان : «كفعلك في قوم أراك اصطنتهم» .

يقول: لا تلمني على شكري، وقد أحسنوا إليّ إذ لجأت إليهم، وإن كانوا أعداءك، كما أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك، فقد أحسنوا ولم يذنبوا، ثم قال: اعمل على أني أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال:

ولست بمُسْتَبَقٍ أخاً لا تلمه
فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته
على شعث أي الرجال المهذب؟
وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
يقول: مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً، وفي كرمك ما يفعل ذلك، ولك العتبي والرجوع

إلى ما يجب، ثم فضله عليهم فقال:
ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسُ والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب
يقول: ما صلحت لي أنت، فإني لا أريد غيرك من الملوك، كما أن من طلعت عليه الشمس لم يحتج إلى النجوم. قال أبو ذكوان: وما رأيت أعلم بالشعر منه. ثم قال: لو أراد كاتب بليغ، أن يثر من هذه المعاني ما نظمته النابغة، ما جاء به في أضعاف كلامه، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس. وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة إلى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند^(١):

تكادُ تَمِيدُ الأرضُ بالناس إن رأوا
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت
لعمرو بن هند غُضْبَةٌ وهو عاتِبٌ
على كل ضوءٍ والملوك كواكبٌ
وقالت^(٢) صفة الباهلية:

أخنى على مالِكٍ ريبُ الزمان ولا
كنا كأنجُمٍ ليلٍ بَيْننا قَمَرٌ
يُبقي الزمانُ على شيء ولا يَذرُ
يجلو الدُّجَى فهوَى من يبتنا القمر
ومن ههنا أخذ أبو تمام:

كأن بني نبهانَ يومَ وفاته
وقال نصيب^(٤) في معنى النابغة:
نجومُ سماءِ خَرَّ من بينها البدرُ^(٣)
هو البدر والناس الكواكبُ حَوْلُهُ
وهل يشبه البدرَ المضيء الكواكبُ؟
ومثل قول النابغة:

احكم في أموالهم وأقرب^(٥)

(١) عمرو بن هند هو عمرو بن المنذر اللخمي، ملك الحيرة في الجاهلية كانت له وقائع مع الروم والغسانيين، قتله عمرو بن كلثوم الشاعر سنة ٤٥ ق. هـ.

(٢) البيتان في عيون الأخبار: ٦٦/٣.

(٣) الديوان: ٣٢٩. وشر: سقط.

(٤) هو نصيب بن رباح، أبو محجن الأسود الشاعر، مدح عبد الملك بن مروان، له شعر جيد، وترك التغزل. توفي

سنة ١٠٨ هـ. (الأعلام ٣١/٨).

(٥) ديوانه: ٤٦.

قول الأشجع^(١):

لا تَعْذِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَيَّ بِالْأَمْوَالِ
يَتَزَحْزَحُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ مِنَ الْإِجْلَالِ

وسمعت أبا أحمد يقول: أبرع بيت قيل في المديح^(٢) قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسعُ

ثم قال: أخبرني محمد بن يحيى قال: أخبرنا عون بن محمد الكندي، أخبرنا قعنب بن محرز قال: سمعت الأصمعي^(٣) قال: سمعت أبا عمرو يقول: كان زهير يمدح السوق، ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي

ما قاله، فما لا يقول مثله زهير^(٤) كان غيره أبعد منه.

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، عن السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نسطويه^(٥) يذكر عن الفراء قال: قال الكسائي^(٦): حضرت مجلساً للخليل^(٧) بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب^(٨) عند العباس بن محمد في مفاتحه اللغات ومجاريها، ونوادير الإعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها، فكان الخليل كالسابق قرن به، ذو الزوائد الحطيم في حلبة المضمار، إلى أن تذاكروا^(٩) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه، وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره، فقال العباس للخليل: بم تذكر النابغة؟ قال: كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر، كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده، فهو يجتنيهن اختياراً، له سهولة السبك، وبراعة اللسان، ونقاية الفطن، لا يتوعر عليه الكلام لعدوية مخرجه وسهولة مطلبه.

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي اتصل بالبرامكة ومدحهم واتصل بالرشيد. مات سنة ١٩٥ هـ.

(٢) ديوانه: ٨٤.

(٣) الأصمعي: الإمام اللغوي الأديب الأخباري. مات سنة ٢١٥ هـ.

(٤) هو زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي الحكيم، من أصحاب المعلقة.

(٥) هو محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الأزدي، الإمام الحافظ النحوي صاحب التصانيف مات سنة ٣٢٣ هـ.

(سيرة اعلام النبلاء: ٧٥/١٥).

(٦) هو شيخ العربية، أبو الحسن علي بن حمزة كان له منزلة رفيعة عند الرشيد. من تصانيفه: «معاني القرآن» مات سنة: ٨٤.

(٧) الخليل: صاحب العربية ومنشئ العروض. مات سنة ١٦٠ هـ.

(٨) يونس: إمام النحو يونس بن حبيب الضمر، له تأليف في القرآن واللغات. مات سنة ١٨٣ هـ. (سيرة اعلام النبلاء: ١٩١/٨).

(٩) في الأصل: «تذاكر».

أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

فإنك كالليل الذي هو مدركي

فقال النعمان : أقبل منك عذرک وأصفح لقدرك عنك، ثم أمر فخلع عليه خلع الرضا، وكنَّ حبرات خضراً مطرقة بالدر في قضب الذهب، وانصرف إلى منزله. قال الباهلي : وإن النابغة جاء يوماً مستأذاً معتذراً فقال له الحاجب : الملك على شرايه، قال : فهو وقت الملق، والشعر تقبله الأفتدة عند السكر، فإن يبلغ لي فلق المجد عن غرر مواهبه، فأنت قسيم ما أفدت. فقال الحاجب : والله ما تفي عنايتي بك بدون شكرک لي، فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي؟ فهل من سبب يمكن الاستئذان؟ فقال النابغة : فعلت ما يجب عليك في الأدب، وقضاؤها ومعقود بشكرک، فمن عنده؟ قال : خالد بن جعفر الكلابي^(١). فقال : أين أنت عنه بما أقول لك؟ قال : قل. قال : تقول له خالياً : إن زياداً يقول : إن قدرک فوق الغمام، ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء : تقول له خالياً إن زياداً يقول : إن من قدرک نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفق المستعين، وناحيتي من الشكر ما علمت، وحاجتي ملاطة الأسباب، حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب، نهض، فاعترضه الحاجب فقال : ليهنك أبا البسام حادث النعم. قال خالد : هناك عيشك، كل ما نحن فيه تجديد للفضل، وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده، فما ذاك؟ فأخبره بما قال النابغة، فقال : آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة. وكان خالد رقيقاً يتأني الأمور والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتداد، فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلک، أو من أنت سابقه سبق الجواد، إذا استولى على الأمد^(٢)

ثم قال : واللات^(٣) والعزى لكانني أنظر إلى أملاك ذي رعين وذی فايش^(٤)، وقد مدت لهم قصبان المجد إلى معالي الأحساب، ومناكب الأنساب، في حلية أنت - أبيت اللعن - غرتها، فجئت سابقاً متمهلاً، وجاؤا لم يتم لهم سعي، وجاء زياد فقال النعمان : والله لأنت في وصفك أبلغ إحساناً من إحسان النابغة، فينا في نظم قوافيه، فقال خالد : أيها الملك، واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرک استحقاقاً للشرف الباهر، ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا، فقال النعمان : النابغة يا غلام ! فخرج الحاجب، فقال النابغة : ما وراءك؟ قال : رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال، فدخل فانتصب بين يدي النعمان، وحياه بتحية الملك، ثم قال : أيفاخرك - أبيت اللعن - ابن جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب؟ واللات، لأمسك أبهى من يومه، ولقدالك

(١) خالد بن جعفر : فارس شاعر، قتله الحارث بن ظالم سنة ٣٠ ق . هـ .

(٢) الأمد : الغاية . والبيت للنابغة الذبياني : ديوانه ٢٥ .

(٣) اللات والعزى : من أوثان العرب في الجاهلية .

(٤) ذورعين : من ملوك اليمن، وذو فايش : من ملوك اليمن واسمه يزيد .

أحسن من وجهه، وليسارك أسمح من يمينه، ولعبدك أكثر من قومه، ولنفسك أكبر من جده، وليومك أشرف من دهره، ولوعدك أنجز من رفته، ولهزلك أصوب من جده، ولفترك أبسط من شبره، ولأملك خير من أبيه، ثم أنشأ:

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَالَهَا حَصْرٌ فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّجٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرَقِهِ وَفِي الْوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ^(١)
قال: فتهلل وجه النعمان بالسرور، وأمر فحشى فمه درأً، وقال: لمثل هذا ترتاح القلوب
وبمثلته تمدح الملوك، ثم قال الخليل: أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا؟ فقال يونس للعباس: إني
لأعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله:

وفي الوعى ضيغم في صورة القمر
أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين قول أبي
العتاهية^(٢) يمدح الرشيد وولده:

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودِ
يُقَلِّبُ أَلْحَاظَ الْمَهَابَةِ بَيْنَهُمْ عُوَيْنُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وأخذه مسلم بن الوليد^(٣) فقال:

كَأَن فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا

وقلت:

فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَصْدٌ يَصْدَهُ إِنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّمَامُ^(٤)
مَا زَالَ يَغْنَمُ مَالًا ثُمَّ يَغْرُمُهُ مَا زَالَ لِلْمَالِ غَنَامًا وَغَرَامًا
أَغْرَ أَرُوعَ يَحْكِي الْغَيْثَ مَكْرُمُهُ وَالنَّجْمَ مَنْزِلَةً، وَالطُّودَ أَحْلَامًا^(٥)
تَجْلِهَ حِينَ يَبْدُو أَنْ تَقُولَ لَهُ كَأَن فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا
وقد تداول الناس معنى قوله:

كَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي

فقال الفرزدق: ^(٦)

(١) الضيغم: الأسد. والبيتان في ديوان النابغة. ٦٦.

(٢) هو اسماعيل بن القاسم وغلب عليه اللقب «أبو العتاهية لعتوه وهو من الشعراء المطبوعين. والبيتان ليسا في ديوانه. مات سنة: ٢١١ هـ.

(٣) لقبه صريع الغواني، وهو شاعر محسن مفوه مداح مات سنة: ٢٠٨ هـ.

(٤) الذام: العيب.

(٥) الطود: الجبل.

(٦) هو همام بن غالب بن صعصعة من بني دارم وهو أحد أهم ثلاثة شعراء في العصر الأموي، له مع رفيقيه نقائص وهما جرير والأخطل مات سنة: ١١٠ هـ. والبيت في ديوانه: ٢٢٢. وفيه «كشيء أدركته».

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كحيٍّ أدركته مقادره
وهو دون قول النابغة، لأن الليل أعم من الريح، والريح أيضاً يمتنع منه بأشياء، والليل لا يمتنع منه بشيء.

وأخذ الأخطل^(١) قول الفرزدق فقال^(٢):

فأنت كالدهر مبثوئاً حَبائله والدهرُ لا ملكاً منه ولا هَرَبَ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال:

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لكالدَّهْرُ لا عار بما فعل الدهرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة؛ وأخذه أبو تمام فقال^(٣):

خَشَعُوا لَصَوْتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كالموتِ يأتي ليس فيه عار
فالقول همسٌ، والنداء إشارة، خَوْفَ انتقامِك، والحديث سرار^(٤)

وأخذه علي بن جبلة^(٥) فقال:

وما لامرئٍ حاولته منك مَهْرَبٌ ولورَفَعْتُهُ في السماء المطالعُ
يلي هارب لا يهتدي لمكانه ظلامٌ ولا ضَوْءٌ من الصبحِ لِمَعِ
وقال البحري^(٦):

ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يَكُنْ لِمُجِدِّهِمْ مِنْ أَخَذَ بِأَسْكَ مَهْرَبٌ
وقلت في قريب منه:

ويدنوله المطلوبُ حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلبٍ
وقالوا: أمدح بيت قائلته العرب قول أبي الطمحان^(٧):

أضاءتْ لهم أحسابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبة
نجومُ سماءِ كلما انقَضَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه

(١) هو غياث بن غوث التغلبي، أبو مالك كان شاعراً مداحاً لبني أمية، معاصراً لجبرير والفرزدق، مات سنة ٩٠ هـ.

(٢) البيتان ليسا في الديوان.

(٣) البيتان في ديوانه: ١٢٩.

(٤) في الديوان: «فالمشي همس».

(٥) هو الشاعر الفحل المعروف بالعكوك وكان حسن الأنشاد وقد ولد أعمى. قتله المأمون لكفره وقيل عفا عنه مات سنة ٢١٣ هـ. (سير اعلام النبلاء: ١٠/١٩٢)

(٦) البحري هو شاعر الوقت أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي وكان مداحاً وخصوصاً للمتوكل العباسي. مات سنة ٢٨٤ هـ. (سير اعلام النبلاء: ١٣/٤٨٦).

(٧) هو حنظلة بن الشرقي، شاعر جاهلي فاسق. له اخبار في الأغاني والبيت الأول في الأغاني ٩/١٣.

وما زال منهم حيث كان مسودٌ ومثله قول الحطيئة^(١):
تسير المنايا حيث سارت كتابه

نمشي على قول أحساب أضأن لنا ومثله قول الآخر:
كما أضاءت نجوم الليل للساوي

وجوه لَوَّانَ المُدْلِجِ اغتَشوا بها وقال بعض الأعراب في رجل: ما دفعته في سواد إلا محاه، ولا قابلت به ملماً إلا كفاه.
ومثل قوله:

صد عن الدجى
قول بعض المحدثين:

ومصباحنا قمر زاهرٍ وقلت:
كقوسٍ لجينٍ يشقُّ الدُّجَى

وانشقَّ ثوبُ الظلامِ عن قمر كأنما النجم حين قابله
يضحك في أوجه الدُّجَناتِ قبيعة في نصاب مرآة
قلت:

بليل كما ترنو الغزاة أسود كواكبه زهر وصُفِرَ كأنها
على أنه من نور وجهك أبيض قبايع منها مُذهَّبٌ ومُفَضُّضٌ
قلت:

وذى غنَجٍ يأوي إلى فرعه الدُّجى وفيه ظلامٌ بالصباح مُقنَعٌ
ولكنها عن وجهه تتفرج وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط:

فتى لا يُبالي المُدْلِجونَ بنوره له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينه
إلى بابه ألا تضيء الكواكبُ وليس له عن طالب العُرفِ حاجبٌ
وقول آخر:

من البيض الوجوه بني سنانٍ لو أنك تستضيء بهم أضأوا
وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا كأن الثريا علقت في جبينه
له سيماء لا تشقُّ على البصر وفي أنفه الشعري وفي وجهه القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى بثوب واسع الذيل واتزر

(١) هو الشاعر الجاهلي ثم الاسلامي: جرول بن أوس وكان هجاءً مقذعاً. له اخبار في الأغاني وشعر ١٥٧/٢.

والبيت في الديوان: ١٩٠ وفيه:

نمشي إلى ضوء أحساب أضأن لنا ما صوّات ليلة القمراء للساوي

إذا قيلت العوراء غرض كأنه
وقول آخر^(١):

إختر فناء بني عمرو فإنهم
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا
وإن توددتهم لانوا، وإن شتموا
هينون لينون أيسار ذوو يسر
من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم،

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة.

وأنشدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس^(٦) في الجند بن عبد الرحمن^(٧):

إلى مستنير الوجه طال بسؤد
مدحتك بالحق الذي أنت أهله
يعيش الندى ما دمت حياً فإن تمت
وما لامرئ عندي مخيلة نعمة

وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى^(٨):

فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها
وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك، ولو كان
مذموماً، لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب، وهما من الغلو على ما هما عليه،
ومثل هذا الغلو قول طريح بن إسماعيل^(٩):

(١) روى الجاحظ هذه الأبيات في كتاب الحبر: ٨٩/٢ وفي ٩٤/٣ ونسبها إلى «بعض غني وهو يمدح جماعة
إخوة» ورواها المبرّد في الكامل ص ٤٧ وقال: «وأنشدني عبد الوهاب بن جنة الغنوي لعبيد بن العرنس
الكلابي يصف قومًا نزل بهم. وفي الأمالي إلى العرنس الكلابي يمدح بني عمرو الغنوين.

(٢) في الحيوان: ٩٤/٣: «حبر ثناء بني» و«أنفال وأخطار». والأنفال: العطايا.

(٣) في الحيوان: ٩٥/٣: «وإن شهموا» و«أذمار حرب». أذمار: ما يُحفظ، مفردة: ذمار.

(٤) في الحيوان: ٩٢/٢: «سؤاس مكرمة».

(٥) في الحيوان: ٩٥/٣: «يسري بها».

(٦) هو أبو الجويرية العبدى من نزار، شاعر محسن، استقر في العراق مات سنة ١٢٠ هـ. (الأعلام: ١٠١/٥).

(٧) (المري هو أمير خراسان من الأجواد الممدحين، مات في خراسان سنة ١١٥ هـ. شذرات الذهب:

١٥١/١.

(٨) الأعشى: أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل من قيس، وكان أعمى، قيل: أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو

شاعر متقدم. له أخبار وترجمه وشعر في الأغاني: ٣/١٢. مات سنة ٧ هـ. (الأعلام: ٢٤١/٧) والبيت في

ديوانه: ٦٥.

(٩) طريح: هو ابن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت، شاعر الوليد ابن يزيد الأموي، وأكثر شعره في مدحه. مات

سنة ١٦٥ هـ (الأعلام: ٢٢٦/٣)

أنت ابنُ مُسلنطح البطاح ولم يضرب عليك الحنّي والولج^(١)
لوقلت للسيل دع طريقك والمـروج عليه كالهضب يعتلج
لارتدّ أوساخ أو لكان له في جانب الأرض عنك مُنعرج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هبة ولا مخافة، والعرب تقول أجراً من السيل
فيهزم ولا يهزم، والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجري، ويقال في المثل: «لا أفعل كذا حتى
يرد وجه السيل»^(٢)، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ، وإنما جئت به لمكان غلوه.
ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي
تمام في المعتصم^(٣):

بِئْسَ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعَلَا
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النِّوَاحِي أَتَيْتَهُ
تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ
وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ^(٤)
فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
أَرَادَ انْقِبَاضاً لَمْ تُطْعَمْهُ أَنْسَامِلُهُ
لَجَادَ بِهَا، فَلِيَتَقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وقلت في قريب منه:

وكفك بحرٌ لجة البحر ساحله
وكيف بيت الجار منك على صدى
أخبرنا أبو أحمد قال: سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد^(٥) - يحكى عن أبي حاتم قال: قال
الأصمعي سمعت أعرابياً يقول: انكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى، إن أحدكم ليصف
الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول: كأنها الشمس، لم لا
تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال: لانشدك شعراً يكون لك إماماً، ثم أنشدني:
إِذَا سَأَلْتَ الْوَدَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
فَتَى جَوَاداً أَعَادَ النِّيلُ نَائِلَهُ
لم تلف نسبتهَا إلّا إلى الهول
فالنيل يشكرُ منه كثرة النيل
وليس هذا الشعر مختاراً عندي:

والموتُ يرهّبُ أن يلقى مَنِيَّتَهُ
لو عارض الشمس أبقى الشمسَ مُظْلَمَةً
أو بارز الليل غطّته قوادمه
أمضى من النجم إن نابته نائبة
في شدّة عند لفّ الخيل بالخيل
أوزاحم الصم الجاه إلى الميل
دون القوافي كمثّل الليل بالليل
وعند أعدائه أجرى من السيل

(١) اسلنطح: وقع على وجهه. والمسلنطح: الفضاء الواسع.

الولج: النواحي والأزقة. والحنّي: موضع.

(٢) جمهرة الأمثال: ٢٦٧/١.

(٣) المعتصم العباسي: الخليفة أبو إسحاق، كان شجاعاً هماماً. مات سنة ٢٢٨ هـ.

(٤) ديوان أبي تمام: ٢٠٥.

(٥) ابن دريد، الأديب اللغوي البصري، صاحب التصانيف وهو شاعر العلماء وعالم الشعراء. مات سنة

٣٢١ هـ. واسمه محمد بن الحسن، أبو بكر.

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر:

عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ
فُلَّهُ الْغَيْثُ مُقَرَّرٌ بِالْنَدَى وَلَهُ الْلَيْثُ مُقَرَّرٌ بِالْجَلْدِ

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر والبحر، فأخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر، أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد بني أنف الناقة - عن ابن عائشة عن أبيه قال: قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع الشعراء عنده: تشبهونا بالأسد، الأسد أنجز، وبالبحر والبحر أجاج، وبالجبل والجبل أوعر، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم^(١) بن فاتك في بني هاشم:

نَهَارَكُمْ مَكَابِدَةً وَصَوْمٌ وَلَيْلَكُمْ صَلَاةً وَاقْتِرَاءُ
أَجْعَلَكُمْ وَأَقْوَاماً سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ
وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجَلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَعْيُنِهِمْ وَأَرْؤُسُهُمْ سَمَاءُ

وهذا من قول أمية بن أبي الصلت^(٢) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله بن جدعان: أذكرُ حاجتي أم قد كفاني كريم لا يُغيره صباح وأرضك أرض مكرمة بنتها ونحوه قوله:

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَأَنْتَ الرَّأْسُ يَقْدُمُ كُلَّ هَادِي

وتصرّف فيه المحدثون فقال ابن الرومي^(٣):

قَوْمٌ يَحْلُونَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ وَمِنْ غَنَاءٍ مَحَلَّ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ^(٤)
حَلَوْا مَحَلَّهُمَا مِنْ كُلِّ جُمُجْمَةٍ نَفْعاً وَرَفْعاً وَإِطْلَالاً عَلَى الرَّتْبِ
قَوْمٌ هُمُ الرَّأْسُ إِذْ حَسَادُهُمْ ذَنْبٌ وَمِنْ يُمَثَّلُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ؟
ومنه قول الحطيئة^(٥):

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ وَغَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا^(٦)

(١) شاعر من بني أسد، كان له مكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر، ثم تحوّل عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق، شارك في الغزو، ومات سنة ٨٠ هـ. (الأعلام: ٣٥/٢)

(٢) هو أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف، قرأ الكتب المتقدمة ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبياً يبعث. قال عنه النبي ﷺ: «آمن لسانه وكفر قلبه». الأغاني ٤/١٢٠ مات سنة ٥ هـ.

(٣) ابن الرومي هو علي بن العباس، أبو الحسن شاعر زمانه، مات سنة ٢٨٣ هـ.

(٤) البيت وما يليه في ديوان ابن الرومي: ١٩٠/١. اليلب: السلاح.

(٥) ديوان الحطيئة: ١٧.

(٦) أنف الناقة: بغض وأهل بيته. وكانوا يعيرون به في الجاهلية، فلما قال الحطيئة هذا البيت صار مدحاً لهم. الأذنان: الزيرقان وأهل بيته.

وقال غيره:

النَّاسُ أَرْضٌ بِكُلِّ أَرْضٍ وَأَنْتَ مِنْ فَوْقَهُمْ سَمَاءٌ
وقلت:

أَبْشِرْ فَإِنَّكَ رَأْسُ، الْعُلَا جَسَدٌ وَالْمَجْدُ وَجْهٌ، وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لَوْلَاكَ لَمْ صَحْ لِلْأَيَّامِ مَنَقِبَةٌ تَسْمُو إِلَيْهَا وَلَا لِلدَّهْرِ مُفْتَخَرُ

وأخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فقال: يا أمير المؤمنين! قد امتدحتك فاستمع مني! فقال: إن كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك، وإن كنت قلت: كما قالت أخت بني الشريد^(١) لأخيها صخر، فهات. فقال الأخطل: وما قالت يا أمير المؤمنين؟ قال: هي التي تقول^(٢):
فَمَا بَلَغْتُ كَفُّ أَمْرِي مَتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نَلْتُ أَطُولُ
وَلَا بَلَغَ الْمَهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَلَوْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
فقال الأخطل: والله لقد أحسنت القول، ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها، قال:

هات فأنشد:

إِذَا مِتُّ مَاتَ الْعَرَفُ وَانْقَطَعَ النَّدَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ^(٣)
وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخَلْفٍ مُحَرَّدٍ
وليس يحسن عندي أن يقال للممدوح: إذا مت، فإن استماع ذلك مكروه، وإن كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها، أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد:
إِذَا مِتُّ لَمْ تَوْصَلْ بِعَرَفٍ قَرَابَةٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا رَجَاءٌ لِنَائِلٍ
وهو من قول النابغة:

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رِبِيعُ النَّاسِ، وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ^(٤)
وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنْابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول، لأنه لم يخاطب به الممدوح، ولو قيل: لولا فلان لكان كذا وكذا لكان كما قال علي بن جبلة:

لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ لَمْ تَحْيَ عَارِفَةٌ وَلَمْ يَنْوُنْ مَأْمُولٌ بِأَمَالٍ
يَا بَنَ الْأَكَارِمِ مِنْ عَدَنَانَ قَدْ عَلِمُوا وَتَالِدُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ

(١) هي الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد قالت الشعر زمن النابغة في الجاهلية اشتهرت برثاء أخويها صخر ومعاوية، أسلمت. ماتت سنة ٢٤ هـ. (الأعلام ٨٦/٢)

(٢) ديوانها: ١٠٧.

(٣) مصرّد: قليل.

(٤) البيت في ديوان النابغة: ٢١٤. وأبو قابوس: كنية النعمان، وهو أيضاً ربيع الناس. الشهر الحرام: كناية عن الأمن.

وناقِلُ الناسَ من عُدْمٍ إلى جِدَةٍ
أنتَ الَّذي تُنزلُ الأيامَ مِنْزِلَها
وما مَدَدْتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ
تزورُ سَخَطاً، فتمسي البيضُ راضيةً
وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن دوداد قال: قال أبو هفان: اجتمع الشعراء بباب المعتصم، فقعد لهم محمد بن عبد الملك الزيات^(٣)، فقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى^(٤) في الرشيد:

خليفة الله إنَّ الجودَ أوديةً
إن أخلف القَطْرُ لم تُخلفْ مخايله
فقال ابن وهب^(٥): فينا من يقول مثله:

ثَلَاثَةٌ تشرقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِها
تحكي أفاعيله في كل نائبةٍ
قال فأجازه وفضل ابن وهب.

ولبعض الشعراء في المهلب.

أُمسى العراقُ سليباً لا أنيسَ له
هذا جودٌ ويحيي عن ذِمَارِهِم
ومنه أخذ ابن وهب.

وقلت في معناه:

لَمْ تَزَلْ لِلوَرَى ثَلَاثُ شُموسٍ
وَجْهُكَ المستضيءُ والقَمَرانِ

وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول زهير^(٩):

- (١) البيت في الأغاني: ٤٢/٢٠. وفيه و«تنقل الدهر».
- (٢) البيت في الأغاني: ٤٢/٢٠. وفيه «بارزاق وآجال».
- (٣) ابن الزيات: محمد بن عبد الملك بن أبان، أبو جعفر، وزير المعتصم والواثق العباسيين، عالم باللغة والأدب مات سنة ١٧٣ هـ. (الأعلام ٦/٣٤٨).
- (٤) النمرى: منصور بن الزيرقان، أبو القاسم من بني النمر بن قاسط شاعر عباسي مدح هارون الرشيد. له أخبار في الأغاني. والأبيات في الأغاني ١٣/١٤٧. مات سنة ١٩٠ هـ.
- (٥) البيت في الأغاني:
- إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تنسج
- (٦) البيت في الأغاني: ١٤٨/١٣. وفيه «أخلف الغيث». ومخايل: سحُب.
- (٧) هو الحسن بن وهب بن سعيد؛ كاتب شاعر مترسل أصله من واسط أخبره في الأغاني: ٩٥/٢٣.
- (٨) الصمصامة: السيف لا ينثني.
- (٩) ديوانه: ٦٨.

تَراه إذا ما جِثَّتْهُ مُتَهَلِّلًا كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت، فقال: جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن الكبير
الهمة، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي^(١):
وَلَكِنْ فَرَحْتُ بِمَا يُنِيلُكَ إِنَّهُ بِمَا يُنِيلُكَ مِنْ نَدَاهُ أَفْرَحُ
مَا زَالَ يُعْطِي نَاطِفًا أَوْ سَاكِتًا حَتَّى ظَنَنْتُ أَبَا عَقِيلٍ يَمْرُحُ
فجعلله يفرح بما ينيل. ومثله قول^(٢) أبي تمام:
أَسَائِلُ نَصِرَ لَا تَسْلُهُ فَإِنَّهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ
وقال بعض الأعراب: ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني، ونحو ذلك أن
الحجاج قال لإياس بن معاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من أعطاني. قال: ثم من؟ قال:
من أعطيته.

وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير:
فَتَى لَا بَرَى سَوْقَ الْمَهْوَرِ غَرَابَةً وَلَا غَالِيَاتِ الْمَالِ حَلِيًّا عَلَى نَحْرِ
فَتَى كَانَ مِكْرَامًا لِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُهِنًا لَدُنْيَا غَيْرِ مَأْمُونَةِ الْغَدْرِ
وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم، وممن أبدع في ذلك البحري في
قوله^(٣):

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَجْهَكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي الْمُسْلِمَا
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي^(٤):
كَأَنَّمَا الْقَطْرُ مِنْ نَدَى يَدِهِ
وقول أبي الأسد^(٥):

وَلَائِمَةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى أَرَادَتْ لِشَنِيِّ الْفَيْضِ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟^(٦)
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا
عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبَشْرِ
مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ^(٧)

(١) من موالى ثقيف، شاعر عالم بالغناء كان خصيصاً بالمتوكل العباسي، توفي سنة ٢٧٨ هـ. اخباره في الأغاني ٢٦٩/١٥.

(٢) ديوانه: ١٠٢.

(٣) ديوانه: ٨٤/١ ص.

(٤) ديوانه: ١٨/٥.

(٥) أبو الأسد: نباته بن عبد الله الجعاني التميمي، شاعر من اهل الدينور. اتصل بوزير المهدي العباسي،

الفيض بن ابي صالح. مات سنة ٢٢٠ هـ. (الأعلام: ٧/٨). اخباره والأبيات في الأغاني: ١٣٤/١٤.

(٦) في الأغاني: «ارادت لتنهى».

(٧) في الأغاني صدر البيت: «مواقع جود الفيض في كل بلدة».

وقريب منه قول أبي تمام (١):

فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأن أيامهم من أنسها جُمعُ (٢)

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنِيرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا
وَيُضْحِكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ

وقلت:

تجده البشر في وجه الزمان

إذا عبس الزمان فمل إليه

وقلت:

وفي فمه ضحك وفي وجهه بشر
فإنك ممدوح بك النظم والنثر

كأنك في خد الزمان تورد
فمن يك ممدوحاً بنظم يصوغه

وقال البحري (٣):

عنه علو لم ينله الفرقد (٤)
وندى أحاط بجانيبه السؤدد (٥)
لذوي التوسم فهي شيب أسود
جمع العلا فيما يفيد وينفذ
غنائه مالك طيء أو معبد

وتواضع لولا التكرم عاقه
وفتوة جمع التقى أطرافها
وشبيبة فيها النهى فإذا بدت
طلق اليدين إذا تفرق ماله
جدلان يطرب للسؤال كأنما

وقال ابن الرومي (٦):

من المحاميد لا تبلى على الحقب
ومن تواضعه للحق في صلب
غنائه إسحاق والأوتار في صخب
من هزة المجدي لا من هزة الطرب

أغر أبلج يكسو نفسه حلاًلاً
تلقيه من نهضة للمجد في صمد
كأنه وهو مسؤول وممتدح
يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه

وهذا المصراع من قول أبي تمام (٧):

من خفة الخوف لا من خفة الطرب (٨)

موكل بيفاع الأرض يشرفه

وقلت:

سخاء عليه للطلاقة شاهد

وقد يؤنس الزوار منك إذا التقوا

(١) ديوانه: ٣٣١. وفي البيت الأول: «بها وتجتمع».

(٢) غطارقة: جمع غطريق: سيد شريف.

(٣) ديوانه: ٢٧٧/٢ ع.

(٤) الفرقدان: نجمان.

(٥) في الأصل: «ويدي احاطهما بماء السؤدد».

(٦) ديوانه: ١٩٢/١.

(٧) ديوانه: ١٧.

(٨) في الديوان «موكلاً بيفاع». واليفاع: ما ارتفع من الأرض.

وقلت: [أخذ] زهير قول بعضهم فقال^(١):

تسراه إذا ما جئته متعتباً كأنك بالمنقاش تَنْتَفُ شَارِبَةٌ^(٢)
وقد أحسن جحظة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه^(٣):

قومٌ أحاولُ نَيْلَهُمْ فكأنني حاولتُ نَتْفَ الشَّعْرِ من آنافِهِمْ
قُمْ فاسقنيها بالكبيرِ وعَنِّي ذَهَبَ الذينُ بُعَاشُ في أكتافِهِمْ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير^(٤):

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المِطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ^(٥).
وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾^(٦).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾^(٧).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٨).

وسئل بعض العرب عن أشعر الناس؟ فقال^(٩) جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة: المديح
والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير:

قال في المديح:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المِطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
وقال^(١٠) في الهجاء:

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَاباً
وقال^(١١) في الافتخار:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَاباً

(١) البيت ليس في ديوانه.

(٢) المنقاش: ما تقتلع به الشعر وغيره.

(٣) جحظة: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد البرمكي، البغدادي الشاعر، كان ذا نوادر وله علم في التنجيم ولعب النرد والغناء. مات سنة ٣٢٦ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٢٢١/١٥).

(٤) جرير: شاعر زمانه، أبو حرزة جرير بن عطية الحظفي، مدح خلفاء بني أمية، وكان عفيفاً منياً. توفي سنة ١١٠ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٥٩٠/٤).

(٥) البيت في ديوانه: ٧٧. وهو في مدح بني أمية.

(٦) سورة الزمر: آية ٣٧.

(٧) سورة التين: آية ٨.

(٨) سورة الزمر: آية ٣٦.

(٩) الخبر في الأغاني: ٤١/٨.

(١٠) ديوانه: ٦٣.

(١١) ديوانه: ٦٤.

وقال^(١) في الغزل:
 إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا
 يَصْرَعُنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
 وقال التنوخي^(٢) في هذا المعنى:
 فَكَلَّمَا أَزْدَادَاتِ قَوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى
 وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد، ونقض بعضهم قوله:
 إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ

فقال:
 لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بِغَضِبَتِهَا ذُبَابَا
 وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول حسان^(٣):
 يَغْشَوْنَ حَتَّى مَلْتَهَرِ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ^(٤)
 يقول: قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبهم، وهم من شجاعتهم لا يسألون عن جيش
 يقبل نحوهم لقلّة اكترائهم بهم؛ ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم. ومثله ما أنشد أبو
 تمام:
 إِذَا اسْتَجَدُّوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَوْ لِأَيِّ مَكَانٍ
 وقال ابن هرمة^(٥) في أثر الكلب بالضيف:
 وَمُسْتَبَحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نُوْبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالشُّوبِ مَعْصُمٌ^(٦)
 عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
 فجاوبه مستسمع الصوت للقرى لَهُ عِنْدَ إِيْيَانِ الْمُهَبِّينِ مَطْمٌ
 يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
 وقال عمران بن عِصَام^(٧)، ويروى لنصيب:

- (١) ديوانه: ٤٩٢.
 (٢) التنوخي: القاضي العلامة، أبو القاسم علي بن محمد، كان معتزلياً مناظراً منجماً، شاعراً اديباً ولي قضاء
 الأهواز، له تصانيف. مات سنة ٣٤٢ هـ. (سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٩٩).
 (٣) حسان بن ثابت الأنصاري؛ شاعر الرسول ﷺ، وهو من المخضرمين مات سنة ٥٤ هـ.
 (٤) ديوانه: ٣٦٥.
 (٥) ابن هرمة هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل، وكان مولعاً بالشراب، وهو من مخضرمي الدولتين
 الأموية والعباسية؛ مدح الأمويين ثم العباسيين ثم انقطع إلى الطالبيين. الأعلام: ١/٥٠، والأغاني:
 ٣٦٧/٤. والأبيات في خزنة الأدب: ٥٨٤/٤. والبيت الأخير في الشعر والشعراء: ٦٤٠/٢.
 (٦) تستكشط: ترفع الشيء عن الشيء.
 (٧) عمران بن عِصَام العنزي: خطيب شاعر، شجاع، اشتهر أيام عبد الملك بن مروان. قتله الحجاج سنة
 ٨٥ هـ. (الأعلام: ٧١/٥). ونسب صاحب الأغاني الأبيات إلى نصيب: ٣٣٣/١.

لعبد العزيز على قَوْمِهِ
فبأبِكَ أَلَيْنُ أَبْوَابَهُمْ
وَكَلْبُكَ آتَسُ بِالْمَعْتَفِينَ
وَكُفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ
فَمَنْكَ الْعَطَاءُ وَمَنَا الشَّاءُ
وقال^(١) الحطيئة في خلاف ذلك:

مَلُوا قِرَاهُ، وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ
وقال بشار^(٢) في قريب من المعنى الأول:
سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَ عَيْدِي
وَأَيَّامَ لَنَا قَصُرَتْ وَطَالَتْ
وقال آخر:

وَمَايْكُ فَيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي
معناه أن الكلب يضرب إذ نجح الضيف، فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن، والفصيل مهزول.
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي^(٣):

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسِرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
وهذا غاية المدح، لأن الرجل إذ قدر على النفع والضرف قد كمل، ولهذا قيل في البرامكة:
عِنْدَ الْمُلُوكِ مُضِرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبِرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
لا يعرف أهجأهم أم مدحهم، لأنه إذا نفى عنهم أن يضروا فقد قصرهم، وقد قيل:
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَادُ الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم، وهو من أحسن ما يروى عنه:

مَتَى تَهْزِرُ بَنِي قَطْنٍ تَجِدُهُمْ سَيُوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيُوفُ
وَأَنْ ضَيْفُ الْمَمِّ فَهُمْ وَقُوفُ
وَأِنْ رَكِبُوا فَلِإِنَّهُمْ حَتُوفُ
إِذَا نَزَلُوا حَسَبَتْهُمْ بِدُورًا

(١) ديوان الحطيئة: ١٠٨. وفيه: «وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ».

(٢) هَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ: ضَجَرُوا بِهِ.

(٣) هو أبو معاذ البصري الضرير، بلغ شعره ١٣ ألف بيت. مدح الكبراء واتهم بالزندقة. مات سنة ١٦٧ هـ. (سير أعلام النبلاء: ٢٤/٧).

(٤) البيت والذي يليه في ديوان بشار: ١١٠. تل عيدي والشرفان: موضعان.

(٥) نائمة الكلاب: كناية عن غفلة الحراس.

(٦) هو عبد الله بن قيس من جعدة بن كعب، كنيته أبو ليلى، أتى النبي ﷺ وأنشده شعراً، فقال له: «لا يفيض الله فاك» قال: فبقي عمره لم تنقض له سن. مات بأصبهان سنة ٥٠ هـ. الأعلام: ٢٠٧/٥ والأبيات في الشعر والشعراء مع ترجمته: ٢٠٨/١ - ٢١٢. واسمه في الأعلام: قيس بن عبد الله.

وقال آخر:

وأعناق طلاب الندى بالفواضل
ولا انبسطت كفاه إلا بنائل

فذل أعناق الصعاب بيأسه
فما انقبضت كفاه إلا بصارم

وقال محمد بن بشر الأزدي:

على بذل مال أو على حد منصل
غمامة غيث أو ضبابه قسطل

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا
وما إن له من نظرة ليس تحتها

وقال آخر:

ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

فتى دهره شطران فيما ينويه
فلا من بغاة الخير في عينه قذى

وقد أحسن البحري في هذا المعنى وهو قوله^(١):

وطارت حواشي برقه فتلهبا
وإن فاض في أكرومة عمر الربا
وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا
وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
فإن جتته من جانب الدل أصحبا
وإن كف لم يذهب به الحزن مذهبا
وقال الأسدي^(٢) في نفي الخير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله على

هو العارض الشجاع أخضل جوده
إذا ما تلظى في وغي أضعق العدى
رزين إذا ما القوم خفت حلومهم
حياتك أن يلقاك بالجود راضيا
حرون إذا عاززته في ملمة
إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا

الخمول:

بأنك فيهم غني مضر
فلا أنت حل ولا أنت مر

فحسبك في القوم أن يعلموا
وأنت مليح كلحم الحوار

وقال غيره:

د لا خير ولا شر

شيخ من بني الجارو

وقال آخر:

فظنته شيخاً يضراً وينفع
مشطاً يقلبه خصي أصلع

ولقد نزلت على زياد مرة
فإذا زياد في الديار كأنه

وقد أحسن البحري في المعنى الأول وهو قوله^(٣):

فلله تقواه وللمجد سائر^(٤)

هو الملك الموهوب للبأس والتقوى

(١) ديوانه: ٥٥/١ ص.

(٢) هو ابن مطير الأسدي، الحسين بن مطير بن مكحل. شاعر متقدم في القصيد والرجز، كان مداحاً. مات سنة ١٦٩ هـ. (الأعلام: ٢٦٠/٢).

(٣) ديوانه: ٢٣٨/١ ع.

(٤) في الديوان: «الموهوب للدين والعلاء».

له البأس يُخشى والسماحة تُرتجى فلا الغيثُ ثانية ولا الليثُ عاشره^(٤)

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقي
لقد نشأت للشام منك سحابة
فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها
فإن سلموا، كانت غمامة نعمة
أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد
وكائن ترى في البرمكيين من به
طبيب بأخبار الأمور إذ التوت
وبعد بيت النابغة الجعدي قوله^(٢) :

فتى كملت أخلاقه غير أنه
أشم، طوال الساعدين، شمرد
جواد فما يبق من المال باقيا
إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا^(٣)

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا محمد بن علي الأجري ببغداد، حدثنا أبو العيلاء قال : قال الأصمعي : أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم، طوا الساعدين، شمرد
فقال الرشيد : ويله ولم لم يروحه للمجد؟ ألا قال :

إذا راح للمعروف أصبح غاديا

فقلت : وأنت، والله، يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب الفطنة، قال لأبي نواس^(٤) : لم وثب بك أهل مصر؟ قال لقولي :

فإن يك باقي إفك فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب
قال : فوثبوا بي وأرادوا قتلي، وقالوا : جعلت معجزة موسى لخصيب؟ فقال له الرشيد : ألا قلت :

فإن كان باقي إفك فرعون فيكم
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إنك لأشعر مني، وإنني لم أفطن لذلك، وأنشده العماني^(٥) الراجز في صفة الفرس :

(١) في الديوان : « الليث عاشره » .

(٢) البيتان في الشعر والشعراء : ٢٠٢/١ .

(٣) الشمرد : الفتى السريع من الإبل وغيره، الحسن الخلق .

(٤) هو الحسن بن هانيء، الشاعر المشهور، الماجن، كان له نظر في العلوم العقلية والنجوم . مات سنة ١٩٩ هـ . وكان ممن مدحوا الخليفة العباسي الأمين . (الشعر والشعراء : ٢/٦٨٠) . والبيت في ديوانه :

٨٥ .

(٥) العماني : هو محمد بن ذؤيب الفقيمي، لم يكن من أهل عُمان، وإنما قيل له عُمانى لأن دُكينا الراجز نظر إليه =

كَأَنَّ أذْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: دَعِ «كَأَنَّ» وَقُلْ: «تَخَالُ» حَتَّى يَسْتَوِيَ شَعْرُكَ، وَكَانَ قَدْ لَحَنَ الْعُمَانِي وَلَمْ
يَعْرِفْ وَلَمْ يَفْظَنْ لَهُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ حَتَّى قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ ذَلِكَ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ عِلْمِهِ وَفُطْنَتِهِ.
وَقَالُوا: أَمْدَحَ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبُ قَوْلَ حَسَّانٍ^(١):

بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
يَغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ
وَقَبْلِهِ:

لِللَّهِ دَرُ عِصَابَةٍ نَادِمَتُهُمْ يَوْمًا بَجَلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ
ثُمَّ قَالَ:

فَلَبِثْتُ أَزْمَانًا طَوَالًا فِيهِمْ ثُمَّ ادَّكِرْتُ كَأَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ
وَفَتًى يَحِبُّ الْمَجْدَ يَجْعَلُ مَالَهُ مِنْ دُونِ وَالِدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلْ
قَوْلُهُ: «بِيضُ الْوَجْهِ» مَعْنَاهُ مَشْهُورُونَ بِبَهَاءٍ وَلَمْ يَعْنِ بِهِمُ الْبَيَاضُ، وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا اللَّفْظُ
مَعْنَى الْبَاسِ وَالْجُودِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ نَبِيهًا مَشْهُورًا حَتَّى يَقَالَ عَنْهُ:
أَبْيَضَ الْوَجْهَ، وَأَغْرَ، وَوَضَّاحَ، إِلَّا إِذَا جُمِعَتْهَا وَمَا يَجْرِي مَعَهَا. قَالَ الرَّاجِزُ:

فَهَنَ يَحْمِلُنَ فَتًى وَضَّاحًا

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ^(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ^(٣)
وَقَالَ السَّمُوعِيُّ^(٤):

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غَرَرٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُجُولٌ^(٥)
أَرَادَ بِالْغَرَّةِ وَالْحُجُولِ الشَّهْرَةَ.

وَقَلْبَ بَعْضِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَوْلَ حَسَّانِ:

بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ

فَقَالَ:

= وَيَسْقَى الْإِبِلَ وَيَرْتَجِزُ فَقَالَ: مِنْ هَذَا الْعُمَانِي؟ فَلَزِمَهُ الْإِسْمُ. انْشَدَ مَرْوَانَ وَيزِيدَ، ثُمَّ الرَّشِيدَ وَالْمَنْصُورَ
وَالْمَهْدِيَّ الْعَبَّاسِيِّينَ. مَاتَ سَنَةَ ٢٢٨ هـ. (الأعلام: ١٢٣/٦)

(١) ديوانه: ٣٦٥. والأبيات في مدح أولاد جفنة.

(٢) أبو طالب: عم النبي ﷺ، المتوفى سنة ٣ ق. هـ. والبيت في طبقات فحول الشعراء: ٢٤٤/١.

(٣) الثَّمَالُ: الغِيَاثُ الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِ قَوْمِهِ.

(٤) هو السَّمُوعِيُّ بْنُ غَرِيضِ بْنِ عَادِيَاءِ الْأَزْدِيِّ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ حَكِيمٌ مِنْ سَكَانِ خَيْبَرَ. تَوَفِّيَ سَنَةَ

٦٥ ق. هـ. (الأعلام: ١٤٠/٣).

(٥) البيت في ديوان السَّمُوعِيِّ: ٩٢. وفيه: «مَعْلُومَةٌ وَحُجُولٌ». وَالْحُجُولُ: جَمْعُ الْحُجْلِ: الْخُلْخُلُ.

سودُ الوجوه لثيمةٌ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ
 كما قلب بعضهم بيت أبي نواس^(١):
 يا قمرأً في مأتَمٍ يندبُ شجواً بين أترابِ
 يبكي فيذري الدرُّ من نرجسٍ ويلطمُ الوجهَ بعنابِ
 فقال:
 وأعور أبصرتُ في مأتَمٍ يندبُ شجواً بتخاليطِ
 يبكي فيذري البعر من كوةٍ ويلطمُ الشوكَ ببلوطِ
 وأخذ حسان قوله:

ثم ادركت كأنني لم أفعل
 من قول أبي كبير^(٢):

فأذنٌ وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيءٌ كأن لم يفعل
 وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة^(٣):

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا^(٤)
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا^(٥)
 أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
 ويعذلني أبناء سعدٍ عليهم وما قلتُ إلا بالذي علمتُ سعد^(٦)
 يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد^(٧)
 ولعمري إن معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها، وكل من تناولها فإنما استعارها من
 الحطيئة، وهي جامعة لخصال المدح كلها، وقوله:

جاء الحفيظة والحد

- وروي والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان، والجد خلاف الهزل والمختار
 الحد بالحاء. يقول الحطيئة في بني لأي بن شماس من قريع، وكان الزبرقان بن بدر لقي الحطيئة
 في سفر فقال: من أنت؟ فقال: أنا حسب موضوع أبو مليكة. فقال له الزبرقان: إني أريد وجهاً،
 فصر إلى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الحطيئة إلى امرأة الزبرقان، فأنزلته وأكرمته، فحسده

(١) ديوان أبي نواس: ٥٣. وقالهما في قينة يهواها اسمها جنان.

(٢) أبو كبير الهذلي هو عامر بن الحليس، شاعر جاهلي. ترجمته والبيت في الشعر والشعراء: ٥٦١/٢. وفي
 الأمالي: ١٤٢/١.

(٣) البيتان الأولان في الأغاني: ١٧٨/٢ والابيات كلها في الديوان: ٣٩ - ٤٢.

(٤) البنا: جمع البنية.

(٥) لا كدروها: بالمطل. كدوها: باللاح. وفي الديوان: «كانت النعمى».

(٦) في الديوان: وتعذلني.

(٧) في الديوان: والجد.

بنو عمه، وهم بنو لأي فدرسوا إلى الحطيئة وقالوا له: إن تحولت إلينا أعطيناك مائة ناقة، ونشدُّ إلى كل طنب من أطناب بيتك حلة محبرة، وقالوا لامرأة الزبرقان: إن الزبرقان إنما قدّم هذا الشيخ ليتزوج بنته، فقدح ذلك في نفسها، فلما أراد القوم النجعة تخلف الحطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان عنه، فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا، فأخذ في مدحهم وهجا الزبرقان فقال^(١):

أزمتُ يأساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيته وأقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي^(٢)
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
فاستعدى الزبرقان عليه، فحكّم عمر حسان^(٣)، فقال حسان: ما هجاه ولكن سلح عليه.
ثم حبس عمر^(٤) الحطيئة فقال يستعطفه^(٥):

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
أليت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٦)

فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي، وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه، فضج وقال: إني والله يا أمير المؤمنين، قد هجوت أُمي وأب ونفسي فتبسم عمر وقال: ما الذي قلت؟ قال: قلت^(٧) لأبي وأُمي:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بينك، فسأني في المجلس
وقلت^(٨) لأبي خاصة:
فبش الشيخ أنت لدى تميم وبش الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت^(٩) لأُمي خاصة:

تنحي فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا

(١) الأبيات والخبر في الأغاني: ١٨٤/٢. وفي الشعر والشعراء: ٢٤٤/١. وفي ديوانه: ١٠٥.

(٢) الطاعم الكاسي: الذي يرضى بالمأكل والملبس.

(٣) هو حسان بن ثابت الأنصاري.

(٤) هو الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) الأبيات في الأغاني: ١٨٦/٢. والشوق والشعراء: ٢٤٥/١. وفي ديوانه: ١٦٤.

(٦) في الديوان: «لم يؤثروك» و«بك الخير».

(٧) الديوان: ١١٠.

(٨) البيت في الديوان: ٢٦٩ وروايته:

فنعَم الشيخ أنت على المخازي وبش الشيخ أنت لدى المعالي

(٩) ديوانه: ١٢٣.

وقلت (١) لامراتي خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيتٍ قعيدته لكاع (٢)
وقلت (٣) لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً
أرى لي وجهاً قبَّح الله خلقه
وقد هجا أيضاً من أحسن إليه فقال (٤) :

منحت، ولم تبخل، ولم تعط طائلاً
فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها من
أعراض المسلمين، فقال (٥) يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذت اطرار الكلام فلم تدع
ومنعني عرض البخيل فلم يخف
وكان الحطيئة يذم البخيل، كما ترى، وهو أبخل الناس، اعترضه رجل وهو يرمي غنماً له،
فقال له : يا راعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصاً يزر بها الغنم، فرفعها وقال :
عجراً من سلم ؟ فقال الرجل : إنما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها . فتمثلت به العرب
وقالوا : أبخل من الحطيئة .

وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار وقال : لعلي إن حملت عليه لا
أموت، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط .
وقال (٦) :

لكل جديد لذة غير أنني رأيتُ جديد الموتِ غيرَ لذِيذٍ
وقيل له : أوص فقال : أوصي أن مالي للذكور دون الإناث، قالوا : فإن الله لا يقوله ! قال :

(١) ديوانه : ٢٥٦ .

(٢) قعيدة البيت ! سيدته . لكاع : سب للأنثى .

(٣) ديوانه : ٢٥٧ .

(٤) في الديوان : « بشر فما :

(٥) في الديوان : « شوه الله »

(٦) في الديوان : « سئلت ، فلم » ص : ١٩٤ .

(٧) الديوان : ٢٣٣ .

(٨) اطرار الكلام : نواحيه .

(٩) في الديوان : « ومنعني شتم » ، « فأصبح آمناً لا يفرع » . وفي الأغاني : ١٨٩ / ٢ :

وحميتني عرض اللثيم فلم يخف دمّي وأصبح آمناً لا يفرع

(١٠) البيت ليس في الديوان . وهو في الشعر والشعراء : ٢٣٩ / ١ دون عزو .

لكني أقوله، وقالوا له: قل لا إله إلا الله. قال: أشهد أن الشماخ^(١) أشعر غطفان: وأخذ قوله: أغربالاً إذا استودعت سرا

من قول كعب^(٢) بن زهير حيث يقول^(٣):

ولا تَمَسُّكُ بالعهدِ الذي عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايبِلُ
أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي عن أبي خليفة عن دماذ عن أبي علي القداح وعباد بن سليم
الخنزرمي قال: أنشد^(٤) الحطيئة عمر:

مهاريسُ يُروى رسلُها ضيفَ أهلِها إذا النارُ أبدتْ أوجُهَ الخفِراتِ^(٥)
عظامٌ مَقِيلُ الهامِ غُلِبَ رقبُها تباكر ورد الماء في السِّبراتِ^(٦)
يُزيلُ القِتَادَ جذْبُها عن أصوله إذا ما غدت مقورة خِرِصاتِ^(٧)
وكان هجاقومه فلما بلغ إلى قوله:

فإن يصطنعني الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالي علي العشرات
لكم دَفَرٌ مثل التيوس ونسوة مماجين مثل الأتَنِ التَّعِراتِ^(٨)
قال عمر: بش الرجل أنت، تمدح إبلك وتهجو قومك؟

فخرج وقال^(٩):

رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غيرَ ما قال باطلاً
وقالوا: أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل^(١٠) بن يموت عن أبيه عن

الجاحظ:

اختر فناء بني عمرو فإنهم أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ

(١) الشماخ: شاعر غطفان اسمه معقل بن ضرار، وهو جاهلي إسلامي، وهو من اوصف الشعراء للقوس والحُمُر
توفي سنة ٢٢ هـ. (الأعلام: ١٧٤/٣).

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى شاعر فحل مجيد، جاهلي إسلامي، اهداه النبي ﷺ برده عندما أعلن إسلامه،
توفي سنة ٢٦ هـ. (الأعلام: ٢٢٧/٥).

(٣) ديوانه: ٦١. وهو من قصيدته في مدح النبي ﷺ «بانت سعاد».

(٤) الأبيات في ديوانه: ١١٣. وفي الأغاني: ١٦٦/٢.

(٥) في الأغاني: «إذا الريح». والرَّسل: اللب. الخفرات: الحسان الحيات. والمهاريس: شديدات
الأضراس.

(٦) في الديوان: «يباكرن برد الماء بالسبرات». ومقيل الهام: مستقره. الغُلِبَ: الغلاظ الرقاب. السبرات:
جمع السبرة: الغداة الباردة.

(٧) في الأصل: «مقورة خرصات». القِتَاد شجر له شوك. مقورة: مبتردة وجائعة.

(٨) في الديوان: «لهم نفرٌ» و«الأتَنِ التَّعِرات». والتعرات: الجامحات.

(٩) البيتان ليسا في ديوانه.

(١٠) هو مهلهل بن يموت بن المزروع العبدي، شاعر مصري خليع. مات سنة ٣٣٤ هـ. والأبيات تقدمت.

إن يُسألوا الخير يُعْطوه وإن جهدوا
وإن تُوددتهم لانوا وإن شتموا
هينون لينون أيسار ذوو يسر
من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم
وهي على الحقيقة أمدح أبيات قيلت.

وقالوا: أمدح بيت قيل قول^(٢) الخنساء في أخيها:

أغرُّ أبلج تَأْتُمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
أخبرنا أبو أحمد، حدثنا الأنباري عن أبي عكرمة الضبي، أخبرنا أبو دعامه عن صالح بن محمد بن المسيب قال: سمعت المفضل^(٣) الضبي يقول: أتاني رسول المهدي فقال: أجب فهاشي ذلك، فمضيت معه حتى دخلت، وعنده علي بن يقطين، وعمر بن بزيع، والمعلّى مولاة فسلمت فرد وقال اجلس، فجلست فقال: أخبرني بأمدح بيت قالتها العرب. فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء:

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا
أغرُّ أبلج تَأْتُمُّ الهداةُ به
فقال: أخبرت هؤلاء فأبوا عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب. فقال: يا مفضل، أشهرتني أبيات ابن مطير الأسدي:

وقد تغدُر الدنيا فيضحي غنيها
وكم قد رأينا من تَكْدُر عيشة
فلا تَقْرِب الأمر الحرام فإنه
ثم قال: حدثني يا مفضل، فقلت: أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين؟ قال: أحاديث الأعراب، فحدثته حتى كاد النهار يتتصف، فقال: كيف حالك؟ فقلت: كيف حال رجل مأخوذ بعشرة آلاف درهم. فقال: يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه، وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله، فانصرفت بها. وكانوا يقولون: قاتل الله الخنساء، ما رضيت أن جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت في رأسه ناراً، فبالغت أشد المبالغة.

واعترض ابن الرومي قولها فقال:

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم^(٤)

(١) اذمار: جمع ذمار: وهو ما تخفيه وتحفظه.

(٢) البيت في ديوان الخنساء: ٤٩. وأوله: «وإن صخرًا لتألم»...

(٣) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، أبو العباس، راوية علامة بالشعر والأدب وإيام العرب. مات سنة ١٦٨ هـ. (الأعلام: ٢٨٠/٧).

(٤) البيت في الديوان: ١٥١/٦. وفيه: «فرد في كتابته» و«هو ابن شيبان». أبو الصقر: وزير، أديب، بليغ، اسمه اسماعيل بن بلبل الشيباني وزير للمعتد. قتل سنة ٢٧٨ هـ.

كأنه الشمسُ في البرج المنيف به
وتبعته فقلت: على البرية لا نارٌ على علم^(١)

خيرُ الورى لخيارِ الناس كلهم
منبه الذكرِ معروف طرائقه،
ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول، أنشده أبو تمام:
إني إذا خفي الرجالُ وجدّنتني
وقال بشار:

أنا المرعْتُ لا أخفى على أحدٍ
ذرتُ بي الشمسُ للقاضي وللداني^(٢)
وقلت:

أتأملُ أن تنالَ ندى كريمٍ
ويجري والمجرة في عنانٍ
تصوّرُ في القلوبِ فليس ينأى
إذا عبسَ الزمانُ فَمِلَ إليه
وقلت:

تريدون أن أخشى وأخضعَ للأذى
فتى بأسه كالدهرِ مأمن ملجأ
أغرَّ شهيرٌ في البلادِ كأنما
ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى:

من البيضِ الوجوه بني سنانٍ
لهم شمسُ النهارِ إذا استقلتُ
همُ حلوا من الشرفِ المعلى
فلو أن السماءَ دنت لمجد

وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول^(٤) الحطيئة:

متى تأتبه تعشوا إلى ضوءِ ناره
وقالوا: أمدح المدح ما يكون بالفضل، وهو أن يقول: فلان خير من فلان، وفلان أكرم
من فلان، ومن أجود ما جاء في ذلك قول^(٥) أبي تمام:

(١) الديوان: ١٥١/٦. وفيه: «في الأوج المنيف بها».

(٢) ليس في ديوان أبي تمام.

(٣) المرعْتُ: لقبه. والرَّعْتُ: الاسترسال والتساقط. وسَمِّي كذلك لأنه (أي بشار) كان لقميصه جيبان واحد عن اليمين والآخر عن الشمال. والمرعْتُ: لابس القُرط. والبيت في ديوانه: ٦١٧.

(٤) البيت في ديوانه: ٥١. وفي الأغاني: ٢٠٠/٢.

(٥) ديوانه: ١٨٣. وفيه: «وساع الجود عندي والندى» و«كان قطوفا».

كم من وساعِ الخطو في طلبِ الندى
أحسنتما صفدي ولكن كنتَ لي
وكلاكما اقتعد العلا فركبتَها
وقال :

كواكب مجدٍ يعلم المجد أنها
وقال^(١) ابن الرومي :
تلوح في دولة الأيام دولتهم
وقلت :

نصرت على الأعداء فليهنك النصر
فأنت كإقبال الشبية والصبأ
وليس كرامُ الناس إلا كواكبا
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما
فإن أظلم الأحداث واسودَّ ليلُها
أبا قاسم فخراً على المجد والعلا
غدت أرضنا منكم سماءً مظلةً
وبعد بيت الحطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلاً
ترى الجود لا يدني من المرء حتفه
ومثله قول ليلي الأخيلية^(٥) في توبة^(٦) :
فلا يبعدنك الله يا توبُ إنها

لما جرى وجريتُ كنت قطوفاً
مثل الربيع حياً وكان خريفاً
في الذروة العليا وكان رديفاً

إذا طلعت باءت بصغيرٍ كواكبُه

كأنها ملةُ الإسلام في الملل

ودانت لك الدنيا ودلَّ لك الدهرُ
تطيبُ بك الدنيا وينعمُ العمرُ
على صَفْحَتِي ليلٍ وأنت لهم بدرُ
أولئك أثماد وأنت لهم بحرُ^(٢)
فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ
فإن العلا روضٌ وأنت به زهر
لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرُ

بكفيك لم يمنعك من نائل الغد^(٣)
كما البخل للانسان ليس بمخلد^(٤)

لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر^(٥)

(١) البيت في ديوانه : ٢٣٣/٥ وفيه «الأيام دولتكم» .

(٢) اثماد : جمع ثمد : ماء قليل .

(٣) الديوان : ٥١ وفيه : «وذاك امرؤ إن يعطك» و «بكفيه لا يمنعك» .

(٤) هي ليلي بنت الأخيل ، من عقيل بن كعب ، من أشعر النساء ماتت بساوة سنة ٨٠ هـ . وفي الأعلام ٢٤٩/٥ :
هي ليلي بنت عبد الله بن الرّحال بن شداد بن كعب .

(٥) توبة بن الحمير ، أبو حرب شاعر عاشق كان يهوى ليلي الأخيلية رده أبوها وزوجها غيره . قُتل سنة ٨٥ هـ .
الأعلام ٨٩/٢ .

(٥) الأبيات في الأغاني ٢٢٥/١١ وما بعدها . ورواها كالتالي :

فلا يبعدنك الله يا توبُ إنما
ونعم الفتى إن كان توبةً فاجراً
وتوبة أحياناً من فتاةٍ حيّةٍ
والبيت الرابع لا اختلاف فيه . والدارع : لابس الدرع . الحاسر : الأعزل .
لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
وأجراً من ليثٍ بخفّان خادر

فَنَعَمْ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
 فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ خَرِيدَةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانِ خَادِرٍ^(١)
 فَتَى يَنْهَلُ الْحَاجَاتِ ثُمَّ بُعِلَهَا فَيُطْلِعُهَا عَنْهُ ثَنَائِيَا الْمَصَادِرِ^(٢)
 تَقُولُ: لَا يَمْنَعُهُ قَضَاءُ الْحَاجَةِ الْأُولَى عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ الْآخَرَى، كَمَا قَالَ الْآخَرُ:
 وَأَرْضَعُ حَاجَةً بِلَبَانٍ أُخْرَى كَذَاكَ الْحَاجُ تَرْضَعُ بِاللَّبَانِ^(٣)
 يَقُولُ: فَيَرْفَعُهَا الْمُثْنُونَ عَلَيْهِ حَتَّى كَانَهَا ثَنِيَّةً رَجَعُ:
 فَأَقْسَمُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا وَأَفْعَلُ مِنْ نَالَتْ صُرُوفُ الْمَقَادِرِ
 وَكَانَ بَيْتُ الْأَعَشَى:
 نُسِبُ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانَهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحْلَقُ^(٤)
 يَسْتَحْسِنُ حَتَّى قَالَ الْحَطِيطَةُ:

مَتَى تَأْتَهُ تَعْشَوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
 عَلَى أَنْ قَوْلُ الْأَعَشَى:

وَبَاتَ عَلَى النَّارِ: النَّدَى وَالْمَحْلَقُ
 مِنْ أَجُودِ الْكَلَامِ وَأَبْلَغِهِ، وَالْمَحْلَقُ الْمَمْدُوحُ وَمِثْلُهُ قَوْلُ حِمَاسِ بْنِ ثَامِلٍ:
 فَقُلْتُ لَهُ أَقْبَلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ وَإِنَّ عَلَى النَّارِ: النَّدَى وَابْنُ ثَامِلٍ
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ، أَخْبَرَنَا ثَعْلَبُ قَالَ: اجْتَمَعْنَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ
 إِبْرَاهِيمَ فَأَنَشَدَهُ رَجُلٌ:

أَمْرَ مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَشِيعُ غِنَاهُ
 فَقَالَ أَحْمَدُ: قَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا كَثِيرًا.
 فَأَنَشَدَ:

فَتَى إِذَا عَدْتَ تَمِيمَ مَعَا سَادَتْهَا عَدُوهُ بِالْخَنْصَرِ
 أَلْبَسَهُ اللَّؤْلُؤَ ثِيَابَ الْعَلَا فَلَمْ تَطْلُ عَنْهُ وَلَمْ تَقْصُرِ
 فَقَالَ أَحْمَدُ: وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا، فَأَنَشَدَ الرَّجُلُ:

أَعَدَدْتُ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ عَرَفَنَ لَهُ هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سُبَّ أَوْ يَخْلَا^(٥)
 فَقَالَ أَحْمَدُ: وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا، فَعَاظَنِي فَقُلْتُ: هَاتِ. فَقَالَ: نَعَمْ الْمَدْحُ الْغَرِيبُ الَّذِي
 لَمْ يَوُتْ مِثْلُهُ:

(١) الْخَرِيدَةُ: الْفَتَاةُ الشَّابَّةُ. خَفَانٌ: مَوْضِعٌ.

(٢) يَنْهَلُ وَيَعْلُ: يَشْرَبُ ثُمَّ يَكْرُرُ الشَّرْبَ.

(٣) لَبَانٌ: رِضَاعٌ.

(٤) الْبَيْتُ فِي الدِّيَوَانِ: ٢٢٥. وَالْمَقْرُورُ: مَنْ أَصَابَهُ الْبَرْدُ.

(٥) خِلَالٌ: جَمْعُ خَلَّةٍ خَصْلَةٍ.

لله در أبي المغيث فإنه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري :

حتى توهمناه مخروق اليد^(١)
وفي خلاف قوله :

فلم تطل عنه ولم تقصر^(٢)
قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبَ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسَنِ لو كان يشكر^(٣)
فعمي عنها ناظره كأنما بعوراء عيني جدّه كان ينظر^(٤)
سبغت عليه حليةً ليس عيُّها سوى أنها ظلت تطولُ وتقصر^(٥)
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر.

وسمعت عم أبي يقول : أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسّدون على ما كان من نعمٍ لا ينزعُ الله عنهم ماله حُسّدوا
فأخذ جماعة قوله :

محسّدون على ما كان من نعم

فصرفه فيه وحده . ومنها قول أبي تمام :

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل للحاسدِ النعمى على المحسود^(٦)
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عُرفِ العودِ
وقال^(٧) البحتري :

ولن يستبينَ الدهرَ موضعَ نعمةٍ إذا أنت لم تدلُّ عليها بحاسدٍ
وقال^(٨) :

محسّدون كأن المكرماتِ أبَتْ أن توجدَ الدهرَ إلّا عند محسودٍ

(١) وتما البيت من ديوانه ٤٢/٢ ص :

حتى توهمناه مخروق اليد بث الفوائد في الأبعاد والدنى .

(٢) ديوانه : ٦١/٣ .

(٣) في الديوان : « تجاوز قدر العبد لو كان يشكر » .

(٤) في الديوان : « فعمي عنه كأنه » و « جده ظل » .

(٥) في الديوان : « شنتت عليه » و « تطول ويقصر » .

(٦) البيت والذي يليه في ديوان أبي تمام : ٧٧ . وفيه : « لم تزل » .

(٧) ديوانه : ٣٧/١ ص . وفيه : « ولن تستبين » .

(٨) ديوانه : ٢٢٧/١ ص . وفيه : « محسد وكان » .

محسودون وشرُّ الناس منزلةً من عاش في الناس يوماً غير محسودٍ
وسمعه يقول: من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له، قول^(١) أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدعان:

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إن حبوته
وليس بشينٍ لامرئٍ بذلٌ وجهه
وقال^(٣) زهير:

من يلقَ يوماً على عِلَّاته هَرِمًا
لونا لحيٍّ من الدنيا بمكرمة
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ
وروي^(٧) بعض الرواة للنابغة، وروي لسعيد:

والله والله لنعم الفتى
الحاربُ الوافرُ والجابر الـ
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى
والقائلُ القولَ الذي مثله
والغافرُ الذنبَ لأهل الحجا
وقال بعض الإسلاميين وأحسن:

خُلقتُ أناملهُ لقائمٍ مُرهَفٍ
يلقى الرِّماحَ بوجهه وبصدره
ويقول للطرف: اصطبر لشبا القنا
ولبتُ فائدةً، وذروة منبرٍ
ويقيمُ هامته مقامَ المغفر^(١٢)
فهدمت ركنَ المجد إن لم تعقر^(١٣)

(١) البيتان في طبقات ابن سلام: ٢٦٥/١.

(٢) في بعض النسخ: «بشيب وما».

(٣) ديوانه: ٤٣.

(٤) في الديوان: «إن تلق»، و«تلق السماحة».

(٥) في الديوان: «الدنيا بمنزلة»، و«وسط السماء».

(٦) هرم: هو هرم بن سنان المعروف بجوده وتعقله في الجاهلية.

(٧) الأبيات ليست في ديوان النابغة.

(٨) النكس: الضعيف.

(٩) الأسل: الرماح والنبل.

(١٠) يمرع الوادي: يخضب.

(١١) الحجا: العقل.

(١٢) الهامة: القامة، أو الرأس.

(١٣) الطرف: الفرس. شبا القنا: حده.

وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ متسرّبلٍ سرّبالٍ ليلٍ أغبرٍ^(١)
أوماً إلى الكوماءِ: هذا طارقٌ نَحَرَتِي الأعداءُ إن لم تنحري^(٢)
وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول: أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي حفصة^(٣) في
معن بن زائدة الشيباني^(٤):

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنهم
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما
بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكن
همُ القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبالِ حيّاهمُ
ولا يَستطيعُ الفاعلونَ فعالهمُ
أَسودُّ لها في غيلِ خَفّانٍ أشبلٍ^(٥)
لجارهم بين السماكينَ مَنْزِلُ^(٦)
كأولهم في الجاهلية أول^(٧)
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ^(٨)
وإن أحسنوا في النَّائبِ وأجملوا
ثم أخبرنا المفجع، أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال: بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة: أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك أشعر؟ قال:
قوله:

نعمَ المناخُ لسراغِبٍ أو راهِبٍ ممن تصيبُ جوائحُ الأزمانِ^(٩)
معن بن زائدة الذي زِيدت به
مطر أبوك، أبو الأهلة، والذي
نفسى فداء أبي الوليد إذا علا
فقال يحيى: أنت لا تعلم ما قيل في أبيك، أين أنت عن قوله:
شُرفاً إلى شرفِ بنو شيبانٍ
بالسيف حاز هجائنَ النعمانِ
رهج السنايكِ والسرماحِ دواني
أَسودُّ لها في غيلِ خَفّانٍ أشبلُ
وأشدّ الأبياتِ المتقدمة زاد:
تَشابَهَ يوماهُ علينا فأشكلا
فما نحنُ ندري أيَّ يوميه أفضلُ

(١) السربال: الثوب.

(٢) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

(٣) هو مروان بن سليمان بن أبي حفصة، شاعر عالي الطبقة. مدح المهدي والرشد العباسيين ومعن بن زائدة.
مات سنة ١٨٢ هـ. (الأعلام: ٢٠٨/٧).

(٤) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، أبو الوليد، من أجواد العرب، أكرمه المنصور العباسي. وولاه
اليمن ثم سجستان، قُتل غيلة سنة ١٥١ هـ. (الأعلام: ٢٧٣/٧. والأبيات في الأغاني: ٩٠/١٠).

(٥) الغيل: المأسدة، الأجمة. خَفّان: موضع قرب الكوفة. وفي الأغاني: «بطن خَفّان».

(٦) السماكان نجمان، أو هما رجلا الأسد. في الأغاني: «هم يمعنون».

(٧) في الأغاني: لها ميم.

(٨) البيت ليس في الأغاني.

(٩) الجوائح: جمع الجائحة وهي الشدة التي تجتاح المال.

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه؟ وما منهما إلا أغر محجل
وأخبرنا قال: أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق الموصلي، أخبرنا أبو
يوسف القاضي - وكان عديل الرشيد في طريق الحج - قال: اعترضه أعرابي فأشدد أبياتاً فزبره^(١)
وقال: ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر؟ ألم أقل لكم امدحوني بمثل قول القائل:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم

وذكر الأبيات المتقدمة، قال أبو يوسف: فقلت له: فيمن قلت؟ قال: في أب هذا
الشاب، الذي يسير في ظل القبة، فقلت للشاب: من أنت؟ فقال: شراحيل بن معن بن زائدة.
قال إسحاق: فسمعت شراحيل يقول: ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بحذافيرها.

وأشدد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر^(٢) وقال: لو استعمل الإنصاف لكان هذا أحسن
مدح قاله متقدماً ومتأخراً:

إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يده	لم يُحمدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرتِه	تضاءل النيران: الشمسُ والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حَدَّ عزمته	تأخر الماضيان: السيفُ والقدرُ
من لم يكن حذراً من حدِّ صولتهِ	لم يدر ما المزعجان: الخوفُ والحذرُ
حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته	فإن أمرٌ فحلوا عنده الصبرُ
سهلُ الخلائقِ إلا أنه خشنُ	لَيِّنُ المهزلةِ إلا أنه حجرُ
لاحيةٌ ذكرٌ في مثلِ صولته	إن صال يوماً ولا الصمصامةُ الذكرُ ^(٣)
إذا الرجالُ طغت آراؤهم وعموا	بالأمرِ ردُّ إليه الرأي والنظرُ
الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به	إذ جودُ كلِّ جوادٍ عنده خبرُ

ومن المديح القليل النظير، قول علي بن محمد بن الأفوه:

أوفوا من المجدِّ والعلياءِ في قُللٍ	شَمَّ قواعدهنَّ: البأسُ والجودُ
سبطُ اللقاءِ إذا شيمت مخائلهم	بُسلُ اللقاءِ إذا صيد الصناديدُ
محسَدون، ومن يعلّق بحبلهم	من البرية يُصبح وهو محسودُ

وقال^(٤) الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء:

له راحةٌ بيضاء يندى بنائها	قليل، إذا اعتلَّ البخیلُ، اعتلَّها
جوادٌ إذا أعطتك يوماً يمينه	وعدت غداً عادت عليك شمائلها ^(٥)

(١) زبره: انتهره.

(٢) هو أحمد بن طيفور بن أبي طاهر الخراساني، أبو الفضل، مؤرخ من الكتاب البلغاء مولده ووفاته ببغداد

(٢٠٤ - ٢٨٠ هـ). له شعر. (الأعلام: ١/١٤١).

(٣) الصمصامة: السيف.

(٤) البيتان في ديوان الفرزدق: ٤٧١.

(٥) في الديوان: «إذا مسمّع»، و«فعدت غداً».

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
فاصبر لعادتنا التي عودتنا

وقول الآخر، وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حي قيس
تبارون الرياح إذا تبارت
وهضبت التي فوق الهضاب
وتمثلون أفعال السحاب
مقامي أمسر في ظل الشباب
يذكرني مقامي في ذراكم

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه الأحوال وقد حمد هذا حاله معهم، وعيشه فيهم، حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب، وهو من أجود ما قيل في هذا المعنى . وقالوا : أمدح بيت قاله محدث، قول علي بن جبلة المعروف بالعمكوك في أبي دلف^(١) :

إنما الدنيا أبو دلف
فإذا ولى أبو دلف
بين مبداه ومحتضره
ولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا، وإنما ازدراه لدمامته وعمشه، فقال له أبو دلف : أما تسمع ما يقول الناس فيك ؟ إن الشعر لغيرك لأن ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب . قال : الإمتحان يزيل الظنة عني ، وما ظلم من استبرأ ، فكيف رأى الأمير في الإمتحان ؟ قال : نعطيك صدوراً لتردفعها بأعجاز . قال : ما اشتططت ولا كلفت ، إلا الذي من نكب عنه ، حق عليه القول . فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشور على مفرقه
اهدام شيب جدد في رأسه
ذم له عهد الصبا حين انتسب
مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال : كم لي في ذلك من الأجل ؟ قال : شهر . قال : فانطلق بهما إلى رحلي . قال : ليس الإمتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ، ولكن تبوأ حجرة من القصر . قال : فليأمر الأمير بها . ففعل وركب إلى دار المأمون ، فأبطأت كرتة ، فلما رجع دخل عليه عليّ والدرج بيده ، قال : قد أجزت البيتين بقصيدة . قال : لقد خشيت عليك النقص من الإعجال ! قال إليك تساق الرفاق . ثم أنشدني بيتي أبي دلف .

ثم قال^(٢) :

أشرقن في أسود ازرين به
فاعتضن أيام الغواني والصبا
كان دجاء لهوى البيض سبب
عن ميّت مطلبه فن الأدب^(٣)

(١) أبو دلف : صاحب الكرج وأميرها ، القاسم بن عيسى العجلي ، حدث عن هشيم وغيره . كان فارساً شجاعاً جواداً ممدحاً شاعراً ، مات سنة ٢٢٥ هـ في بغداد . (سير أعلام النبلاء ١٠/٥٦٣) . والبيتان مع الخبر التالي في الأغاني : ٢٢/٢٠ ، و ٢٥٤/٨ .

(٢) الأبيات في الأغاني : ١٥/٢٠ .

(٣) في الأغاني : «وأعتقن» ، و «حي الأدب» .

فنازل لم يُبتهج نزوله
 لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى
 كان الشباب لمةً أزهى بها
 إذ أنا أجري واثباً في غيّه
 وأذعرُ الربرب عن أطفاله
 مطردٌ يرتجُ في أقطاره
 تحسبه أقعد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنبٌ إذا انثنى
 يخطو على عُوجٍ يناهين الثرى
 تحسبها ناتئةً حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكبه
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعقابيه
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسماً

وراحل أبقى جيوى حين ذهب^(١)
 وكالشباب الغض ظلاً يُستلب^(٢)
 وصاحباً حرّاً، عزيز المصطحب
 لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب^(٣)
 باعوجي دلفي المنتسب^(٤)
 كالماء جالت فيه ريحٌ فاضطرب^(٥)
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصرُ عنه المخزمان واللب^(٦)
 وهو كمثل القدح ما فيه جنب^(٧)
 لم يتوا كل عن شطاً ولا عصب^(٨)
 كأنها واطئة على نكب^(٩)
 أوبد الوحش فأجدي واكتسب^(١٠)
 ويبلغ الريح به حين طلب^(١١)
 وإن تظني فوته الطرف لزب^(١٢)
 وكل بقيا فإلى يوم عطب^(١٣)
 في القدح فيه وارتجاع ما وهب^(١٤)
 ينهض به فرأج هم وكرب^(١٥)

(١) في الأغاني: «يبتهج بقره وذاهب».

(٢) في الأغاني: «وقاراً يُحتوى».

(٣) في الأغاني: «أجري سادراً». والسادر: المتحير.

(٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش. أعوجي: فرس منسوب إلى اعوج وهو فرس لبني هلال.

(٥) في الأغاني: «مرتجج يرتج».

(٦) في الأغاني: «عنه المخزمان والمخزم: الحزام. اللب: ما يُشد على صدر الدابة».

(٧) في الأغاني: «فيه جنب» و«كمتن القدح ما فيه جنب».

(٨) في الأغاني: «يناهين». العُوج: النوق الضامرة. شطى: شقاق العصب.

(٩) في الأغاني: «ناتئة إذا خطت». و«على الركب».

(١٠) في الأغاني:

رُمنا به الصيد فرادينا به أوبد الوحش فأجري واكتسب
 (١١) في الأغاني: «حيث طلب».

(١٢) في الأغاني: «فوته العير كذب». والتظني: إعمال الظن.

(١٣) في الأغاني: «لم تبقه».

(١٤) في الأغاني: «على ابنائه بالقدح فيهم».

(١٥) في الأغاني: «ينهض به أبلج فرأج الكرب».

كروثق السيف انبلجا بالندي
لا وسنت عين رأت غرتة
لولا الأمير لغدونا هملاً
ولم يقم ببأس يوم وندي
تكاد تبدي الأرض ما أضمره
ويستهل أملاً وخيفة
وهو وإن كان ابن فرعي وائل
وبعلاءه وعلاء آبائه
يا واحد الدنيا يا باب الندي
لولاك ما كان سدي ولا ندي
خذها امتحاناً من مليء بالحجا
وقر بالأرض أو استقر بها
قال: فجعل ينشد وأبودلف يرجف إليه حتى مست ركبته ركبته، فلما بلغ قوله:
لكنه غير مليء بالنشب

قال: لا ملأني الله إن لم أملاك؛ يا غلام! كم في بيت المال؟ قال: ما قبضته من عامل
الجبيل، وهو مائة ألف درهم، قال: أعطه إياها وقليل له ذلك، قال: فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله
ويقول له: أنت على باب أمير المؤمنين، وبين ظهري قواده وأمرائه، ولا وجه لما لا يرد عليك من
الجبيل، فادفع إليه البعض. قال: إليك عني، والله لو شاطرته عمري لكان ذلك دون ما يستحقه
علي.

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة:

كفى القبائل معن كل معضلة
يحمي بها الدين أو يُرعى بها الحسب
كنز المحامد والتقوى ذخائره
وليس من كنزه الأوراق والذهب^(١٠)

(١) في الأغاني: «ما وسنت عين رأت طلعت فاستيقظت» . . .

(٢) في الأغاني: «لولا ابن عيسى القرم كنا» ولم يؤثّل.

(٣) في الأغاني: «في يوم بأس وندي».

(٤) في الأغاني: «ما تضمره» و«إذا تداعت».

(٥) في الأغاني: «جانبها إذا استهل أو قطب».

(٦) في الأغاني: «فبسماعه يوافي».

(٧) في الأغاني: «يا زهرة»، و«من يوم».

(٨) في الأغاني: «خذها إليك من مليء بالشاء».

(٩) في الأغاني: «فأثو في الأرض أو استفزز بها».

(١٠) في الأصل: «كثرة» وليس «كنزه».

أنت الشهابُ الذي يُرمَى العدو به
بنو شريك، هم القوم الذين لهم
إن الفوارس من شيان قد عُرفوا
قد جَرَّبَ الناس قبل اليوم أنهم
قل للجواد الذي يسعى ليدركه
قوله: فما لك إلا الفوت والطلب. من أحسن معنى وأجوده، وأبينه بياناً، وأشدّه إختصاراً،
وهو من قول زهير^(١):

سعى بعدهم قومٌ لكي يُدركوهم
وقال طريق:

قد طلب الناس ما طلبت فما
يرفئك الله بالتكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه:

إذ عن مجد أو تعرض سُودد
إذا اهتز للهيجاء فهو مُهندد
تواضع، وهو النجم عزاً ورفعة
أرجيه يوماً أو ألقيه ساعة
يُريدون منه أن يَضُنَّ وإنما
ولا عيب فيه غير أن ذوي الندى
بلغت من العلياء ما فاتهم معا
فمن مُبلغ عني الأكارم أنهم
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي
قالت: ركعت، فقلت: إن وراءكم
وعهدتني أمضي لشأني مطلقاً
يا من يؤمل أن تكون خلاله

(١) ديوان زهير: ٦٣.

(٢) شمام: من الشمم أي الرفعة.

(٣) أبو العَمِثَل هو عبد الله بن خليل بن سعد، من الشعراء الفضلاء، مؤدب، وكان أبو خليل مولى لبني العباس.
توفي سنة ٢٤٠ هـ. (الأعلام: ٨٥/٤).

(٤) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، من الولاة في العصر العباسي على الشام ثم مصر ثم الدينور ثم
خراسان. له أعمال عظيمة. مات بمرور سنة ٢٣٠ هـ. (الأعلام: ٩٣/٤).

(٥) النسا: عرق من الورك إلى الكعب. الأجدة: المقطوع الأنف، والشيطان.

فلأنصحنك في المشورة والذي
أصدق وعفّ، وجد وأنصت وأحتمل
وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على قلبه فأتى
بما لا ينطق به اللسان ولا ينطوي عليه الجنان.

ومن الأبيات الجامعة في المديح، قول ابن الرومي:
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل، والناس أدهم^(١)
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول^(٢) البحري:
ذات حسن لو استزادت من الحُسن إليه لما أصابت مزيدا
فهي الشمسُ بهجةً، والقضيبُ ليلداً ليناً، والريمُ طرفاً وجيدا^(٣)
وقال في هذه القصيدة:

وإذا ما عددت يحيى وعمرا
وعبيداً ومُسهرًا وجديا
لم أدع من مناقب ما يُقنع من هم أن يكون مجيدا
وقلت في المديح:

حليفٌ علاءٍ ومجدٍ وفخر
أضياء فاطرق ضوءُ الشمسِ
وقلت في المديح أيضاً:
من الغرِّ لاحوا أشمسا ومضوا ظبي
ومن المديح البليغ قول الأول:
متبذلٌ في الحي وهو مُبجلٌ
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كإحسان أبي تمام في قوله:
إذا أحسن الأقوام أن يتطاولوا
فعلظمت عن ذاك التعظم منهم
وقال^(٤) البحري في التواضع مع علو الرتبة:
دنوت تواضعا وعلوت قدرا
فحالاك: انحداراً وارتفاعاً

(١) ديوانه: ٢٨١/٥. التحجيل: البياض. الدهمة السواد.

(٢) ديوانه: ٤٩/٢. ع.

(٣) في الديوان: «الغض لينا والرثم».

(٤) في الديوان: «وأبانا وعامراً والوليدا».

(٥) ديوانه: ٢٢٣. وفي البيت الثاني: «تعظمت عن». والتنبيل: التفضل.

(٦) ديوانه: ٢١٧/٦. وفيه:

دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار. وارتفاع

كذلك الشمس تبعد أن تسامى
فأتيت بهذا المعنى في بيت:
ويدنو الضوء منها والشعاع

تواضع إذا مد العلاء بضيعه
وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم من قديم الشعر، قول لقيط بن يعمر^(١):
كما انحطَّ ضوءُ البدرِ وارتفعَ البدرُ

فقلدوا أمركم لله دركم
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده
ما انفكَّ يحلب هذا الدهر أشطره
لا يطعمُ النومُ إلا ريث يبعثه
حتى استمرَّ على شزرٍ مريرتِه
ومن هنا أخذنا الشاعر قوله:
رحب الذراع بأمر الحق مضطلعا^(٢)
ولا إذا عضَّ مكروهً به خشعا^(٣)
يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعاً^(٤)
همُّ يكادُ حشاه يحطم الضلعا^(٥)
مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعاً^(٦)

ولست بمفراح إذا الدهرُ سرَّني
وقول دريد بن الصِّمة^(٧):
ولا جازعٍ من صَرفِه المتقلِّبِ

ينازلُ أحدانَ الرجالِ وإنه
ويخرجُ من العزاءِ الشدة مصدقاً
لمجدُ ثناءٍ ثمَّ يزدد
وطولُ السُرى درى عَضْبٍ مهَنَدٍ

هذا البيت أجود ما قيل في سمة الخلق من قديم الشعر:
كميشُ الإزارِ خارجُ نصفِ ساقه
قليلُ التشكي للمصيباتِ حافظُ
صبورٌ على العزاءِ طلاعُ أنجدٍ^(٨)
من اليوم أعقابُ الأحاديثِ في غدٍ^(٩)

(١) لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي، شاعر جاهلي فحل من اهل الحيرة. (الأعلام ٥/٢٤٤).

(٢) في الديوان: ٤٧. وفيه: «بأمر الحرب».

(٣) في الديوان: ٤٨. وفيه: «لا مشرفاً إن...».

(٤) في الديوان: ٤٨. وفيه: «در الدهر».

(٥) في الديوان: ٥٥. وفيه: «يكاد سناه يقصم».

(٦) في الديوان: ٤٩. وفيه: «حتى استمرت». و«مستحكم السن». والشزر: الذي لا يفتل على وجهه. المريرة: الإحكام.

(٧) دريد بن الصِّمة: من جُشم من هوزان، شاعر جاهلي من الشجعان كنيته ابو قرّة. مات قتيلًا. والبيتان في ديوانه: ٤٩ باختلاف كبير:

له كل من يلقي من الناس واحداً
وتخرج منه صرة القوم جرأة
وإن يلقي مثنى القوم يفرح ويزدد
والصرة: الشدة. ذرية: وشية. يشبهه بأثر الذراري النمل.
(٨) كميش الإزار: مشمره. أنجد: جمع نجد: ما ارتفع من الأرض. والبيت وما يليه في ديوان دريد: ٤٩. وأراد:

إنه سريع في أموره، صبور على الشدائد.

(٩) في الديوان: «قليل تشكيه».

إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ تزينت
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً
لرؤيته كالمأتم المتبدد^(١)
ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد
موضع هذه الأبيات من باب المراثي وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها: «قليل التشكي للمصيبات» شبيه بما تقدم من قوله الآخر:

ولا جازع من صرفه المتقلب

ومن شعر المحدثين قول^(٢) أبي تمام:

وعززتُ بالسبعِ الذي بزئيره
قطب الخشونة والليان بنفسه
هزته معضلة الأمور وهزها
يقظان أحصدت التجاربُ جزمه
وسلكن من أترابه الشعل التي
ولما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن^(٧) وكان أبو تمام كثير الإناحة عليه وهو قوله^(٨) في مراثيه:

ماء العبرات خدي أرضه
وبلايل لو أنهن مآكل
وكرمي بر وعسى لو أنه
ونقل البيت الأول أبو تمام إلي موضع آخر فقال^(١٤):
لو كان من مطر لكان هزيماً^(٩)
لم تخطيء الغسلين والزقوما^(١٢)
ظل لكان الحر واليحموما^(١٣)
حتى الصباح ومقلتي سماءه
مطرٌ من العبرات خدي أرضه

(١) في الديوان: «إذا هبط الأرض الفضاء».

(٢) الأبيات في ديوانه: ١٨٣.

(٣) العزيف: صوت الجن.

(٤) في الديوان:

قطب الخشونة بالليان معاقباً
فغدا جليلاً في القلوب لطيف

(٥) في الديوان: «التجارب عقده» و«ثقف حزمه». والشرز: الشدة.

(٦) في الديوان: «واستل من آرائه الشعل التي».

(٧) ديك الجن: هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، الكلبي الحمصي، شاعر طريف ماجن، مات سنة ٢٣٥. (سير اعلام النبلاء: ١١/١٦٣).

(٨) الأبيات ليست في ديوانه.

(٩) الهزيم: صوت الرعد، والرعد نفسه.

(١٢) الغسلين والزقوم: طعام أهل النار.

(١٣) اليحموم: شدة الحر.

(١٤) الديوان: ٣٨١. وفيه «قطراً من». و«ومقلته».

ومن ذلك قول^(١) أبي تمام:

وإذا رأيت أبا يزيدٍ في ندى
أيقنت أن من السماحِ شجاعةً
ومكارماً عُتِقَ النُّجارِ تليدةً
متوقِّدٌ منه الزمانُ وربما

وقال^(٣) البحتري:

أغرُّ، لنا من جوده وسماحه
ولمَّا جرى للمجدِّ، والقومُ خلفه
وهل يتكافأ الناسُ شتى خلالهم
إذا ارتدَّ صمتاً فالرؤوسِ نواكسُ
وأغلبُ ما ينفكُّ من يَـقَظَّاته
جَنَانٌ، على ما جرَّت الحربُ، جامعُ
جديرٌ بأن ينشقَّ عن ضوِّ وجهه
تذوُّ الدنيايا عنه نفسُ أبيّةٍ
بعيدٌ مقيلُ السرِّ لا يدركُ التي
ومنكمُ التدبيرُ ليس بظاهرٍ
ولا يعلمُ الأعداءُ من فرطِ عزمه

ووغيٍّ ومبدي غارةٍ ومُعِيدا
تُدْمي وأن من الشجاعةِ جوداً^(٢)
إن كان هَضْبُ عمايتين تليدا
كان الزمانُ بآخرين بليدا

ظهيرٌ عليه ما يخيبُ وشافِعُ
تغولُ أقصى جهديهم وهو وادِعُ
وما يتكافى في اليدين الأصابعُ^(٤)
وإن قال فالأعناقُ صُورُ خواضعُ^(٥)
ربايا على أعدائه وطلائعُ^(٦)
وصدرٌ لما يأتي من الدهرِ واسعُ^(٧)
ضبايةٌ نفع تحتَه الموتُ ناقِعُ
وعزمٌ، كصدرِ الهندواني، قاطِعُ^(٨)
يحاولُها منه الأريبُ المخادِعُ^(٩)
على طَرفِ الرائي الذي هو تابعُ^(١٠)
متى هو مَصبوبٌ عليهم فواقِعُ

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة، وتصوب الرأي، ومضاء العزيمة،
والدهاء وشدة الفكر، إلّا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات، ولا أعرف أحداً يستوفي مثل هذه
المعاني في أكثر مدائحه إلّا البحتري.

وقال بعضهم: أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب^(١١) بنت الطثرية:

(١) ديوانه: ٨١.

(٢) في الديوان: «من السماحة جوداً».

(٣) ديوانه: ٤٨/١ ص.

(٤) في الديوان: «تتكافى في...»

(٥) صور: جمع أصور أي مائل.

(٦) في الديوان: «ما تنفك». والربايا جمع الربيثة وهي طليعة الجيش.

(٧) في الديوان: «يأتي به».

(٨) في الديوان: «كحد الهندواني».

(٩) في الديوان: «مبيدٌ مقيل» و«يدرك الذي».

(١٠) ليس في الديوان.

(١١) هي زينب بنت سلمة القشيرية، شاعرة لها قصيدة في ديوان الحماسة في رثاء أخيها يزيد. لها اخبار في

الأغاني، ماتت سنة ١٣٥ هـ. (الأعلام: ٦٦/٣). البيتان في الأغاني: ١٨٢/٨. وقيل هما لأم يزيد.

إِذَا جَدُّ عِنْدَ الْجَدِّ أَرْضَاكَ جَدُّهُ
يَسْرُكَ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا
ومثله قول الآخر:

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدُّ الرِّجَالِ وَشَمَرُوا
وَمِنَ الْمَدِيحِ الْمَفْرُطُ قَوْلُ مَنْصُورِ النَّمْرِ فِي هَارُونَ:

إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ الْإِمَامِ نَظِيرٌ
فَضْلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَهَذَا
مَكْرُوهٌ جَدًّا ، وَأَكْرَهُ مِنْهُ قَوْلُ (١) أَبِي نَوَاسٍ :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَةَ فَاشْتَبَهَا
فَجَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ .

وَبَعْدَ بَيْتِ النَّمْرِ أَيْبَاتُ جِيَادِ مِنْهَا قَوْلُهُ :

مَنْعَ الْحَمِيِّ لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ
كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ (٢) :

غُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
وَهَذَا فِي قَوْلِ (٣) الْأَخْطَلِ :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكُمَا فَإِذَا النَّدَى
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنِّي

يَرُوحُ وَيَغْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ

يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِأَسْطِ جَهْدِهِ
وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجُودَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ .

وَقَالُوا : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالِهِ مُحَدِّثُ قَوْلِ النَّمْرِ فِي هَارُونَ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً
أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٥)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ (٦) :

(١) البيت ليس في ديوانه .

(٢) كثير : هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، شاعر رافضي ، وهو من العشاق المشهورين ، صاحبه عزة . مات سنة ١٠٥ هـ (الأعلام ٢١٩/٥) .

(٣) ديوانه : ١٨٩ .

(٤) سجي : سكن ، ذكير : قوي .

(٥) البيت في الأغاني : ١٤٥/١٣ .

(٦) أبو وجزة : هو يزيد بن عبيد من بني سعد ، كان شاعراً مجيداً ، راوية للحديث . توفي بالمدينة سنة ١٣٠ هـ . (الشعر والشعراء : ٥٩١/٢) .

أتاك المجدُّ من هنا وهنا وأنت له بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية^(١) الكاتب فقال في غزل:
تركت فيك التي ؟ وأنت منها بمجمع الطرق^(٣)

ونقلته إلى الهجاء فقلت:

أتغدو بمستن العيون مخيما وأنت بعيب العالمين موكل
وفي قصيدة النمري أبيات قليلة النظير منها قوله^(٣):

مستحكم الرأي، مُستغن بوحده عن الرجال، بريب الدهر مضطج
يقري العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات، بحمد الله، نخشع
لما أخذت بكفي جبل طاعته أيقنت أني من الأحداث ممتنع
إن الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
إن أخلف الغيث لم تخلف مخائله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد، رحمه الله تعالى، عن الصولي عن المبرد وغيره قال: شكنا منصور إلى العتابي طلقاً استمر بامراته ثلاثة أيام، تخوف عليها منه، فقال العتابي: دواؤه معك، أقرب منها وقل: «هارون»، فإن أمرها سهل. فغضب منصور فقال له: لا تغضب فأنت قضيت بذلك في قولك:

إن أخلف الغيث لم تخلق مخائله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع
فأسكت منصور.

ومن المديح البارع قول^(٤) بشار:

ألا أيها الطلبُ المبتغي نجوم السماء بسعي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
إذا عرَضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وضرب البهم
فقل للخليفة إن جئته نصيحاً، ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك جسام الأمور فبنه لها عمراً ثم نم
فتى لا يبيت على رmqه ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء، وسفك الدماء، فيغدو على نعم أو نقم

(١) ابن أمية: انظر الفهرست لابن النديم: ٢٣١.

(٢) الفراغ هكذا في الأصل.

(٣) الأبيات في الأغاني: ١٤٥/١٣.

(٤) ديوان بشار: ٥٨٩. وفي الأغاني ١٣٨/٣.

وقال^(١) البحرني :

إذا المهتدي بالله عُذَّتْ خِلَالُهُ
حسبت السماء كاشرتك نجومها
وقلت :

كم غاية لكم تقاصر دونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المكارم أن يُبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت
وقال^(٢) البحرني :

إذا ذكرت أسلافه، وتُشهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها، كأنما
ودون علاهم للمسامين برزخ،
بتدبير مأمون على الأمر، رأيه
وذو هاجس لا يحجب الغيب دونه،
أماكنها، قلت: النجوم قبورها
إليهم حياها، أو عليهم نشورها
إذا كلفته العير طال مسيرها
ذكر، وأمضى المرفقات ذكورها
تريه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن عبد الله بن الحسن، عن البحرني قال: سمعت إبراهيم ابن الحسن بن سهل يقول: كان المأمون يتعصب للأوائل من الشعراء ويقول: انقضي الشعر مع ملك بني أمية، وكان عمي الفضل بن سهل يقول: الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تفريراً، إلى أنه أنشده يوماً عبد الله بن أيوب التيمي^(٣) شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله:

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجي له نفساً تريع بهمة
ويخشع إجلالاً له كل ناظر
طويل نجاد السيف، مضطمر الحشا
رفل إذا ما السلم رفل ذيله
وأحسن منه ما أسر وأضمرا
إلى كل معروف وقلباً مطهرا
ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
طواه طراد الجيش حتى تحسرا
وإن شمريت يوماً له الحرب شمر^(٤)

فقال للفضل: ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الإحسان بأصوله.

ومن المدح القليل النظير، قول أمانة بنت الجلاح الكلية:

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر، حدثني محمد بن ناجية

(١) ديوانه: ٧١/١ ص.

(٢) ديوانه: ١٣٩/٢ ص.

(٣) التيمي: عبد الله بن أيوب، أبو محمد التيمي، من تيم اللات بن ثعلبة، أحد شعراء الدولة العباسية. مات سنة

٢٠٩ هـ. (الأعلام: ٧٣/٤).

(٤) رفل في ثيابه: أطالها، وذلك كناية عن هدوء البال.

الرصغاني قال : كنت أحد من رقت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر، فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الأرض برحبها، فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار، أعوذ به وأنزل عليه، حتى انتهيت إلى بني شيبان ابن ثعلبة، فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة، وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركز يلمع سنانه، فنزلت عن فرسي، وتقدمت فسلمت على أهل الخباء، فردّ عليّ نساء من وراء السجف، يرمقنني من خلل الستور بعيون كعيون أخشاف الأطباء، فقالت إحداهن : اطمئن يا حضري ! فقلت : وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب، وقلما ينجو من السلطان طالبه، والخوف غالبه، دون أن يأوي إلى جبل بعصمه، أو معقل يمنعه، فقالت : يا حضري ! لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير، قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد، ولا يجوع فيه كبد، ما دام لهذا الحي سبد أولبد^(١) هذا بيت الأسود بن قنان، إخوانه كلب، وأعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعالة، لا ينازع ولا يدافع، له الجوار وموقد النار، وطلب الثار، وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته	بكلّ معديّ وكلّ يمانيّ
وفى بهم حليماً وجوداً وسؤدداً	وبأساً، فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه	كان تلالي وجهه القميران
أغر، أبر ابني نزار ويعرب،	وأوثقهم عقداً يقول لسان
وأوفاهم عهداً، وأطولهم يداً،	وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره،	وأطعنهم من دونه بسنان
كان العطايا والمنايا بكفه	سحابان مقرونان مؤتلفان

فقلت :

الآن ذهبت عني الوحشة وسكنت الروعة، فأنتى لي به؟ قالت : يا جارية اخرجي فنادي مولاك، فخرجت الجارية فما لبثت إلّا هنيهة، حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه، فرأيت غلاماً حسناً اخضر شاربه واختط عارضه وخشن جانبه، فقال : أي المنعمين علينا أنت؟ فبادرت المرأة فقالت : يا أبا مرهف ! هذا رجل نبّ به أوطانه، وأزعجه سلطانه، وأوحشه زمانه، وقد أحب جوارك ورغب في ذمتك، وقد ضمنا له يضمناه له لمثله مثلك، فقال : بلّ الله فاك ! قال : فأخذ بيدي وجلس وجلست، ثم قال : يا بني أبي وذوي رحمي ! أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري، فمن أراداه فقد أرادني، ومن كاده فقد كادني، وما يلزمني من أمره من حال إلّا ويلزمكم مثله، فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه. فما رأيت جواباً قط أحسن من جوابهم إذ قالوا أجمعهم : ما هي أول منة مننت بها علينا، ولا أول يد بيضاء طوقتناها، وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا، فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك. ثم ضرب لي قبة إلى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً، حتى سنح لي السلطان ما أملت فانصرفت إلى أهلي .

(١) يقال : ما له سبد أولبد اي ما له قليل أو كثير.

ومن المديح البارع قول^(١) الأخطل:
شَمْسُ العداوةِ حتى يستقَادَ لهم
أخذه خارِجة بن مليح المكي وأحسن:
آل الزبِيرِ نجومٌ يُسْضَاءُ بهم
قومٌ إذا شومسوا لَجَّ الشَّماسُ بهم
ومنه قول كثير في عبد الملك^(٣):
أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداءِ حتى إذا أتوا
وقال^(٥) البحتري:
حَرُونُ، إذا عاززته في مُلمةٍ،
ونحوه:
كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حيائه
وكالسيف إن لا ينته لأنَّ مَنتهُ،
ومثل قول خارِجة:

وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا
إذا احتبى الليلُ في ظلمائه زهروا
ذاتُ الإِبَاءِ، وإن يأسرتهم يسروا^(٢)
وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا^(٤)
لما شاء منهم طائعينَ تحبباً
فإن جثته من جانب الذلِّ أصحابا
ويدنو، وأطرافُ الرماحِ دواني
وحدها، إن خاشسته، خشان

إذا احتبى الليل في ظلمائه زهروا

قول الأشجع^(٦):
إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه
وقال خارِجة أيضاً:
ويسفر للساري إذا جُنَّ ليلُهُ
وقال إدريس بن أبي حفصة:
لما أتتك، وقد كانت منازعة،
لها أمامك نورٌ تستضيء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها

دجى الليلِ حتى يَسْتَنِيرَ لنا الفجرُ
سبيل المطايا بالوجوه السوافر^(٧)
وأفى الرضا بين أيديها بأقياد
ومن رجائك في أعقابها حادي
عن الرتوعِ وتلهينا عن الزادِ

(١) ديوانه: ١٠٦.

(٢) يُقال: شَمَسَ له: أبدى عداوة.

(٣) عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي. توفي سنة ٨٦ هـ.

(٤) مرج راهط: موضع دارت فيه معركة تمكن فيها بنو أمية وأنصارهم.

(٥) ديوانه: ٥٥/١ ص.

(٦) الأشجع: هو ابن عمرو السلمي، كان متصلاً بالبرامكة وله فيهم شعر كثير مات سنة: ١٩٥ هـ. الأعلام:

٣٣١/١.

(٧) الساري: السائر ليلاً.

ولا أعرف في معناها مثلها.
وقال غيره:

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهُهم
وإن ناب خطبٌ، أو أَلَمْتُ مُلْمَةً
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد، قول^(١) أبي الأسد الدَّينوري^(٢):
فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللُّومُ في البحرِ
وَمَن ذا الَّذي يَثْنِي السَّحابَ عن القطرِ
مواقع جود الفيض في كلِّ بلدة
ولا أعرف في معناها مثلها.

وقلت:

تقضي مآربه من كلِّ فائدة
أفاده العزَّ آباءُ ذو كرم
لقد فضلت كرامَ الناس كلهم
يا ليت شعري هل يستطيعُ شكركم
وحينَ أرضيتم كنتم نوافله
منكم على الدهر عينٌ لا تناومه

ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول^(٣) الأشجع في جعفر بن يحيى^(٤):

يرومُ الملوكُ جدى جعفر
وكيف ينالونَ غايته
وليس بأوسعهم في الغنى
فما خلفه لامرئٍ مطمَعُ
إذا رفعت كفه معشراً
ولا يرفعُ الناسُ من حطه
رأيتُ الملوكَ تَغضُ العيون
بديهته مثلُ تدبيره
ولا يصنعونَ كما يصنعُ
وهم يجمعونَ ولا يجمعُ
ولكنَّ معروفه أوسع
ولا دونه لامرئٍ مقنع
أبى العزُّ والفضل أن يوضعوا
ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ
إذا ما بدا الملكُ الأتلع^(٥)
متى هجته فهو مُستجمع

(١) الأغاني: ١٣٤/١٤.

(٢) أبو الأسد: ثبات بن عبد الله الحماني التميمي، شاعر من أهل الدينور، مات سنة ٢٢٠ هـ. (الأعلام: ٧/٨).

(٣) الأغاني: ٥٢٤/١٨.

(٤) جعفر: هو الوزير أبو الفضل بن الوزير يحيى بن خالد البرمكي، كان فصيحاً أديباً، قتل سنة ١٨٧ هـ.

(٥) يقال أتلع: مدَّ رأسه تطاولاً.

أخذ قوله «بأوسعهم في الغني» من قول الأول:
 له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جَلَلَتِ القناعاتُ
 وما أن كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرحبهم ذراعاً
 وقال بعض المولدين:

وما رأيتُك في حالٍ تكونُ بها أدنى إلى كلِّ خيرٍ منك في العدمِ
 ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن حُرِّي^(١):
 جرى الله خيراً، والجزاء بكفه بني الصلِّ إخوان السماحةِ والمجدِ
 أتاني وأهلي بالعراق ندامُهم كما صاب غيثٌ من تهامةٍ في نجدِ
 فما يتغيرُ من زمانٍ وأهله فما غير الأيامِ مجدُّكم بَعْدِي
 فأخذه البحرُي أخذاً ما رأيتُ أعجب منه، وقد وجه إليه بنو السمط برمي حمص إلى منبج
 فقال:

جرى الله خيراً، والجزاء بكفه بني السمطِ إخوان السماحةِ والمجدِ
 همُ حضروني والمهامُ بيننا كما ارفضُّ غيثٌ من تهامةٍ في نجدِ^(٢)
 إلا أن قوله:

هم حضروني والمهامُ بيننا
 أبدع وأحسن من قول نهشل:
 أتاني وأهلي بالعراق ندامهم
 وأخذه ابن المولى^(٣) فقال:

فرحتُ بجعفرٍ لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالإيابِ
 كم مطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحابِ
 وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر:
 لعمرى لنعم الغيث غيثُ أصابنا يغدادٌ من أرضِ الجزيرة وأبله^(٤)
 ونعم الفتى والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
 فكنا كحيِّ صبَّح الغيثُ داره ولم يحتمل أظعانه وجمائله^(٥)

(١) نهشل: هو نهشل بن حُرِّي بن ضمرة الدارمي، شاعر، حسن الشعر. أسلم وصحب علياً. مات سنة ٤٥ هـ. (الأعلام: ٤٩/٨).

(٢) المهامه: الفلوات. ارفض: تفرق.

(٣) ابن المولى: محمد بن عبد الله بن مسلم، مولى بني عمرو بن عوف، من الأنصار شاعر متقدم مجيد مخضرم بين الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً عفيفاً، حسن الهيئة، له مدائح كثيرة. مات سنة ١٧٠ هـ. (الأعلام: ٢٢١/٦).

(٤) الوابل: المطر. النزير.

(٥) الظعائن: جمع الظعينة: الهودج فيه امرأة.

وأخذه أبو تمام فقال^(١) :

لم أستطع سيراً لمدحة خالد
فليرحلن إليك نائل خالد
فجعلت مدحتُ إليه رسولا
وليكيفين رواحلي الترحيلا^(٢)

وأخذه أبو هفان^(٣) فقال في أحمد بن محمد بن ثوبة^(٤) :

نفسي فداء أبي العباس من رجل
يقري وبالرقة البيضاء منزله
لم ينسني قط في نأي ولا كَثَب
من بالعراقيين من عجم ومن عرب^(٥)
أغنيتني عن رجال أنت فوقهم
في المكرمات ودون القوم في النشب

وأصل ذلك كله من قول جرير :

أخبرنا أبو أحمد، عن علي بن سليمان الأخفش، عن ثعلب، عن محمد بن سلام قال :
قال أبو الغراف : بعث عبد العزيز بن مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال
جرير يرثيه^(٦) :

بنفسي امرأ والشام بيني وبينه
قال أبو أحمد قال أبو الحن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية هكذا، معناه أفدي .
أتني ببشرى برده ورسائله
أتى زمن البيضاء بعدك فانتحي
على العظم حتى أثلمته حوامله^(٧)
فيومان من عبد العزيز تفاضلا
ففي أي يوميه تلوم عواذله^(٨)؟
فيوم تحوط المسلمين جياده
ويوم عطاه ما تغب نوافله^(٩)
ومن المديح البارع قول^(٩) إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه، عن أحمد ابن أبي
طاهر النديم، عن عبد الله بن السري، عن أحمد بن سليمان قال : قال عبد الله بن زيد القسري :

(١) ديوان أبي تمام : ٢١٥ .

(٢) الفائل : العطاء .

(٣) أبو هفان : هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي العبدي ، راوية عالم بالشعر والأدب ، من أهل البصرة . كان
متهتكاً فقيراً مات سنة ٢٥٧ هـ . (الأعلام : ٦٥/٤) .

(٤) ابن ثوبة : هو أحمد بن محمد بن ثوبة ، من كبار الكتاب في العصر العباسي ، كتب لمعز الدولة أحمد بن
بويه . مات سنة ٣٤٩ هـ . (الأعلام : ٢٠٨/١) .

(٥) العراقيان : الكوفة والبصرة .

(٦) البيت ليس في ديوانه .

(٧) أثلم : شق .

(٨) تغب نوافله : تنقص عطاياه .

(٩) الأغاني : ٦٥/١٠ .

كنت قائماً على رأس ابن هبيرة^(١) وعنده سباطان من وجوه الناس، إذا أقبل شاب لم أر مثله جماله، وكماله، فقال:

أصلح الله الأمير، إني امرؤ فدحته كربة، وأوحشته غربة، ونأت به الدار، وأقلقه الأمعار^(٢)، وحل به عظيم خذله أخلاؤه، وشمته به أعداؤه، وجفاه القريب وأسلمه البعيد، فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً، ولا جازى نعمه إلا رجاء الله تعالى، وحسن عائدة الأمير، وأنا، أصلح الله الأمير، ممن لا تجهل أسرته ولا تضيع حرمة، فإن رأى الأمير أن يسد خلتي، ويجبر خصاصتي^(٣)، فعل، فقال ابن هبيرة: ممن الرجل؟ قال: من الذين يقول لهم القائل:

فزاره بيتُ المجدِّ والعزِّ فيهم	فزاره قيسٌ قيسٌ حسبُ قيسٍ فعألها
لها العزة القعساء والشرف الذي	بناه لقيسٍ في القديم رجالها
وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بأنفه	إلى الشمسٍ في جَوِّ السماء ينالها
لهيئات ما أعياء القرون التي مضت	مآثر قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة: إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك، فكيف أتت لك؟ قال: تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال: ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك، شبته بأقبح عيب، فأبصر الفتى ما وقع فيه فقال: إن الأمير، أصلحه الله تعالى، عظم في عيني وملأت هيئته صدري، فنطق لساني بما لا يعرفه قلبي.

فقال له ابن هبيرة:

وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده، ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده، ويتبوأ بها على خصمه، أو يرضى أحدكم أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكأره^(٤) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم، فإن كان سبقك لسانك، وإلا فاستعن على إصلاحه ببعض ما أوصلناه إليك، ولا يستحي أحدكم من التعلم، فإنه لولا هذا اللسان لكان الإنسان كالبهيمة المهملة، قاتل الله الشاعر حيث يقول^(٥):

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه	إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكائنٌ ترى من صامت لك مُعجب	زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده	فلم يبق إلا صورة اللحم والدَّم

ومن بارع المديح:

(١) ابن هبيرة: هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري، من الأمراء الشجعان تولى إمارة العراق وخراسان ليزيد بن عبد الملك. مات سنة ١١٠ هـ. (الأعلام: ٦٨/٥).

(٢) الأمعار: سقوط الشعر، والفقر.

(٣) الخلّة والخصاصة: الحاجة والفقر.

(٤) الأكأر: الحراث.

(٥) ديوان زهير: ٧٤.

ولي منك موعودٌ طلبتُ نجاحَهُ
وَعَوَّدَتَنِي أَنْ لَا تَزَالَ تُظِلُّنِي
فلو أن مجدداً أو ندى أو فضيلةً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأصمعي للصموت الكلابي: وقال مرة للصموت الكلابية امرأة:

لله دَرَكٌ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِفٍ
متخمط يَطَأُ الرِّحَالَ غُلْبَةً
وتفرج البابَ الشديدَ رتاجه
وتبعه أبو تمام فقال^(٣) في ابن دؤاد:

فلتبكِ الأحسابُ أي حياةٍ
عَاتِقٌ مَتَّقٌ مِنَ اللُّومِ إِلَّا
وحيا أزممةٍ وحيّةٍ وإد^(٤)
من مقاساةٍ مغرمٍ أو نِجَادٍ^(٥)

ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم^(٦):

ومهذب الألفاظ مَنْطِقُهُ
ما شئتُ من ظَرْفٍ ومن شيمٍ
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى
ما فيه من خَطَلٍ ولا مَينٍ
ما في محاسنهن من شينٍ
عيبٍ يوقيه من العين

قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الحز وإصابة المفضل. ومثله قوله:

يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا
شَخَصَ الأَنَامُ إلى كمالكِ فاستعذ
وقال^(٧) ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نُكِبَ:

لا يستطيعُكَ بالتَّنْقِصِ حَدَثٌ
وكأنني بك قد نجوت محمد
فطلعت كالسيفِ الحسامِ مجرداً
شهد النهارُ وكشفه غَمَمُ الدجى
وأبى لك التكميلُ أن تتزيدا
في النَّائِبَاتِ كما دعيت محمداً
للحقِّ أو مثل الهلالِ مجدداً
إنَّ الزمانَ مُبَيِّضٌ ما سودا

(١) الجدثان: الحوادث.

(٢) متخمط: قاهر. الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته. القردان جمع قُرد وهي دويبة.

(٣) ديوان أبي تمام: ٧٠. من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي داؤاد. وابن أبي دؤاد هو قاض مشهور معتزلي، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، وكان كريماً ذا دهاء محباً للخير. مات سنة ٢٤٠ هـ. (الأعلام: ١/١٢٤).

(٤) في الديوان: «مَلَيْتُكَ الأحساب».

(٥) في الديوان: «من الهون إلا». عاتق: من العتق: الحرية. النجاء: الذي يقوم بالأمر.

(٦) كشاجم: شاعر زمانه، أبو نصر محمود بن حبيب، وكان كاتباً منجماً. مات سنة ٣٦٠ هـ. (الأعلام: ١٦٧/٧).

(٧) ديوان ابن الرومي: ٢٠٢/٢.

ومثله قول الآخر:

وأحمد في الهيجاء وردّ إلى الغمد

فما كنت إلّا السيف جُردّ في السوغي
ومن أبلغ المديح:

إذا ما نابّه الخطبُ الكبيرُ
إذا ضاقت من الهمّ الصدور

بديهته وفكرته سواء
وصدر فيه للهمّ اتساع
ومن أبلغ المديح قول^(١) البحتري:

بالمكرّمات كثيرها وقليلها
بأبي خلائفها، وعم رسولها
كريمها ونبيلها ابن نبيلها
لتنالها لتقطّعت في طولها
وقضت لهم بالفضل في تأويلها
وإذا رجعت أخذت خير أصولها

أخذوا النبوة والخلافة، واثنوا
وإذا قرّيش فاضلتك فضلتها
وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن
لوسارت الأيام في مسعاتهم
رفعتهم الآيات في تنزيلها،
وإذا انشعبت أخذت خير فروعها،
وقلت:

ليحي كثير في العلا والمكارم
وشكري له شكر الثرى للغمائم
يلوح على عرف من الليل فاحم
بعزم على الأيام والدهر حاكم
ويعلو من الأمجاد كيل مكارم^(٣)
وطور كجري الماء في عين حائم
وعزم كحدّ المشرفة صارم
ويسقي بها الألى دماء الضراغم^(٤)

لئن قلّ أرباب المكارم والعلا
يذكرني جود الغمائم جوده
تخال به بدرأ مع الليل باهراً
يديل من الأيام والدهر مُنصف
يبزّ من الأنجاد كل مساور
بخلق كمتن الصخر في كفّ لأمس
ورأي كصدر الراغبة شارع
على بلدة يسقي الضراغم ملؤها

ومن بارع المديح قول أبي تمام:

لتكمل إلّا في اللباب المهدّب^(٥)
وفي البرق ما شام امرؤ برق خلب^(٦)

رأيت لعياش خلائف لم تكن
له كرم لو كان في الماء لم يغض

(١) ديوانه: ٣٢٧/١ ع.

(٢) في الديوان: وشريفها ابن شريفها ونبيلها.

(٣) المساور: الذي ينازعك.

(٤) الضراغم: الأسود.

(٥) البيت وما يليه في ديوان أبي تمام: ٢٧. وفيه «خلائق لم».

(٦) شام البرق: نظر إليه. البرق الخلب: المخلف.

أخو عَزَمَاتٍ بَذَلَهُ بِذُلِّ مُحْسِنٍ
يَهْوُلُكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرِ مَحْفَلٍ
وَمَا ضَيْقُ أَخْطَارِ الْبِلَادِ أَضَاقَنِي
وهذي ثِيَابُ الْمَدْحِ فَاجِرِرْ ذِيولَهَا
وقد أحسن التنوخي^(٥) في أبيات له منها:
وفتية من جَمِيرِ حُمَرِ الطُّبَى
شموسٌ مجدي في سمواتٍ علا
وقلت:

المجدُ إِلَّا سماءُ أَنْتِ كوكبها
فكل سابق قوم أَنْتِ سابقه
بالعقد تحكمه، والأمرِ تبرمه
وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول^(٧) أبي تمام:
أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ، وَالْيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح، حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ ابن حاتم العكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال: لما دخل الرشيد منبج، قال لعبد الملك: أهذا البلد منزلك؟ قال: هولك ولي بك. قال: كيف بناؤك فيه؟ قال: دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم، قال: فكيف صفة مدينتك هذه؟ قال: هي عذبة الماء، باردة الهواء، قليلة الأدوية. قال: كيف ليلها؟ قال: سحر كله قال: صدقت! بإنها لطيفة. قال: لك طابت وبك كملت، وأين بها عن الطيب، وهي تربة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، فياف فيج بين قيصوم وشيح. فقال الرشيد لجعفر بن يحيى: هذا الكلام أحسن من الدر المنظوم، فأخذه ابن المعتز^(٨) فقال:

(١) في الديوان: «أخو أزمات».

(٢) في الديوان:

يهولك أن تلقاه صدراً لمحفل ونحراً لأعداء وقلباً لمركب

(٣) في الديوان: «أضافني إليك».

(٤) في الديوان: «وهاك ثياب».

(٥) التنوخي؛ القاضي العلامة أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم مولده سنة ٢٧٨ هـ بأنطاكية، كان معتزلياً شاعراً منجماً أديباً، تولى قضاء الأهواز. مات سنة ٣٤٢ هـ. (الأعلام: ٣٢٤/٤).

(٦) الطُّبَى: جمع طبة: حد السيف.

(٧) ديوانه: ١٣١.

(٨) ابن المعتز: عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي خليفة يوم وليلة، شاعر مجيد له مصنفات منها: «أشعار الملوك». خلعه من الخلافة المقتدر العباسي. ثم قتلوه خنقاً سنة ٢٩٦ هـ. ومولده سنة ٢٤٧ هـ. (الأعلام: ١١٨/٤). والبيتان في ديوانه: ٣٦٢.

يا رَبِّ لَيْلٍ، سَحَرُ كُلُّهُ،
تَلْتَقُطُ الْأَنْفَاسُ بَرْدَ النَّدَى
مَفْتَضِحُ الْبَدْرِ عَلِيلُ النَّسِيمِ
فِيهِ فَتْهَدِيهِ لِنَارِ الْهَمُومِ
وقال^(١) ابن الرومي :

كَأَنَّ أَيْامَهُنَّ كَالْبُكْرِ

وقلت :

أَيَّامُنَا فِي جَوَارِهِ بُكْرٌ
ومنها قول^(٢) أبي نواس :
أَنْتِ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مَصْرُ
وقوله^(٣) :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
وَقَوْلُهُ^(٤) :

فَتَى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
فَمَا جَاذَهُ جَوْدٌ، وَلَا حُلَّ دُونِهِ،
وقول^(٥) أبي العتاهية :

أَنْتَ الْخِلَافَةُ مَنْقَادَةٌ
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ
وَلَوْ رَأَمَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ
وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وَفَاتِهِ
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَزْرَهُمُ
الْأَنْسَ جَمَعَ مِثْلَ خَدَمٍ .

وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
أَنْتَ الْجَوَادُ وَمِنْكَ الْجَوْدُ أَوَّلُهُ
أَضَحَّتْ يَمِينُكَ مِنْ جَوْدٍ مَصُورَةٍ
مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ تَضْحِي الْأَرْضُ مُشْرِقَةً

فَإِنْ فَقَدْتَ فَمَا جَوْدٌ لِمَوْجُودٍ
لَا بَلْ يَمِينُكَ مِنْهَا صُورَةُ الْجَوْدِ
وَمِنْ ثَنَائِكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ

(١) ديوان ابن الرومي : ٢٦/٣ . وتمايم البيت :

كَانَتْ لَيْالِيهِ كُلُّهَا سَحْرًا

(٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) ديوانه : ١١٨ .

(٤) ديوانه : ٣٢٨ .

(٥) الأبيات ليست في ديوانه . هي في الأغاني : ٣٣/٤ .

وَكَانَ أَيْامَهُنَّ كَالْبُكْرِ .

وقول^(١) البحري :

وقد قلت للمعلي إلى المجد طرفة:
صفت مثل ما تصفو المدام خلاؤه،

دع المجد فالفتح بن خاقان شاغله
ورقت كما رق النسيم شمائله

والعرب تتمدح بطول القامة، فمن أجود ما قيل فيه، قول^(٢) أبي تمام:

أناس إذا يدعى نزال إلى الوغى
من المطريين الأولى ليس ينجلي
جعلت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربعة أقبلت

رأيتهم رجلى كأنهم ركب^(٣)
بغيرهم للدهر صرف ولا كرب
رحا سؤدد إلا وأنت لها قطب
مجنبتي مجد وأنت لها قلب

ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول^(٤) أبي تمام:

نسب كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل من عمى
شرف على أولي الزمان وإنما
لولم تكن من نبعة نجدية
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الأبوة والخطوط فأصبحوا
أكفاؤه تلذ الرجال وإنما

نوراً ومن فلق الصباح عموداً
فيه ولا يبغي عليه شهوداً
خلق المناسب ما يكون جديداً
علوية لظننت عودك عوداً
ملاً البسيطة عدة وعديداً^(٥)
جمعوا جدوداً في العلا وجدوداً
ولد الحتوف أسوداً وأسوداً^(٦)

أخذه السري فقال في المهلي :

نسب أضاء عموده في رفعه
وشمائل شهد العدو بفضلها

كالصبح فيه ترفع وضياء
والفضل ما شهدت به الأعداء

وهذا من قول البحري :

لا أدعي لأبي العلاء فضيلة،

حتى يسلمها إليه عداؤه^(٧)

وقلت :

قد نلت بالرأي والتميز منزلة
وبالتكرم والأفضال مرتبة

ما نالها أخواك: البحر والمطر
لم يعطها خادماك: السيف والقدرة

(١) ديوان البحري : ٥٣/١ ع .

(٢) ديوانه : ٣٥ .

(٣) في الديوان : «كما إذا» .

(٤) ديوانه : ٨٠ .

(٥) الوابل : المطر الغزير .

(٦) أسود : جمع سود : حية .

(٧) ديوان البحري : ٢٨٠/١ ع . وأبو العلاء : صاعد بن مخلد الوزير .

قالوا: أيمطرُ من محلِّ ألمٍ به؟
مالٌ يبددُهُ في جمعٍ مَكْرُمَةٍ
كروضةٍ أخذتْ بالغَيْثِ زُخْرُفَهَا
منقَبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمُها
فايشرُ فإنك رأسٌ والعلا جسدُ
لولاك لم تكِ للأيامِ منقبةٌ
وقلت:

هل أنتِ إلَّا البدرُ تمَّ تمامُها
والسيفُ أَرَهَفَ للمضاءِ غرارُها
أنتِ الربيعُ الغضُّ رَقٌّ نسيْمُها
خُلِقَ كنشِرُ الروضِ طَلَّ نباتُها
للأولياءِ رخاؤُه ورخاؤُه
يا من أدلَّ على الزمانِ زمانُها
يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضلُها
ما أن يزالَ من المآثرِ والعلا
عالٍ تَسَوَّرَ فوقَ قِمةِ سؤْدِدِها
يدو فييدي الصبحُ غُرَّةَ وجهه
سبقَ الجيادَ فما يُشَقُّ غُبَارُها
ولئن أبرَّ على الحسامِ عزيمةً
وكانما أعلامُه أسيافُه
ما المجدُ إلَّا العقدُ، جودُك شذْرُه
والجودُ في يدِكَ اليمينِ عِنانُه
ما زالَ فوتك في اللوائِ موليا
فاعمرِ على زمنٍ أغرَ محجَلِ
وقال آخر وأحسن:

كم صغروا منهمُ والله يكلؤهم

فقلتُ: قد تمطرُ الأنهارُ والغدرُ
فالمجدُ مُجْتَمِعٌ، والماءُ منتشرُ
فالروضُ منتظمٌ، والغيثُ منتشرُ
كانَّها أصْلُ للدهرِ أو بُكرُ
والمجدُ وجهٌ وأنتِ السمعُ والبصرُ
تسمو إليها ولا للدهرِ مفتخرُ

والغيثُ باكرٌ وبلهٌ وسجامُه^(١)
والرمحُ قَوْمٌ لِقَاءِ قِوَاهُ
واخضرَ روضته وصاب غمامه
أو مثل صرفِ الراحِ قُضَّ خِتَامُه^(٢)
وعلى العداةِ سموه وسِمَامُه^(٣)
وزرى على أيامِه أيامُه،

كالخصبِ يُنعشُ كلَّ خلقٍ عامُه
في موكبِ منشورةِ أعلامه
أوفى على قممِ النجومِ سَنَامُه
والليل قد قبضَ العيونَ ظلامُه
وعلا القرينَ فما يُرامُ مرامه
فكما أبرَّ على القضاءِ حُسامُه
وكانما أسيافُه أعلامُه
ونذاك لؤلؤُه، وأنتِ نظامُه
والبأسُ في يدِكَ الشمالِ خطامُه^(٤)

مولي المخافة خلفه وأمامه
قد تمَّ فيك على الورى إنعامه

نعماء ما صغرت إلَّا لأن عظموا

(١) الويل: المطر الغزير. السجام: انهيار الدمع.

(٢) الراح: الخمرة.

(٣) سَموم وسِمَام بمعنى: السم.

(٤) الخِطَام: الزمام، ما يعلق في انف البعير.

وقال أبو يعقوب الخريمي^(١):

فلو لم يكن إلاّ بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعت من جرى
ويبذل دنياه ويمنع دينه
وقلت:

وقفتُ على يحيى رجائي وإنما
إذا ما الليالي أدركت ما سعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيثُ باراه ثنى الغيثُ مقصرا
فتى لم نزنه بالقوافي وإنما
من الغرّ لاحوا أشمساً ومضوا ظبي
رأيت جمال الدهر فيك مجدداً
وقلت:

في فتية أخلاقهم وفعالهم
حلّ السرور جباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أو قيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامسٌ والصبح منهم دامسٌ والدهرُ منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله^(٤):

نفائس ماله أدناه مجنى
كذلك فوارض الثمرات تدنو
من الأيدي جميعاً والأمانى
لجانيتها فتمكن كلّ جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن العشمي، عن المبرد قال: أتى شاعر أبا البختری وهب بن وهب، وكان من أجود قريس، كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور بجوانحه، وأعطى وزاد، فأنشده هذا الشاعر:

لكلّ أخي فضل نصيب من العلا
وماضراً وهباً عيب من جحد الندى
ورأس العلا طراً عقيد الندى وهب
كما لا يضر البدر ينبحه الكلب

(١) الخريمي: اسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب، شاعر مطبوع، مدح البرامكة. مات سنة ٢١٢ هـ. (الأعلام: ٢٩٤/١).

(٢) المزن: جمع المزنة: السحابة الماطرة.

(٣) حنادس: ليلى مظلمة.

(٤) ديوانه: ٢١٠/٦.

فثنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه، فلما أراد الرحيل وهو أشد خلق الله اغتباطاً، لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختری^(١)، ولا عقب له ولا حل، فأنكر ذلك مع جميل ما فعل به، فعاتب بعضهم فقال: إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين المرتحل على الفراق، فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال: والله لفعل هؤلاء العبيد أحسن من رفد سيدهم.

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي:

لعمراً من عائل لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا^(٢)
على أن الممات لكل حي وقيت به من الحدثان محيا
وقال خلف بن خليفة^(٣):

إن استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم هم الجبل الأعلى، إذا ما تناكرت
مواعيدهم فعل إذا ما تكلموا ألم تر أن القتل غال إذا رضوا،
وقلت:

لقد علمت يحيى موافية العلا فحاز طريف المجدي بعد تليده
فتى غره الأيام حسن صنيعه وما هو إلا المزن تصفو خلاله
فضائل آباء تلتها فضائله رفيع يطول النجم حين يطاوله
وتيجانها أخلاقه وشمائله ويعلو مبواه ويبكر هاطله

(١) أبو البختری: وهب بن وهب بن كبير القرشي، قاضٍ من العلماء بالأخبار والأنساب، اتهم بوضع الحديث، كان كثير العطايا للشعراء. مات في بغداد سنة ٢٠٠ هـ. (الأعلام: ٨/١٢٦).

(٢) البيتان في ديوانه: ٣٦٧/٦. لعمراً دعاء للعائر. الكاشح: المبغض.

(٣) هو خلف بن خليفة الأقطع: شاعر أموي مطبوع، راوية، كان لسناً بديهاً من الظرفاء. مات سنة ١٢٥ هـ. (الأعلام: ٢/٣١٠). (والشعر والشعراء: ٢/٦٠٢)

الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار

قالوا: أفخر بيت قالته العرب قول^(١) جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا: قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل: من أتاني منكم بصدر هذا البيت: «والعود أحمد»، فله عشرة آلاف درهم، فما كان فيهم مجيب، فأدخل أعرابي من عذرة إليه، فأنشده:

فإن كان مني ما كرهت فإنني أعود لما تهوؤه، والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد:

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فإن عاد بالإحسان فالعود أحمد
فقال عبد الملك: أحسنت، ولكن لم تصب ما أردت، فأنشد:

جزينا بني شيان قديماً بفعلهم وعُدنا بمثل البدء والعود أحمد
فقال: هذا طلبت. ثم قال: أخبرني بيت قالته العرب. قال:

قول^(٢) جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاخ بني نمير على خبث الحديد إذا لذابا
قال: فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب العرب! قال:

قول^(٣) جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال: فما أفخر قالته العرب؟ قال: قول جرير:
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

(١) ديوانه: ٦٤.

(٢) ديوانه: ٦٣.

(٣) ديوانه: ٧٧.

قال: فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال: قول^(١) جرير:

إن العيون التي في طرفها مرض، قتلننا، ثم لم يحيين قتلانا^(٢)
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به؛ وهن أضعف خلق الله أركاناً

قال: فما أحسن بيت قيل؟ قال: قول^(٣) جرير:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قال: فما أقيح بيت قيل؟ قال قول^(٤) جرير:

ألم تر أن جعثن وسط سعد تسمى بعد قبضتها الرحابا
تري برصاً بأسفل إسكتيها كنفقة الفرزدق حين شابا

قال: فما أهجنت بيت قيل؟ قال: قول^(٥) جرير:

طرقتك صائدة القلو وليس ذا حين الزيارة، فارجعي بسلام

قال: فهل تعرف جريراً؟ قال: لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء، فلم أر شعراً أرق في

الوزن، ولا أملاً للغم من شعره، فقام جرير فقبل رأسه، وجعل جائزته في هذا العام له، وأضاف
عبد الملك إليها مثلها، وكتب إلى عامله باليمامة أن يُنصف من خصم تظلم منه.

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير^(٦):

بدأتم فأحستم فأثيت جاهدأ وإن عدتم أثيت والعود أحسن
وقال^(٧) ابن المعتز أو غيره:

خليلي قد طاب الشراب المبرد، وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

وقال ابن حبيب: دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له: ممن

الرجل؟ قال من الذين قال لهم الشاعر:

أذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم القائل:

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

(١) ديوانه: ٤٩٢.

(٢) في الديوان: «في طرفها حور».

(٣) ديوانه: ١٣٤.

(٤) البيتان ليسا في ديوانه.

(٥) ديوانه: ٤٥٢.

(٦) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي. شاعر مقدّم من اهل اليمامة، كان يسكن بادية البصرة

ويزور الخلفاء العباسيين، فيجزلون صلته. مات سنة ٢٣٩ هـ. (الأعلام: ٣٧/٥).

(٧) ديوان ابن المعتز: ١٥٨.

قال: فمن أيها أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر:
 ثيابُ بني عوفٍ طهارى نقيّةً وأوجهُهم عند الشاهدِ غُرَّانُ^(١)
 قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:
 فلا وأبيك ما ظلمت قريعاً بأن بينوا المكارم حيث شاؤوا
 قال: فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر^(٢):
 قوم هم الأنف والأذنبُ غيرهمُ ومن يسوّي بأنفِ الناقَةِ الذنبا
 قال: اجلس لا جلست والله لقد خفت أن تفخر عليّ.

وقالوا: أفخر بيت قالته العرب، قول^(٣) الفرزدق:
 ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا
 ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص: «أربأنا» قال: والإرباء الإشارة إلى خلف والإيماء إلى
 قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل في قصيدته التي يقول فيها^(٤):
 وكانت تجيدُ الأسدُ عنا مُخافةً فهل يقتلني ذو بنانٍ يطرفُ
 لقد أخلفت ظني وكانت مخيلةً وكم من مخيل يرتجي ثم يخلفُ
 إذا انتهبَ الأقوامُ مجداً فإننا لنا مغرّفاً مجدٌ وللناسِ مغرُفُ
 وضعنا لهم صاعَ القصاصِ رهينةً بما سوف نوفيه إذا الناسُ طَفَفُوا^(٥)
 ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا
 وكان جميل جيد الافتخار قال^(٦):

والشاعر المتألي الشاعرون به كي يلمسوه وأين اللمس من زُحَل
 وعند الناس قصيدته الفاتية أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق. وأخذ بعضهم قوله:
 وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف

فقال وأحسن:
 ظننتُ به ظناً فقَصَرَ دونهُ فيا ربّ مظنونٍ به الخيرُ يُخْلِفُ
 وما الناسُ بالناسِ الذين عرفتْهم وما الدارُ بالدار التي كنتُ أعرفُ
 وما كلُّ من تهواه يهواك قلبه وما كلُّ من أنصفته لك منصفُ

(١) غُرَّان: جمع أعز وهو الأبيض.

(٢) البيت للحطيئة؛ ديوانه: ١٧.

(٣) ديوان الفرزدق: ٣٩٣.

(٤) ديوانه: ٦٣.

(٥) طَفَفُوا: أنقصوا.

(٦) البيت ليس في ديوانه.

أخبرنا أبو أحمد، عن المبرمان، عن أبي جعفر بن العباسي عن العباسي قال: من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة^(١):

وما أنا في نفسي ولا في عَشِيرَتِي
ولا مسلمٍ مولاي عند جنابةٍ
وإن فؤادي بينَ جنبيِّ عالمٍ
وفضلي في الشعر واللب أنني
فأصبحتُ إذا فضلت مروانَ وابنه
على الناس قد فضلت خيرَ أب وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي^(٢):

ورُبَّ أمون قد برت لحاءها
أقيم بدارِ الحزم ما لم آهن بها
وأصلحُ جل المال حتى حَسَبَتِي
ولست بولاجِ البيوتِ لفاقةٍ
إذا قصرت أيدي الكرامِ عن العلا
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوةٍ
رجاء غدٍ أن يعطفَ الودُ بيننا
غيره:

ومالي وجهٌ في اللثامِ ولا يدُ
أصح إذا لاقيتهم وكأنني
وقلت في معناه:

وخلَّ الجهولُ وبُغضي له
يصادفني الضيف طلقاً ضحوكاً
وأستعملُ الحلم ما لم أكن
من الحلم ضرباً إذا رُمته
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان:

فإن تسألني عنا فإننا حلى العلا

ثم قال: ليس لقوله:

(١) أعشى ربيعة: عبدالله بن خارجة بن حبيب، شاعر إسلامي، من ساكني الكوفة، كان مرواني المذهب. مات سنة ١٠٠ هـ. (الأعلام: ٨٤/٤). والأيات في الأغاني ١٨/١٣٢.

(٢) مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح. شاعر عراقي شجاع، من أشرف تميم. له أخبار مع معاوية. مات سنة ٨٩ هـ. (الأعلام: ١٦/٣).

نظير، وأنشدنا له :

لعمري لئن بُيعت في دار غربةٍ ثيابي إذا ضاقت عليّ المأكُلُ
فما أنا إلّا السيف يأكلُ جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاطل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله، وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فإن تك أثوابي تمزق عن بلى فإني كمثل السيف في خَلَقِ الغمدِ
ولأبي هفان أيضاً :

تعجّبتُ دُرٌّ من شبيبي فقلتُ لها : تعجبي من بياض الصبح في السّدْفِ^(١)
وزادها عجباً أن رحتُ في سَمَلٍ وما دَرْتُ دُرٌّ أن الدرّ في الصّدْفِ^(٢)
فرايت في المعنى تكلفاً فقلت :
عيرتني أن رحتُ في سَمَلٍ والدرُّ لا تزري به الصدفُ

وله أيضاً في هذا المعنى :
يُعيرني عريي رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم مورداً
بأنّي مثل السيف أحسن ما يُرى وأهيب ما يُلقى إذا هو جرداً
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها .

ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده في مصراع وهو :
والسيف أهيبُ ما يُرى مسلولا
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده^(٣) أبو تمام :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمتشم
ولكننا نأبى الظلام ونعتصي بكلّ رقيق الشفرتين مصمّم
وتجهل أيدينا، ويحلّم رأينا، ونشتم بالأفعال لا بالتكلّم

هذا أحسن من كل شيء في الافتخار، وقريب من هذا المعنى قول لقيط بن زرارة^(٤) :
أغرکمُ أني بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنّي بالفواحشِ أخرقُ
وأنك قد ساببتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحذقُ
أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال : يروي أنه قيل للفرزدق أي

(١) في الأمالي ١/١١١ : « لا تعجبي فيياض ». السّدْف : الظلام .

(٢) في الأمالي ١/١١١ . والسَمَل : الثوب الخلق .

(٣) الأبيات ليست في ديوان أبي تمام .

(٤) هو لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي ، فارس شاعر جاهلي من أشرف قومه .

كان مجوسياً، مات مقتولاً سنة ٥٣ ق . هـ . (الأعلام ٥/٢٤٤) .

بيت قالته الشعراء أفخر؟ قال: قول^(١) امرئ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
ولكنني أسعى لمجد مؤثّل
قيل له: فأيهما أحكم؟ قال قوله^(٢):

الله أنجح ما طلبت به
قال: فأيهما أرق؟ قال قوله^(٣):

وما دَرَفَت عيناكِ إلّا لتضربي
قال: فأيهما أحسن؟ قال قوله^(٤):

كأن قلوب الطير رطباً وبابساً
وقالوا: أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصاري^(٥):

وبئسر بدر إذ يرّد وجوهكم
ومن بليغ الافتخار قول الجحاف^(٦):

صبرت سليم للطعان وعامر
نحن الذين إذا علّوا لم يضجروا
وفال ضمرة بن ضمرة^(٧):

أذيق الصديق رأفتي وإحاطتي
وذى ترّة أوجعته وسبقته
«قصر وهو جاهد» بليغ جداً، ومنه أخذ المحدثون.

ومن جيد الافتخار بالجود وطيب النفس قول بعض العرب:

تسائلني هوازن أين مالي
ومالي غير ما أنفقت مالاً

(١) امرؤ القيس بن حجر كندي، شاعر جاهلي متقدم من اصحاب المعلقات، ويعرف «بالمك الضليل» و«بذي القروح». مات سنة ٨٠ ق. هـ. والبيتان في ديوانه: ١٤٥.

(٢) ديوانه: ١٥٢. وفيه «حقيبة الرجل».

(٣) ديوانه: ٣٨.

(٤) ديوانه: ١٤٥. العناب: ثمر كالعنب. والحشف: الثمر اليابس.

(٥) كعب بن مالك بن ربيعة بن العناب الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي من اكابر الشعراء. اشتهر في الجاهلية، وفي الإسلام صار من شعراء النبي ﷺ. شهد الوقائع اكثرها مات سنة ٥٠ هـ. (الأعلام: ٢٢٨/٥).

(٦) الجحاف بن حكيم السلمي؛ فاتك ناثر شاعر عاش في العصر الأموي، مات سنة ٩٠ هـ. (الأعلام: ١١٣/٢). له اخبار في الأغاني: ١٩٨/١٢.

(٧) ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي من بني دارم: شاعر جاهلي، من الشجعان، (الأعلام: ٢١٦/٣).

(٨) ترّة: ثار.

فقلتُ لها هوازن إنَّ مالي أضرب به الملماتُ الثَّقالُ
أضرب به نَعَمَ ونَعَمَ قديماً على ما كان من مالٍ وبِالٍ
المعنى حسن جداً، وفي الألفاظ تكرير شائن.
أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول:

ما تطلُّعُ الشمسِ إلَّا عند أولنا ولا تغيبُ إلَّا عند آخرانا
وقول أبي جندب:

فلو نَزاد ألف ألف لم نزد ولو فَنَدنا مثلهم لم نفتقد
وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه، عن أبيه عن ابن
الكلبي، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين، وأصح الروایتين، قال:

بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر أبيه قال: خرجت حاجاً في الجاهلية فإذا أنا
بشباب حسن العينين، وضيء، وبشيخ يسابُه، قال: فسبه الفتى، ثم إن الشيخ عيَّره بأن أمه من
بني الأصفر، فحزني الفتى، فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل لإرقال الناقة الصعبة حتى أخذت بمنكبي
الشيخ وهزته وقالت:

سائل وخَلل في إِيادِ بنِ معدٍ هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحدٍ
هُمُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذروة العلياء والركن الأشدُ
وأنت حرمي لئيمُ المستندُ عُصارة اللؤمِ التي فيها تلدُ

فسألتُ عن الشيخ فقيل: المغيرة بن عبد الله المخزومي، وسألتُ عن الشاب، فقيل:
ورقة بن نوفل. ثم مررت من فوري حتى أتني مني، فإذا رجل على جمل عظيم لا يمر يقوم إلَّا
هجاهم، لأنه بالأوس والخزرج فهجاهم، لا هجوته، فنظر إلى قباب بيض في شرقي الجبل
فقال: لمن هذه؟ فقيل: لقرد بن تميم من هذيل، فأَمَّها وقال:

هل ههنا من ولد قرد من أحدٍ أعطيهم من رجزِ اليومِ وغدٍ
فخرج أبو جندب^(١) وهو يقول:

نَعَمَ غلامٌ منهم جلد عَتَدٍ إني وربِّ الراقصاتِ في السَّنَدِ
ينفرن من وقع العصبيِّ والقَدَدِ إني لذو اليومِ وذو أمسٍ وغَدِ
وابن هُذيل وابن أشياخٍ معدٍ ثم لِفَهمٍ، ولِفَهمٍ العددِ
فلو نَزادُ ألف ألف لم نزد ولو فَنَدنا مثلهم لم نفتقدُ
فارجع إلى معزك تيساً ذا جِيدٍ أوفي على رأسِ يفاعٍ فصخدُ^(٢)

قال: فخلفت إني لا أهجو أحداً ما دام أبو جندب حياً.

(١) هو أبو جندب بن مرة، من شعراء هذيل، وأخواه أبو خراش وعُروة وكلهم شعراء.

(٢) صخذ: موضع.

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل :
الأكثيرون حصي والأطيبين ثرى

واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن^(١) :
تُعيرُنَا أنا قليلٌ عَدِيدُنَا
وما قلٌّ من كانت بقاياهُ مثلُنَا
وما ضَرُنَا أنا قليلٌ وجارُنَا
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير، وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها.

ومن أجود ما افتخر به محدث قول^(٢) أبي تمام :
لنا جَوْهَرٌ لو خالطَ الأرضَ أصبحتْ
مقاماتنا وقفٌ على الجِلمِ والحِجَا
إذا زينةُ الدنيا من المالِ أَعْرَضَتْ
ليفخرَ بجودٍ من أرادَ فإنّه
جرى حاتمٌ في حلبةٍ منه لو جرى
فتى ذخرَ الدنيا أناسٌ ولم يزل

ومنها :
كَماءٌ إذا ظلَّ الكَماءُ لدى الوغى
بخيلٍ لزيد الخيل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الإسأد حتى لو أأنّه
صبيته ما أن تحدث نفسها
فإن ذمّت الأعداء سوء صباحها
مساع يضل الشعر في طُرقِ وصفها
وقوله :

وأرماحهم حُمُرٌ وألوانهم صفر^(٦)
إذا نطقوا في مسهبٍ خرسٍ الدهر^(٧)
بدا لك ما شككت في أنه ظهر
بما خلفها ما دام قدامها وتر^(٨)
فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر
فما يهتدي إلّا لأصغرها الشعر^(٩)

(١) ديوان السموأل : ٩٠ .

(٢) ديوان أبي تمام : ٤٢٣ .

(٣) الحجا : العقل . الحبر : العالم .

(٤) عَوانٌ : قديم . بكرٌ : جديد . ومعناها مجازيان . وفي الديوان : « ليسجج بجود » .

(٥) في الديوان : « القطرُ شأوا » . والشأو : السبق والبعد .

(٦) كَماءٌ : جمع كمي : مدحج بالصلاح .

(٧) في الديوان : « يخيلُ لزيد » . و « مسهبٌ خرس » .

(٨) في الديوان : « ضُبيبةٌ ما إن » .

(٩) في الديوان : « كُنه وصفها . والكُنه : السر .

لكثرة ما أوصوا بهنَّ شرائع^(١)
 لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع^(٢)
 لها راحة من جودهم وأصابع^(٣)
 نفوس لحدِّ المرهفات قطائع^(٤)
 أغارت عليهم فاحتوته الصنائع^(٥)
 أكفَّ لإرث المكرمات موانع^(٦)
 وهنَّ سواء والسيوف القواطع

وقلما تجد في الافتخار شعرا يداني هاتين القطعتين.

وقلت:

على كل ذي عقل وبالنكر واسع
 وطائر بلواه على الحرِّ واقع
 أصابته هماتي وهنَّ قوارع
 كما أنهنَّ للخطوب جوالب
 وهنَّ إذ لاحت نجوم طوالع
 وهنَّ على العلات بيض قواطع
 وللنكس تهديد إذا ريع رائع
 فكيف ترى أني إذا صلت خاشع
 بسوء وهماتي عليها طلائع
 يقوم إزاء النصر حين يُقارع
 ولكن بأدنى بُلغة العيش قانع^(٧)
 وبصحبهم منه، وفيه صنائع
 وكل مصادي منه متواضع
 وذكر بأطراف البسيطة شائع

وكم ضرر للمرء فيه منافع
 بلى حيث ضاع المجد مثلي ضائع

مضوا وكأن المكرمات لديهم
 بهاليل لو عاينت فيض أكفهم
 وأي يد في المجد مُدَّت فلم تكن
 أصارت لهم أرض العدو قطائعا
 إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
 فيعطي الذي يعطيهم الجود والقنا
 يمدون بالبيض القواطع أيديا

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق
 وواقع نعاء عن الحرِّ طائر
 متى ما يُصنبي بالقوارع طرفه
 وهمات مثلي للخطوب جوالب
 تريك اشتغالا بالنجوم طوالعا
 وتزري على البيض الطوالع أن مضت
 تخافني الأيام، فهي تخيفني
 ولو كن في عيني لما قذيت بها
 أنطلع منها في ديار طوالع
 يقارع مني باسلا ذا حفيظة
 فتى بآتم الفضل ليس بقانع
 فما صحبتته للأنام صنعة
 ولم يتواضع في مصاداة منه
 له شرف في آل ساسان باذخ
 إلى أن قلت:

تؤدبهُ الأيام حين تضره
 وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه

(١) ديوانه: ٤٢٧.

(٢) بهاليل: جمع بهلول: سيد جامع لكل خير.

(٣) في الديوان: «فأي يد في المحل فلم يكن».

(٤) المرهفات: السيوف الحادة. القطائع: ما يُقطعه الحاكم للجند ولغيرهم.

(٥) في الديوان:

«فتعطي الذي تعطيهم الخيل والقنا».

(٦) بُلغة العيش: الشيء اليسير القليل.

ومثلي مخضوعٌ له غير أنه
ومثلي متبوعٌ على كلِّ حالةٍ
وقال ديك الجن يفتخر بكلب:

كلبٌ قبيلي وكلبٌ خيرٌ من ولدت
وعيرتنا وما إن طُلَّ را؟
غلاة موتة والاشراكُ مكتهلُ
إن تعبسي لدم منا هُريقٌ بها
أقعد وقم عالماً أن لو تطوقها
أقام حصنٌ عليهم حصن مكرمةٍ
إذا غدت خيلهم تستجد المطي
كم عرَّضُوا أيدياً بيضاً مُكرَّمةً
أسدٌ يرون الردى المفضي بأنفسهم
وقال الجُماني (٣):

ونحنُ سننا الصبرَ في كلِّ موطنٍ
وقال:

بنا يستشارُ العزُّ عن مستقره
وقال (٤) ابن المعتز:

فقري غنى، وشبابي كهلٌ وكلُّ فضلٍ لي عليه فضلٌ
أشكي لجودي حين يشكي البخل

وقرأت لقابوس (٥) بن وشمكير الختلي رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها
وإفراطها وهي:

الإنسان خلق أُلُوفاً، وطبع عطوفاً، فما بال الإصْبهَد (٦) لا يحيل عوده ولا يرجي عوده، ولا

(١) في البيت نقص واضطراب كذا في الأصل.

(٢) انتاشه: أخرجه.

(٣) الجُماني: هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي، أبو زكريا. من حفاظ الحديث. مات سنة ٢٢٨. وله شعر. (الأعلام: ١٥٢/٨).

(٤) ديوانه: ٣٢٠.

(٥) قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي، أبو الحسن الملقب شمس المعالي. أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. نابغة في العلم والأدب والإنشاء. جمعت رسائله بكتاب «كمال البلاغة». مات سنة ٤٠٣ هـ. (الأعلام: ١٧٠/٥).

(٦) الإصْبهَد: فارسي معرَّب.

إذا كان مجهولَ الفضائل خاضع
فإن ينقلب وجهُ الزمانِ فتابع

حواء من عرب غرٍّ ومن عجم
كل وحدك والدين لم يُرم؟ (١)
والدينُ أمردٌ لم ييفع فيحتلم
فقد حقنا دم الإسلام فابتسمي
بغير أحمدٍ لم تقعد ولم تقم
يرتج طوداه: من نُعمى ومن نُقم
لنجدة عُدَّتِ الآجال في الحُوم
للعدم من طولٍ ما انتاشوا من العدم (٢)
إلى الثرى عمراً يُفضي إلى الهرم

وحطَّت مساعينا على حططِ الفخر

وعن سخطننا تدنى أُلُوفُ المتالفِ

يخال لفيئه مخيلة، ولا يخال عن تنكره بحيلة، أم صخر تَدَمَّرَ قلبه فليس يليه العتاب؟ أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتبار؟ أخلق من صفاقة الدهر حجر نُبُوهُ فقد نبا عليه غرب كل حجاج، أو من قساوته إباء مزاج إبائه فقد أبى على كل علاج. ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فهماً؟ وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علماً؟ وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق، ويمقت إليه رعاية الحقوق، وما هذا الإعراض الذي صار ضربة لازب، والنسيان الذي أنساه كل واجب؟ أين الطبع الذي هو للصدور، وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مسمها الثنايا الغر؟ وأين الحياء الذي يجلى به الكرم، وتحلى بمحاسنه الشيم؟ كيف يُزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قيادة، وتبع مراده، ينتظر أمره ليمتثل، ويرتقب نهيه ليعتزل. وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه. إذا رأت منه هشاشة أعشبت، وإن أحست منه بجفوة أجذبت. وكيف يُستغنى عمن خيله العزمات والأوهام، وأنصاره الليالي والأيام؟ من هرب منه أدركه بمكائدها، ومن طلبه وجدته في مراصدها. وكيف يُعرض عمن تُعرض رفاهة العيش بإعراضه؟ وتنقبض الأرزاق بانقباضه؟ وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل، وأهل هلال المجد إذا تهلل؟ وكيف يُزهى على من تحقر في عينه الدنيا، وترى تحته السماء العليا؟ وقد ركب عنق الفلك، واستوى على ذات الحُبُك، فتبرجت له البروج، وتكوكبت لعبادته الكواكب، واستجارت بعزته المجرة، وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء، وجسم الهباء، وفصل تراكيب الأشياء، وألف بين النار والماء، وأحمد ضياء الشمس والقمر، وكفاهما عناء السير والسفر، وسد مناخِر الرياح الزعازع، وأطبق أجفان البروق اللوامع، وقطع السنة الرعود بسيف الوعيد، ونظم صوب الغمام نظم الفريد، ورفع عن الأرض سطوة الزلازل، وقضى ما يراه على القضاء النازل، وعرض الشيطان بمعرض الإنسان، وكحلَّ العيون بصُور الغيلان، وأثبت العشب على البحار، وألبس الليل ضوء النهار، أولم يعلم أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال، ومنازمة من هذه صورته خيال وأن من له هذه المعجزات، يشتري رضاه بالنفس والحياة، ومن يأتي بهذه الآيات، يُبتغى هواه بالصوم والصلاة، ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهيماً لا شِية^(١) به، ومن لم يأومنه إلى ظل ظليل ظل صريعاً لا عصمة له، ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه ما لم يعاود الصلة مأفون^(٢)، ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه إن أقام على الفرقة مغبون، أظنه يقدّر أن الاستغناء عني هو الغناء والغنى، ولا يظن أن الالتواء عليّ هو البلاء والبلى، ويخال أنه مكتفٍ بماله وعرضه، ومتعزز بسمائه وأرضه، ولا يشعر أنني كلّ لبعض، وطول في عرض وأن قوة الجناح بالقوادم^(٣) دون الخوافي، وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي، ليس إلحاحي على سيدي مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله، وعدّي عليه هذه العجائب، لاستمالتة من

(١) لا شِية به: لاشيء يخطأ لونه.

(٢) المأفون: ضعيف الرأي.

(٣) القوادم والخوافي: ريشات مقدم جناح الطائر وما دونها.

جانب إلى جانب، لأنني ممن يرغب في راغب عن وصلته، أو ينزع إلى نازع عن خلته، أو مؤثّل حالاً عند من ينحت أثلته ومقبل بوده على من لا يجعله قبلته، فإني لو علمت أن الأرض لا تسفّ تراب قدمي لما وضعت عليها جانباً، وإن السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتي لما رفعت إليها طرفاً، ولكنني أكره أن يعرّى نحره من قلادة الحمد، ويجنب جبينه إكليل المجد، ويظلّ وجهه الوفاء بقبضه على يده مسوداً، وركن الإخاء بفته في عضده منهذاً، ولا يعجبني أن يكسو ضوء مكارمه كلف الخمول، ويأذن لطوالع بالأقوال، فإن فضل سيدي الخمود على الوقود، والعدم على الوجود، ونزل من شامخ إلى خفض، ومن حاليّ إلى دحض، وجاهر بهجره، وأصر على صرمه، ومال إلى الملل، ولم يَصُلْ نار الوصال، حللت عنه معقود خنصري، وشغل عن الشغل به خاطري، بل محوت ذكره من صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي:

وفي الناس إن رئتُ جبالك واصلُ وفي الأرض عن دارِ القلي مُتحوّلُ^(١)
وفي بعض ألفاظ هذه الرسالة تكلف إلا أني أوردتها لعلو معانيها.

وقال بعضهم:

ومن يفتقر منا يسألُ حُسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأله
وقال^(٢) ابن المعتز:

سألتكما بالله ما تعلمانني سألتكما بالله ما تعلمانني
أرفع نيرانَ القري لغفاتها أرفع نيرانَ القري لغفاتها
وأسأل نيلاً لا يجادُ بمثله وأسأل نيلاً لا يجادُ بمثله
ويا ربّ يومٍ ما توارى نجومه ويا ربّ يومٍ ما توارى نجومه
وقال:

وقمت إلى اللوم الصفايا بمنصلي وقمت إلى اللوم الصفايا بمنصلي
وأنشدنا أبو القاسم، عن العقدي، عن أبي جعفر، لعبد العزيز بن زرارة^(٣):
قد عشتُ في الدهر أطواراً في طُرُق قد عشتُ في الدهر أطواراً في طُرُق
لا يملأ الأمرُ صدري قبل موقعه لا يملأ الأمرُ صدري قبل موقعه
فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا^(٦) فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا^(٦)
شنى فصادفتُ فيه اللينَ والقطعا شنى فصادفتُ فيه اللينَ والقطعا
ولا يضيقُ به دُرعي إذا وقعا ولا يضيقُ به دُرعي إذا وقعا

(١) القلي: الكراهية.

(٢) ديوانه: ١٧٠.

(٣) القري: أكرام الضيف. العفاة: طالبو العون. وفي الديوان: «وأضرب يوم».

(٤) في الديوان: «لا تورى».

(٥) الديوان: ٣٣.

(٦) الصفايا: جمع الصفية: الناقة كثيرة اللبن. المنصل: السيف.

(٧) عبد العزيز بن زرارة: قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية، كان فيمن غزا القسطنطينية، وأبلى في قتال

الروم البلاء العجيب. قُتل في إحدى الوقائع سنة ٥٠ هـ. (الأعلام: ١٧/٤).

كُلًّا لَبِسْتُ، فلا النعماء تُبْطِرنِي ولا تخشَعْتُ من لأوائها جَزَعًا
وسألني بعض أدباء البصرة فقال: ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه؟ فقلت: قول
الأَقِيلِ القيني^(١):

إذا لم أجد بُدًّا من الأمرِ خِلتني كأنَّ الذي يَأبى عليَّ يَسِيرُ
فقال: ما عدوت ما في نفسي.
ومثله قول أبي النشاش^(٢):

على أيِّ شيء يصعبُ الأمرُ قد ترى بعينك أن لا بدَّ أنك راكبه
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة. وقلت في معناه:

علامَ تَسْتَصعبُ الأمرَ رَ لا ترى منه بُدَّا
بادر وخلُّ الهوينا وجدُّ كيما تجدا
فلن تلاقِي جدًّا حتى تلاقِي كدًّا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول^(٣) جرير:

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا السيفُ أشوى وقعةً من لسانيا

وهي من قول^(٤) حسان:

ويبلغ ما لا يبلغُ السيفُ مِذودي

وقلت:

ولي لسانٌ إذا أطلقته عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وشعبانٍ
وقد نمتني أمجادُ جحاجةٍ من نجلٍ ساسانٍ تزهو نجلٍ ساسانٍ^(٥)
هم الكواكبُ في أطرافٍ داجيةٍ أو القنان على أثباج أعنانٍ^(٦)
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمينون إن منوا بإحسانٍ

وقلت:

من يكن صائلاً بمثلٍ لساني لم يضره أن لم يَصُلْ بسنانٍ
وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي، عن أبي جعفر، عن المدائني قال: قلت لرجل من جذام،
وأكثر من وصف ملوك الحيرة: لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد! فقال: لئن كان هؤلاء القوم نصروا

(١) الأَقِيلِ القيني: الأَقِيلِ بن نبهان بن خف من بني القَيْنِ بن جسر من قضاة، شاعر إسلامي، صرعه ناقته
فمات سنة ٨٥ هـ. (الأعلام: ٦/٢).

(٢) أبو النشاش: شاعر إسلامي من لصوص بني تميم أيام مروان بن الحكم.

(٣) ديوانه: ٥٠١.

(٤) ديوانه: ١٨٣.

(٥) جحاجة: جمع جحاجح: سيّد. بنو ساسان: أسرة حكمت بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي.

(٦) أثباج: جمع ثَبَج: وسط الشيء. أعنان السماء: صفائحها.

الدين، لقد نصر أولئك الكرم؛ ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام، لقد خص أولئك بالإنعام، ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد، لقد سبق لأولئك شرف هوباق على الأبد، ولو علا فعل هؤلاء على الهواء، لجازت مكارم أولئك أعنان السماء، ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مغدى ومآب؟ ومن جيد الافتخار قول مبشر بن هذيل^(١) الشمخي:

الم تعلمي يا عمرك الله أنني	كريمٌ على حين الكرام قليلٌ
وإني لا أخزي إذا قيل مُملقٌ	جوادٌ، وأخزي أن يُقالَ بخيلٌ
فإن لم يكن عظمي طويلاً فإنني	له بالخصال الصالحاتِ وصولٌ
وإن ألك قَصْداً في الرجالِ فإنني	إذا حلَّ أمرٌ سَاحتي لجليلٌ
إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم	بعارفةٍ حتى يُقالَ طويلٌ
ولا خيرَ في طولِ الجسمِ وعرضِها	إذا لم تَزُنْ طولَ الجسمِ عقولٌ
ولم أَرْ كالْمَعْرُوفِ، أمَّا مذاقهُ	فحلُّو، وأمَّا وجههُ فجميلٌ

وقلت:

غنايَ غنى نفسي، ومالي قناعتي	وكنزي آدابي وزبي عفايا
وفخري أسلامي وذخري أمانتي	وجندي أشعاري وسيفي لسانيا
ولي عزماتٌ كالسيوفِ قواضيا	إذا عَنَ خطبٌ والحتوفُ قواضيا
وتغشى صدورَ النائباتِ صدورُها	كما غشيتُ سُمُرَ العوالي التراقيا
ألا لا يذمُّ الدهرُ من كان عاجزاً	ولا يعذلُ الأقدارَ من كان دانيا
فمن لم تبلِّغهُ المعالي نفسُه	فغير جديرٍ أن ينالَ المعاليا

ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(٢):

ونحنُ العاصمون إذا أطعنا	ونحنُ العازمون إذا عصينا
ونحنُ التاركون لما سخطنا	ونحنُ الآخذون لما رضينا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في قوله:

أما ترينني أمامَ القومِ متبعاً	فقد أرى من وراء الخيل أتبعُ
يوماً أنيخُ فلا أدعى على نشبٍ	واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
لا تسألي القومَ عن حيِّ صحبتهم	ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا

وقال:

أميلُ مع الذمامِ على ابن عمي	وأقضي للصديقِ على الشقيقِ
------------------------------	---------------------------

(١) مبشر بن هذيل بن زافر الفزاري، شاعر، لعله جاهلي، اكتفى ثعلب بقوله: إنه أحد بني شمع ولد نضلة بن خمار. (الأعلام: ٢٧٣/٥).

(٢) عمرو بن كلثوم: أبو الأسود، شاعر جاهلي من اصحاب المعلقات، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه وهو فتي. مات سنة ٤٠ ق. هـ. (الأعلام: ٨٤/٥). والبيتان في المعلقات السبع: ١٣٠.

أفرق بين معروفني ومني وأجمع بين مالي والحقوق
فإما تلفني حراً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق
وهذا من قول الأول:
وإني لعبد الضيف مادام ثاوراً وما في إلا ذاك من شيمة العبد
وقال الآخر:

وعبد للصحابة غير عبد

وسمعت بعض الشيوخ يقول: أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر:
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضباً
قوله «أخاف عليكم أن أغضب» بليغ في الوعيد، وفي دلائل القدرة على ما يسوؤهم، قال
أبو هلال: هو لجريز فهدد فيه بالهجاء، ولو كان لمن يتمكن من القتل والاسر والنكاية لكان أفخر
بيت قيل.

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال: ذكر أعرابي قوما فقال: ما
نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وطئناه بأخامص أقدامنا، وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا. وقال أبو
دلف العجلي:

وكن على الدهر فارساً بطلاً	فإنما الدهر فارس بطل
لا بُدَّ للخيل أن تحول بنا	والخيل أرحامنا التي نصل
فمرةً باللجين ننقلها	ومرةً بالدماء تنتقل ^(١)
حتى ترى الموت تحت رايتنا	تطفأ نيرانها وتشتعل

(١) اللجين: الفضة.

الفصل الثالث من الباب الأول في التهاني

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً، وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو، الاعتذار، فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحري، فانه قد أجاد القول في صنوفه، وأحسن وأبلغ، ولم يذر لأحد مزيداً، حتى قال بعضهم: هو في هذا النوع النابغة الثاني. ولا أعرف للعرب شيئاً ينسب إلى التهاني، ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود في جملة المديح، مثل قول أبي الصلت الثقفي^(١) يذكر سيف بن ذي يزن^(٢) وإتيانه بالفرس ومحاربتة بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه، وهو قوله^(٣) بعد ذكر الفرس:

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محلاً
تلك المكارم لأقعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه:

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في شاذ مهر، ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هودة بن علي، وابن ذي يزن

ولست أختار من التهاني بالأعياد على أبيات أشجع^(٤) شيئاً:

لا زلت تنشر أعياداً وتطويها تمضي بها لك أيام وتشيهها
مستقبلاً غرة الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها^(٥)

(١) أبو الصلت: هو ابن أبي ربيعة بن عبد عوف... الثقفي. شاعر جاهلي. وهو والد الشاعر أمية بن أبي الصلت.

(٢) سيف بن ذي يزن: من ملوك العرب اليمانيين. حكم نحو ٢٥ سنة وقتل في صنعاء سنة ٥٠ ق. هـ. (الأعلام: ١٢٩/٣).

(٣) طبقات ابن سلام: ٢٦١/١. في الشعر والشعراء: ٣٧٢/١ «داراً منك». وفي الأغاني ٧٣/١٦.

(٤) هو الأشجع السلمي. والأبيات في الأغاني: ٢٤٦/١٨.

(٥) في الأغاني: «أيامنا لك لا تغنى وتغنيها». و«مستقبلاً زينة».

العيد والعيد والأيام بينهما
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت
وليهنك النصر والأيام مقبلة
أمت هرقله تدمي من جوانبها
إن الخليفة سيف لا يجردُه
ما قارع الدين والدنيا عدوهما
وقلت:

ما ليليالي والأيام منقبة
ربي يقيك ما تهوى على فرح
لألف فصل كهذا الفصل تبغ
ولا تزال لك الأيام موطاة

موصولة لك لا تفنى وتُفنيها
تطوي بك الدهر أياماً وتطويها^(١)
إليك بالفتح معقود نواصيها^(٢)
وناصر الملك والإسلام مُدَمِّها
إلا الذي يملك الدنيا وما فيها
بمثل هارون راعيه وراعيها^(٣)

غراء تسمو بها إلا مساعيك
كما يُلقيك ما تهوى ويعليك
باليمن والخير تبليه وينميك
تمضي قضايك منها في أمانيك

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهئة بالنوروز^(٤) قول هارون^(٥) بن علي
لعلي بن محمد الحواري:

علي يا ذا الجود والمعالي
يا من به نيطت عرى الآمال
جود بلا من ولا اعتلال
قابله النوروز بالإقبال
محروسة مأمونة الزوال
فليله أزهراً ذو اشتعال
وصحبه بالمال ذو انهمال
جری بماء

يا معدن الإنعام والإفضال
فحكم الآمال في الاموال
مبتداً يُغني عن السؤال
ونعم تأتي على اتصال
شبهك في تصرف الأحوال
كانه وجهك في الجمال
يحكي ندى كفك ذا الأسيال
وجرت بمال

ومنها:

قول غدا يوفي على الأقوال
فاشتبه الاجواد بالبُخال

كمثل ما توفي على الرجال
وعدت مسروراً رضى البال

(١) في الأغاني: «تطوي لك».

(٢) في الأغاني: «وليهنك الفتح» و«معقوداً».

(٣) في الأغاني:

ما روعي الدين والدنيا على قدم

(٤) النوروز: من أعياد الفرس.

(٥) هو هارون بن علي بن يحيى المنجم البغدادي، عالم بالأدب له تصانيف منها «كتاب النساء». مات سنة

٢٨٨ هـ. (الأعلام: ٦١/٨).

في نعمة ضافية الأذبال. بعزّ ذي العزة والجلال
وأخبرني بعض أصحابنا قال: كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن بلبل:
أنا وإن كنت في عدد الحشم والأتباع الذين يخرجون من تفضيل الخاصة، ويرتفعون عن
الدخول في جملة العامة، فإني في وسط القلادة منهم، وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم،
وهذا يوم من أيام الملوك السادة، الذين لم تزل تجري لهم السنة على عبيدهم وأصحابهم،
وقوادهم وكتابهم، بالإهداء إليهم وقبول ما أهدوه منهم، ليعرف مكان التشريف في مرتبته، من
مكان المنحط عن منزلته، وموضع النعم من المنعم عليه، في التقدم بقبول ما يهديه إليه، وكل
يهدي على قدر بضاعته ورتبته، ومقداره في نفسه وهمته، وعلى حسب موضعه من سيده ومالكة،
وما يحويه ملكه وتبلغه قدرته، وكرهت أن أمسك عن البر، فأخرج عن جملة العبيد والحشم،
وأهدي ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض، فجعلت هبتي مع الثقة بعزرك، والاعتماد
على تفضيلك وصفحك، أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك، والشناء عليك، أسأل الله تعالى أن
يقرنه بالإجابة فيك، كما قرن مدحي لك بالتصديق.

فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمة	تجددّها الأيام عندك والدهر
ولا زالت الأعياد تمضي وتنقضي	وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر
فإنك للدينا جمال وزينة	وإنك للأحرار زخر هو الذخر
رأيت الهدايا كلها دون قدره	وليس لشيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده	ولا بر إلا دونه ذلك البر
فأهديت من حلي المديح جواهرأ	منصلة يزهي بها النظم والنثر
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر	وتبهي بها الأيام ما اتصل العمر
شكرت لإسماعيل حسن بلائه	وأفضل ما تجزي به النعم الشكر

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هفان قال: دخلت على
سعيد بن حميد^(١) في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى إخوانه، فقرأت عليه كتابك وشعرك إلى
أبي الصقر^(٢) - يعني الكتاب والشعر الذي تقدم - فكتب وأنا حاضر إلى الحسن بن مخلد:

أيها السيد النجيب، عشت أطول الأعمار في زيادة من النعم، موصولة بقرائنها من الشكر،
لا تقضي حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى، ولا يمر بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله، مقصراً عما
بعده، قد تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم، والتمست
التأسي بهم في الإهداء إليك، وإن قصرت الحال عن الواجب لك، فرأيتني أن أهديت نفسي،

(١) سعيد بن حميد بن سعيد، أبو عثمان؛ كاتب مترسل من الشعراء قلده المستعين العباسي ديوان رسائله. توفي
سنة ٢٥٠ هـ. (الأعلام ٩٣/٣).

(٢) أبو الصقر هو الوزير إسماعيل بن بلبل.

فهي لك لاحظٌ فيها لغيرك، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي، فوجدتها منك، فكنت ان أهديت شيئاً كمهدي مالك إليك، ولم يزد على أن نبّه على نعمتك، واقتضى نفسه بشكرك، وفرغت إلى مودتي وشكري، فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين، وإني إن جعلتهما هديتي، لم أجدد لهذا اليوم براً ولا لطفاً، ولم أقس منزلة شكري بمنزلة من نعمتك، إلا كان الشكر مقصراً عن الحق، والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة؛ ولم أسلك سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك، إلا وجدت فضلك قد سبقني إليها، فقدم لك الحق وأحرز لك سبق، فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك تفي ما يجب لك، والعذر في العجز عن برك براً أتوصل به إليك:

إن أهد نفسي فهو مالها	وله أصون كرائم الذخر
أو أهد مالاً فهو واهبه	وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مُرتهن	بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغني إذا طلعت	أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه علي فقلت: أبا عثمان! الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها، قال: والساعة عملتها وليس بيننا حشمة.

ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها، ورسالة سعيد بن حميد أكثرهما معاني.

وأول من افتتح المكاتب في التهاني بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف، أهدى إلى المأمون سبط ذهب فيه قطعة عود هندي، في طوله وعرضه، وكتب معها: هذا يوم جرت فيه العادة بألطف العبيد السادة.

وقد قلت:

على العبد حقٌ فهو لا شك فاعله	وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله مالاً	وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يُهدى للجليل بقدره	لقصر عل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نُجله	وإن لم يكن في وسعنا ما يُشاكله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب الى ابن صالح بن يزداد:

النفس لك، والمال منك، والرجاء موقوف عليك، والأمر مصروف إليك، فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم؟ وهو يوم شملت فيه العدة للأتباع الأولياء. بإهداءهم إلى السادة العظماء، وكرهنا أن تحليه من سننه فنكون من المقصرين، أو ندعي أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا، فنكون من الكاذبين، فاقصرنا على هدية تقضي بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر، وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت:

لا زلت أيها السيد الكريم ، دائم السرور والعطية ، في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة ،
تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة ، فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم :
النفس لأمير المؤمنين والمال منه ، وليس فيما أوجب الحق نقیصة ، ولا على أحد فيه
غضاضة ، وباقيه من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلي بن عبيدة الريحاني لم
يزد سعيد بن حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هارون بن يحيى المنجم :
أمتع الله الأمير بما خوله ، واستقبل به من العمر اسره وأطولهُ ، وملأهُ من العز وأمدَّهُ وأكملهُ ،
وألبسه من الإنعام أسبغه وأجزله ، ومهد له من العيش أرغده وأفضلهُ ، وجمع له من الخبر آخره
وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عياد فصول في التهاني قليلة النظير ، منها ما كتب
بهنيء بالوزارة :

أنا أهنيء أطال الله بقاء سيدي الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ، وبلوغها في ظلّه ارادتها ،
وانحيازها إلى ذراه واضحة المجد والفخر ، وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر ،
واشكر له حسن أثره عليها ، وعطفه عنان الفكر إليها ، حتى قرت لديه قرارها ، وأثقت بيديه نارها ،
بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من استشراف أيادي النقص لها ، وخرج صدرها من تحدث احلاس
الجهل بها ، ولا غرو فهي وليدة ذراه ، قد آلت لا تخط خطته ، وعاهدت لا برحت ساحته ،
فالحمد لله الذي أقر عين الفضل ، ووطأ مهاد المجد ، وترك الحساد يتعثرون في ذيول الخيبة ،
ويتسقطون في فضول الحسرة ، حمداً يديم أيام مولانا ويطل بقاءه ، ويحرس عزه وينصر لواءه ،
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر إلى من وليه بحقين : قديم
وحديث ، وبفضلين : مكتسب وموروث .

وكتب :

الأستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ، ويدوم زهره من حيث يتعجل
ثمره ، لا زالت الأيام مسعودة بقرعها إلى إنفاذ وتقديره ، والأزمان محسودة بانحيازها إلى إمضائه
وتدبيره ، فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عِنايه في يديه ، ومثوله من جملة العبيد لديه ، لا
زال أمراً ناهياً ، سامياً عالياً ، تنهأ الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض
إحسانه .

وكتب :

الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام ، وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز إليه ، معتز بما
لديه ، فغيثه مثبته بكفه ، واعتداله مضاهٍ لخلقه ، وزهره موازٍ لنشره ، وان تسعد به سعادات لا يبلغ
حدها ولا يحصر عدها ، وهو - أطال الله بقاءه - يحظر المهاداة بما يحضر ، ما خلا الكتب التي لا

يترفع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير، لا زال جنباً موروداً بالعلم، ومتحملاً عنه بالغنم.
ومثله ما كتب:

قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حله التي استعارها من شيمته، ومبدياً حُليه التي أخذها
من سجيته، ومستصبحاً من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه، ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده
وإنعامه، مؤكداً الوعد بطول بقاءه، حتى يتحلى العمر، ويستغرق الدهر، ويستكمل من الرتب
أعلاها، ويحل من المنازل أسماها، ويرى السادة الفتيان قد اقتفروا سعيه واقتفوا هديه، وأسعده
سعادة تستوفي معها الهممة، وما ترتقي إليه، والأمل وما يشرف عليه.
وكتب:

أما بعد تهناء سيدي الموهبة التي ساقها إليه ومدّ رواقها عليه، إذ كانت من عقائل
المواهب، مسفرة عن خصائص المراتب، وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض،
وولي البسط والقبض، ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين، أدام الله سلطانه وأيد أعوانه، مكنوفة
بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتنائه، وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه، ونصر أعلامه،
وحلت من سيدي محل الإيجاب والاستيجاب، والاستحقاق دون الاتفاق، فعرفه الله ميامن أغزر
شريعة بأشرف ذريعة، وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة.

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة، وقد ولد له ابنان توأمان:

وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة، وامتنعت العارفة فيها أن
تسنح موحدة، حتى تيسرت منحتان في موطن، وانتظمت موهبتان في قرن، وطلع من النجيبين
أبي القاسم وأبي كالجار، أدام الله عزهما، طالعا ملك، ونجما سعد، وشهابا عز، وكوكبا مجد،
فتأملت بهما رباع المحاسن، ووطئت لهما أكتاف المكارم، واستشرفت إليهما صدور الأسرة
والمناير، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة، ودعا الأمانى فأجابته
مصحبة، وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد، واكتفني من السرور ما فسخ
مناهج الغبطة، وسهل موارد وسعت ما ورد اتساعه، شرحت صدور الأولياء بمسارها، وأزعجت
قلوب الأعداء عن مقارها، وسألت الله اتمام ما أدناه من الأميرين السيدين من سعادة لا يهتدي
إليها الاختيار علواً، ولا ترتقي إليها الأفكار سمواً، وسلطان تضيق البحار عن اتساعه، وتنخفض
الأفلاك عن ارتفاعه، وتبلغهما أفضل ما تقسمه السعود وتعلو به الجدد، حتى يستغرقا مع
السابقين أخويهما مساعي الفضل، ويشيدا قواعد الفخر، ويرحما صروف الدهر، ويغبطا أطراف
الأرض، وهو تعالى قريب مجيب.

وله تهنئة بتجدد رتبة:

وصل كتاب الأستاذ من الحضرة البهية، يشير أن آنسها الله وحرسها بذكر ما لقاها كرم مولانا
ورقاه إليه من مراتب تشريف لا تكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها، ولا تتسع الخواطر

لالتماسها واقتضاها، فحمدت الله وليّ الحمد والشكر، وأخذت بالحظ من قوة القلب وانشراح الصدر، وسألته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن، والسلطان القاطن، ويعرف الاستاذ بركة ما درعه من شرف لا يرحل مقيم، ولا يتخيف عميمه، إنه فعّال لما يريد.

وكتب في تهنئة بالسلامة من الغرق:

لولا أن الله تعالى، عز اسمه، حماني عن سماع المكروه إلا في ضمان المحبوب، حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور، لما وجدت في التماسك به بصيرة، ولا من ترك التهلك ذخيرة، إلا أن لطف الله وعطفه عجلًا إلي خبر البشري، فانتفت الروعة قبل استقرارها، وانتقلت الوحشة قبل استمرارها، فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين، أفضل ما قوبلت به النعم، وشكرت الرغائب والقسم.

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتر يقول فيها^(١):

يا كاليء الإسلام في غفلاته	ومقيم نهجي حجه وجهاده ^(٢)
يهنيك في المعتر بشري بينت	فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا	بعلو همته ووزي زناده ^(٣)
وبقيت حتى تستضيء برأيه	وترى الكهول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة لمولود:

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
عالي المحلة لا يسزال كأنه	للعز قرن والسماك نديم ^(٤)
فلأمره التميم، كيف تصرف	حالاته، ولشأنه التفخيم
فأبشر، فقد وافاك يوم رزقه	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنمائه	حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	ويهد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتوير الرياض، وتحت	خلق لمحسود الرياح وخيم
فلأهله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عميم
فأقر به عيناً فإن خلاله	تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) ديوان البحتري: ٤٤/١ ع.

(٢) كاليء: حافظ.

(٣) في الديوان: «تمت لك النعماء فيه ممتعا». وزى الزناد: اشعال النار.

(٤) القرن: المثل. والسماك: ما سمي به الشيء، والسماء.

ولحده التصميم حين تلاحقت أفرانه ولشأوه التقديس

ومن أعجب ما جاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال : قيل للرشيذ : إن عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه ، فأنكر الرشيذ ذلك وقال : بل هو طبع فيه ، حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك ، فقال للفضل : قل له : ولد لأمر المؤمنين في هذه الليلة ابن ، ومات له ابن ، ففعل الفضل ذلك ، فدنا عبد الملك فقال : يا أمر المؤمنين ! سرَّك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرَّك ، وجعلها واحدة بواحدة : ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيذ : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام ؟ ما رأى الناس أطيع من عبد الملك في الفصاحة ؟

وقلت في تهئة بمولود :

عما يعيبُ الورى نزيه	فاستقبل الخير في نجيب
يملك أبصار ناظريه	شمس نهار ، وبدر ليل
كشف عن وجهه الوجيه	يملاها بهجة إذا ما
تكثر علات عائبه	رزقته كاملاً سوياً
يقرب من كف مجتنيه	جنى لذيذ المذاق خلوا
يشقى به جد كاشحيه	وعن قليل يصير شهما
حتى ترى الشيب من بنيه	ألا فعش في ضمان خير

وقلت في تهئة بأملاك^(١) :

فإنك قد فصلت بالتبر جوهر	تجلى لك الأملاك عما تحبه
وطيئرت في الأفق نشراً معطراً	فصيرته للدهر عقداً مفصلاً
ومكروهة شطت ، وصعباً تيسرا	هو اليمن لم يعدكم محبوبة دنت ،

ومن عجائب المعاني تهئة لأبي اسحاق الصابىء مشوبة بالعقد لرجل زواج أمه :

قد جعلك الله ، وله الحمد ، من أهل التحصيل والرأي الأصيل ، وخلوص اليقين ، فكما أنك لا تتبع الشهوة في محذور تحله ، فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ، ويأوي إلينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها امتاعك - وبين فلان ، ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ، ومشقة فيها تجشمتها^(٢) ، وإنك قد جدعت أنف الغيرة لها ، وأضرعت خد الحمية فيها ، وأسخطت نفسك براضائها ، وعصيت هواك لرأيها ، فنحن نعزيك على فائت مرادك ، ونسأل الله الخيرة لك ، وإن يجعلها أبداً معك ، فيما شئت وأتيت ، وتعجبت وأنبت ، والسلام .

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : جدعت أنفي الغيرة ، من قول رسول الله ﷺ ، وقد

(١) الاملاك : الزواج .

(٢) تجشمت : تحمّل .

رأى علياً وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال: «جدع الحلال أنف الغيرة».

وهنا بعضهم بخروج الحية. وهو أبو نصر بن هبة الله:

الحمد لله الذي له عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها، والطبقات التي ينتقلون بينها، والمراتب التي يندرجون عليها لطائف من حكمه، وفوائد من نعمه، توافق مصالحهم وتطابق حوائجهم في تصارييف نشوهم، الطفولية والإيفاع^(١)، والشبية والاجتماع، والبلوغ والاكتهال، والانتهاء والكمال، وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود، وسن من الأسنان، قدراً من الأسر والقوة، وصنفاً من اللون والصورة، ومسافة في السعي والهمة، وغاية في الطلب والبغية، يكون به قوام عيشه وسداد أمره، محطوطاً من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يعطاها، قبل بلوغ أدواته منتهاها، يناقص سائرته وينافي نظائره، فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته، ويظهر بالنقصان في الناقص آفته، حتى إذا تعالى في المراتب أمد النهاية، وتوافت إليه أقسامه في الكفاية، كمل الله إحسانه إليه، وأتم إنعامه عليه، والله المنة والفضل، وبه القوة والحول، الحمد لله الذي كساك باللحية حلة الوقار، ورداك بها رداء الأبرار، وصانك عن ميسم الصبا، ومطالع أهل الهوى، ما جلك من الهيئة البهية، وألبسك من لباس ذوي اللب والروية، وألحقك في متصرفاتك بمن يستقبل بنفسه ساعياً، ويستغني عنن يصحبه حافظاً، وجعلك بما جمل من صورتك، وكمل من اداتك وآلتك، قرناً لمن جاذبك، وخصماً لمن نازعك، ونفى عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والأخطار، تستوي معهم في المجالس الحافلة، وتجري مجراهم في المشاهد الجامعة، مسموعاً قولك إذا قلت، مصغياً لك إذا نطقت، آمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك، ونبو الاستماع من حديثك لقلّة الثقة بسدادك، وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة، إلى أن تكشف مخابرك بالمحنة، وتعطي المهابة من الذاعر العادي، ومن السبع الضاري، إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه كل واحد منكما من رفد يمدّه، وناصر يؤيده، يملكه الاشفاق من صاحبه، ويقطعه من مواله إليه، من ترك إبقائه في السطوة عليه، ولو كان عارياً من هذه الكسوة الشريفة، والحلية النفسية، لسبقت إليه بالازدراء الأعين، وبالاستصغار القلوب والألسن، وبالطمع أصناف الحيوان، من البهيمة والإنسان، ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها، ولا من حريمه قدرة على ما يدها منها، وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها في جمال غشاك، وكمال أنك، فليصدق بها اعترافك وشكرك، وليحسن ثناؤك ونشرك، قضاء لحق الله عليك، واستدراراً للمزيد في إحسانه إليك.

وكتب صاحب تهنئة بتزوج أم وتعزية بموت أب:

الأيام - أطال الله بقاءك - تجري على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة، وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر، وينفع ويضر، وبلغني من نفوذ قضاء الله في شيخك، رحمه الله تعالى، ما

(١) الإيفاع: الفتوة.

أزعجني ، وأبهم طرق السلوة دوني ، وإن كان من خلفك غير خارج عن رؤية الأحياء ، ولا حاصل في زمرة الأموات ، والله يأسو كَلَمَك ، ويسد ثلمك ، وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك ، بعد أبيك أباً ، لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً ، وإيثاراً لك وبرا ، وقد - لعمرى - وفقت حين وصلت بحبلك حبله ، وأسكنت الكبيرة - حرسها الله - ظله ، لثلا تفقد من الماضي ، عفا الله عنه ، إلا شخصه ، فالحمد لله الذي أرشدك لما يعيد الشمل مجتمعاً بعد فراقه ، والعدد موفوراً بعد انتقاصه ، حمداً يقضي لك بالمسرة ، ويحسم دونك مواد الوحشة ، ويلقيك ثواب ما قضيته من الحق ، وتحملته فيه من الأرق ، إنه فعّال لما يريد .

وكتب تهنئة بقدوم :

قد جدد الله ، وله الحمد ، جمال الدنيا وضاعف بهاءها ، وزادها محاسن ترفل في حللها وتبختر في حلبيها ، واكتنفها بميامن يمرع جنبها ويفتح بالخيرات أبوابها ، ما استأنف - جل اسمه - من النعمة الشاملة ، والمنة الكاملة ، في تقريب ركاب مولانا - أطال الله بقاءه - وكبت أعداءه وكب حساده ، وزادهم رغباً بزيادته تعالى إياه ، نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ، ما اختلف العَصْران وتعاقب النيران ، واستقبل به في وفدته ما ينقاد له أقصر الأبيار ، ويحتوي عليه أربعة غايات الاختيار ، بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، حمداً لا يبلغ نداءه، ولا يفصل أخراه من أولاه، حتى يستغرق نعمه، ويستوفي فواضله وقسمه، وأني ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية، وممدودة إلى غير نهاية، لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها، وترادف نظائره من جماعتها، والحمد لله الذي أعطى كثيراً، وقبل من الشكر قليلاً، وأوجب به مزيداً، والصلاة على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني كتاب المبالغة

في أوصاف خصال الإنسان المحمودة من: الجود والشجاعة، والعلم والحلم،
والحزم والعقل، وما يجري مع ذلك

سمعت الشيوخ، رحمهم الله تعالى، يقولون: أجود بيت قالته العرب قول مسلم ابن الوليد:

يجودُ بالنفس إن ضَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة^(١):

تجودُ بنفس، لا يُجادُ بمثلها فأنتَ بها، يومَ اللقاء، خصيبُ
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني: من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند
العتاء، فقد جاد بنفسه كليهما. وقال أعرابي: من جاد بماله، فقد جاد بنفسه وإن لا يكن جاد
بها، فقد جاد بقولمها.

(١) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة التميمي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. كان معاصراً لامرئ القيس. مات سنة ٢٠ ق. هـ. (الأعلام: ٤/٢٤٧).

وقال^(١) علي بن الجهم:

طلبت هدية لك باحتيالي على ما كان من حسي وبسي
فلما لم أجد شيئاً نفيساً يكون هدية، أهديت نفسي

وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية:

لا أعلم بمنزلة توحشه من الأمير، أعزه الله، ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه، وفي الطاعة له كيده، وفي المودة له كنفه، وفي الخاصة كأحد أهله، وإنما أطفه من ماله، وقد بعثت إليه ما يصلح ليومه، وأهديت له نفسي التي هي لبذله وخدمته.

وقال^(٢) أبو تمام:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليترك الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس: قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف الهدية فقال:
أهديت نفسي، فقال خلف:

أتانا أخ من غيبة كان غابها وكنت إذا ما غاب أنشده الركب
فقلت له: هل جئنا بهدية؟ فقال: بنفسي. قلت: انحفت
هي النفس لا آسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حييت لها قربا
إذا هي وافت من ثمانين قامة فلا السهل لقاها الآلة ولا الرحبا^(٣)
وقالوا: قول مروان بن أبي حفصة:

كأنه حين يعطي المال يغنمه

أجود من قول^(٤) زهير:

كأنك معطيه الذي أنت سائله

لأن للغنيمة حلاوة ليست للعطية.

وأجود ما قيل عندي قول^(٤) أبي العتاهية:

لو قيل للعباس: يا بن محمد قل: «لا»، وأنت مخلد، ما قالها

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، حدثنا الحسن بن الحسن الأزدي، حدثنا محمد بن

حبيب، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم بن المعلی، عن ابن حبيب قال:

قال^(٥) أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد:

لو قيل للعباس: يا بن محمد قل: «لا»، وأنت مخلد، ما قالها

(١) ديوانه: ١٥٠.

(٢) ديوانه: ٢٠٥. وفيه: «غير روجه».

(٣) قامة: مصدر قام، ويكون للمرّة الواحدة.

(٤) ديوانه: ٦٨.

(٥) ليس في ديوانه بل في الأغاني: ٣٤/٤.

إن السماحة لم تزل معقولة
وإذا المولى تسيرت في بلدة
فلم يشبه فقال^(١):

هزرتك هزة السيف المحلّي
فهبها مدحة ذهب ضياعاً
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال: والله لأجهدن في حنقه، قال: فمر أبو العتاهية

بإسحاق بن العباس، فقال له إسحاق: أنشدني شيئاً من شعرك.
فأنشده^(٢):

ألا أيها الطالب المستغيث
ألا تسأل الله من فضله
إذا جئت أفضلهم للسؤال
كأنك من خشية للسؤال
ففر إلى الله، من لؤمهم
وإني أرى الناس قد أبرقوا
بمن لا يفيد ولا يرفد
فإن عطاياه لا تنفد
رد وأحشاؤه ترعد
في عينه الحية الأسود
فأني أرى الناس قد أصلدوا
بلؤم الفعال، وقد أرعدوا

ثم مضى، فقبل لإسحاق، ما هذا الشعر إلا في أبيك! فقال إسحاق: أولى له أن عرض
نفسه، وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته. ومثل قوله:

كذبت عليك فيها وافتريت

قول علي بن جبلة، وقال له أبو دلف: إنك تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو، فقال:
الهدم أيسر من البناء، ثم قال^(٣):

أبو دلف كالطبل يذهب صوته
أبا دلف يا أكذب الناس كلهم
وبالطنه خلو من الخير أخرب
سواي فأني في مديحك أكذب
وأخذ البحري قوله:

كانوا كوا كنها وكنت هلالها

فقال^(٤) في المتوكل:

إذا غبت عن أرض، ويممت غيرها،
غدث بك آفاق البلاد خصيبة
فقد غاب عنها شمسها، وهلالها
وهل تمحل الدنيا وأنت ثمالها؟^(٥)

(١) ليسا في ديوانه.

(٢) ديوانه: ٧٨.

(٣) الزهرة: ٧٨١/٢.

(٤) ديوانه: ٢٥٢/١ ع.

(٥) ثمال القوم: الذي يقوم على أمورهم.

فأما قوله :

كأنك من خشيةٍ للسؤال
فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهٌ ليل مظلم
وأخوك محتملٌ عليك ضغينة
والضيفُ عندك مثل أسودٍ سالخٍ

ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الإنفاق ومجانبة الإمساك، قول ديك الجن :

قالوا: السلامُ عليك يا أطلالُ
عاج الشقيِّ مراده دَمَن البلى
لأنادَمَنَّ الرَّاحَ - وهي زُلال
ولأتركن حليلها وبقلبه
وليشفين حبي فمٌ وحنى يدُ
ماذا الغنى والبخل مالكَ من غنى
أطلقْ يديكَ فإن بين يديكَ ما
قد تسلم الأوكالُ وهي مواكِلُ
ورجالُ هذي النائباتِ وإن رَأُوا

وقلت :

ولم يكن لك مالٌ يوم تكسيه
تحبُّ من أجله الدنيا وتورثها
سترتُهُ عن عيون الناس كلهم
إن لم تكرر إليه في نوائبه

وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصالُ امرئ
فليس على الجودِ والمكرماتِ
هو المالُ إن أنت لم تخترب

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة، على حسب ما مدح الله تعالى به الأنصار، فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٢).

(١) ماء سلسال : جازٍ.

(٢) سورة الحشر آية ٩.

وأجود ما قيل قول عروة بن الورد^(١) :

فلا تشتمني يا بنَ ورد فلأنني تعودُ على مالي الحقوق والعوائدُ
ومن يؤثر الحقَّ النؤوبَ يكن به خصاصةً جسم وهو طَيَّانٌ ماجد^(٢)
وقال عبد الملك بن مروان : ما ودِدْتُ أن أحداً من العرب ولدني إلا قاتل هذه الأبيات .
ومن جيد ما قيل في الإيثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٣) ، كتبه
عبيد الله بن سليمان^(٤) حين ولي الوزارة :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن تُحبُّ ونكرمُ
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودَّعْ أمرنا ، إنَّ المهمَّ المقدمُ
وهذا غاية لأنه جعل أمر الممدوح أهمَّ له من نفسه وإصلاح شأنه .
ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول^(٥) البحري :

سحابٌ عداني جوذُه وهو هامرٌ وبحرٌ خطاني فيضُه وهو مفعمٌ
وبرقٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلي منه أسودٌ مظلمٌ
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهْ هِمَمٌ لَا مُنتَهَى لِكِبَارِهَا وهِمَّتُهُ الصَغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهْ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبِرِّ كَانَ الْبِرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ^(٦)

أخذه المتنبي^(٧) فقال وقصر :

تجمعتُ في فؤاده هممٌ ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها
وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر ، وجعل المتنبي إحدى
هممه ملء فؤاد الزمان ، فإذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .
ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى ، فتطأطأ في طاق

(١) عروة بن الورد بن زيد العبسي الغطفاني ، من شعراء الجاهلية من الفرسان الصعاليك وهو رئيسهم . مات سنة ٣٠ ق . هـ . (الأعلام : ٢٢٧/٤) .

(٢) الخصاصة : الفقر . رجل طَيَّانٌ : جائع . والبيتان ليسان في ديوانه .

(٣) هو الأمير أبو أحمد ، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه محمد . ثم استقل بها بعد موته ، كان رئيساً جليلاً ، وشاعراً محسناً ومترسلاً بليغاً ، له تصانيف منها كتاب «الاشارة» في اخبار الشعراء . مات سنة ٣٠٠ هـ . (سير اعلام النبلاء : ٦٢/١٤) .

(٤) هو الكاتب الوزير ايام المعتمد والمعتضد ، عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي ابو القاسم . مات سنة ٢٨٨ هـ . (الأعلام : ١٩٤/٤) .

(٥) ديوانه : ٦٨/١ عـ .

(٦) معشار الشيء عُشره .

(٧) المتنبي : شاعر زمانه ابو الطيب ، احمد بن الحسين الجعفي . قُتل سنة ٣٥٤ هـ . والبيت في ديوانه : ٢٧٧/٤ .

رفيع من طيقان قصره، وجلس فدفعت إليه مخدة، فجعلها على رأسه وكسرى يرمقه، فلما سأل سيف حاجته قيل له: إن الملك قد رأى منك خلتين عجبتين: وضع المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها، وتطأوك في الطاق الرفيع. فقال: أما المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي، وأما تطأطي في الطاق الكبير فإن همتي أكبر منه. فاستحسن كلامه وضم إليه جيشاً أزاح بهم الجبشة عن بلده:

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة، قول علي بن محمد البصري:

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمّتي أكبرُ من قلبي
فاستخر الله وخذْ مُرهفاً وافتك بأهلِ الشرق والغربِ
ولا تمت إن حضرت ميتةً حتى تمتِ السيفُ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول (١) أبي تمام:

رأى ابنُ دهرٍ عرقاً في خيله أعلمُ منه بِحُذاءِ ابليه
قد لعبت أيدي النوى بشمليه ممتعاً مُضطجعاً بحمله
مُنصلياً كالسيفِ عند سلّه مولودةً همّته من قبله
قد دان ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحله
إلاً بأن يسكنَ تحت ظليهِ

وقال (٢):

هِمَّةٌ تَنطَحُ النجومَ وجدُّ آلفٌ للحضيضِ فهو حَضِيضُ
أبلغ ما قيل في يَمَنِ النقيية قول (٣) الأعشى:

ولو رُحِتْ في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبعٍ لأوريت نارا
الحصاة مع النبع لا تورى، قال: فأنت من يَمَنِ نقييتك لو قدحت بهما لأوريت.

وقال بعض الأعراب:

يذكّرني سعداً دعاءً بالقرى لو أشرفَ القومُ على أرضِ العدى
واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى
من غير دلوٍ ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً:

وقلت:

ليس للعينِ وراءَ شأوه إلى العلى والمكرُماتِ مُطرَحُ

(١) الأبيات ليست في الديوان.

(٢) ديوانه: ١٦٠.

(٣) ديوانه: ٥٣. وفيه: «ولورُمت في ليلة...».

قد شَحَّ بالعرض وجاد باللهي
فإذا همَّ بأمرٍ نالَه
فحوى المجد بما جاد وشَحَّ^(١)
فسواء جَدَّ فيه أو مَزَحَ
وقلت:

إذا ما بدت فينا عطاياء عقت
ولما يقرره تقلب دهره
وكم بادىء للمزن غير معقب
فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنوله المطلوب حتى كأنما
يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم:
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي
فنى غير مفراح إذا الخيرُ مسه
أيادي لم تُمنن وإن هي جلَّتْ
ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زَلَّتْ
رأى خلتي من حيث يُحفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلَّتْ
قوله: «قذى عينيه» لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام، لأن الانسان، إذا قذيت عينه،
صرف الهمة إلى تقذيتها من غير اشتغال بشيء غيرها، وهو على قوله: «من حيث يخفي مكانها»
أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة.

ومما هو في هذه الطريقة قول^(٢) أمية بن أبي الصلت.
إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت
كأنني أنا المطروقُ دونك بالذي
لشكواك إلا ساهراً أتململُ
طُرقتَ به دوني فعيني تهملُ
وقالوا: أشجع بيت قالته العرب، قول عباس بن مرداس السلمي^(٣):
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي
أحتفي كان فيها أم سواها^(٤)
قالوا: أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم، فمن الثلاثة عنترة^(٥) في
قوله:

فإذا شربتُ، فإنني مستهلكُ
وإذا صحتُ فما أقصّر عن ندي
مالي، وعرضي وافر لم يكلم
وكما علمت شمائي وتكرمي
وخليل غانية تركتُ مجدلاً
تمكو فريضته كشدق الأعلم^(٦)

(١) اللهى: جمع اللهية: المبلغ من المال.

(٢) الأغاني: ١٣٠/٤.

(٣) أبو الهيثم، شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة عاش بين الجاهلية والاسلام له صحة. مات سنة ١٨ هـ. (الأعلام: ٢٦٧/٣).

(٤) البيت في ديوانه: ١٦٢. وفي (عيون الأخبار: ١٩٤/٢).

(٥) عنترة بن شداد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية من شعراء الطبقة الأولى، وكان عزيز النفس، أحب ابنة عمه عبلة وذكرها كثيراً. قتله الأسد الرهيص سنة ٢٢ ق. هـ. (الأعلام: ٩١/٥). والأبيات في ديوانه: ١٢.

(٦) خليل غانية: صاحب حسناء. مجدل: صريع. تمكو: تحك وتضطرب. الأعلم: الفرس.

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا بَنَةَ مَالِكٍ
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي
وَمُدَجَّجٌ كَرَهُ الْكُمَاةَ نِزَالَهُ
سَبَقْتُ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
نَبِثْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي
ثُمَّ قَالَ :

إِذْ يَتَقَوْنَ بِي الْأَسْنَةُ لَمْ أَحْمِ
قَالُوا : فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَقَفَ وَلَمْ يَقْدَمْ ، وَاعْتَذَرَ بِتَضَاقُقِ الْمَقْدَمِ . وَكَانَ عِنْتَرَةً هَجِينًا ، أُمُّهُ أُمَّةٌ
فَاسْتَعْبَدَهُ أَبُوهُ ، وَهَذِهِ كَانَتْ الْعَرَبُ عَادَتَهَا فِي الْهَجَنَاءِ ، فَكَانَ يَرْعَى ثُمَّ اتَّخَذَ سِلَاحًا وَصَنَعَ مَهْرًا
فَأَغَارَتْ طِيءٌ عَلَى عَبَسَ فَسَبُّوا أَهْلَهُ وَجِيرَانَهُ ، فَركب مهره واتبع القوم ثم جنبهم حتى أتى من
أمامهم ، فَمَا زَالَ يَطْعَنُ فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ثُمَّ عَمَهُ وَابْنَتَهُ عِبْلَةَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا
انصرف بأهلي وأترك جيرياني ، فَكَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَردوا عليه جيرانه ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُ
أَبُوهُ وَعَمُهُ : كَرُّ ، فَيَقُولُ : لَا يَحْسُنُ الْعَبْدُ الْكُرَّ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ الْحَلْبُ وَالصَّرُّ ، يَقْرَعُهُمْ بِذَلِكَ إِذَا
كَانُوا قَدْ اسْتَعْبَدُوهُ ، فَاسْتَلْحَقَهُ أَبُوهُ يَوْمَئِذٍ ، وَزَوْجُهُ عَمَهُ عِبْلَةُ ابْنَتُهُ ، وَكَانَ عِنْتَرَةً يَسْمَى الْفُلَحَاءُ
وَكَانَتْ أُمُّهُ حَبْشِيَّةً تَسْمَى زَبِيَّةً ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا سَمِعْتُ بِأَعْرَابِي فَاشْتَهَيْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عِنْتَرَةً » .
وَالْآخِرُ قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرُبُ (٣) فِي قَوْلِهِ :

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رَجُلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُورُ
وَلَقَدْ أَعْطَفْتُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرُ
كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خَلَقَ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرُّوعِ جَدِيرُ

فَقَالَ : « وَإِنِّي لَفَرُورٌ » . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ : إِنَّمَا هُوَ « لَقُرُورٌ » بِالْقَافِ لِأَنَّ الشَّجَاعَ لَا
يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِالْفَرَارِ سِيمَا بِالْفَلْظِ الْبَلِيغِ مِنْ فَرُورٍ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ :
« كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خَلَقَ » .

عَلَى أَنَّهُ ذَكَرَ حَالَ فَرَارٍ ، وَحَالَ ثَبَاتٍ . فَحَالَ الثَّبَاتِ قَوْلُهُ :

« وَلَقَدْ أَجْمَعُ رَجُلِي بِهَا » .

وَالْحَالُ الْآخَرُ حَالُ الْفَرَارِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَحْزَمَ . وَلَوْ ذَكَرْنَا حَالًا وَاحِدَةً لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَقُولَ :
« كُلُّ مَا لَكَ مِنِّي خَلَقَ » .

(١) ابنة مالك : عبله .

(٢) الكمأة : جمع الكمي : المحارب المدجج بالسلاح .

(٣) هو فارس اليمن ، عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ، أسلم وشهد اليرموك والقادسية ، شعره
جيد . مات سنة ٢١ هـ . (الأعلام : ٨٦/٥) . والأبيات مع ترجمته في (الشعر والشعراء : ٢٩١/١) .

وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات، وفراره ساعة الفرار، وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة، إنما ذلك هوج، والشجاعة أن يتقدم، وغالب ظنه أن يظفر، فأما أنه إذا علم أنه إذا أقدم هلك، ثم أقدم، فإن ذلك جنون؛ لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك، وإنما الشأن في أن يحمد غب إقدامه. وفي قريب من ذلك قوله:

فجاشت إليّ النفس أول مرة فردّت على مكروهاها فاستقرّت

فما جاشت نفسه إلا وجبن، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل: إنه ممن يصدق عن نفسه، على أنه ربما كذب الكذبة الصلعاء.

وروى لنا أبو أحمد عن العشمي، عن المبرد، وعن غيره، قال: وقف عمرو بن معد يكرب وخالد بن الصقعب النهدي في جماعة بالكُنَاسَة يتحدثون، فقال عمرو: أغرنا مرة على بني نهد، فخرجوا مستر عفين بخالد^(١) بن الصقعب، فحملت عليه، فطعنته فأرديته، ثم ملت عليه بالصمصامة، فأخذت رأسه، فقال خالد: حلاً أبا ثور! فان قتيك هو المحدث. فقال عمرو: يا هذا! إذا حدثت فاسمع، فانما نرهب هؤلاء المعدية. مستر عفين أي متقدمين، وقوله: حلاً أبا ثور! أي قل إن شاء الله. ويقال: حلف ولم يتحلل، أي لم يستثن.

ويروى عن العرب كذب كثير، فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن، ويكلمون الغيلان والسَّعالي، حتى زعم تأبط^(٢) شراً أنه طلب نكاح السعلاة في قوله:

وادهم قد جبت جلبابه فيا جارتا أنت ما أهولا
فطالبتها بضعها فانثنت بوجه تهوّل واستغولا
وكنت إذا ما هممت اعتزمت وأحرى إذا قلت أن أفعلا^(٣)

وقال آخر:

أخو قفّراتِ حالفَ الجنّ واتقى من الانسِ حتى ما تقضتِ رسائلهُ
له نسبُ الإنسيّ يعرفُ نحله وللجنّ منه خلقُهُ وشمائلهُ
وقال عبيد بن أيوب^(٤):

(١) ابن الصقعب: خالد بن الصقعب النهدي، شاعر من الفرسان، من اشراف الكوفة في صدر الاسلام. مات بعد سنة ٢٠ هـ. (الأعلام: ٢/٢٩٧).

(٢) تأبط شراً: هو ثابت بن عمسل او ابن جابر. كان شاعراً بئساً من الصعاليك. قُتل وهو يغزو. ترجمته مع الأبيات في (الشعر والشعراء: ١/٢٣٠) وفيه:

فأصبحت والغول لي جارةً فياجارتا أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت بوجه تهوّل فاستغولا

(٣) في الشعر والشعراء: ١/٢٣١: «وأحرى إذا...».

(٤) عبيد بن أيوب العنبري، ابو المطراب، شاعر من شعراء العصر الأموي كان لصاً حاذقاً، هرب من السلطان وصحب الوحوش في الفلوات وذكر ذلك في اشعاره. (الأعلام: ٤/١٨٨). والبيت في (الحيوان للجاحظ: ٤/٤٨٢).

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر خائف متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعي أن له شيطاناً يعلمه الشعر، منهم الفرزدق كان يكنى شيطانه
أبا لبني، وذكر أنه ذهب إلى جبل فناداه، فجاء مثل الذباب، فدخل في حلقه، فقال قصيدته التي
أولها:

عزفت بأعشاشٍ وما كنت تعزف

وقال أبو النجم^(١):

وجدت كل شاعرٍ من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة^(٢) صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة. ورووا أن لقمان بن
عاد^(٣) لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والأنثى، والذر إذا دب على الصفا في الليلة
الظلماء.

وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت قط! قال: هذه كذبة أشهد بها عليك.
وسأل الحجاج قاصاً عن اسم بقرة بني إسرائيل، قال: حنمة. فقال له رجل من أولاد أبي
موسى الأشعري: في أي كتاب وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص.

ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية، فقال: اسمع أبياتاً قلتها:
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيئه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
ثم دخل معن بن أوس^(٤) المزني فأنشد:

لعمرك ما أدري وإنني لأوجل^(٥)

حتى صار إلى البيت، فقال معاوية: ما هذا يا أبا بكر؟ فقال: أنا أصلحت المعاني، وهو
ألف الكلام، وهو بعد ابن ظفري، وما قال من شيء فهو لي. وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في
مزينة.

(١) أبو النجم: هو الفضل بن قدام العجلي، راجز، حسن الانشاد للشعر، كان يحضر مجالس عبد الملك بن
مروان. مات سنة ١٣٠ هـ. (الأعلام: ١٥١/٥). البيت مع ترجمته في (الشعر والشعراء: ٥٠٢/٢).
وفيه: «إني وكل شاعر...».

(٢) عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب، جاهلي من جلساء الملوك، سمي «الرحال»، وبسببه هاجت حرب الفجار
الثانية. قتل سنة ٣٢ ق. هـ. (الأعلام: ٢٢٦/٤).

(٣) لقمان بن عاد بن ملحاط من بني وائل، من حمير. معمر جاهلي.

(٤) معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني، شاعر فحل له مدائح في الصحابة. مات سنة ٦٤ هـ. (الأعلام:
٢٧٣/٧).

(٥) وعجز البيت: ... «على أينما تعدو المنية أول».

والثالث عمرو بن الأطنابة^(١) حيث يقول:

وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
فزعم أن نفسه جشأت وجاشت، وليس ذلك إلا من الجبن.

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، عن الرياشي، حدثنا العتيبي عن أبيه، قال:
دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية، فقال: ما علمت ابنك؟ فقال: القرآن والفرائض، فقال
روّه من فصيح الشعر، فإنه يفتح العقل، ويفصح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة
والشجاعة، ولقد رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الأطنابة حيث يقول:

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الزبيح
وإعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تقر على القبيح

قالوا: والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول^(٢) العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا أبالي احتفي كان فيها أو سواها
وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج، والذي يدل على أن الثبّت والتأني وسكون النفس
من تمام الشجاعة قول بلعاء بن قيس^(٣):

وفارس في غمار الموت منخمس إذا تأنى على مكروهه صدقا
غشيتة وهو في جأواء بأسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانقلقا
بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جنباً ولا فرقا
فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن.

وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول^(٤) زهير:

ليث، بعثر، يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
يظعنهم، ما ارتموا، حتى إذا ظعنوا ضارب، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
وصفه بالتقدم على كل حال. وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر.

(١) ابن الأطنابة: هو عمرو بن زيد مناة الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارس. (الأعلام: ٨٠/٥). والبيت في
(عيون الأخبار: ١٢٦/١).

(٢) ديوانه: ١٦٢.

(٣) بلعاء بن قيس: رأس بني كنانة، شاعر محسن مات قبل يوم الحرية. (من حاشية الحيوان للجاحظ:
٦٠/٣). وانظر (العقد الفريد: ٢٧٢/٣).

(٤) ديوانه: ٤٣. وفيه: «ما كذب الليث عن». وفي البيت الثاني: ... «إذا اطعنوا».

قال حصين بن حمام^(١):

تأخرتُ أَسْبَقِي الحَيَاةَ فلم أجد لنفسي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا
فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تُقَطِّرُ الدما
ذكر أنه تأخر، ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً، أو موت يموت شريفاً.
وأخبرنا أبو أحمد، رحمه الله تعالى، عن أبيه عن علي، قال: قال المهدي لابن داب:
أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع.

فأنشده للشَّمَاخ^(٢):

وأشعثٌ قد قدَّ السِّفَارُ قَمِيصَه يجر شِوَاءً بالعصا غيرَ مُنْضَجٍ
دعوتُ إلى مانابني فأجابني كريمٌ من الفتيان غيرَ مُزْلَجٍ^(٤)
فتي يملأ الشَّيزَى ويُروِي سِنَانَه ويضربُ في رأسِ الكميِّ المدججِ^(٥)
فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال: هذه صفتك.

وقالوا: أشجع بيت قالته العرب، قول كعب بن مالك^(٦):

نصلُ السيوفَ إذا قُصِرْنَ بخطونا قَدِّمًا ونُلْحِقُهَا إذا لم تَلْحَقِ
ورأى بعض العرب سيفاً فقال: ما أجوده لولا قصر فيه! فقال صاحبه: نصله بخطوة. فقال
الرجل: تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين.

وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول^(٧) أبي تمام:

خطوُ ترى الصارمَ الهنديَّ منتصراً به من المارنِ الخطيَّ متتصفاً^(٨)
يقول: لسعة الخطو يتتصف صاحب السيف من صاحب الرمح..
وقالوا: أشجع ما قيل قول الشاعر:

(١) هو الحصين بن حمام بن ربيعة المري الذبياني، أبو يزيد، شاعر جاهلي فارس. لقبه مانع الضيم. مات سنة ١٠ ق. هـ. وقيل انه ادرك الاسلام. (الأعلام: ٢/٢٦٢). والبيتان في (الشعر والشعراء: ٢/٥٤٢).

(٢) الشَّمَاخ: هو ابن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني، شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام. وهو من طبقة ليبد والنابعة، وكان أرجز الناس على البديهة. توفي في غزوة موقان وكان شهد القادسية. مات سنة ٢٢ هـ. وقيل اسمه معقل والشَّمَاخ لقبه. (الأعلام: ٣/١٧٥) والأبيات في (الأغاني: ٩/١٦٥).

(٣) السِّفَار: السفر.

(٤) المزلاج: الملتصق بالقوم وهو ليس منهم.

(٥) الشَّيزي: خشب تتخذ منه القصاع.

(٦) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي، الخزرجي صحابي من اكابر الشعراء. شاعر مخضرم وكان شاعر النبي ﷺ توفي سنة ٥٠ هـ. (الأعلام: ٥/٢٢٨). والبيت مع ترجمته في الأغاني:

(١٦/٢٢٦ - ٢٣٤).

(٧) ديوان ابي تمام: ١٧٩.

(٨) المارن الخطي: الرمح.

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقولُ شكوكا إنني غيرُ مدبرٍ
وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول^(١) أبي تمام:

قلّوا، ولكنهم طابوا فانجدهم جيشُ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالها زردُ
ناء عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مددُ
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين، قول^(٢)

مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني^(٣):

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلُ الرأس أو مسترخي الطول^(٤)
حاطَ الخلافةَ سيفُ من بني مطرٍ أقام قائمهُ مَنْ كان ذا ميلٍ
سدَّ الثغورَ يزيدُ بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختل والجيل
موف على مهجٍ، في يوم ذي رهجٍ كأنه أجلُ يسعى إلى أملٍ
ينالُ بالرفق ما يغيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي علي مهلٍ
يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا والذبل^(٥)
يغدو فتغدو المنايا في أسنّته شوارعاً، تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مُرتحلٍ
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالك الموت في الأبدان والقلل
الزائدون قومٌ في رماحهم خوفُ المخيف وأمن الخائف الوجل^(٦)
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهم في هدى مُكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملك من أودٍ إذا سلمت، ولا في الدين من خلل^(٧)
وافخر فمالك في شيان من مثلٍ كذاك ما لبني شيبان من مثلٍ
لله من هاشمٍ في أرضه جبلٍ وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
وقوله:

(١) ديوانه: ٨٨. والبيت الثالث في الديوان: «نأوا عن المصرخ...».

(٢) الأغاني: ٣٥ / ١٩، والشعر والشعراء: ٧١٢ / ٢، وديوانه: ٩ - ٢٣.

(٣) يزيد بن مَزيد بن زائدة الشيباني، أبو خالد، أمير قائد شجاع كان والياً بأرمينية وأذربيجان، انتدبه هارون الرشيد لقتال الخوارج، وللشعراء شعر كثير فيه. مات سنة ١٨٥ هـ. (الأعلام: ١٨٨ / ٨).

(٤) هذا البيت، والثاني والثالث والخامس والسابع، لم ترد في الأغاني.

(٥) في الأغاني: «يقري السيوف... ويجعل الروس». والناكث: الذي يخلف الوعد. وفي بعض النسخ: «ويجعل الهامة».

(٦) في الأغاني:

وإن خلت بحديث النفس فكرته عاش الرجاء ومات الخوف من وجل.
(٧) أود: اعوجاج.

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مطر
كالدهر لا يشني عمّا يهْمُ به
تظلمَ المال والأعداء من يده
إذا بدا رفعَ الأستار عن ملك
تمضي المنايا لما تمضي أسْتُهُ
وله أيضاً:

يلقى المنيّة في أمثال عُديتها
كالليث بل مثله الليث الهُصورُ إذا
كالسيل يقذفُ جُلُوداً بجلمود
غنى الحديدُ غناءً غير تغريد

وقالوا: أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام (٣):

فما بلّ في مستنقع الموت رجله
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
غدا غدوةً والحمد نسجُ ردائه
وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ (٤)
عليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعرُ (٥)
فلم ينصرف إلا وأكفأه الأجرُ

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل:

لا أبتغي اللحد ولا أبغي الكفن
وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب، قول (٦) البحري.

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم
تسرّع حتى قال من شهد الوغى
وصاعقة في كفه ينكفي بها
على أن الزي زي محارب
لقاء عداء أم لقاء حبايب
على أروس الأقران خمسُ سحائب (٧)

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه، جعل السيف صاعقة، وأصابع الضارب سحائب تجود على مؤملين بغيتها، وتقتل معاوية بصاعقتها.

أصدق بيت قالته العرب

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن أبي العيناء، قال: قال الأصمعي: أصدق بيت قالته العرب وأحكمه (٨)، قول الحطيئة:

(١) في الأغاني ٣٩/١٩: «فيخترم الأجساد». الهام: جمع الهامة: الرأس. وفي الديوان: «فيخترق الأجساد».

(٢) في الديوان: ٦٣: لا يشني عن يهْم.

(٣) ديوانه: ٣٢٩.

(٤) في الديوان: «فأثبت». والأخمص: باطن القدم.

(٥) في الديوان: «إليه الحفاظ».

(٦) ديوانه: ٢١٣/٢ ص.

(٧) الأقران: جمع قرن وهو المثل أو الخصم.

(٨) ديوانه: ١٠٩.

من يفعل الخير لا يَعدم جَوازِيَهُ، لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ
وقال المحدث في معناه:

ما ضاع عرف وان أوليته حجراً

وقال الأَفوه^(١):

والخيرُ تزدادُ منه ما كَفَيْتَ بِهِ والشرُّ يكفِيكَ منه قلما زادَ
وقيل: خير من الحير فاعله، وخير من الذهب معطيه، وقال^(٢) عبيد بن الأبرص:
الخيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ به والشرُّ أخْبَثُ ما أوعيتَ من زاد^(٣)

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى، أخبرنا الجوهري، أخبرنا عمر بن شبة، حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا سفيان بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، قال: سمعت أبا
سلمة بن عبد الرحمن، يحدث بحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة
قالتها^(٤) العرب:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ
وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهمُ دويهةٌ تصفرُّ منها الأناملُ^(٥)

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى، أخبرنا الجوهري، أخبرنا أبو زيد، حدثنا إبراهيم بن
المنذر، حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، أن عثمان بن مظعون كان
في جوار الوليد بن المغيرة، وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه يعني من المسلمين، فسأل الوليد أن
ينزل من جواره فبرء منه، فلما جلس مع القوم ولبيد ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

فقال عثمان: صدقت، ثم أنشد لبيد رأس البيت:

وكل نعيم لا محالة زائل.

فقال عثمان: كذبت. فأسكت القوم ولم يدروا ما أراد، ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه،
لأن نعيم الآخرة لا يزول. فقال لبيد: ما هكذا كانت مجالسكم، فنزا رجل من قريش فلطم عين
عثمان، فأحضرت، فقال له الوليد: كنت في ذمة منيعة فخرجت منها، وكنت عن الذي لقيت
عينك غنياً. فقال: بل كنت إلى الذي لقيت فقيراً، وعيني التي لم تلمطم إلى مثل ما لقيت صاحبها

(١) الأَفوه: هو صلاة بن عمرو الأودي، من مذبح، أبو ربيعة شاعر جاهلي فحل.

(٢) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جُشم الأسدي المضري. أبو زياد، شاعر من اصحاب المعلقات ومن دهاة
الجاهلية. قتله النعمان حين وفد عليه يوم بؤسه. سنة ٢٥ ق. هـ. (الأعلام: ٤/ ١٨٨).

(٣) في الديوان: ٦٣:

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة: ١٣٢.

(٥) دويهة: تصغير داهية: مصيبة.

فقيرة، فقال: إن شئت أجرتك ثانية، فقال: لا أرب لي في جوارك.

وأول هذه القصيدة:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي؟ أم ضلال وباطل
حبائله مبعوثه بسبيله ويفنى إذا ما أخطأته الجبال^(١)
إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه قضى عملاً والمرء ما عاش عامل
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان^(٢):

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة، قال: قيل لرجل سماه: أنشدنا أصدق بيت قالته العرب؛
قال: الناس يقولون:

كل امرئ في شأنه ساعي

وأنا أقول:

كأن مقرّ حين يغدو لحاجة إلى كل من يلقي من الناس مذنب
وأصدق بيت قاله محدث قول^(٣) البحري:

نصليكَ في الأكرومتين، فإنما يسود الفتى من حيث يسخو ويشجع^(٤)
زرعت رجاءً في ذراك مُبكراً، وجُلّ حصاد المرء من حيث يزرع^(٥)
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر:

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجة فدعها لأخرى لين لك بأبها
وإن قرابَ البطن يُغنيك ملؤه وكفيك سوات الأمور اجتنابها

أخذه ابن الرومي فقال^(٦) وأحسن:

إذا ما شئت أن تعرف يوماً كذب الشهوة
فكل ما شئت يعنيك عن العذبة والحلوة^(٧)
وطأ من شئت يغنيك عن الخناء في الذروة^(٨)

(١) الأبيات في ديوان لبید: ١٣١. والحبائل: مصائد الموت.

(٢) الصلتان: قثم بن خببة العبدي، شاعر إسلامي حكيم، مات سنة ٨٠ هـ. (الأعلام: ١٩٠/٥). والبيت مع ترجمته في (الشعر والشعراء: ٤٠٩/١).

(٣) ديوانه: ٢٠٠/١ ص.

(٤) في الديوان: «نصليكَ في الأكرومتين».

(٥) في الديوان: «زرعت الرجاء».

(٦) ديوانه: ٣٤٧/٦.

(٧) في الديوان: «... ما شئت يصدّدك».

(٨) في الديوان: «... شئت يصدّدك» و«عن الخناء».

فكم أنسأك ما تهوا ه نيل الشيء لم تهوة^(١)

وقال ابن هرمة:

إذا مطمَعُ يوماً غزاني غزوتَه كتاب ناس كرها وأطرأدها
أمصَّ ثِمادي، والمياه كثيرة، أعالج منها حضرها واكتدأدها^(٢)
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأي أن ترضى النفوس ثمادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر، قول أبي ذؤيب^(٣):
والنفسُ راغبةٌ إذا رغبَتها وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنعُ
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله^(٤):

أنت محتاج فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذنى ما لديك
وذمَّ بعضهم القناعة فقال: هي خلق البهيمة، معناه أنها إذا وجدت أكلت، وإن لم تجد
باتت على الخسف، ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع، ولا تكير دون الإقرار بالهزل.
كما قيل:

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُّ به إلا الأذلان: غير الحي والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدُ
وإلى هذا المذهب ذهب علي بن محمد في قوله:
إذا اللثيمُ مطَّ حاجبِيه وذادَ عن حريمِ درهميه
فاتركَ عنانَ البخيلِ في يديه وقم إلى السيفِ وشفرتيه
واستنزلَ الرزقَ بمضربيه إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
وقلت:

سأستعطف الأيامَ حتى تردَّني إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ
وأقنعُ لا أن القناعة لي هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
وقال ديك الجن:

لا تقم للزمانِ في منزلِ الضي م ولا ترتبطك رقةُ حالِ
وإذا خفتَ إن يراهمك العد مُ فعذ بالثقفات العوالي
وأهن نفسك الكريمةَ للمو ت وقحم بها علي الأهوال
فلعمري للموت أجملُ بالحر من العيشِ ضارِعاً للرجال

(١) في الديوان: «وكم أسلاك».

(٢) الثِماد: الماء القليل.

(٣) أبو ذؤيب؛ خويلد بن خالد بن محرث، من بني هذيل، شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، مات

سنة ٢٧ هـ. (الأعلام: ٣٢٥/٢). والبيت في الشعر والشعراء ١٩١/٢.

(٤) ليس في ديوانه.

أي ماءٍ يجولُ في وجهك الحرَّ
ثم لا سيما وقد عصَفَ الدهرُ
فقليلٌ من الورى من تراهُ
وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى ، أنشدنا أبو بكر بن دريد ، أنشدني أحمد بن المعذل لأخيه عبد الصمد^(١) :

رأت عذمي فاسترأيت رحيلي
يرجى اليسار لها بالقفل
لعمري التي وعدتك الثراء
لقد قذفت بك صعب المرام
سأقني العفاف وأغني الكفال
ولا أتصدى لشكر الجواد
وأعلم أن بنات الرجاء
وأن ليس مستغنياً بالكثير
قال أبو أحمد : لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا ، لرأته نبي الشعر .
وقال البصير :

قلت لأهلي وراموا أن أميرهم
لا تجمعوا أن تهينوني وأكرمكم
تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت
فرب ملتمس ما ليس يُدركه
أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده ، قول دريد بن الصمة ، وقد أغار هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس ، فاستاقوها ، فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه ، فنهاه دريد ؛ فبينما هما كذلك رأوا غبرة فقالوا لربيهم : ما ترى ؟ قال : خيلاً كالعقبان ، عليها فوارس كالصبيان ، فقال : فزارة ولا بأس . ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له : ما ترى ؟ قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر ، قال تلك عبس والموت ، فلما خالطوهم قتل عبد الله ، فقال^(٢) دريد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد
غوايتهم أو أنفي غير مهتدي

(١) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي ، أبو القاسم ، من شعراء العصر العباسي . كان هجاءً

سكيراً . مات سنة ٢٤٠ هـ . (الأعلام : ١١/٤) .

(٢) ديوانه : ٤٧ .

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد
 وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل^(١) فقتل قاتل أخيه .
 ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي ، وترك مخالفته مع
 معرفته أنها رشد ، كراهة الخروج من هواه ، وترك مطابقتها على رضاه .

وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة^(٢) وروي لغيره :

وذي ودٍ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميحاً
 أطافَ بغيةٍ ونهيتُ عنها وقلتُ: تجنبِ الأمرَ الفظيحا
 أردتُ رشادهُ جهدي ، فلما عصى وأبى ، ركبناها جميعاً
 وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي ، عن الحسن بن محمد المهري ، عن التوزي :
 تنخلتُ آرائي وسقتُ نصيحتي إلى غير طلق للنصيح ولا هش
 فلما أبى نصحي سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قولٍ من غش
 وقال آخر :

ألم تعلم يا بني دجاجةً أنني أغش إذا ما النصح لم يُتقبل
 ومن جيد ما قيل في النصيحة ، قول مُحيس بن أرمطة^(٣) :

عرضتُ نصيحةً مني ليحيى فقال : غششتني ، والنصح مرُ
 وما بي أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الأخلاق برُ
 ولكن قد أتاني أن يحيى يُقالُ عليه في نقعاء شرُ
 فقلتُ له : تجنب كل شيء يُقالُ عليك : إن الحرَّ حرُ
 ومثل ما تقدم قول الشاعر ، أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

(١) من قابل : أي في العام التالي .

(٢) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكنيته أبو الخطاب شاعر الغزل في العصر الأموي . مات شهيداً

سنة ٩٣ هـ . (الأعلام : ٥٢/٥) .

والأبيات في ديوانه : ٢٠٩/٢ .

والبيت الأول في الديوان :

وخِلْ ، كنت عين النصح منه إذا نظرتُ ، ومستمعاً مطيعاً
 والثاني :

أطاف بغيةٍ ، فنهيتُ عنها ، وقلتُ له : أرى أمراً شنيعاً
 وأطاف بغيةٍ : ألم بضلالة .

وفي الثالث : «عصى وأبى ، أتيناها جميعاً» .

(٣) المحيس بن أرمطة الأعرجي ، أبو ثمال ، أول شاعر مدح بني العباس في خلافتهم . وهو راجز شامي . مات سنة

١٤٥ هـ . (الأعلام : ١٩٥/٧) .

إن أخا الصدق الذي لمن يخذعك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا صرف زمان صدعك شئت شمل نفسه ليجمعك
وإن غدوت ظالما غدا معك

فسروه: يَكْفِكَ عن الظلم، وليس كذلك، لأن معنى الأبيات لا يقتضيه، إنما أراد أنه: يعاونك على الظلم، على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة: «ركبناها جميعا» وقال ابن ميادة^(٤) في النصيحة:

نصحتك يا رباح بأمر حزم فقلت، هشيمة من أهل نجد^(١)
نهيتك عن رجال من قریش على محبوكة الأصلاب جرد
ووجداً، ما وجدت على رباح وما أغنيت شيئاً غير وجدي
وقال العباس^(٢) بن جرير:

إرع الإخاء أبا محم د الذي يصفو وضمنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
أن الصديق هو الذي يركاك حين تغيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا انتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرمأ وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل في إرضاء الرجل عن أخيه قول الراجز:
لم أقض من صُحبة زيد أربي فتى إذا نهته لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يضمن بالمتاع المحق
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب
وهذا خلاف ما قيل:

من غاب غاب نصيبه

وقلت في قريب منه:

بذلت من شكري ما لم يبذل لما جد أجمل إذا لم أجمل
يحمل من ثقلي ما لم يحمل فعز في عيني حين ذل لي
إن جمال الحر في التجميل وقد يكون العز في التذل
والمجد شهد يُجتنى من حنظل

(٤) ابن ميادة: هو الرماح بن ابرد بن ثوبان الذبياني، أبو شرحبيل، شاعر رقيق هجاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مات سنة ١٤٩ هـ. (الأعلام: ٣١/٣). والأبيات مع ترجمته في الأغاني: ٣٣٨/٥.

(١) هشيمة كرم: جواد.

(٢) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وكنيته أبو الخطاب. شاعر الغزل في العصر الأموي. مات شهيداً سنة ٩٣ هـ. (الأعلام: ٥٢/٥).

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس^(١):

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلومك إن ولّى ويرضيك مُقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضلاً
أبلغ ما قيل في التآني وأجوده، وأشدّه اختصاراً، ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسي^(٢):
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعها النزولُ
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: «ألا إنَّ الدَّينَ مَتِينٌ، فأوغلَّ فيه برفقٍ، فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً
قطعَ ولا ظهراً أبقي»^(٣).

وتقول العرب: «شر السير الحقيقة»^(٤) وهي شدة السير.

وقلت في نحو قول المرار:

وحطَّ بها أكوارٍ خوصٍ لواغب يقلُّ إكثار الذميلِ ذميلها
نغض عبرة حلَّ الفراق عقالها وأقلِّق هجران الحبيبِ مقليلها
فلا غرو إن فاضت دموعُ متيمٍ على الدار يسقي ظلهن طولها
ومن المشهور في التآني قول القطامي^(٥):
قد يُدرك المتآني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلُّ
وقال غيره:

ومستعجل، والمكث أدنى لرشده، ولم يدر ما يلقيه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء: لِمَ لَمْ يقل «كل حاجته» فيكون أبلغ؟ قال: ليس «كل» من كلام
الشعر، وقد صدق. ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً، وكثيراً ما يقع «كل» في الشعر قلق
المكان، كوقوعه في بيت ابن طباطبا.

فيالأثمى دعني أغالي بقيمتي، فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونه
ولا أعرف أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت^(٦) أبي العتاهية:
أعلمتُ عُتْبَةً أنني منها على أجلٍ مطلٍ
وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهلُّ

(١) أوس: هو أوس بن حجر بن عتّاب، كان عاقلاً في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق ومن أوصفهم للحمر
والسلاح. (الشعر والشعراء: ١/١٣١). والبيتان في ديوانه: ٩٢.

(٢) الفقعسي: هو المرار بن سعيد بن حبيب، أبو حسان، من شعراء الدولة الأموية. (الأعلام: ٧/١٩٩).

(٣) رواه الإمام أحمد: ٣/١٩٩. وفيه: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه.

(٤) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٧.

(٥) القطامي: هو عُمير بن شسيم بن عمرو بن عبّاد، شاعر غزل فحل من الإسلاميين مات سنة ٣٠ هـ. (الأعلام:

٨٨/٥).

(٦) الأبيات في الإعجاز والإيجاز: ١٦٠. وليست في ديوانه.

حتى إذا برمت بما
قالت: فأبي الناس تع
ومن الذي يهوى فلا
وقد أصاب القائل في صفة العقل:

وجدت العقل نوعين
ولا ينفع مسموع
فمطبوع ومسموع
إذا لم يك مطبوع

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعتز أظنه:

إذا لم تقدحي زنديك يوماً
وأول الأبيات:

رأينا أم عمرو فازدرتنا
إذا لم تقدحي زنديك يوماً
سلي بي تخبرني أني طروب
وإني حين تختلف العوالي
كليني للندى والبأس، إني
ومثله قول الآخر:

زني القوم حتى تعرفني عند وزنهم
وقال النبي ﷺ (٢): «أخبر ثقلة» معناه اختر من شئت تجد دون ما تظنه فيه، وتطلع على ما
تكروه منه فنبغضه، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه ولا أوجز.

وقد شرحه ابن الرومي فقال:

دعني إلى فضل معروفكم
فأخلفت ما توسمته
وكم لمعة خلتها روضة
ظلمتكم: لا تطيب الفرو
وكنت حسبت، فما حسبت
فهل تعذروني كعذريكم
جزيت موازينكم بالسوا

وقد قال الناس: الطمأنينة قبل التجربة حمق. والمثل السائر.

(١) تقدح الزند: تشعل النار.

(٢) جمهرة الأمثال: ٨٩/١. وقال: المثل لأبي الدرداء فيما زعم بعضهم. وروي عن النبي ﷺ.

(٣) الأبيات في ديوان ابن الرومي: ١٣٨/١.

لا تحمدنُ امرأ حتى تجربه^(١).

سمعت عم أبي، يقول: ما سمعناه في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد:

الشكر كفو النعمة

ولا أطرف من قول البحري:

الشكر نسيم النعمة

وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول إبراهيم بن العباس: أخبرنا به أبو أحمد عن

الصولي، عن أحمد بن إسماعيل، قال: قال إبراهيم بن العباس:

الشكر داعية المزيد، وقيمة العارفة، ورباط النعمة، ولسان المعطفة.

وأبلغ ما قيل في الشكر، من الشعر قول يحيى بن زياد^(٢) الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن

الصولي:

حلفت بربِّ العيس تهوي بركبها
لما بلغ الأنعام في الفضل غايةً
ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة
ولا ثقلت في الوزنِ أعباءً منه
فمن شكرَ المعروف يوماً فقد أتى
وقال الآخر:

فعلتُ خيراً كثيراً وأنت أكثرُ منه
ونحنُ أكثرُ منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر، قول طريح بن إسماعيل:

سعيت ابتغاءَ الشكر فيما صنعت بي فقصرت مغلوباً وإنني لشاكرُ
قوله: «وإنني لشاكر» مع قوله: «مغلوباً» حسن الموقع، وهو مأخوذ من قول الآخر:

فراق حبيب لم يَبْنُ وهو بائنُ

لأنك توليني الجميلَ بداهةً وأنت لما استكثرت من ذاك حاقراً
فأرجع مغبوطاً وترجع بالتالي لها أولٌ في المكرماتِ وآخرُ
وقول الآخر:

ولو أن لي كلَّ منبت شعرةٍ لساناً يبثُ الشكر فيك لقصرًا

(١) نصف بيت للنجاشي قيس بن عمرو. وشطره:

ولا تذ من لم يبيله الخبرُ

عيون الأخبار: ٣/ ١٧٠.

(٢) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل، شاعر ماجن، يُرمَى بالزندقة، من أهل الكوفة. توفي أيام المهدي. مات سنة ١٦٠ هـ. (الأعلام: ٨/ ١٤٥).

وقال دعبيل :

هَجَرْتُكَ لَاعِنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِباً
فَمَلَّانَ لَا آتِيكَ إِلَّا مُعْذِراً
فَإِنْ زِدْتَ فِي بَرِي تَزَايَدْتُ جَفْوَةً
وقول (١) أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْذِراً
أَنْتَ أَمْرٌ قَلَدْتَنِي نِعْماً
لَا تَسْدِينَنِي إِلَيَّ عَارِفاً
وهو أول من أتى بهذا المعنى ، إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه .

وقال (٢) البحري .

هَاتِيكَ أَخْرَقُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ
أَدَبْتُ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلاً لَا يَقُومُ لَهُ
لَمَّا سَأَلْتُكَ وَافَانِي نَدَاكَ عَلَى
وقلت في معناه :

تَقَاصَرَ عَنِ نَدَاءِ بَاعٍ شُكْرِي
وَأَسَى أَنْ تَطُولَ يَدَايَ مِنْهُ
كَأَنَّ نَدَى يَدَيْهِ عَنَاقُ بَيْنِ
لَهَجْتُ بِذِكْرِهِ لِأَبِينَ عَنْهُ
حَنَانِي ثَقُلَهُ وَلَوْ أَنَّ قَوْساً
فَهَا أَنَا مِنْهُ مَفْتَقِرٌ وَغَانُ
وقال (٤) البحري :

إِنِّي هَجَرْتُكَ ، إِذْ هَجَرْتُكَ ، وَحْشَةً
أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ ، فَسَوَّدْتُ
وَقَطَعْتَنِي بِالْجُودِ ، حَتَّى إِنَّنِي
صَلَّةٌ غَدَتِ فِي النَّاسِ ، وَهِيَ قَطِيعَةٌ

(١) ديوانه : ٤٢٧ .

(٢) في الديوان : « جللتني نعماً » .

(٣) ديوانه : ٦٧/٢ ص .

(٤) ديوانه : ٢٢٢/٢ ص .

لَيُؤَاصِلَنَّكَ رَكْبُ شَعِيرٍ سَائِرٍ يَرْوِيهِ فِيكَ، لِحْسَنِهِ، الْأَعْدَاءُ
 حَتَّى يَتَمَّ لَكَ الثَّنَاءُ مَخْلُوداً أَبَدًا، كَمَا تَمَّتْ لَكَ النِّعْمَاءُ
 فَتَظَلُّ تَحْسَدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ بِي وَتَظَلُّ تَحْسَدُنِي بِكَ الشُّعْرَاءُ
 وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم: قد حيرني سوء رأيك فيّ، فما أهتدي لطلب
 الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها، فلا تظمني من حسن رأيك فأضوي، ولا تسقطني عن
 حيطتك فأثوي.

وقريب من المعنى الأول قول^(١) البحترى:
 مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ وَمَكَا فَاةٍ مَا أَنَالَ وَأَسَدَى
 كَلِمَا قَلْتُ أَطْلُقَ الشُّكْرَ رَقِي رَجَعْتَنِي لَهُ أَيَادِيهِ عَبْدَا
 سمعت عم أبي يقول: ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر وأحسن من قول صالح بن
 مسمار: ما أدري أنعمة الله فيما بسط عليّ أفضل أم نعمته فيما زوى عني، فجعل ما منعه نعمة،
 والناس يجعلونه محنة ونقمة.

وكتب بعضهم في المعنى الأول: أنا وإن كنت ذا فاقة إلى طولك، فليست، لي طاقة بما
 حملتني من برك، وما أجد لنفسي معقلاً، ولا أعرف لها متعللاً، إلا في الاقتداء بمن عجز عن
 شكر ما أولى، فجبر نقيصته بالاعتراف والتقصير، واعتمد من شكره على تصريف المعاذير.

وكتب إليّ بعض الأصدقاء:
 وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة، فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا، والهمة
 سامية تمسح وجه النجم، وتقبل عارض الشمس، وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه، وتكفل
 برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء، وكبت الحساد وكبّ الأعداء، إلى غير ذلك من أنس أورده،
 وسرور جرده، ووحشة صرفها، وكرية كشفها، وفهمته وتأملت التوقيع، فتصور لي الغناء
 بصورته، وقابلني بصدق مخيلته، وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه، ونامت عيونه، وتنحت عن
 ساحتي خطوته، وهذه نعم أعيا بذكرها، فكيف أطمع في أداء شكرها، بل عسى أن يكون
 الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها، ومقابلة لما خلص إليّ منها، وأنا معترف بذلك، اعتراف
 الروض بحقوق الأنواء، إذا تحلى ببواقيت الأنوار ولآلىء الأنداء.

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي^(٢) الشكر بإظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول:
 أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الميرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال:
 أراد جعفر بن يحيى حاجة، كان طريقه إليها على باب الأصمعي، فدفع إلى خادم له كيساً

(١) ديوانه: ٢٢٦. ص.

(٢) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل، وزير الرشيد العباسي. كان كاتباً مجيداً، وفصيحاً بليغاً
 كريماً. مات سنة ١٧٨ هـ. (الأعلام: ١٣٠/٢).

فيه ألف دينار، وقال: إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي، ثم سيحدثني ويضحكني، فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه، فلما رجع ودخل عليه فرأى حياً مكسور الرأس، وجرة مكسورة العنق، وقصة مشعبة، وجفنة أعشار، وراه على مصلى بال، وعليه بركان أجرد، فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أوردته عليه، فما تبسم ثم خرج، فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظلم، ومن زرع سبخة حصد الفقر، إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حفلت بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان! إن اللسان قد يكذب، والحال لا يكذب، والله درف نصيب حيث يقول:

فعادوا فأثنوا بالذي أنتَ أهله ولو سكتوا أثنتُ عليكَ الحقائق^(١)

ثم قال: أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان؟ قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس مثله لأحد سواه.

وقالت الحكماء:

لسان الحال أصدق من لسان الشكوى.

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال^(٢):

حال تبيحُ بما أوليتَ من حسنٍ وكل ما تدعيه غيرُ مردودٍ
كلي هجاءٍ وقتلي لا يحل لكم فما يداويكم مني سوى الجود

وقالوا:

«شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال»^(٣).

ومما يجري في باب الشكر، وهو من أبدع ما قيل في معناه، ما أنشدناه أبو أحمد قال:

أنشدنا الصولي قال: أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه:

وإني وإن أحسنتُ في القولِ مرّةً فمنك ومن أثارك امتار هاجسي
تعلمتُ مما قتلتهُ وفعلتهُ فأهديتُ غصناً من حناي لغارسي

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الأصبهاني:

لا تُنكرن اهداءنا لك منطوقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جلّ وعزّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول^(٤) أبو تمام:

كم غارةٍ لك في المكارمِ ضخمةٍ غادرتَ فيها ما ملكتَ قتيلاً
فرأيتَ أكثر ما بذلتَ من اللّهي نزرّاً وأصغر ما شكرتَ جزيلاً^(٥)

(١) الأغاني: ٣٣٧/١.

(٢) ديوان ابن الرومي: ١٣٣/٢.

(٣) مجمع الأمثال: ٣٩١/١.

(٤) ديوانه: ٢١٦.

(٥) اللّهي: العطايا.

وقد أحسن ابن الرومي (١) :

هاجرتُ عنكَ إلى الرجا لَ فكَانَ عُرْفَهُمْ كُنُكْرُكَ
ورجعتُ من كَثَبِ إِلَيْكَ مفرَّغاً نفسِي لِشُكْرِكَ
ولما أرومُ بما أقو لَ زيادةً في رفعِ ذِكْرِكَ
لكنَّه حقٌّ أوفِّي ه عِوَانِكَ بعدَ بِكْرِكَ
كم نعمةٍ لك ملءَ فِكْ ري لا تلاحظها بِفِكْرِكَ

أحسن ما قيل في الصبر

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن ابن الرياشي، عن أبيه عن الأصمعي، قال: قال أبو عمرو: أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش (٢):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليلُ (٣)
فلا تحسبي أنني تناسيتُ عهدهُ ولكنَّ صبري يا أميمُ جميلُ
وبعدهُ:

ألم تعلمي أن قد تفرقَ قبلنا خليلاً صفاءِ مالك وعقيلُ (٤)
وقال الأصمعي: أحسن ما قيل فيه مع الشرح وقول أبي ذؤيب:
وتجلدي للشامتين أريهم أني لربِّ الدهر لا أتضعُ (٥)
حتى كأنني للحوادثِ مروءة بصفا المشقر كل يوم تُقرعُ (٦)
وقوله:

وإني صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لجَّ من ماءِ الشؤون لجوجُ
لأحسبَ جلداً أو لينبأ شامتُ وللشرِّ بعد القارعات فروجُ

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب، راوية ابن الرومي عن ابن الرومي (٧):

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهبُ فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ

(١) ديوانه: ٦٢/٥.

(٢) أبو خراش: هو خويلد بن مرة الهذلي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. مات سنة ١٥ هـ. (الأعلام:

٣٢٥/٢). والأبيات في الأغاني: ٢١/٢٠٥.

(٣) في الأغاني: «قالت أراه».

(٤) مالك وعقيل: نديما جذيمة الأبرش.

(٥) انظر الفاضل للمبرد: ٥١.

(٦) انظر جمهرة اللغة لابن دريد: ٣٤٦/٢. والصفاء: الحجر.

(٧) ديوانه: ٢٢٣/١.

وما كان منه كالضرورة أوجب
 له عصمة أسبابها لا تقضب
 مكاره دهر ليس عنهن مهرب
 شفاء أسى يثني به ويثوب
 وتارك ما فيه من الخط أعجب
 وصبرهم فيه طباع مركب
 يصرفه ذو نكبة حين ينكب
 وإن شار صبراً جاءه الصبر يجلب
 لكل لبب مُستطاع مسبب
 يراؤ فيأتي أو يزاد فيذهب
 على قدر ما يمني له تتعب
 إليها له طوعاً جنائب تجنب
 تقاتل بالغيب القضاء تغلب
 وتمسي هلوفاً إذا تعذر مطلب
 بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول (١) ابن الرومي :

ييري الصدور إذا ما جمره حرثا
 فإنما ييريء المصدور ما نفثا
 ولا تكن لصغير الأمر مكثرثا

توفيك ما تُسدي من القرض والفرض
 وبعض السجايا ينتسب إلى بعض
 فثم ترى شكراً على حسن القرض
 لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقص

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح (٣) في قوله :

إن كنت تريد الحقد بقاء الخير والشر عندي إنهما الباقيان .

وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم :

الصبر مظنة النصر .

هناك يحق الصبر والصبر واجب
 فشذ امرؤ بالصبر كفاً فإنه
 هو المهرب المنجي لمن أهدت به
 لبوس جمال جنة من شماته
 فيا عجباً للشيء هذي خلالة
 وقد يتظلى الناس أن أساهم
 وإنهما ليس كشيء مصرف
 فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى
 وليس كما ظنوهما بل كلاهما
 يصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج محتج على النفس لم يكد
 وساعدها الصبر الجميل فأقبلت
 وإن هو مناها الأباطيل لم تزل
 فضحي جزوعاً أن أصابت مُصيبة
 فلا يعذر التارك الصبر نفسه

الحقد داء دفين لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبه
 واجعل طلابك بالأوتار ما عظمت
 ثم قال (٢) يمدحه :

وخير سجيّات الرجال سجيّة
 وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى
 فحيث ترى حقداً على ذي إساءة
 ولولا الحقود المستكنات لم يكن

(١) ديوانه : ٤٦٣/١ .

(٢) ديوانه : ٢٤/٤ .

(٣) من امراء بني العباس ، تولى على الموصل ثم مصر ولم يذهب إليها ثم الشام . توفي سنة ١٩٦ هـ .

وقال الآخر:

الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان .

وسمعت عم أبي يقول :

«الصبر شرية تثمر أرية»^(١) وقال :

نفرج أيام الكريهة بالصبر

وقال آخر:

وهل جزع يُجدي عليّ فأجزع^(٢)

فجعل الصابر الصبر ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد .

وقلت :

قالوا صبرت وما صبرتُ جلادةً لكن لقلّة حيلتي أتصبرُ
وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجمل ، وذلك أنهما يحملان الحمل الثقيل ،
على الدبر ، ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا ، حتى قالت العرب : «أصبر من ذي ضاغط»^(٣)
وهو أن يضغط موضع الأبط أصل الكركرة حتى يدميه .

ويقولون :

أصبرُ من عودٍ بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقبُ
قاله حلحلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :
أصبرُ من ذي ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى بواني صدره للمبرك
ويقولون : «أصبر من ضب»^(٤) لما هو فيه من القشف واليس .

وقالوا : «حيلة من لا حيلة له الصبر»^(٥) . وسمعت والدي يقول : لعن الله الصبر ، فإن
مضرته عاجلة ، ومنفعته آجلة ، وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب ، لتنال المنفعة في العاقبة ،
ولعلها تفوتك لعارض يعرض ، وكنت قد تعجلت الضرر ، من غير أن تصل إلى نفع .
فنظمته بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عمن تحبه صبرُ	ونفعُ من لأم في الهوى ضرُ
من كان دون المراد مُصطبراً	فلست دون المراد أصطبرُ
منفعة الصبر غيرُ عاجلة	وربما حال دونها الغير
فقم بنا نلتمس ما ربنا	أقام أولم يقم بنا القدر
ان لنا أنفساً تسودنا	أعانهن الزمان أو يذر

(١) الشري : شجر الحنظل . والأري : العسل .

(٢) جمهرة الأمثال : ٢٨٦/١ . وهو نصف بيت .

(٣) جمهرة الأمثال : ٤٨٣/١ .

(٤) جمهرة الأمثال : ٤٨٣/١ .

(٥) جمهرة الأمثال : ٢٨٦/١ .

وابغ من العيش ما تسرُّ به إنَّ عدلَ الناس فيه أو عذروا
وقال أبو هلال:

أجمع كلمات سمعتها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول:
الحليم ذليل عزيز، وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذي لا انتصار له، واحتمال
السفه والتغافل عنه، في ظاهر الحال ذل، وإن لم يكن به. وقيل^(١): «الحليم مطية الجهول
لاحتمال جهله وتركه الانتصاف منه».

وقال الأوَّل:
وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذ كان عندَ السخطِ لا يتحلَّمُ
كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرَّمُ
ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم؟ قال الذي تصبر عليه.
وقال^(٢) الشاعر:

لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عَزَّوا لأقوامٍ
ويُشتموا فترى الألوان مُسفرةً لاصفح ذلٌّ ولكن صفح أحلام^(٣)
وسمعه يقول:

الحلم عقال الشر، وذلك أن من سمع مكروهة، فسكت عنها انقطع عنه أسبابها، وإن
أجاب أتصلت بأمثالها.
وأنشدوا في هذا المعنى:

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبرُ
ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله: إني لأرفع نفسي أن يكون
ذنبُ أورثه من حلمي، وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لا أملك.
يريد: إني إذا كنت مالكا للمذنب، فإني قادر على الانتقام منه، فلم ألزم نفسي الغضب؟
وإن لم أكن أملكه، فليس يضره غضبي، فلم أغضب عليه فأضر نفسي ولا أضره.
وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير:
مغض على العوراء لو لا الحلمُ غيره انتصاره
وأسمع بعضهم الشعبي فقال له:

إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.
وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه.

(١) جمهرة الأمثال: ٢٨٤/١.

(٢) عيون الأخبار: ١/ ٢٨٧ ولم يعزه.

(٣) وفي العيون: «الألوان مشرقة».

وأجود شيء قيل في الحلم من الشعر، ما أخبرنا به أبو أحمد، أخبرنا ابن دريد، أخبرنا أبو عثمان، عن الأخفش قال: نال رجل من الخليل بن أحمد^(١) وأسمعه فقال الخليل:

سألزم نفسي الصفح عن كل مُذنب
وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة:
فأما الذي فوقِي، فأعرفُ فضله
وأما الذي مثلي، فإن زلَّ أو هفا
وأما الذي دوني، فإن قال صُنْتُ عن
وإن كثرت منه عليَّ الجرائمُ
شريفٌ، ومشروفٌ، ومثلٌ، مُقاوم
وأَتبِعُ فيه الحقَّ، والحقُّ لازم
تفضلت، إنَّ الفضلَ بالعزَّ حاكم
إجابته عرضي، وإن لأم لائم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً. ومن عجيب ما روي في الحلم، ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله، قال: جيء قيس بن عاصم، بابن له قتيلاً، وابن أخ له كتيفاً، وقيل له: هذا قتل ابنك، فلم يقطع حديثه ولا نفّض حبوته، فلما فرغ من حديثه، التفت إلى بعض بنيهِ، فقال: قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه وإلى أم القتيل فاعطها مائة ناقة، فإنها غريبة، لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقة الأيسر، وقال^(٢):

إني امرؤ لا يعتري خلقي
من منقرٍ في بيتٍ مكرمةٍ
خطباء حين يقول قائلهم
لا يفطنون لعيب جارهم
ذَنَسُ يَغِيرُهُ ولا أفنُ^(٣)
والفرعُ يَنبُتُ فوقهُ الغصنُ
يُبِضُ الوجوه مصاقعُ لُسُنُ
وهم لحفظ جوارهم فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة، وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة:
ثلاثُ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ
وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه.

والعرب تسمي العلم حلماً قال المتلمس^(٤):

لذي الحلم قبلَ اليومِ ما تُقرعُ العصا
ومن أشرفِ نعوتِ الإنسانِ، أن يدعى حليماً، لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً، وعالماً
ومصطبراً محتسباً، وعفوّاً وصافحاً ومحتملاً وكاظماً، وهذه شرائف الأخلاق وكرائم السجايا
والخصال.

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من ائمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيراً صابراً. وفاته سنة ١٧٠ هـ. (الأعلام: ٣١٤/٢).

(٢) الخبر والأيات في عيون الأخبار: ٢٨٦/١.

(٣) الأفن الكذب.

(٤) المتلمس: اسمه جرير بن عبد العزى. شاعر جاهلي من اهل البحرين، مات سنة ٥٠ ق. هـ والبيت: الشعر والشعراء: ١١٢/١ وفي الفاضل للمبرد: ١٢.

وقد خولف هؤلاء، فقليل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد:

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتي وللحلم أحياناً من الجهل أقبحُ
إذا كان حلم المرء عونَ عدوِّه عليه فإنَّ الجهلَ أعفى وأروحُ

وقال غيره:

قليلُ الأذى إلا عن القرن في الوغي كثيرُ الأيادي واسعُ الذرع بالفضل
ويحلم ما لم يجلب الحلم ذلةً ويجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل

وقال غيره:

ترفعتُ عن شتم العشيرة أنني رأيت أبي قد كفَّ عن شتمهم قبلي
حليمٌ، إذا ما الحلم كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً، إذا التمسوا جهلي

وقال غيره:

إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم
وقالوا: ليس شيء خيراً من الحق إلا العفو، وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق،
والعفو خير منه.

ومن أحسن ما جاء فيه قول بعضهم:

لو أن المسيء لي عبد لأخ لي، لرأيت تغمده، والصفح عنه إجلالاً لقدر مولاه وإعظاماً
لحق صاحبه، فأنا بالصفح عن عبد الله أولى.
وفي ذم العفو قول عمارة^(١) بن عقيل:

وما ينفك من سعد إلينا قطوعُ الرحم بادية الأديم
ونغفرها كأن لم يفعلوها وطول العفو أدربُ للظلوم
أجود ما قيل في المشهورة قول بشار.

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا الغلاني، حدثنا محمد بن عبد الرحمن
التميمي، قال: دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، فأنشده قصيدة،
يهجو فيها المنصور، ويشير برأي يستعمله في أمره، فلما قتل إبراهيم، خاف بشار فقلب الكنية
وأظهر أنه قالها^(٢) في أبي مسلم^(٣).

أولها:

أبا جعفر ما كلُّ عيشٍ بدائم وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم^(٤)

(١) شاعر مقدم فصيح من ولد جرير الشاعر المشهور. وفاته سنة ٢٣٩ هـ.

(٢) ديوان بشار: ٥٩٢. الأبيات والخير في الأغاني: ١٥٧/٣.

(٣) أبو مسلم: هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني. القائد المشهور في الثورة العباسية ضد بني أمية، وكان
فصيحاً، مهيباً، راوية للشعر. توفي سنة ١٣٧ هـ. (الأعلام: ٣/٣٣٧).

(٤) في الديوان: «أبا مسلم ما طول».

على الملك الجبار يقتحم الردى
 كأنك لم تسمع بقتل متوج
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم
 وقد ترد الأيام عزاً وربما
 ومروان قد دارت على نفسه الردى
 وأصبحت تجري سادراً في طريقهم
 تجردت للإسلام تغفورسومه
 فما زلت حتى استنصر الدين أهله
 لحى الله قوماً رأسوك عليهم
 أقول لبسام عليه جلاله
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
 سراج لعين المستضيء وتارة
 إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
 ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
 وما خير كف أمسك الغلؤها
 وخل الهونا للضعيف ولا تكن
 وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه

وبصرعته في المأزق المتلاحم
 عظيم ولم تعلم يهلك الأعاجم^(١)
 وأمسى أبو العباس أحلام نائم
 وردن كلوماً باديات الشكائم^(٢)
 لاجرامه لا بل قليل الجرائم^(٣)
 ولا تتقي أشباه تلك الفقائم^(٤)
 وتعري مطايا لليوث الضراغم^(٥)
 عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم^(٦)
 وما زلت مرؤوساً خبيث المطاعم
 غداً أريحياً عاشقاً للمكارم^(٧)
 جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم^(٨)
 يكون ظلاماً للعدو المزاحم
 برأي نصيح أو نصيحة حازم
 فإن الخوافي قوة للقوادم^(٩)
 وما خير سيف لم يؤيد بقائم
 نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
 شبا الحرب خير من قبول المظالم^(١٠)

(١) في الديوان: «ولم تسمع بفك الأعاجم».

(٢) في الديوان: «وقد ترد الأيام غراً... وردن كلوحاً... الشكائم». والشكائم: جمع الشكيمة وهي الحديدية توضع على فم الفرس.

(٣) في الديوان:

ومروان قد دارت على رأسه الرجى
 والرجى: حجر الطاحون.

(٤) في الديوان: «فأصبحت». «تلك النقائم». وسادر: حائر وغير مهم.

(٥) في الديوان: «تغفورسيله». «وتعري مطاه». وتغفور: تمحو.

(٦) في الديوان: «فعاذوا بالسيوف».

(٧) الأريحي: الواسع الخلق، الذي يهتز للمعروف.

(٨) في الديوان: «من الهاشميين». «مثل ابن هاشم».

(٩) الغضاضة: الذلة والمنقصة. الخوافي: ريشات صغار تحت جناح الطائر. والقوادم: الريشات الكبار الأماميات.

(١٠) الشبا: جمع الشبابة: حد السيف.

هذا ما أورده أبو هلال العسكري ، وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي (١) :
 فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تُشهد الشورى أمراً غير كاتمٍ
 فإنك لا تستطردُّ الهمَّ بالمنى ولا تبلغُ العليا بغير المكارم
 وما قارَعَ الأقوامَ مثلُ مشيِّع أريبٍ ولا جلي العمى مثلُ عالمٍ (٢)

وما خير كف - البيت .

قال أبو بكر: فحدثني الجمحي قال: سمعت المازني يقول: سمعت أبا عبيدة يقول:
 ميمية بشار هذه أحب إلي من ميميتي جرير والفرزدق .

وقيل لبشار: ما أحسن أبياتك في المشورة؟ فقال: المستشير بين صواب يفوز بثمرته ، أو
 خطأ يشارك في مكروهه فقليل له: هذا والله أحسن من شعرك .

ومن الأفراد التي لا شبيه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة:

ما استشرت أحداً إلا تكبر علي ، وتصاغرت له ، ودخلتني الذلة ، فعليك بالاستبداد ، فإن
 صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، فإذا افتقرت إلى العقول ، حقرتك العيون
 فتضعض شأنك ، ورجفت بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز
 سلطان ، لم يغنه عقله من عقول وزرائه وآراء نصحائه .

فدم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .

وقال رومي لفارسي: نحن لا نملك من يشاور . فقال الفارسي: نحن لا نملك من لا

يشاور ، وقد أجمع الناس أن الفرس أعقل من الروم .

ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم: إذا طمعت مللت .

ويقولون: الطمع طبع ، والطبع الدنس ، وأنشد:

لا خير في طمع يدعو إلى طبع وغفّة من قوام العيش تكفيني
 والغفّة القوت ، وأصلها الفأرة وسميت بذلك لأنها قوت للسنور .

وأنا أقول: إن أول الطمع ذلة ، وأوسطه شقوة وآخره حسرة .

وقال ثابت قطنة (٣):

ألأئمتي عميرة أن رأنتني عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلما سمعناها عن العرب قولهم: «إن ترد الماء بماء أكيس» (٤) معناه ينبغي أن تحتفظ

بما عندك حتى تصل إلى غيره ، ولا تلقي ما في يدك رجاء لما هو أكثر منه ، فلعلك لا تناله لحادث
 يحدث .

(١) الأبيات في الديوان ٥٩٣ .

(٢) المشيِّع: الشجاع .

(٣) ثابت قطنة: هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي ، كنيته أبو العلاء ، وكانت ذهبت عينه فحشاها بقطنه ، وقد شهد

الوقائع في خراسان . مات سنة ١١٠ هـ (الأعلام: ٩٨/٢) .

(٤) جمهرة الأمثال: ٦٨/١ .

ومثل ذلك قولهم^(١): «لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً» أي لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله. وأصله في الحرباء لا يترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى.

قال الشاعر:

أَنْتَى أَتِيحُ لَهَا حَرْبَاءُ تَنْضِبَةُ لَا يَرْسُلُ السَّاقَ إِلَّا مُمْسِكاً سَاقَا
أَجُودُ مَا قِيلَ فِي الْحَيَاءِ قَوْلُ^(٢) الْخَنْسَاءِ: وَمَخْرُقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ
وَمَخْرُقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمَا
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتُهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمَا^(٣)
أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ وَأَحْسَنَ:

يَشْهَوْنَ سَيُوفاً فِي صِرَامَتِهِمْ وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْقَمَمِ
إِذَا غَدَا الْمَسْكُ يَجْرِي فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفُ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتُهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتُهُ خَشْنَانِ
وَقَالَ أَبُو دَهْبِلٍ^(٤):

نَزَّرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ صَمْتاً وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقَمُ
عُقَمَ النِّسَاءِ فَلَا يَلْدُنْ شَبِيهَهُ إِنْ النِّسَاءُ بِمَثَلِهِ عَقَمُ
غَيْرُهُ:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانَا

أَجُودُ مَا قِيلَ فِي تَفْضِيلِ الْجَدِّ عَلَى الْعَقْلِ وَالْإِخْبَارِ بِأَنَّ الْحِظَّ وَالْعَقْلَ لَا يَجْتَمِعَانِ قَوْلُ
الْأَوَّلِ:

وَمَا لُبُّ اللَّبِيبِ بَغِيرِ حِظٍّ بِأَغْنَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ فِتِيلِ
رَأَيْتُ الْحِظَّ يَسْتَرُّ عَيْبَ قَوْمٍ وَهِيَهَاتُ الْحِظْوُظُ مِنَ الْعَقُولِ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ^(٥): «أَسْعَ بَجْدٌ أَوْ دَع».

أَجُودُ مَا قِيلَ فِي التَّنْزِهِ وَالتَّصَوُّنِ وَتَرْكِ السُّؤَالِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

السَّخَاءُ أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مَتَبَرِّعاً، وَعَنْ مَالٍ غَيْرِكَ مَتَوَرِّعاً. فَجَعَلَ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ

(١) جمهرة الأمثال: ٣٠٦ / ٢

(٢) البيتان ليسا في ديوانها. وهما في عيون الأخبار ونسبهما إلى ليلى الأَخِيلِيَّةِ. وفيه: «وسط البيوت».

(٣) الخميس: الجيش. الزعيم: الكفيل.

(٤) أبو دهبِل الجُمَحِي: وهب بن زُمَعَة، من شعراء قريش العُشَاقُ تُوْفِي سنة ٦٣ هـ. (الأعلام: ١٢٥/٨).

والأبيات في عيون الأخبار ١/ ٢٧٩ ويمدح فيها النبي ﷺ.

(٥) جمهرة الأمثال: ٣٠٦ / ٢.

سخاءً، لأن النفس، إذا سخت وسمحت، لم تتطلع إلى مال الغير، كما أنها إذا ضاقت وحرصت، تآقت إلى ما ليس لها.

وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي خازم^(١) فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياه السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتزّه عنه مال
وما أحسب أني سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت:

ألا إن القناعة خير مالٍ لدى كرمٍ يروحُ بغير مالٍ
وان تصبر فإنّ الصبر أولى بمنٍ عثرت به نوب الليالي
تجمل إن بُليت بسوء حالٍ فإن من التجمل حسن حالٍ
أجود ما قيل في مضاء العزم، وثبوت الرأي والفتنة، من الشعر القديم قول أوس بن حجر:
الألُمعيّ الذي يظنُّ بك الظن كَأَنْ قد رأى وقد سمعا^(٢)
وقالت الحكماء: لا ينتفع الرجل بعلمه، حتى ينتفع بظنه. وكان عمر رضي الله عنه يقول:
إذا أنا لم أعلم ما لم أر، ما علمت ما رأيت.

وقلت:

أمانك مصروفٌ إلى كلِّ راهبٍ وسيُّك موقوفٌ على كلِّ راغبٍ
تباشرت الدنيا بجدواك واكتفت فلم تباشر بالغيوثِ الصوائبِ
تبسمُ منك الدهرُ عن زائنٍ له وعين عليه في اختلافِ النوائبِ
بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ تكشف عن رأي وراءِ العواقبِ
ليشكركَ مجدُّ لا تزال تحوطه وتحميه بالنصلين: عزمٍ وقاضبٍ
كأنّي إذا أمسكتُ منك بعُرْوَةٍ أخذت بأهدابِ الغيومِ السواكِبِ

وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول^(٣) أبي تمام:

وَرَكِبَ كأطرافِ الأَسنةِ عَرَسُوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه^(٤)
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدوره وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه

مأخوذ من قول الأول:

غلامٌ وغى تقحمها فأودى وخانَ بلادَهُ الزمَنُ الخوونُ

(١) هو بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل. قتل في الغزو سنة

٢٢ ق. هـ. (الأعلام: ٥٤/٢).

(٢) الألُمعي: الذكي. والبيت في ديوان أوس: ٥٣.

(٣) ديوانه: ٤٤.

(٤) الغياهب: الظلمات. عَرَسُوا: نزلوا ليلاً للاستراحة.

وكان على الفتى الأقدام فيها
وليس عليه ما جنت المنون
وقوله:

وقد علم الأفشينُ وهو الذي به
بأنك لما استخذل الأمر واكتسى إهابي سيفي في وجوه التجارب^(١)
تجللتُ بالرأي حتى أريتَه
به ملء عينيه مكانَ العواقب^(٢)
سللت له سيفين رأياً ومنصلاً
وكلُّ لنجمٍ في الدُّجْنَةِ ثاقب^(٣)
وكنت متى تهزز لخطب تغشه
ضرائب أمضى من رقاق المضارب
وقال^(٤):

وسارت به بين القنابل والقنا
عزائمُ كانت كالقنا والقنابل
ومن جيد ما قيلَ في كتمان السرِّ قول الأول:
تلاقت حيازيمي على قلب حازم
أواخي رجالاً لستُ أطلعُ بعضهم
على سرِّ بعضٍ ان قلبي واسعة
وقال الآخر:
سأكنمه سري وأحفظُ سرَّه
ولا غرنِّي أتِي عليه كريمُ
عليمُ فينسى أو جهولٌ يذيعه
وما الناسُ إلا جاهلٌ وعلیمُ
والمثل السائر^(٦):

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه
فصدرُ الذي يستودعُ السرَّ أضيقُ
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد^(٧):
وأفضلُ قسمٍ لله للمرءِ عقله
فليس من الخيرات شيءٌ يقاربه
إذا كملَ الرحمنُ للمرءِ عقله
فقد كملت أخلاقه وضرائبه^(٨)

(١) الأفشين هو حيدر بن كاوس قائد من قواد الدولة العباسية، له مواقع كثيرة مع الثائرين، وكان حبسه المعتصم وقطع عنه الطعام والشراب حتى مات سنة ٢٢٦ هـ. تاريخ ابن الأثير: ٥١٠/٦ وما بعدها.

والبيت وما يليه في ديوان أبي تمام: ٤٢. وفيه: «رداء الملك عن كل جاذب».

(٢) في الديوان: «استخذل النصر... إهابي تسفي». واستخذل النصر: خاب.

(٣) في الديوان: «وكلُّ كنجم».

(٤) ديوان أبي تمام: ٢١٩.

(٥) الحيازيم: جمع الحيزوم وهو وسط الصدر.

(٦) جمهرة الأمثال: ٤٧٣/١.

(٧) ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر، وهو من ائمة اللغة والأدب. له تصانيف منها «جمهرة اللغة». توفي في بغداد سنة ٣٢١ هـ. (الأعلام: ٨٠/٦).

والأبيات في العقد الفريد منسوبة إلى محمد بن يزيد: ٢٥٢/٢.

(٨) ضرائبه: مآربه وحاجاته.

يعيشُ الفتى بالعقل في الناسِ أنه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناس صحة عقله
ويزري الفتى في الناس قلة عقله
ونحوه قول الآخر:

ولم أرَ مثلَ الفقر أَوْضَعَ للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
إذا عاشَ بين الناسِ منعدم العقل

وقال سهل بن هارون^(١): العقل راية الروح، والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، أخبرنا أحمد بن يحيى، عن ابن
الأعرابي، قال: قال قس بن ساعدة^(٢): أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه، وأفضل العلم وقوف
المرء عند علمه، وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه، وأفضل المال ما قضيت منه
الحقوق. ومن العجب، أن العرب تمثلت في جميع الخصال، بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها،
فضربوا بها المثل، إذا أرادوا المبالغة، فقالوا: «أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم»^(٣).
«وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية»^(٤).

«وأشجع من بسطام»،

«وأبين من سحبان»^(٥)،

«وأرعى من ابن تقن»^(٦)،

«وأعلم من دغفل»^(٧)،

ولم يقولوا أعقل من فلان، فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد، على حسب ما قال الأعرابي،
وقد قيل له: حد لنا العقل، فقال: كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط.
ووصف بعضهم الحجاج بالعقل، وعكس أمره آخر فوصفه بالحمق، قال عتبة بن عبد
الرحمن:

(١) سهل بن هارون بن راهبون: أبو عمرو الدستيمساني، كاتب بليغ حكيم، من واضعي القصص، اتصل
بالرشيد ثم بالمأمون، فولد خزانة الحكمة مات سنة ٢١٥ هـ. (الأعلام: ١٤٣/٣).

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي، من حكماء العرب في الجاهلية. رآه النبي ﷺ، قبل
النبوّة، في سوق عكاظ فقال: «يُحشَرُ أمة وحده». مات سنة ٢٣ ق. هـ. (الأعلام: ١٩٦/٥).

(٣) جمهرة الأمثال: ٣٢٨/١.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢٧٢/١.

(٥) كتاب الحيوان للجاحظ: ٣٩/١.

(٦) جمهرة الأمثال: ٤٠٧/١.

(٧) جمهرة الأمثال: ٦٧/٢.

رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية، ثم قال أبو الصفدي: كان الحجاج أحق بني مدينته في بادية النبط، ثم حماهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب. وقال يونس بن حبيب: كان والله يفتق ولا يرتق، ويخرق ولا يرفق، وقال بعضهم: ما دخل العراق أكثر أدياً من الحجاج، فلما طال مكثه في ولايته، واشتد في سلطانه، وترك الناس الرد عليه فسد أدبه، وقال له عبد الملك: إن الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه، وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك، فقال: أنا حديد حقود، ذو قسوة حسود، فانتحل الشر بحذافيه وجمعه بزوبره^(١). ومن العجب، أنهم قالوا: من عرف نفسه نجا، وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك. وقالوا: العاقل لا يخبر بعبث نفسه، وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب، كما أن أكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه: وقلت في ذلك:

لو تم شيء من الدنيا لذي أدب لانضاف مال إلى علمي وآدبي
فتم جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحد فكل خلي وان لم يدّر ذو عاب

وقال إسماعيل بن غزوان: كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان، لا يكون في نصاب علم وخلق، لا يجري على عرقه فليس له ثبات، إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود:

على أعراقه يجري المذكي وليس على تكلفه وجهده
وقال بعض الملوك لحاجبه: أدخل عليّ رجلاً عاقلاً، فأدخل عليه رجلاً قال: بم عرفت عقله؟ قال: رأيته يلبس الكتان في الصيف، والقطن في الشتاء واللبس^(٢) في الحر، والجديد في الق^(٣).

وما قيل في علامة العاقل أعجب إليّ من قول الأول: علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه. وقال بعضهم: إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً.

ومما يدخل في الباب، ما أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر، عن عبد الرحمن، عن عمه قال: لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى الإخوان، والتسلي بمناعة أهل الحفاظ بمثل قول^(٤) بشار حيث يقول:

وأبشئت عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مرّ أتجرع
ولا بدّ من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلّع

(١) اخذه بزوبره: أي بأجمعه.

(٢) اللبس: الثوب الذي أخلق لقديمه.

(٣) الق: البرد.

(٤) ديوان بشار: ٥٥٣. وفي الأمالي دون عزو: ٢١٩/٣.

ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الأعراب:
 إذا ضيعت أول كل أمر
 أبنت أعجازه إلا التواء
 وإن حملت أمرك كل وغد
 ضعيف كان أمركما سواء
 وإن داويت دنيا بالتناسي
 وبالليان أخطأت الدواء
 وقال الأعشى (١):

إذا حاجة وأنت لا تستطيعها
 فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق
 فذلك أحرى أن تنال جسمها
 وللقصد أهدى في المسير والحق
 ومن أجود ما قيل (٢) في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو لغيره في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته
 فجعل مهيباً في السكون والإغضاء، ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان كذلك فهو بليغ جداً.

وأشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله، لشاعر في بعض العلماء هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى:

يأبى الجواب فما يراجع هيئة
 والسائلون نواكس الأذقان (٣)
 هدى التقى وعز سلطان النهى
 وهو المهيب وليس ذا سلطان
 ومن أحسن تشبيه جاء في الهيئة قولهم: «كأن على رؤوسهم الطير» (٤)، وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك.
 وقال (٥) أبو نواس:

أضمر في القلب عتاباً له
 فإن بدا أنسيت من هيئته
 ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول:
 أهأبك إجلالاً وما بك قدرة
 علي ولكن ملء عين حبيبها
 وما هجرتك النفس أنك عندها
 قليل ولا ان قل منك نصيبها
 ولا ترى أجود من قوله: «ملء عين حبيبها» ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك لا تجد لفظة تقوم مقامها، ويقولون: حسن يملأ العين، وهيئة تملأ الصدر.
 وقال:

-
- (١) ديوانه: ٢٢١.
 (٢) ديوانه الفرزدق: ٥١١.
 (٣) نواكس: خافضون.
 (٤) جمهرة الأمثال: ١٢١/٢.
 (٥) ديوان أبي نواس: ١٢٤. وفيه: «أضمر في البعد».

وتملأ عين الناظر المتوسم

وقال^(١) ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من البدور^(٢)
وقال آخر :

إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقد أجاد أبو تمام في صفة الهبة والمخافة فقال^(٣) :

تبت المقام يرى القبيلة واحداً ويرى فتحسبه القبيل قبيلة
وقال^(٤) :

قد أترعت منه الجوانح هبةً بطلت لديها سورة الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول^(٥) ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدوت وحيداً ووحيداً في الجحفل الجراء
وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العز يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر معشراً
وقال^(٦) الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي لمعونة :

شد الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم^(٧)
لا يصلح السلطان إلا هبة تلقى البريء بفضل جرم المجرم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشيء تكرهه وإن لم تعلم
ونهجت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العشمي عن المبرد^(٨) :

وأنت حياً في الحروب محلهم والجيش باسم أيهم يستهزم
يقول : به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه .

(١) ديوانه : ٨٦/٣ .

(٢) المنصور : الخليفة العباسي أبو جعفر .

(٣) ديوان أبي تمام : ٢١٥ .

(٤) ديوانه : ٢٣٠ . وفيه : « الجوانح رهبة » . وفي الديوان : « ما في صدورهم » .

(٥) ليس في ديوانه .

(٦) الأغاني : ٢٢٧ / ١٨ .

(٧) الخطام : ما يشد به على الأنف .

(٨) المبرد : أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، الأزدي ، النحوي ، البصري ، صاحب الكامل ، وكان متفنناً في كل العلوم . مات سنة ٢٨٦ هـ . (سير أعلام النبلاء : ٥٧٦ / ١٣) .

ومثله قول الفرزدق:

لييك وكيف خيل ليل مغيرة
لُقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة
ومثله قول الآخر:

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي الهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته، ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية.
ومما هو بليغ في باب المهابة قول^(٢) الأشجع:

وعلى عدوك يا بن عم محمد
فإذا تنبه رعته وإذا هذى
فنقله أبو نواس إلى غزال فقال^(٣):

قسيت في الهموم والأطما
أكون يقظان في تذكره
وصرت فيه بين الورى علما
حتى إذا نمت كان لي حلما

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نصرت بالرعب»^(٤) وما وصف أحد هبة صاحب
السلطان إذا بدا كما وصفها البحري في قوله^(٥):

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت
يقومون من بُعد إذا أبصروا به
يدعون بالأسماء مثني وموحداً
وإن سار كفّ اللحظ عن كل منظر
فلست ترى إلا إفاضة شاخص
وقوله^(٦):

تراءوك من أقصى السماط فقصروا
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم

(١) في ديوان الفرزدق: ١٨٠. وفيه: «لييك وكيف».

(٢) الأغاني: ٢٣٣/١٨.

(٣) ديوانه: ٥٧١.

(٤) أخرجه البخاري: تيمم ١، صلاة ٥٦. ومسلم: مساجد ٣.

(٥) ديوانه: ٥٩/١ ص.

(٦) السَّمِيدَع: السيد الكريم.

(٧) ديوان البحري: ٤٠/١ ص.

إذا نكسوا أبصارهم من مهابة
وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :
إذا ما بدا والقوم فوق سروجهم
وقال (١) البحري :
ومبجل وسط الرجال خفوفهم
فالله يكلؤه لنا ويحوطه
لقيامه وقيامهم لقعوده
ويعزه ويزيد في تأييده (٢)

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه :
قيمة كل امرئ ما يحسنه .

وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم، وعدّ خصاله، أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه، خاطب به
كميل (٣) بن زياد، أثبت له هنا وإن كان مشهوراً :

أخبرنا أبو أحمد، حدثنا الهيثم بن أحمد الزيداني، حدثنا علي بن حكيم الأذري، حدثنا
الربيع بن عبد الله المدني، حدثنا عبد الله بن حسن، عن محمد بن علي، عن آبائه عن كميل بن
زياد، قال : أخذ بيدي علي رضي الله تعالى عنه، فلما أصرحنا قال :

« يا كميل إن هذه القلوب أوعية، وخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة :
عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعا عتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم
يستضيئوا بنور العلم، ولم يأووا إلى ركن وثيق . يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك،
وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، يا كميل محبة العلم دين،
تدان به تكتسب به الطاعة في حياتك، وجميل الأحدث بعد وفاتك، والعلم حاكم، والمال
محكوم عليه، يا كميل، مات خزان المال، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة،
وأمثالهم في القلوب موجودة، هاهنا ههنا لعلماء جماً، لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً (٤)، غير
مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه، أو منقاداً لحملة
الحق، لا بصيرة له في أجنائه، فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة، أولاً ولا إذا
فمنهموم باللذات، سلس القياد للشهوات، ومغرم بالجمع والادخار، ليس من رعاة الدين، أقرب
شبهاً بهم الأنعام السائمة، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة : إما ظاهر وإما خائف، لئلا
تبطل حجة الله وتبينه، وكم وأين أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون قدراً، بهم يحفظ الله تعالى

(١) ديوانه : ١٧٥/٢ ص .

(٢) يكلؤه : يحفظه .

(٣) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي، وكان شريفاً مطاعاً، شهد صفين مع علي . قتله الحجاج سنة

٨٢ هـ . (الأعلام : ٢٣٤/٥) .

(٤) اللقن : السريع الفهم .

حججه حتى يودعوها أسمع نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم؟ هجم بهم العلم على حقائق الأمور، فباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعده المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها، متعلقة بالمحل الأعلى، يا كُميل، أولئك أولياء الله من خلقه، وعماله في أرضه، والدعاة إلى دينه، هاه شوقاً إلى رؤيتهم.

ومما حُث به على تحفيظ العلوم، قول بعض الأوائل:
خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبج معك.
وقال الخليل:

أفخر وكائر بالقريـ حة إنها فخر المكائر
وأعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر
وقال أبو هلال رحمه الله تعالى: لو قال «ما ضمته صحف الضمائر» كان أجود
وقال^(١) غيره:

استودع العلم قرطاساً فضيعه وبس مستودع العلم القراطيس
وقلت:

تقل غناء عن جهول مغمر دفاتر تلقى في الظروف وترفع
تروح وتغدو عنده في مضية وكائن رأينا من نفيس يضع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر:

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف لعي ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان كما انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر
ونحوه:

لا خير في حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الإعراب، وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي:
ويعجبني زئ الفتى وجماله ويسقط من عيني ساعة يلحن
على أن للإعراب حداً وربما سمعت من الأعراب ما ليس يحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

سمعت أبا أحمد يقول: أحسن ما سمعت في السؤال: قول عبد الله بن العباس وقد سئل:
بم أدركت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول.

ثم أخبرنا قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عاصم، ثنا الهيثم بن عبد الله، حدثنا علي بن موسى الرضي، حدثني أبي، حدثني أبو جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي بن الحسن رضي الله تعالى عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) في الأمالي: ٢٢٣/١. ولم يعزه.

«العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والمستمع والعالم والمحب لهم»

وأجود ما جاء في السؤال من الشعر ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه:
شفاء العي في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الفعال
وبحثك في الأمور عن المعاني وتخريج المقال من المقال
وقبولك بالصواب إذا أنارت شواهدُ ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحال
أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه، ما أخبرنا به أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال
أحمد بن عيسى العكلي: حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال: قال بعض
الحكماء لابنه:

يا بني، اللسان أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل به الخطاب،
وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، ومعز يرد الأحران، وواعظ ينهي عن القبيح،
ومزين يدعو إلى الحسن، وزارع يحرق المودة، وحاصد يذهب بالضعفين، ومُله يوقف الأسماع،
ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد، وليس شيء من الجوارح ينطق به
غيره.

ومن أجود ما احتج به للكلام: ما أخبرنا به أبو أحمد، حدثني أبي، حدثنا أحمد بن أبي
طاهر، حدثنا أبو تمام، قال: تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه،
والصمت ونبله، فقال سعيد: ليس النجم كالقمر، إنك إنما تمدح السكوت بالكلام، ولا تمدح
الكلام بالسكوت، وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه.

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه، عن أحمد، حدثنا أبو تمام، حدثنا أبو عبد الرحمن
الأموي، قال: ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك، فذمه أهل المجلس، فقال
سليمان: كلا! إن من تكلم فأحسن، قدر أن يسكت فيحسن، وليس كل من سكت فأحسن، قدر أن
يتكلم فيحسن.

ومن أجود ما احتج به للصمت، ما أخبرنا به أبو أحمد، أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي
طاهر، حدثنا حبيب بن أوس، حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال: تحدثنا بباب الأوزاعي،
وفينا أعرابي من بني عليم بن جناب، لا يتكلم فقليل له: بحق ما سميتم خرس العرب، ألا
تتحدث مع القوم؟ فقال إن الحظ للمرء في أذنه وإن الحظ في لسانه لغيره، وإنما جعل للمرء
أذنان ولساناً، ليكون استماعه ضعف كلامه. قال فحدثنا الأوزاعي، فقال والله لقد حدثكم
فأحسن.

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام، فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي تمام، حدثني يحيى بن إسماعيل الأموي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال جدي: الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام إلا بيقظة ولا يقظة إلا بمنام.

قال أبو هلال: وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له: أخبرني بعض أصحابنا قال: ناطقت فتى من بعض أهل القرى، فوجدته ذليق اللسان، فقلت له: من أين لك هذه الذلاقة؟ قال: كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأقرأها برفع صوت، فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى. وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه، وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان:

حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم، أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز، أخبرنا المدائني قال: قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد، عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الأَهم: «أخبرني عن الزبرقان بن بدر»: فقال: مطاع في أذنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما والله يا رسول الله إنه لزم المرءة^(١)، ضيق العطن^(٢)، أحق الوالد، لئيم الخال، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى، رضيت فقلت أحسن ما أعلم، وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»^(٣). وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة، ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً، وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام.

ومما يدخل في بابيه، ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي، حدثني الطيب بن محمد الباهلي، قال موسى بن سعيد بن مسلم عن أحمد بن يوسف الكاتب قال: دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي؟ قال:

هم هامة الشرف، وخرطوم الكرم، وغرس الجود، إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، إنهم لأطولهم أمماً، وأكرمهم شيماً وأطعمهم طعاماً، وأوفاهم ذمماً وأبعدهم همماً، هم الجمرة في الحرب، والرفد في الجذب، والرأس في الخطب، وغيرهم بمنزلة العجب. فقال: لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت، فزاد أخواله في الفخر، فغضب أبو العباس لأعمامه فقال: أفخر يا خالد، فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين؟ فقال: نعم وأنت من أعمامه، فقال:

(١) زمر المرءة: قليلها

(٢) ضيق العطن: بخيل.

(٣) أخرجه البخاري: نكاح ٤٧. ومسلم: جمعة ٤٧. بلفظ: «إن من البيان سحراً».

وكيف أفاخر أقواماً هم بين ناسج برد، وسائس قرد، ودابغ جلد، دل عليهم الهدهد
وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة؟ فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك.
قال وحديثي ابن المزرع قال: سمعت عمرو بن بحر الجاحظ، وقد ذكر كلام خالد هذا
يقول: والله لو نفكر في جمع معايهم، واختصار اللفظ في مثالبهم، بعد ذلك المدح المذهب
سنة، لكان قليلاً فيكيف على بديه لم يرض فكراً.
وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم: إن المزاح هو السباب الأصغر، وقيل المزاح سباب
النوكي^(١).

وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول^(٢) أبي نواس:

إنه نار وقدحُ القادحِ وأيَّ جدٍ بلغ المازحُ
ومثله:

صارَ جداً ما فرحت به رَبُّ جدٍ جرَّه لعبُ
وقلت:

غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجدِّ في موضعه
أجود ما قيل في التضافر والتعاون، قول قيس بن عاصم^(٣) المنقري يوصي ولده وقومه:
وجدت في كتاب غير مسموع، لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة، وعابته قال:
يا بني أوصيكم بتقوى الله، وليعطف الكبير منكم على الصغير، ولا يجهل الصغير حقَّ
الكبير، وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نابكم^(٤) الذي عنه تعبرون، ومجنكم^(٥) الذي به
تستجرون، ولا تقطعوا من دونه رأياً، ولا تعصوا له أمراً، وأكرموا الحجاج بن يوسف، فإنه الذي
وطأ لكم المغابر، وذللكم قارب العرب، وعليكم بالتعاون والتضافر، وإياكم والتقاطع
والتدابير.

فقال قيس بن عاصم لبنه:

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم	إن مُدَّ في عمري وإن لم يُمددِ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم	لمسودَّ منكم وغير مسودَّ
إن القداحِ إذا جُمعنَ فرامها	بالكسر ذو حَقِّ وبطش أيدِ
عزت ولم تكسر وإن هي بُدِّدتْ	فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدد

(١) النوكي: الحمقى.

(٢) ديوانه: ١٧٥.

(٣) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي، من امراء العرب وعقلائهم، كان سيداً في الجاهلية وشاعراً.
روى احاديث. مات بالبصرة سنة ٢٠ هـ. (الأعلام: ٢٠٦/٥).

(٤) الناب: السيد.

(٥) المجن: ما بقي ويحفظ كالترس وغيره.

ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما: قد حضر من الأمر ما تريان، فإن كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعتماه وجعلتما الأمر حيث شئتما: قالوا: بل رضينا أكمل الناس لها، وأقواهم عليها، قال: أما والله لو غيرها قلتما لمتما قبلي، ثم رفع طرف فراشه، فإذا تحته سيف مجرد، فقال: للوليد لا أعرفك إذا أنا مت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد النمر، وادع الناس إلى بيعتك، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا. ثم لم يزل متمثلاً بقول الشاعر:

وهل من خالد أما هلكنَا وهل بالموتِ يا للناسِ عار
ثم قال: الحمد لله الذي لا يبالي صغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى.

فقال هشام بن عبد الملك:
وما كان قيسٌ هلكهُ هلك واحدٍ ولكنه بنيانٌ قومٍ تهدما
فسمعها الوليد فتطير منها، فرفع يده فلطمه، وقال: إنك أعور مشؤوم، هلا قلت كما قال التميمي:

إذا سيدٌ منا ذرأ حدثنا به تخطب فينا نابٌ آخر مقرم
فسمع مسلمة الصيحة، فقال: ذروا الصباح، فإنكم إن استقمتم استقام الناس، وإن اختلفتم اختلفوا.

أخبرنا أبو حمدة، أخبرنا أبو بكر بن دريد، أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال: كان عبد الملك بن مروان، ذات ليلة، في سمره مع ولده، وأهل بيته، وخاصته، فقال: ليقُل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر، وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله، فأنشدوا وفضلوا، فقال بعضهم: أمرؤ القيس، وقال بعضهم، النابغة وقال بعضهم: الأعشى، ولما فرغوا قال: أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول:

وذي رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنِهِ	بحلمي عنه وهو ليس له حلم ^(١)
إذا سُمتهُ وصلَّ القرابةِ سامني	قطيعتها تلك السفاهةُ والظلمُ
وأسعى لكي أبني ويهدم صالحي	وليس الذي يبني كمن شأنه الهدمُ
يحاولُ رغمي لا يحاولُ غيرُهُ	وكالموتِ عندي أن يحل به رغمُ
فإن أنتصر منه أكن مثلَ رائثٍ	سهامٍ عدوٍ يستهاضُ بها العظمُ ^(٢)
وبادرت منه النأي والمرءُ قادرُ	على سهمِهِ مادام في كفه السهم
فإن أعفُ عنه أغض جفنًا على القذى	وليس له بالصفحِ عن ذنبهِ علم
حفظتُ الذي قد كان بيني وبينهُ	وهل يستوي حربُ الأقاربِ والسلام

(١) الخبر والأبيات في الأغاني: ١٢/٦٠.

(٢) راش السهم: وضع له الريش.

فما زلتُ في لينٍ لَهُ وتعطفٍ عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته وإن كان ذا ضغن يضيّق به الحزم
فقالوا: يا أمير المؤمنين، من قاتل هذه الأبيات؟ فما أحسنها وأرضاهما! قال: معن ابن أوس
المزني .

ومن أجمع ما قيل في المعروف، قول النبي ﷺ: «المعروف كاسمه»^(١).
أخبرني عم أبي عن أبيه قال: قال العتابي كنت واقفاً بباب المأمون، أنتظر من يستأذنه لي،
فأقبل يحيى بن أكثم، فقمّت إليه، فقلت: أستاذن لي على أمير المؤمنين، فقال: لست بحاجب،
فقلت: ولكنك ذو فضل، وذو الفضل معوان، قال: سلكت بي غير سبيلي، قلت: ان الله قد
أتحلفك بجاه، وهو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، وبالنقصان إن كفرت، وأنا لك منذ اليوم أنفع
منك لنفسك، أَدعو إلى ازدياد نعمتك وتأيي علي، ولكل شيء زكاة، وزكاة الجاه رُفد المستعين،
وقد قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ المعروف فضلُ جاهك تعود به على من لا جَاه له»^(٢) فعقدت
ودخل، فما لبث أن خرج الحاجب يسأل عني، فدخلت فقال: حدثنا أبو نصر التمار عن
سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: اجتمع أربعة من أصحاب
رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وجعفر الطيار، وعمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فتذكروا المعروف فقال علي: المعروف حصن من الحصون،
وكنز من الكنوز، فلا يزهذك فيه كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر ما أضاعه جحود الكافر. وقال
العباس: المعروف أفضل الأمور، وأوثق الحصون، ولا يتم إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره،
وسره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرت عظمته، وإذا سترته تمتته، إن بأهل المعروف من الرغبة،
أكثر مما بأهل الحاجة إليهم، وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناه وفخره، فمهما أتيت من معروف،
فإنما أتيتك لنفسك. وقال عمر: إن لكل شيء أنفًا، وأنفُ المعروف السراح. فخرج عليهم رسول
الله ﷺ فقال: «فيم أنتم؟» فقالوا: نتذكر المعروف، فقال عليه الصلاة والسلام:
«المعروف كاسمه، وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله» .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف، وإن كان قليلاً، ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري،
عن المنقري، عن الأصمعي، عن بعض العباسيين، قال: كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في
حاجة:

بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته. أما بعد
فإنك كنت روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس بها، وتستريح القلوب إليها، وكنا نغفيها من
النجعة استتماماً لزهرتها، وشفقة على نضرتها، وادخاراً لثمرتها، حتى مرت بنا في سفرتنا هذه
سنة، كانت قطعة من سني يوسف، اشتد علينا كلبها، واخلفتنا غيومها، وكذبتنا بروقها، وفقدنا
صالح الإخوان فيها، فانتجعتك وأنا بانتجاعك بك كثير الشفقة عليك، مع علمي بأنك نعم موضع

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ١٩٠٠/٥ ولفظه: «المعروف باب من ابواب الجنة وهو يمنع مصارع سوء» .

الزاد، واعلم بأن الكريم إذا استحي من إعطاء القليل، ولم يحقر الكثير، لم يعرف جوده، ولم تظهر همته، وأنا أقول في ذلك:

وقلبه أبداً بالبخل معقود	ظل اليسار على العباس محدود
حتى تراه غنياً وهو مجهود	إنَّ الكريم ليخفي عنك عسرتَه
زرق العيون عليها أوجه سود	وللبخيل على أمواله علل
تقدر على سعة لم يظهر الجود	إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم
فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود	بثَّ النوال ولا يمنعك قلته

قال: فشاطره ماله حتى بعث إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله.

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول^(١) ابن الرومي:

وجدُ عدوك التُّربُ الذليل ^(٢)	أبا عمرو لك المثل المعلى
يروض طباعه فيه البخيل ^(٣)	رأيتُ المطلَّ ميداناً طويلاً
وباعك بالندى باع طويل	فما هذا المطلَّ فدتك نفسي
يقُلُّ لديك لي منه الجزيل	أظنُّك حينَ تقدرُ لي نوالاً
ولا قدرِي فيحقرُ ما تنيل	فلا تقدرُ بقدرك لي نوالاً
كفا في أيها الرجل النبيل	وأطلق ما تههمُّ به عسأه
نبت داراً فأسرع بي الرحيل	وإلا فالسلام عليك مِنِّي
فما سُدَّتْ على عزمٍ سبيل	إذا ضاق على أملٍ بلادُ

وقال غيره:

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجال وخيرُها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال، وموازنته للنوال^(٤)، بل رجاحته عليه، ما أخبرنا به
أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد قال: دخل كوثر
بن زفر بن الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب فقال له: أيها الأمير، أنت أعظم قدراً من أن
تستعان أو يستعان عليك، وليس تفعل المعروف شيئاً ألا وهو يصغر دونك، وأنت أكبر منه، وليس
العجب أن تفعل، ولكن العجب أن لا تفعل. فقال: سل حاجتك، قال: حملت عشر ديات وقد
بهظتني، فقال: قد أمرت لك بها، وشفعتُها لك بمثلها، فقال: أما ما سألتك بوجهي فأقبله منك،
وأما ما أبتدأتني به فلا حاجة لي فيه. قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال؟ قال لأنني رأيت الذي
أخذت مني بمسألتني إياك بوجهي، أكثر مما نالني من عرفك، وكرهت الفضل على نفسي. فقال

(١) ديوانه: ١٣٠/٥.

(٢) في الديوان: «أبا بكر لك...».

(٣) المطل: الوعد والتسويق.

(٤) النوال: العطاء.

له يزيد أسألك بحقك علي لما رأيتني أهله من إنزال الحاجة بي إلا قبلتها فقبلها.
وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل، فقل له: قد أقللت، فقال وكيف لا أقل ومعي ذل
المسألة، وحيرة الطلب، وخضوع الهية، وخوف الرد. وقيل لآخر متى يكون البلوغ عيياً؟ قال:
إذا سأل حاجة لنفسه.

وقال أحمد بن أبي خالد الأحول: ما استكثرت بذلاً بذلته قط، لأنني أرى الأجر والشكر
أكثر منه، ولا استصغرت معروفاً قط لأنني أراه أكبر من تركه.

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول:

فإنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ ان منعه من اليوم سؤالاً أن يكون له غدُ
هذا آخر كتاب الخصال، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد، ووقفنا على طرق الدم، لنضع كلاً منهما في موضعه، ونستعمله في حينه، ونلحقه بمستحقه، إذ ذكر من أحبه فقال:

﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١)،

ووصف من مقتله فقال:

﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(٢).

فدم قوله وفعله، وعاب شيمته، وخلقه وهتك الشتم عرضه، وسود بالدم وجهه، جزاءً بما اكتسب من ذميم الفعال، ووفقاً لما أطلقه من اسم المقال، نكالاً من الله والله عزيز حكيم. وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير الداعي إلى الله باذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته.

هذا كتاب المبالغة

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو

الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول في المعاتبات

فمن أوائل ذلك، ما أخبرنا به أبو القاسم، عن العقدي، عن أبي جعفر، عن المدائني، قال: قال عليه الصلاة والسلام لطلحة، حين رأى تلونه عليه: «فراق جميل خير من صُحبةٍ على دَخْنٍ والدخن والدخل: الفساد والمدخول: الفاسد، وقد دخل فسد، وروي «على دخل».

(١) سورة ص: آية ٣٠.

(٢) سورة القلم: آية ١١، ١٢، ١٣.

ومن قديم ما جاء في ذلك قول^(١) أبي ذؤيب:

تريدنَ كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمدٍ

يقول لأم عمرو، امرأة من هذيل، وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن

جابر - هويها فامتنت عليه، فخرج يوماً يتصيد، فختل ظبية، فلما أخذها أنشد:

فمالك يا شبيهة أم عمرو إذا عاينتنا لا تأمنينا

فعينك عينها إذ تنظرينا وجيدك جيدها لو تنطقينا^(٢)

وساقك ساقها ولأم عمرو خدلجة يضيئ بها البرينا^(٣)

ورأسك أزعر ولأم عمرو غدائر ينغفرن وينثنينا^(٤)

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو، فواصلته، وكان رسوله إليها أبو ذؤيب، فلما أነع

وترعرع، رغبت إليه، واطرحت وهباً، وخشي أبو ذؤيب الفضيحة، فقصر عنها وجعل يرسل إليها

خالد بن إبراهيم فلم تلبث أن علقت خالداً وتركت أبا ذؤيب، فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً،

مثل قوله^(٥):

فنفسك فاحفظها ولا تُبِدِ للعدى من السرِّ ما يُطوى عليه ضميرها

رعى خالد سرِّي لياليَ نفسه توالى على قصد السبيلِ أمورها

فلما تراماهُ الشبابُ وغيه وفي النفس منه غدرة ونحورها^(٦)

لوى رأسه عني ومال بودّه أغانيجُ خودٍ كان فينا يزورها^(٧)

تعلقه منها دلالٌ ومقلّة تظّل لأصحاب الشقاء تديرها

وما أنفُسُ الفتيانِ إلا قرئنٌ تبينُ ويبقى هامها وقبورها^(٨)

فأجابه خالد^(٩):

لا يبعدن الله حلمك إذ غزا وسافرَ والاحلام جُمّ عثورها

لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خيلاً شاتمي تستخيرها

(١) الأغاني: ٢٧٦/٦.

(٢) «تنظرينا» غير موجودة في الأصل.

(٣) «ساقها» غير موجودة في الأصل.

(٤) رأس أزعر: قليل الشعر.

(٥) الشعر والشعراء: ٥٤٨/٢.

(٦) في الشعر والشعراء: «غدرة وفجورها».

(٧) خود: شابة. وفي الشعر والشعراء: «كان قدماً يزورها».

(٨) في الشعر والشعراء: «وتبقى هامها».

(٩) الشعر والشعراء: ٥٤٨/٢. وخالد في الشعر والشعراء هو خالد بن زهير ابن اخت أبي ذؤيب. انظر الأغاني

أيضاً: ٢٧٦/٦.

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضي سنة من يسيرها
وهذا جواب لا نرى أقطع منه، لأنه ذكر أنه إنما جوزي بمثل فعله:

فإن التي فينا زعمت ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(١)
ألم تنقذها من ابن عويمر وأنت صفي نفسك وسجيرها
فان يك يشك من قريب مخانة فتلك الجوازي عقبها ونصورها^(٢)
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمراً، فوهب لها ذات يده، فواصلته، وكان لعمر علاتيتها، ولخالد
سرها، فجاء خالد ليلاً، وعمر ومعهما، على شراب فقتله وهرب، فبلغ الخبر وهباً، فركب في
جمع، فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه، فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمر وأبي الطير المرية غدوة على خالد أن قد وقعن على لحم
كليه وربي لن تعود بمثله عشية لاقتسه المنية بالردم
فإنك لو أبصرت مصرع خالد بجنب الستار بين أظلم فالحزم
علمت بأن الناب ليست رزيه ولا البكر لا ضمت يداك على غنم
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحزم^(٣)

ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل^(٤):

لحي الله من لا ينفع الودّ عنده ومن حبله إن مُدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهد خوان لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاءه فحلوا وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب، إذا عاتبتك، سلكت في ذلك مذهباً، لا
أبلغ فيه القصوى، ولا اقتصر على الأدنى، ولا أخليتك من الاستزادة في غير شكوى، والتعريف
في غير تعنيف، والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف، ولكن شر القوم ما لا يسمع، وليس لقائله
فيه متتفع، وأشبه البر بالعقوق، ما استكرهت عليه النفوس، وقد قال الشاعر:

وليس بمغن في المودة شافع إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

(١) تجوزها: تعدل عنها.

(٢) في ديوانه: «وان كنت تشك من خليل مخانة».

(٣) هامات: جمع هامة: رأس.

(٤) جميل بن عبد الله بن معمر، من العشاق، صاحبه بشية. توفي سنة ٨٢ هـ والبيات في ديوانه: ٩٤.

وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تبعاً غدواً إليك ورواحاً^(١)، حتى ملني البكور، وسئمني التهجير^(٢)، وشكاني الطريق، ولحاني الصديق، في كل ذلك أعاق بالحجاب، وتستقبلني ردة البواب :

ولا خيرَ في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه
وهذا ذرء^(٣) عتاب جاش به الصدر، وضاق عن كتمان الصبر، فإن عطفك حفاظ، فأهل الفضل والبر أنت، وإلا فإنني على العهد الذي بيننا، ولا أقول كما قيل :
فما ملني الإنسان إلا ملته ولا فاتني شيء فظلت له أبكي
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائم ولست إذا مال الصديق على حرف
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسط في الحادثات إذا كفى^(٤)
ومن ألطف الكلام، قول بعض الكتاب :

أنفذ إليّ أبو فلان كتاباً منك، فيه ذرء عتاب، كان أحلى عندي من تعريسة الفجر، وألذ من الزلال العذب، فلك العتي وليك وسعديك داعياً مستجاباً له، وعاتباً معتذراً إليه، ولو شئت مع ذلك أن أقول : إن العتب عليك أوجب، والاعتذار لك ألزم لقلت، ولكنني أسامحك ولا أشاحك، وأسلم لك ولا رادك، لأن أفعالك عندي مرضية، وشيمك لديّ مقبولة، ولولا أن للحجة موقعها، لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب، وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر الخطاب .
وقلت :

إذا مرضتم أتيانكم نعوذكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً ألطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست أقتضى الوفاء بكثرة اللاحاق فأثقل عليك، ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتنم القطيعة منك، والمثل السائر ويبقى الود ما بقي العتاب .
وقلت :

أمنعاً إذا جثتكم أستعيرُ فكيف إذا جئت أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فللعز عندهم منكب
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلبي وواصل صديقاً ما تعتب^(٥)

(١) الغدو: الذهاب صباحاً. الرواح: الذهاب عند الظهر.

(٢) التهجير: نصف النهار واشتداد الحر.

(٣) ذرء عتاب: شيء منه.

(٤) القذى: البغض.

(٥) القلى: العين.

وما يجري مع هذا الباب قول الآخر:
إذا رأيتُ أزوراراً من أخي ثقةً
فإن صدّدتُ بوجهي كي أكافئه
ضاقَتْ عليّ برحبِ الأرضِ أوطاني
فالعين غضبي وقلبي غيرُ غضبانٍ

وقد أحسن العباس بن الأحنف (١) في قوله:

كنا نعاتبكم ليالي عودكم
فالآن إذ ظهر العتاب منكم
ومن مشهور العتاب قولهم:

طال المطال فلا خلود فحاجة
واعلم بأنني لا أسرُّ بحاجة
ومن جيد المعانيات قول أبي تمام في أبي دلف (٢):

يا أيها الملك النائي بغرته
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً
ما دون بابك لي بابٌ ألود به
وقوله (٣) في أبي سعيد:

لعمرك لليأس غير المريث
وللريث تحصره بالنجاح

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في
سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وان امرأ ضنت يداؤه على امرئ
أخذه من قول مسلم:

وأحببت من حبها الباخين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يغار على المال فعل الجواد

وقول (٦) أبي تمام:

(١) هو العباس بن الأحنف بن أسود بن طلحة الحنفي البماني، من فحول الشعراء، له غزل فائق. توفي ببغداد سنة ١٩٢ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٩٨/٩).

(٢) ابودلف: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل أمير شجاع، تقلد أعمال الجبل أيام الرشيد، له مصنفات توفي سنة ٢٢٦ هـ. (الأعلام: ١٧٩/٥). الأبيات في ديوان أبي تمام: ٢٦.

(٣) ديوان أبي تمام: ٣٥٢.

(٤) في ديوانه: «ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً».

(٥) في ديوانه: «أن يجوداً». والأبيات في الشعر والشعراء مع ترجمته: ٧١٦/٥.

(٦) ديوانه: ٣٦٥.

لآل وهب أكفّ كلما اجتديتُ
قومُ ترَاهم غيَارَى دُون مجدهم
ومنها:

دنيا ولكنها دنيا ستَنصرم
ومنها:

فلا تقل قدمٌ أزرى بيهجته

فعلنَ في المحلِّ ما لم تفعلَ الديمُ
حتى كأنَّ المعالي عندهم عرمُ

وآخرُ الحيوانِ الموتُ والهَرَمُ

لبس العلا طللاً يزري به القدمُ

وقد أحسن^(١) ابن الرومي وأجاد، في قوله لقوم إستعان بهم فأعانوا خصمه:

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيرَ ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقفَ المعذور مني بمنزل
هي النفسُ إما أن تعيش عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً:

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال:

أتبخل بالقرطاس والخطُّ عن أخ
فلا يكن المبذول للوم سمعه
وهي طويلة.

وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب:

الله يعلم أنني لك شاكرُ
لكن رأيت بباب دارك جفوةً
ما بال دارك حين تدخلُ جنة
غيره^(٢):

سأترك هذا البابَ ما دامَ إذنه
إذا لم أجد يوماً إلى الأذنِ سلماً
وقول أبي تمام:

على ما أرى حتى يلينَ قليلاً
وجدتُ إلى تركِ المجيء سبيلاً

(١) ديوان ابن الرومي: ٩٧/٥.

(٢) في وفيات الأعيان؛ ونسبتها لأبي العميّل: ٩٠/٣. وفي البيت الأول: «حتى يخف». وفي البيت الثاني: «ترك اللقاء سبيلاً».

إن السماء ترجى حين تحتجب
مأخوذ من قول الأول:

وأنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحمامات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبه ابن أبي دؤاد واستبطائه إياه في قوله^(١):

رأيت العلا معمورة منك دارها	إذا اجتمعت يوماً وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة	تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها	ولا عرضك الوافي تناول عارها
فلا تمكننّ المطل من ذمة الندى	فبئس أخو الأيدي الكبار وجارها ^(٢)
فإن الأيادي الصالحات كبارها	إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قد بات بالأمس صادياً	إذا ما سماء اليوم طال انهمارها ^(٣)
وخير عدايت المرء محتضراتها	كما أن خيرات الليالي قصارها ^(٤)
وما العرف بالتسويق إلا كخلة	تسليت عنها حين شط مزارها ^(٥)

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء، وفي قوله^(٦) أيضاً لمالك بن طوق^(٧)، وقد حجه:

قل لابن طوق رحا سعد إذا خبطت	نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها	جلماً وكيسها علماً ودغفلها ^(٨)
مالي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة	عني وقد طال ما استفتحت مقفلها ^(٩)
كأنها جنة الفردوس معرضة	وليس لي عمل زاك فأدخلها

وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته

وكتب الصاحب أبو القاسم، إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه:

كتابي وعندي نعم من أعظمها خلوص وذك، وبقاء عهدك، ورد لي كتاب، حسبته يطير من

(١) ديوان أبي تمام: ٣٥٥. وفي البيت الأول بديوانه: «اجتمعت جاشاً».

(٢) في الديوان: «الأيدي الغزار».

(٣) صادي: عطشان.

(٤) عدات: جمع عدة، وهي الوعد. وفي الديوان: «عدات الحر».

(٥) في الديوان: «وما النفع بالتسويق».

(٦) ديوانه: ٢٠٩.

(٧) هو مالك بن طوق بن عتلب التغلبي، أمير من الاشراف الفرسان الأجواد تولى إمرة دمشق للمتوكل العباسي. له

شعر، توفي سنة ٢٥٩ هـ. (الأعلام: ٢٦٢/٥).

(٨) يشبه الممدوح بحاتم الطائي في الكرم، وبالأحنف بن قيس في الحلم، ويشبهه بدغفل في علم الأنساب.

(٩) في الديوان: «الحجرة البيضاء».

يدي لخفته، ويلطف عن حسي لقلته، وعهدي بك تروي إذا سقيت، وتجزل إذا أعطيت، فما الذي أحالك وبدل حالك: أملال أم كلال أم إقلال؟ وليس عندي أنك تملُ صديقاً صدوقاً، وشقيقاً شقيقاً، ولا عندي أنك تكل، ولو ملأت الأرض كلاماً، وشحنت صفحات الجو نظاماً، ولا عندي أنك تقل، وبحر فضلك فياض، وثوب علمك فضفاض، فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت، إلا أن أصبر على هجرتك، كما تمتعت بصلتك، لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت، ووصلت وصددت، وأكره أن أطيل وقد قصرت، وأكثر وقد أقللت فتسامني، كما سئمت عادتك، وتركني وقد تركت شيمتك، فأحب أن تظالعي بأخبارك، وعوارض أوطارك، إن شاء الله تعالى:

إذا أنت عاتبت الصديقَ ولم يكنْ يودُّك لم يعتبك حينَ تعاتبه
ومن يرعَ شرقيَّ البلادِ سَوائمه وغربها يملكه صاحبه^(١)
ومن يخلط الماءَ الزُّلالَ بآجنٍ من الماءِ تخبث ما تطيب مشاربه^(٢)
وكتبت جواباً عن كتاب، نقصت فيه من الخطاب:

وقفت على الفصل المؤذن بالجفاء، المشتمل على سوء الجزاء، وعلى ما احتواه من ذنيء الخطاب، ووضع الدعاء، وعجبت كيف حططت الدعاء من رتبته المعروفة، وخففت الخطاب عن درجته المألوفة، وأنت على منزلتك لم تزد نقيراً، وأنا في درجتي لم أنقص قطميراً، فكيف لوزدت زادك الله بصرأ بمالك وعليك، وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك، وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك، من كيد عدوك، وشماتة حسودك، ولا أختار لك أن تكبر كلما تكبر، وتتجبر كلما تجبر، فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد:

من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها، ومن بلغها فتواضع، أعلم أن حقه فوقها، فكيف والأحوال على ما كانت عليه، لم يصبر الهلال بدرأ، ولا الشبل ليشأ، ولا الغصن ساقاً، ولا القطوف معتاقاً. والعرب تسمى الكبر تيهاً، وهو الحيرة، لأن صاحبه لا يهتدي لرشاد، ولا يصل إلى سداد، ولولم يكن إلا التطير من اسمه، دون التحلي بقيق سمته ورسمة، لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه، وقد قيل: ليس لمعجب رأي، ولا لمتكبر صديق، فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك، ويحطك ولا يرفعك، استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد، وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد^(٣)، فإن ذلك غبن كبير، وحرمان جسيم، وقد قال الأول:

ما بال من أوله نطفةً وآخره جيفةً يفخرُ
ولبعض بني هاشم وهو الرضى^(٤) رحمه الله تعالى:

(١) في البيت اضطراب.

(٢) الماء الأجبن: المتغير.

(٣) التلاد: المال القديم الموروث ضده الطارف.

(٤) الرضى: هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، من أئمة أهل البيت وهو الثامن عند =

ولربّ مولى لا يغضّ جماعه
يطغى عليك وأنت تلامّ شعبه
ضاق الزّمان فضاّق فيه تقلي
وقال بعضهم في يزيد بن المهلب^(١):

فمن يلازم النازلون محله
رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم
وقصّر عن مسعاكم كلّ آخر
بلغت الذي قد كنت آمله لكم
ومالي حقّ واجب غير أنني
فان أنتم أنعمتم وبررتم
وان كنتم أو ليتموني تفضلاً
وكم ملحف قد نال منكم رغبة
وعودتموني قبل أن أسأل الغنى
وقال^(٣) ابن الرومي:

من الحيف تخسيس النوال ومطله
وكن نخلة تلوي وتسني عطاءها
وقال^(٤):

طول العتاب ولا عناء العذل
والسيف يأخذ من بنان الضيق
والماء يجمع نفسه في الجدول

^(٢) فمنزلكم للحمد والشكر منزل
فقد يسألوكم فوق ما كان يسأل
وما فاتكم ممن تقدّم أوّل
وان كنت لم أبلغ بكم ما أوّمل
إليكم بكم في حاجتي أتوسّل
فقد يستتمّ النعمة المتفضل
جميلاً فان العود بالفضل أفضل
ويمنعنا من أن نلحّ التجميل
ولا يكمل المعروف والوجه يذل

فعجل خسيّاً أو فأجل موفراً
وإلا فكن عفاً أقلّ ويسراً

يا شبيه البدر في الحسن وفي بُعد المثال
جُدْ فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وله في المعاتبات ما لا أعرف لغيره - قال^(٥):

يا بن الوزير الذي تمّت وزارته
إن كنت أحسنت في وصفي مآثركم
وإن أكن قلت ما لا أستحقّ به

إنّ المديح إذا ما سار منفرداً
من الثواب كسى من قاله عاراً

= الامامية الشيعة. مات سنة ٢٠٣ هـ . (الأعلام: ٢٦/٥).

(١) يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي، قائد من الأجواد، مات سنة ١٠٢ هـ . (الأعلام: ١٨٩/٨).

(٢) في البيت اضطراب.

(٣) ديوانه: ١٠٣/٣ . وفيه: «تخسيس» وفي اصل هذا الكتاب: «تطيف».

(٤) ديوانه: ٩٧/٥ . وفيه «بعد المثال».

(٥) ديوانه: ١٠٧/٣ .

(٦) في الديوان: «او كنت قد قلت ما لا استحق به».

فقد يعزُّ بليغ في بلاغته
أسهت فيكم لكي أعلى فطاطاني
إنَّ السلايِم لا تبني أطاولها
لكن ليصعد انجاداً تشرفه
وقد هبطت بما شيدته لكم
كم هابط صاعد من بعد مهبطه
ثقلت في كفة الميزان فانكدرت
صبراً فكم ناهض من بعد وقعته
لابني سمير صروف غير غافلة
وقال^(٦):

وقد يظنُّ سوى المختار مختاراً
تقصيركم بي فقد أزمعت إقصاراً
يوماً ليهبط بانيهن اغواراً
حتى يمدَّ إليها الناس أبصاراً^(١)
من حالٍ ولعلَّ الله قد خارا^(٢)
وغائر منجد من بعد ما غارا^(٣)
تهوي وشال خفاف الناس أقدارا^(٤)
يوماً وكم واقع من بعد ما طارا
يحسن نقضاً كما أحسن أمراراً^(٥).

وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
ولم يصف من شيء صفاء طويتي
وما جاء مدح مثل مدحي فيكم
وما لي لا أنفك أنعي مسنداً
لعمري لقد غوث غير مقصر
وكم قائل أبلغت فيما تقوله
وقلت:

فلم أنا في نِعْمَاكَ ردف، وهم صدر؟
فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر
فلم كسبهم مدُّ ولم مكسي جزر
ولي منكم ظهر وما مثلكم ظهر
لتجبر من مالي وقد أمكن الجبر
فقلت له غنيت لو ساعد الزمر

قد كنت توليني الحسنى وتكرمني
فما بدا لك في جودٍ ومكرمة
ارجع إلى الحالة الأولى فإن لنا
وحسن أحدىثة لو كنت تبصرها
أزكى من المسك في أصداغ غانية
وللصاحب^(٨) بن عباد في الاستزادة والعتاب، أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمناها:

وكنت أشكر ما تأتي من الحسن
تجري من المجد مجرى الروح في البدن
شكراً يكون لها من أوفر الثمن
حسبتها غرة في جبهة الزمن
كأنها قمر أوفى على غصن^(٧)
وللصاحب^(٨) بن عباد في الاستزادة والعتاب، أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمناها:

(١) في الديوان: «اله».

(٢) خال لك: «رأيت».

(٣) في الديوان: «بعد هبطته».

(٤) في الديوان: «القوم أقدارا».

(٥) ابنا سمير: الليل والنهار.

(٦) ديوان ابن الرومي: ٢٠٨/٣.

(٧) الغانية: الشابة الحسنة.

(٨) صاحب: هو الوزير، العلامة، الأديب، الكاتب، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني. وزير

سيشهد أبناء المفاخر كلهم
يزعزعك الواشون عن حومة العلا
وقد طرف البحري في قوله^(١) يستبطن
المئة الدينار منسية
لا صدق إسماعيل فيها ولا
إن كنت لا تنوي نجاحاً لها
وقوله^(٢):

عمرت أبا إسحاق ما صلح العمر
فأنت ندى نحياء به حيث لا ندى
على أنني بعد الرضا متسخط
وقد أوحشتني ردة لم أكن بها
فلم جئت طوع الشوق من بعد غايي
وما باله يأبى دخولي وقد رأى
ومن جيد ما قيل فس حسن الاقتضاء قول أبي تمام^(٤):
وإذا المجد كان عوني على المرء
تقاضيته بترك التقاضي

وقول الآخر:

أروح بتسليم وأغدو بمثله
وفي خلاف ذلك قول بعضهم:

ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك، وعلمي بشغلك يحدو على اذكارك.
ومما يجري مع هذا الباب قول الآخر:

أنت أمضى من أن تحرك للمجد
وفي خلاف ذلك قول الآخر:

أروح وأغدو نحوكم في حوائجي
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتي
وقول الآخر:

فأصبح منها غدوة كالذي أمسى
فقد صرت أرضى أن أشفع في نفسي

الملك مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة. مات سنة ٣٨٥ هـ. وله مصنفات. (سير اعلام النبلاء: ٥١١/١٦).

(١) ديوانه: ٢٤٧/١ ص.

(٢) ديوانه: ٢٠٨/١ ع.

(٣) في الديوان: «بأياكم الدهر». وأبو اسحاق: هو إبراهيم بن المدير.

(٤) ديوان أبي تمام: ١١٦.

وللموت خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ وللمنع خيرٌ من عطاءٍ مكدرٍ
ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم:
كتابي ليس باستبطاء، وامساكي ليس باستغناء، ولكن كتابي تذكرة لك، وامساكي ثقة بك.

وكتب عثمان إلى علي رضي الله تعالى عنهما:
أما بعد فقد بلغ الماء المزبي، والحزام الطيين، وطمع في من لا يدفع عن نفسه:
فإن كنت مأكولاً فكن خيرَ آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^(١)
ومما جاء في ذم العتاب، قول بعض الحكماء:

العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم:
العتاب التجني، والتجني ابن المحاجة، والمحاجة أخت العداوة، والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم:
سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث، أن لا يكدرهم بالتوبيخ، لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره:
العتاب داعية الاجتناب، فإذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك إخوانك ببعض العتاب لئلا يستعذبوا أخلاقك، وأغض عن بعض ما تنكر منهم لئلا يوحشهم إلحاحك. وهذا أقصد ما قيل في هذا المعنى.
وكتبت في فصل لي:

العتاب مقدمة القطيعة، وطليلة الفرقة، فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور، برؤية أحبابك، وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك، بمشاهدة أودائك، وإن لم تجد منه بداً، فاقصد فيه ولا تكثر منه، فإن الكثير من المحبوب مملول، فكيف من المكروه، والاقتصاد في المحمود ممدوح فكيف من المذموم.
وقال^(٢) ابن الرومي:

أَرْفَهُ مَا أَرْفُهُ فِي التَّقَاضِي
خِلا وَعْدٍ مَدَدَتْ إِلَيْهِ كَفِي
إِذَا إِنجَارٌ وَعَدِكَ كَانَ وَعْدًا
فِيكَفِينِي مِنَ الْوَعْدَيْنِ وَعْدُ
وَقَالَ:

سَأَلْتُ قَفِيزِينَ مِنْ حَنْطَةٍ
وَأَتَبَعْتُ مَنَعَكَ لِي بِالْحَجَابِ
فَجِدْتُ بَكَرًا مِنَ الْمَنَعِ وَافٍ^(٤)
مَهْلًا هُدَيْتُ فِي الْمَنَعِ كَافٍ

(١) في طبقات ابن سلام ونسبته إلى الممزق العبدى. الطبقات: ٢٧٤/١.

(٢) ابن الرومي: ٢٧٦/٢.

(٣) في الديوان: «مددت إليه عيني».

(٤) الديوان: ٢٣٥/٤. والقفيز: مكيال للحبوب.

ذاك الذي من وراء الشغافِ

جميعاً لما أوليت من حسنِ أهلٍ
تناطُ بك الآمالُ ما اتَّصلَ الشغلُ

كأني سألتُكَ حَبَّ القلوبِ
وقد أجاد الآخر حيث يقول:

وكنْ عندَ ما نرجوهُ منك فإننا
ولا تَعْتذرُ بالشغلِ عنا فإنما

الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء

قالوا: أهجى بيت قالته العرب قول^(١) جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، حدثنا أبو عثمان عن التوزي، عن أبي عبيدة،
عن يونس، قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه: هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم
شعروا أنهم افتدوا منه بأموالهم، وشعر لم يسرهم به حمر النعم؟ فقال أسماء بن خارجة: نحن
يا أمير المؤمنين، قال وما قيل فيكم؟ قال قول الحارث بن ظالم^(٢):

وما قومي بثعلبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا^(٣)
فوالله يا أمير المؤمنين، إني لألبس العمامة الصفيفة، فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها.
وقول قيس بن الخطيم^(٤):

هممنا بالإقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدرٍ
فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم. فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين،
قال ما قيل فيكم؟ قال قول^(٥) جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
والله لوددنا أننا افتديناه بأملاكنا، وقول زياد الأعجم:
لعمرك ما رمأح بني نمير بطائشة الصدور ولا قصار
فوالله ما يسرنا به حمر النعم. قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال:

(١) ديوانه: ٦٣.

(٢) الحارث بن ظالم بن غيث المري، من فتاك الجاهلية، مات سنة ٢٢ ق. هـ.

(٣) ثعلبة بن سعد، وفزارة من بطون العرب.

(٤) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس ومن شجعانهم في الجاهلية. قتل سنة

٢ ق. هـ. (الأعلام: ٢٠٥/٥). والبيت في ديوانه: ١٨٢.

(٥) ديوان جرير: ٦٣.

والتغلبى إذا تنحنح للقري حك استه وتمثل الأمثالا^(١)
قال: قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكها.

وأخبرنا أبو القاسم، عن العقدي، عن أبي جعفر، عن المدائني، قال: مرت امرأة ببني
نمير فتغامزوا إليها، فقالت: يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر. يقول الله
تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. ويقول الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير

فخجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت؟

قال من نمير فصار يقول: من بني عامر بن صعصعة.

ولو قيل: إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو^(٢):

ولو ترمى بلؤم بني كليب تجوم الليل ما وضحت لساري

ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار^(٣)

وهذا مثل قول الآخر:

ولو أن عبد القيس ترمي بلؤمها على الليل لم تبد النجوم لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول^(٤) الأعشى:

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا^(٥)

وكان من حديث هذا الشعر، أن عامر بن الطفيل بن مالك، وعلقمة بن علاثة، تنازعا
الزعامة فقال عامر: أنا أفضل منك، وهي لعمي ولم يمت - وعمه عامر بن مالك بن جعفر بن
كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة: أنا أفضل منك أنا غفيف وأنت عاهر، وأنا وفي وأنت
غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى إلى ربيعة. فتداعيا إلى هرم بن قطبة^(٦) ليحكم بينهما،
فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل، مائة يطعمها من تبعه، ومائة يعطيها الحاكم،
ومائة يعقرها إذا حكم. فأبى هرم ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر، وأبى أن يرحلا فخلا
بعلقمة وقال له: أترجو أن ينصرك رجل من العرب على عامر، فارس مضر أندى الناس كفاً،
وأشجعهم لقاءً، لسان رمح عامر أذكر في العرب من الأحوص، وعمه ملاعب الأسنة^(٧) وأمه كبشة

(١) الأسست المؤخرة.

(٢) البيتان في ديوانه: ٣٠٥. وفي عيون الأخبار: نسبهما إلى البعيث.

(٣) في الديوان: «ولو لبس النهار بنوكليب».

(٤) ديوان الأعشى: ١٤٩.

(٥) غرثى: جائعات. خمائص: ضامرات البطون.

(٦) هرم بن قطبة بن سيار الفزاري، من قضاة العرب في الجاهلية، مات بعد سنة ١٣ هـ. (الأعلام: ٨/٨٣).

(٧) ملاعب الأسنة: عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو براء. فارس قيس، من أبطال الجاهلية. مات سنة ١٠ هـ.

بنت عروة الرحال، وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء^(١)، وأملك من النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة من النخع، ثم خلا بعامر، فقال له: أعلى علقمة تفخر أنت تناوته؟ أعلى ابن عوف بن الأحوص أعفّ بني عامر وأحلمه وأسوده وأنت أعور عاقر مشؤوم، أما كان لك رأى يزعمك عن هذا، أكنت تظن أن أحداً من العرب ينصرك عليه. فلما اجتمعوا، وحضر الناس للقضاء، قال أنتما كركبتي البعير، فرجعاراضيين. والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما، ولو قال أنتما كركبتي الجمل، لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً. ولقد سأله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما بعد ذلك: لمن كنت حاكماً لو حكمت؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، فلو قلناها لعادت جذعة. فقال عمر صدقت مثلك فليحكم. فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو عكاظ، فلقبهم الأعشى منحدرًا من اليمن، وكان لما أرادها قال لعلقمة: أعقد لي حبلاً، قال: أعقد لك من بني عامر قال: لا تغني عني قال: فمن قيس قال لا قال: فما أنا رائدك. فأتى عامر بن الطفيل، فأجاره من أهل السماء والأرض، فقليل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال ان مات وديته، فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتاني، ففعل، فقام الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال^(٢):

حكمتموه ففضى بينكم	أبلغ القمر القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يبالي غبن الخاسر
علقم ما أنت إلى عامر	الناقض الأوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا	ثار عجاج الكبة الشائر
ساد وألفى رهطه سادة	وكابراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الإبل المائة فعقروها وقالوا^(٣) عامر وذهبت به الغوغاء وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى^(٤):

أتاني وعيد الخوص من آل جعفر	فيا عبد عمرو لو نهيت الأحواصا
فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمك	وبحرك ساج لا يُواري الدعامصا ^(٥)
كلا أبويكم كان فرع دعامة	ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم	وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا ^(٦)

(١) فارس الضحياء: عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة. جد جاهلي من عدنان. (الأعلام: ٧٩/٥).

(٢) ديوان الأعشى: ١٣٩.

(٣) فراغ في الأصل.

(٤) ديوانه: ١٤٩.

(٥) الدعامص: جمع الدعموص، وهي الدودة، وكذلك الزوار للملوك والسائح.

(٦) خمائص: جمع خميص: ضامر البطن.

يراقبن من جوع خلال مخافة^(١) نجوم العشاء القوائم القوامصا^(٢)
 رمي بك في أخراهم تركك الندي وفضل أقواماً عليك مراهصا^(٣)
 فعض حديد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا^(٤)
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة في العار.

والعرب تعير بالبكاء، قال مهلهل^(٥):

يبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

وقال^(٦) جرير:

بكي دويل لا يرقأ الله دمعهُ ألا إنما يبكي من الذلّ دويل^(٧)
 وكان الحطيئة مع علقمة وليد مع عامر^(٨) فقال الحطيئة^(٩):

يا عام قد كنت ذا باع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتهُ أمم
 جاريت قرماً أجاداً الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينيه شم^(١٠)

لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ولا يبيت على مال له قسم^(١١)

وقال:

فما ينظر الحكام في الفصل بعدما بدا واضح ذو غرّة وحجول^(١٢)
 وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما، ولكن الناس استخفوا قول الأعشى:
 علقم لالنت إلى عامر

فمر على ألسنتهم وسقط شعر الحطيئة.

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر، أخبرنا جعفر بن محمد، حدثنا أبو عبيدة العسكري، حدثنا

(١) القوامص: المتحركات. قمص البحر بالسفينة: حرّكها.

(٢) المراهص: المراتب.

(٣) الأحجار الرواهص: التي تنكب الدواب.

(٤) مهلهل: عدي بن ربيعة بن مرة، أبو ليلى، من الشعراء الجاهليين الشجعان. وهو من أول من هلهل الشعر.

مات سنة ١٠٠ ق. هـ. (الأعلام: ٢٢٠/٤).

(٥) ديوان جرير: ٣٦٦.

(٦) دويل: حمار.

(٧) هكذا في الأصل.

(٨) ديوانه: ٩٥.

(٩) في الديوان: «جزل المواهب، في عرينه»... والأحوصان: أحدهما الأحوص بن جعفر بن كلاب واسمه

ربيعة. وثانيهما: عمرو بن الأحوص. والد سبعة: العطية. العرنين: البيت المنيع.

(١٠) في الديوان: «إلا ريث يركبه».

(١١) الديوان: ٩٤. وفيه: «بالفضل بعدما»...

محمد، يعني ابن الوليد، حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي، قال: قال عبد الملك ابن مروان لأمية مَالِكٌ وللشاعر إذ يقول^(١):

إذا هتَفَ العصفورُ طَارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النَابِ عندَ الثرائدِ
قال: أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه، قال: فهلا درأته عنه بالشبهات؟ قال:
كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى، فقال: يا بني أمية أحسابكم أحسابكم،
أنسابكم أنسابكم، لا تعرضوا للهجاء فإن للشعر مواسم لا يزيدها الليل والنهار إلا جدة والله ما
يسرنني اني هجيت بيت الأعشى حيث يقول^(٢):

تبيتون في المشتى ملأً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ولي الدنيا بحذافيرها، ولو أن رجلاً خرج من عرض الدنيا، كان قد أخذ عوضاً لقول^(٣) ابن
حرثان:

على مكثريهم حق من يعترتهم وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير.

وقالوا: أهجى بيت قالته العرب^(٤) قول الحطيئة في الزبرقان بن بدر:
دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لبغيتها وأقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي
وأخبرني أبو أحمد، سمعت بعض الشيوخ يقول: اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد
وحمد عجرد وجعفر بن أبي وزه، في مسجد الكوفة، فامتروا في أهجى بيت قالته العرب ثم
اتفقوا على قول الفرزدق في جرير:

أنتم قرارة كل معدنِ سوءٍ ولكل سائلةٍ تسيلُ قرارُ^(٥)
أخذه أبو تمام فقال^(٦):

وكانت زفرة ثم أطمأنت كذاك لكل سائلةٍ قرارُ
وقالوا: أهجى بيت قالته العرب قول^(٧) الأخطل لجرير:

ما زال فينا رباطُ الخيلِ معلمةً وفي كليبٍ رباطُ اللؤمِ والعارِ
قومٌ إذا استنبح الأضيافِ كلهم قالوا لأهمهم: بولي على النارِ

(١) في الأصل: «لابنه». وفي الأمالي: أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

(٢) البيت في الأمالي: ١٥٧/٢. والشاعر: حُرثان بن عمرو. وفي الأمالي: «إذا صوت».

(٣) ديوانه: ١٤٩.

(٤) البيت في ديوان زهير: ٦٢. وفي الأغاني: «رزق من يعترتهم».

(٥) ديوانه: ١٠٥.

ديوان الفرزدق: ٣٢٣. وفيه: «مدفع سوء»، «ولكل دافعة». وقرارة: مجتمع الماء في باطن الأرض.

(٦) ديوانه: ١٢٤. وفيه: «وكانت لوعة».

(٧) ديوانه: ١٦٦.

قالت بنو تميم: ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت. وهو يتضمن وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى، وجعل أمهم خادمتهم، يأمرونها بكشف فرجها، وجعلهم ييخلون بالماء، أن يطفئوا به النار، فيأمرونها بأن تطفئها ببولها بينهم وبين المجوس لتعظيم المجوس النار، إلى غير ذلك، وإن نارهم من قتلها كانت تطفئها ببولها.

وقالت بنو مشاجع ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جرير:
وبر حرحان غداة كبلَ معبد نكحت نساؤهم بغير مهور^(١)

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق:
ألسَ كليبياً إذا سيمَ سوءةً أقر كإقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح^(٢):
تميمٌ بطرق اللؤمِ أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ: لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقة، لحكم على جميع ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن:

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشدُّ على صفي تميم لولت^(٣)
ولو جمعت يوماً تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت^(٤)
ولو أن برغوئاً يزقق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت^(٥)
وأبلغ ما قيل في الخمول قوله أيضاً:

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه جذمة التودد
وقال ابن الأعرابي: قال أبو عمرو بن العلاء: أحسن الهجاء ما تشده العاتق في خدرها،

(١) ديوان جرير: ٢٠٢ وفيه:

ترى شرط المعزى مهور نسائهم وفي قزم المعربى لهن مهور
حرجان: اسم جبل. وشرط المال: أخسه.

(٢) الطرماح: هو ابن حكيم بن الحكم، شاعر إسلامي من طيء، ومن الفحول، كان على مذهب الأزارقة، وكان هجاء، مات سنة ١٢٥ هـ. (الأعلام: ٢٢٥/٣). والبيت وما يليه في الشعر والشعراء: ٤٩٠/٢. وفي ديوانه: ١٣١.

(٣) في الشعر والشعراء:

ولو أن برغوئاً على ظهر نملة تشدُّ ...

(٤) في الشعر والشعراء: «... الندى لا كنت».

(٥) في الشعر والشعراء:

ولو أن حرقوصاً ... إذن نهلت ...

وهذا البيت ليس في ديوانه.

فلا يقبح بها مثل قول^(١) أوس :

إذا ناقة شعرت برحل ونمرقٍ إلى حَكَمٍ بعدي فضلَ ضلائها

وقال ابن الأعرابي : وأنا أقول مثل قول^(٢) جرير

ولو أن تغلبَ جمعتُ أحسابها يسوم التفاحير لم تزن مثقالا

وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرمُ من وبر ووالده واللؤم كرم من وبر وما ولدا

قومٌ إذا جرجانٍ منهم أمنوا من لؤ احسابهم أن يقتلوا قودا^(٣)

وقال النجاشي^(٤) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرونَ بذمة ولا يظلمون الناسَ حبةَ خردلٍ

ولا يردون الماءَ إلا عشيّة إذا صَدَرَ الورَّادُ عن كلِّ منهلٍ

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله عَادَى أهلَ لؤمٍ ورقَةٍ فعادى بني العجلانِ رهطَ ابنِ مقبلٍ

فقال عمر إن كان مظلوما استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرونَ بذمة ولا يظلمونَ الناسَ حبةَ خردلٍ

فقال : ليت آل الخطاب هكذا . قالوا : وقد قال :

ولا يردونَ الماءَ إلا عشيّة إذا صَدَرَ الورَّادُ عن كلِّ منهلٍ^(٥)

قال عمر : ذاك أقلُّ للكأك - يعني الأزدحام ، قالوا : وقد قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويأكلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشلٍ

قال أحيا القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال^(٦) :

وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم خُذ القعب واحلب أيها العبدُ واعجل

فقال عمر : خير القوم خادمهم ، ثم بعث إلى حسان فسأله فقال : ما هجاهم ولكن سلح

عليهم ، فتهدد النجاشي وقال إن عدت : قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد ، وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بإبله ومثل قوله :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم

(١) ديوان أوس بن حجر : ١٠٠ . وفيه : « ناقة شدت » .

(٢) ديوان جرير : ٣٦٣ . وفيه : « التفاضل » .

(٣) في الأصل : « إذا جرّ جانبهم أمنوا » .

(٤) النجاشي : قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب ، شاعر هجاء مخضرم ، قيل إنه كان فاسقاً . توفي

سنة ٤٠ هـ . (الأعلام : ٢٠٧/٥) . والبيتان في العقد الفريد : ١٧/٣ ، وقالهما في رهط تميم بن مقبل .

(٥) الورَّاد : طالبو الشرب . المنهل : مورد الماء .

(٦) البيت للنجاشي في العقد الفريد : ١٧/٣ .

قول^(١) البحتري :

ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب
وهان عليك سخطي حين تغدو بعرض ليس يأكله الكلاب

ومن التناهي في الاحتقار والخمول قول^(٢) بعضهم :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالفقير بالقاع لا أصل ولا ورق^(٣)
أن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا^(٤)
لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا^(٥)
وقول الآخر :

لو يحلوا بالحرير ما وجدوا

وقول الآخر، أستغفر الله من قوله :

يكاذ من رقة ولؤم يخفى على الباري القديم^(٦)
وقول أبي الهيثام^(٧) :

يا جعفر بن القاسم بن محمد ما لي أراك عن الندى معزولا
إني أقول مقالة تجري بها لو كنت من كرم لكنت قليلا
وقول^(٨) أبي تمام :
ما كنت أحسب أن الدهر يمهلي حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد
ونحوه قوله :
هب من له شيء يريد حجابهُ ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال :

وأنت أنزر من لا شيء في العدد.

(١) ديوان البحتري : ١٨٢/٢ ص.

(٢) الأبيات في العقد الفريد : ٣٨٧/٣ ونُسبت إلى زياد الأعجم.

(٣) في العقد : «وهم من الحسب . . . كطحلب الماء».

(٤) البيت ليس في العقد.

(٥) في العقد : «لا يكثرون . . . ولو تبول عليهم فارة غرقوا».

(٦) هذا الكلام كفر.

(٧) أبو الهيثام : هو كلاب بن حمزة العقيلي، شاعر، عالم باللغة، من أهل حران. مات سنة ٢٩٠ هـ.

(٨) ليس في ديوان أبي تمام.

وشكا رجل إلى أبي العيناء رجلاً، فقال فاك دخل في العدد وخرج من العدد، يقول: هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل، وهو من قول القائل:

خرجنا الغداة إلى نزهة

وفينا زياد أبو صعصعة

فستة رهط به خمسة

وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه:

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم

ولا يهولنك من دهمائهم عدد

عجبت من زهدهم فيما يزينهم

ومن التناهي في صفة الخمول، قول^(١) عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد

المبرد:

فقال القائلون ومن ثماله

فقالوا زدنا بهم جهاله

سألنا عن ثمالة كل حي

فقلت محمد بن يزيد منهم

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم^(٢):

أمويس قل لي أين أنت من الوري

أما الهجاء فدق عرضك دونه

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه

لا أنت معلوم ولا مجهول

والمدح عنك كما علمت جليل

عرض عززت به وأنت ذليل

فجعله دون الهجاء، والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقلته.

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله:

فكن كيف شئت وقل ما تشا

نجابك لؤم منجى الذباب

وأبرق يميناً وأرغد شمالاً

حمته مقاذيره أن ينالاً

وهذه الأبيات، وإن كانت مشهورة، فإن لإيرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنني لست أجد

خيراً منها في معناها وأجود، وقد شرطت أن لا أضمن هذا الكتاب إلا كل جيد اللفظ بارع

المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت إليه تتناوله من قرب.

وأنشد الجاحظ:

ووثقت أنك لا تسب حماك لؤمك أن تسباً

وقال الآخر:

(١) البيتان في العقد الفريد دون عزو: ٨٦/٣.

وُثْمَالَةٌ هُوَ عَوْفُ بْنُ إِسْلَمَ بْنِ أَبَجَرَ بْنِ كَعْبٍ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمَبْرَدِ.

(٢) الأغاني: ٤٦/١٩.

بذلة والديك كسيتَ عزاً
وقال غيره:

دناءةٌ عرضك حصنٌ منيع
فقلْ لعدوك ما تشتهي

وقلت:

لست الوضيع ولا الصغير وإنما
لا تفخرن وإن غدوت مقدماً
وقال (٢) أبو نواس:

ما كان لولم أهجه غالب
يقولُ قد أسرف في هجونا
غالب لا تسعى لتبني العلا
قد كنت مجهولاً ولكنني

فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله:

وما أبقيت من غيلان إلا

ومن قديم الهجاء لمن لا يقع في حياته وفي موته فجيرة قول بعضهم:

وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا
وقال (٤) ابن الرومي:

فلا تخش من أسهمي قاصداً
ولكن وقاك معراتها

وقال غيره:

إني هجوتُ بكل لفظٍ مقذعٍ
وقلت:

يا أبا القاسم هل أبصرت
ونظيراً لك في شؤمك
إن من شبهك الكلب
وقلت:

أهنت هجائي يا بن عروة فانتحي

وباللؤم أجتزأت على الجواب

تقيك إذا ساء منك الصنيعُ
فأنت الرفيع المنيع الوضيعُ

أنت الوضيع عن الوضيع الأصغر
فعلى جبينك سيماء مؤخر (١)

قام له هجوي مقام الشرف
وإنما زاد يذاك السرف
بلغت مجداً بهجائي فقفت
نوّهت بالمجهول حتى عرف

كما أبقت من البظر المواسي (٣)

حياتك لا نفع وموتك فاجع

ولا تأمنن من العاير
تضاؤل قدرك في الخاطر

زيداً وكان له الهجاء مديحاً

شبهاً لك في قبحك
أو لؤمك أو شحك
فقد بالغ في مدحك

عليّ ملام الناس في البعد والقرب

(١) سيماء: علامة.

(٢) ديوانه: ٤٣٠.

(٣) البظر: ما بين أسكتي المرأة. المواسي: السكاكين.

(٤) ديوان ابن الرومي: ٨٥/٣.

وقالوا أتتهجوا مثله في سُقوطه
وقال^(١) ابن الرومي :

خسأت كلباً مَرَّبِيَّ مَرَّةً
حسبكم خزيّاً بني آدم

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك^(٢) لنفسه :
وعصبة لما توسّطتهم
كانهم من سوء أفهامهم
يضحك إبليس سروراً بهم
وقلت :

قلت للكلب حين مرّ بي احسأ
أترى أنني أعذك كلباً

ومن التناهي في الاستصغار والخمول قول زياد الأعجم :
إذا ما اتقى الله امرؤ وأطاعه
ولو جمعت جرم على رأس نملة
فليس به بأس وإن كان من جرم
لباتوا شباعاً يضربون من الشحم
ومن بليغ ما جاء في الاستصغار، ما رواه قدامة قال : قال محمد بن ناشد سألتني فلان عن رجل فقلت يساوي فلساً، فقال : قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذي الرمة^(٤) :

وأمثل أخلاق امرئ القيس نها
وما انتظرت غيابها للممة
صلاب على طول الهوان جلودها
ولا استؤمرت في حل أمر شهودها^(٥)
من الأرض لم يصلح طهوراً صعيدها^(٦)
وقال غيره :

لعمرك ما تبلى سراييل عامر
وقال أبو سعيد المخزومي :

(١) ديوانه : ١٨٣/٢ .

(٢) ابن لنكك : هو محمد بن محمد بن جعفر البصري ، أبو الحسن صاحب بن لنكك ، شاعر ، أكثر شعره ملح وطرف . توفي سنة ٣٦٠ هـ . (الأعلام : ٢٠/٧) .

(٣) ويروي : «ضاق علي» .

(٤) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث ، شاعر فحل امتاز بإجازة التشبيه .

توفي سنة ١١٧ هـ . (الأعلام : ١٢٤/٥) والأبيات في ديوانه : ٣١ .

(٥) في الديوان : «غيابها العظيمة» . «في جل أمر» .

(٦) في الديوان : إذا مرثيات . والمرثيات : النسبة الى امرئ القيس .

يا ثابت بن أبي سعيد إنها دول وأحراها بأن تتنقلا
هلا جعلت لنا كحرمة دعبل في أسيت أم كلب لا تساوي دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد^(١) في بشار:

نسبت إلى برد وأنت لغيره فهيك لبرد نلت أمك من برد
وأخبرني أبو أحمد، أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء، قال حماد عجرد:
نسبت إلى برد وأنت لغيره

قال بشار: تهياً لحماد في هجائي في هذا البيت خمسة معان، أوردتها جرير في الفرزدق، فلم يقدر عليها حيث يقول^(٢):

لما وضعت على الفرزدق ميسي وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجي به الدعي قول دعبل^(٣) في مالك بن طوق:
الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذي فرح منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها خراباً غير مرموم
يبني بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم
وقال^(٤) إبراهيم بن إسماعيل النسوي:
لو أن موتى تميم كلهم نُشِروا وأثبتوك لقييل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلقي تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول:

إن يفجروا أو يغدروا أو يبخلوا لم يحفلوا
وغدوا عليك مرجلي ن كأنهم لم يفعلوا
هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والأخوات.
ومن البليغ قول^(٥) حسان:

(١) حماد: هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب، أبو عمر، نشأ في الكوفة، وكان يتكسب بشعره، كان متهماً في دينه وفاسقاً توفي سنة ١٦١ هـ. (الأعلام: ٢٧٢/٢). والبيت في الأغاني: ٣٤٥/١٤ وفيه: «دُعيت إلى برد». «نكت امك».

(٢) ديوان جرير: ٣٥٧.

(٣) دعبل: هو دعبل بن علي بن رزين، شاعر هجاء، أصله كوفي أقام ببغداد، له أخبار، وشعره جيد، كان صديقاً للبحثري، بذىء اللسان. مات سنة ٢٤٦ هـ. (الأعلام: ٣٣٩/٢). الأبيات في عيون الأخبار: ١٩٧/٢.

(٤) عيون الأخبار: ١٩٦/٢.

(٥) ديوان حسان: ٢٨٣. وفيه:

أولاد حسان فلن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على اكتافها الشَّعْرُ =

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أقفائها الشعرُ
 إن نافروا نفروا أو كاثروا كاثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمروا
 كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا ما مسها المطرُ
 قد استوفى المعنى عند قوله: «ريح الكلاب» ثم قال: «إذا ما مسها المطر» فجاء بتميم حسن.

وقالوا قول^(١) جرير:

نَتِفَتْ سَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

وقالوا قول^(٢) حسان:

أبوك أبو سُوءٍ وخسالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
 وإنَّ أحمقَ الناسِ أنْ لا تلوّمهُ على اللؤمِ من ألفى أباهُ كذلكا
 ومن الأفراط في صفة البخل قول^(٣) ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر:
 تجنب سليمان قفل الندي فقد يشن الناسُ من فتحه
 فلو كان يملك أمرَ استه لما طمع الحش في سلحه
 وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول^(٤) الفرزدق:

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لساير
 ولو لبس النهارُ بني كليب لدنس لؤمهم وضح النهار
 وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
 وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم.

ومن الافراط في الهجاء قول الآخر:

لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
 وقول الآخر:

سَلَّ اللهَ ذا المَنِّ من فضله ولا تسألنَّ أبا وائله
 فما سألَ اللهَ عبداً له فخابَ ولو كان من باهله^(٥)
 وقال الآخر:

إن سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا أو كاثروا أحداً من غيرهم كاثروا
 كأن ريحهم في الناس إذ برزوا ريح الكلاب إذا ما بلها المطرُ
 (١) ديوان جرير: ٥٢. وصدرة: «قوم إذا حضر الملوك وفودهم».

(٢) البيتان ليسا في الديوان واوردهما ابن سلام في طبقاته: ٢٤٩/١.

(٣) ديوانه: ٤٠٧/٢.

(٤) ديوانه: ٣٠٥.

(٥) باهله: قبيلة عربية.

ولو قيل للكلب يا باهلي وأنشدني أبو أحمد، أنشدني أبو مسلم بن بحر، لإبراهيم بن العباس، وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها:

ولما رأيته لا فاسقاً وليس عدوك بالمتقي
أتيت بك السوق سوق الرقيق على رجل غادر بالصديق
سوى رجل حار منه الشقا فما جاءني رجل واحد
فبعته منه بلا شاهد وأبت إلى منزلي سالماً
تهاب ولا أنت بالزاهد وليس صديقك بالحامد
فناديت هل فيك من زائد كفور لنعمائه جاحد
وحلت به دعوة الوالد يزيّد على درهم واحد
مخافة أدرك بالشاهد وحل البلاء على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد.

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي^(١):

يقتري عيسى على نفسه فلو يستطيع لتقتيره
رضيت لتشتيت أمواله وليس بباقي ولا خالد
تنفس من منخر واحد يدا وارث ليس بالحامد^(٢)

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى، وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقرر^(٣) أحدى عينيه ويقول: إن النظر بهما في زمن واحد من السرف.

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم:
إلى الله أشكو أنني بت طاهراً
فقلت أقطعوها بآرك الله فيكم
وقلت:

وقفت لديكم للسلام عليكم
يرومك تسليم العفاة كأنه
وما فيكم حر يكرم ضيفه
وإن كنتم ناسا وما أنتم به
وقوفي على أطلال سلمى وعاتكة
بواد طعن في الضلوع مواشكة^(٤)
ولكن إذا ما ساء أكرم نائله
فإن القروء والكلاب ملائكة^(٥)

(١) ديوانه: ١٦٠/٢.

(٢) في الديوان: «رضيت لتفريق».

(٣) في بعض النسخ: «يقرر».

(٤) العفاة: طالبو العون.

(٥) لا يقال مثل ذلك عن الملائكة.

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا، ولا أعرفني سبقت إليه .
وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون مالهم رد قبيح وقون ليس بالحسن
فلم أفز منهم إلا بما حملت رجل البعوضة من فخارة اللبن
وهكذا كما تراه بليغ جداً .
وقال الآخر :

يعطيك ما تعطيك مكحلة

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعلج :

أتقفل مطبخاً لا شيء فيه من الدُّنيا تخافُ عليه أكلُ
فهذا المطبخ استوثقت منه فما بالُ الكنيفِ عليه قفلُ
ولكن قد بخلت بكل شيءٍ فحتى السِّلح منك عليك بخلُ
وأنشدنا :

وإنَّ له لطبخاً وخبزاً وأنواعَ الفواكهِ والشرابِ
ولكن دونه حبسٌ وضربُ وأبوابٌ تطابقُ دُونَ بابِ
يذودونَ الذُّبابَ يمرُّ عنه كأمثالِ الملائكةِ الغضابِ
وقال^(١) الخليل بن أحمد :

لا تعجبَنَّ لخيرٍ زلَّ عن يديه فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرضَ أحياناً
وقال^(٢) أبو تمام :

صَدَّقَ الْيَتَمَ إِنْ قَالَ مُجْتَهِداً «لا والرغيف»، فذاك البر من قَسَمِهِ
وإن هممتَ به، فافتكْ بخبزته فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته على جرادقةٍ كانت على حُرْمِهِ^(٣)
وقال آخر :

يَزْدَادُ لَوْماً عَلَى الْمَدِيحِ كَمَا يَزْدَادُ نَتْنُ الْكَلَابِ بِالْمَطْرِ
وقلت :

خُبِرُ الْأَمِيرِ عَشِيَّةً يَغْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ
وَإِذَا بَدَأَ لَجْلِسَهُ أَفْضَى إِلَيْهِ يِعَاتِبُهُ
وَتَحَوُّطُهُ أَحْرَاسُهُ وَتَذُبُّ عَنْهُ كِتَائِبُهُ
فَالزُّورُ يُصْفَعُ عِنْدَهُ وَالضَّيْفُ يَنْتَفُ شَارِبُهُ

(١) البيت في العقد الفريد: ١٢٢ / ٣ دون عزو.

(٢) الأبيات ليست في ديوان أبي تمام. البيت الثالث في عيون الأخبار ونسبه إلى دعلج.

(٣) الجردقة: الرغيف. والأبيات الثلاثة في العقد الفريد: ١٩٠ / ٦. وفيه: «فإن هممت».

وقال آخر:

فتى لرغيفه فرط وشغف
إذا كسر الرغيف بكى عليه
ودون رغيفه قلّع الثنايا

وقال آخر^(١):

إنّ هذا الفتى يصون رغيفاً
هو في سفرتين من آدم الطا
ختمت كل سلة برصاص
في جراب في جوف تابوت موسى
وقلت:

لنا سيد واحد ماجد
لقيم إذا جاءه طارق
وهل يطمع الناس في خبزه
فما ولغ الكلب في لؤمه

وسمعت عن أبي حفص يقول: قال جعفر بن محمد العسكري: أبلغ ما قاله محدث في

البخل قول بعضهم:

الحابس الروث في أعفاج بغلته
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم:

وعدت فأكدت المواعيد بيننا
وأجرت لي حبلا طويلا تبعته
وقال^(٥) أبو نواس:

رأيت قدور الناس سوداً من الصلّى
يُبيتها للمعتفي بفنائهم

(١) الأبيات في العقد الفريد: ١٩٠/٦. وفي الأول: «ما إليه لناظر».

(٢) في البيت إشارة إلى قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

(٣) الأعفاج: الأمعاء.

(٤) الجهام: السحاب لا ماء فيه. الويل: المطر الغزير.

(٥) ديوانه: ٣٣٣، وقالها في فضل الرقاشي. وأورد صاحب العقد ثلاثة منها. وفيه:

يضيق بحيزوم البعوضة صدرها ويخرج ما فيها على طرف الظفر
(٦) الصلّى: النار. ووصف القدر بالسواد كناية عن كثرة الطعام.

(٧) المعتفي: طالب العون.

أمامهم الحولي من ولد الذر^(١)
لأخرجت ما فيها على طرف الظفر^(٢)

ويعمل ضرسه في كل زاد
سوى بيت لأبرهة الأيادي^(٣)
ولا يبقى الكثير مع الفساد

ويختتم البرمة والجفنة^(٤)
قد تذهب البطنة بالفطنة

وماء الكرم للرجل الكريم

من أن تدنس بالدسم
كالبدري في غسق الظلم^(٥)
كنت الممدح في الأمم
لك كنت تاريخ الكرم

ولكن خفت مرزئة الذباب^(٦)

وينضح ما فيها بعود خلال^(٨)
وتنزلها عفواً بغير جعال^(٩)
ربيع اليتامى عام كل هزال

إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها
ولو جئتها ملأى عبيطاً مجزراً
غيره:

يحصن زاده عن كل ضرس
ولا يروي من الآداب شيئاً
قليل المال تصلحه فيبقى
وقلت في مثله:

يطعم دون الشبع أولاده
لم يرو إلا خبراً واحداً
وقال آخر:

ظلمتك إذ سألتك ماء كرم
وقلت:

لك برمة نزهتها
بيضاء يشرق نورها
لو كان عرضك مثلها
أو كان فعلك مثل قو
ومن أبخل بيت قيل:

وما رَوْحَنَا لتذب عنا
وقال^(٧) أبو نواس يصف قدراً:

يغصُّ بحلقوم الجراة صدرها،
وتغلي بذكر النار من غير حرها،
هي القدر، قدر الشيخ بكر بن وائل

(١) الحولي من الذر: ما عمره حول من النمل.

(٢) اللحم العبيط: الطري.

(٣) في بعض النسخ: «من الأشعار».

(٤) البرمة والجفنة: القصعة بمعنى وعاء الطعام.

(٥) الغسق: أول الليل.

(٦) البيت لأبي الشمقمق كما في البخلاء ٥٩.

(٧) ديوان أبي نواس: ٥٢٧.

(٨) في الديوان: «وينضح ما فيها اتقاد دبال». وعود خلال: عود يجعل في فم الفصيل كي لا يرضع. والحيزوم:

الصدر. دبال جمع دباله: فتيلة.

(٩) في الديوان: «وينزلها الطاهي بغير جعال».

وقال^(١) ابن الرومي :

رأى البخل طباً فهو يحمي ويحتمي
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح ،
إذا غمر المال البخل وجذته
ليس عجيباً ذاك منه فإنه
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند .
وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجاب عليه قفل
أوأ في بيته يوماً رغيفاً
وأنشدنا عنه :

له حاجب دونه حاجب

وقال^(٣) أبو تمام :

لا تكلفن وأرض وجهك صخرة
وقال آخر :

لا تتخذ باباً ولا حاجباً

وأنشدنا :

أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة

وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً

وقال آخر :

إحتجب الكاتب في دهرنا

القوم يخلون بحجابهم

وقال آخر وأحسن :

وصاحب أسرفت في مدحه

حجابه الزمني منزلي

وقلت في معناه :

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً

وما الجهل إلا أن تقرّظ معشراً

وأنشدنا أبو أحمد :

فلسّت ترى في بيته غير جائع

مع زيادة المال قول^(٢) ابن الرومي :

يزيد به يساً وإن ظنّ يרטب

إذا غمر الماء الحجارة تصلب

وحرّاس وأبواب منيعة

فقال لضيّفه هذا وديعة

وحاجب حاجبه مُحْتَجِب

في غير منفعة مؤونة حاجب

عليك من وجهك حُجَاب

فركوبه ظهر المنابر أعجب

سُبحان من جعل ابن حزم يحجب

وكان لا يحتجب الحاجب

فينكح المحجوب والحاجب

وبخله يُسرّع تكذّبي

وبخله أحسن تأديبي

ولكنّ دهرأ لم يساعذك مذب

خلائقهم يشهدن أنك تكذب

(١) ليس في ديوانه .

(٢) ديوانه : ١٤١/١ .

(٣) ليس في ديوانه .

لا خيرَ في صاعِدٍ فأذكرهُ
ليسَ لَهُ ما خلا اسمِهِ نسبُ
والخيرُ يأتِيكَ من يدي عمرِ
ومن أظرفَ ما قيلَ في هذا البابِ قولُ^(١) ابنِ الرومي:
لك وجهٌ كأخِرِ الصكِّ فيه
لمحاتٌ كثيرةٌ من رجالِ
كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتِ
معلماتٍ أن لستَ بابنِ حلالِ
وقلت:

إن كانَ شكلُكَ غيرَ مُتفقٍ
من عصبَةٍ شتى إذا اجتمعوا
فكذا خلالُكَ غيرُ مؤتلفةٍ
صورتُ من نطفٍ قد احتلفت
شبهت دارِكم به عِرفهُ
فأنتَ خلالُكَ وهي مختلِفهُ
وورثتَ ذاكَ خناه أو صلفهُ^(٢)
عيرتني أن رُحْتُ في سَمَلِ
والدُّرُّ لا تزري به الصدفةُ
وأجود ما قيلَ في عظمِ الجسمِ، مع قلةِ العقلِ، من الشعرِ القديمِ قولُ^(٣) حسان:
جِسْمُ البِغَالِ وأحلامُ العِصافيرِ

وقال^(٤) ابنُ الرومي:
طولٌ وعَرَضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ
فليسَ يحسنُ إلا وهو مِضْلُوبُ
وقال وأحسن:

إذا فقتَ الذَّمِّيمَ بحسنِ جسمٍ
فيصبحُ أَفْضَلُ الرجلينِ نفساً
فلا يسبقُكَ بالشِّيمِ الشريفةُ
وتصبحُ أعظمَ الرجلينِ جيفهُ
وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابنُ لنكك لنفسه:

إثنانِ لم ينكرهما منكرُ
ويدعي العلمَ على أنه
بغضُ أبي إسحاقَ والموتُ
قد طارَ بالجهلِ لَهُ الصوتُ
أو يلتقي العلمُ في مجلسٍ
أو يلتقي الإدراكُ والفوتُ
وكتب ابنُ العميد:

وليت شعري بأي حلي تصدبت له، وأنت لو توجت بالثرى، وتمنقت بالجوزاء،
وتوشحت بالمجرة، وتقلدت قلادة الفكّة، ما كنت إلّا عطلاً، ولو توضحت بأنوار الربيع الزاهر،
وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر، واستعرت من الصباح ثوباً، وخضت أوضاع النهار خوضاً،
ما كنا إلّا غفلاً.

(١) البيتان ليسا في ديوانه.

(٢) الحنا: الفحش. الصلف: التكبر.

(٣) ديوان حسان: ٢٧٠، وصدره: «لا بأس بالقوم من طول».

(٤) البيت وما يليه ليس في الديوان.

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر:

وثقيل أشد من غصص المو
لوعصت ربها الجحيم لما كا
وأبدع ما قيل في ١٠٠ المعنى قول بشار^(١):

ربما يثقل الجليس وإن كا
ولقد قلت حين طل على القو
كيف لم تحمل الأمانة أرض
أخذه ابن الرومي فقال^(٤):

أنت فضل وفضلة الشيء لغو
حقر الفضل ثم صغرت عنه
ثم عرجت فاحتواك انتقاص
ثم بردت فانتصفت من النا
فقبول النفوس إياك عندي
إن قوماً أصبحت تنفق فيهم
أو أناس غدوا وراحوا من الظر
فمتى ظفروا بزور ظريف
كالأعاريب لم يروا درمك البر
وكذا القوم لم يروا لجة البح
يا ثقيلاً على القلوب خفيفاً
طر سخيلاً وقع مقتياً فطوراً
وله:

وثقيل سبحانه من ثقيل
حمل الله أرضه ثقيلاً

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي قال:
سمعت المبرد يقول: لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول ابن أبي عيينة^(٧) يهجو

(١) ديوانه: ٦٠٩.

(٣) أبو سفيان: أحد الثقلاء.

(٤) ديوانه: ٦٠٩.

(٥) الزمهرير: البرد الشديد.

(٦) السفاة: ما تذرره الريح. ثبير: اسم جبل.

(٧) محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، شاعر ظريف، غزل، هجاء. الأبيات وترجمته في الأغاني:

خالد بن يزيد المهدي ويمدح أباه في كلمة:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنا
لقد قنعتُ قحطانَ خزيّاً بخالد
وأنتَ جرّادٌ ليس يبقَى ولا يَذَرُ^(١)
وأنتَ تعفي دائماً ذلك الأثر
فهل لك فيه يخزك الله يا مُضرُ

فسمع المهدي بيته هذا فقال: بل تكرمون وتوثرون.

وله في مثل ذلك يقول^(٢) في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن

حاتم:

أقبِصُ لستَ وإن جهدتَ ببالِغ
شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه
داودُ محمودُ وأنتَ مُدَمِّمُ
ولربُّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد
وقلت في خلاف ذلك:

كم حاجةٌ أزلتها
فإذا الكريمُ من اللثيمِ
سُبْحانَ رَبِّ قادرٍ
فشريقتهم ووضيقتهم
قد قلَّ خيرٌ غنيهم
وإذا اختبرت حبيبتهم
لا نفعَ فيه للصغي
أنظر إلى كبرِ الجسو

بكريمٍ قومٍ أو لثيمٍ
م أو اللثيم من الكريمِ
قدَرُ البريئة من أديمٍ
سيان في شرفٍ ولومٍ
فغنيهم مثل العديمِ
ألفيته مثل الذميمِ
م من الأمور ولا العظيمِ^(٤)
م ولا تسل رفع الجسمِ

وقالوا: أنصف بيت قيل في الهجاء قول^(٥) حسان:

هجوَتَ محمداً فأجبتُ عنه
أتهجوهُ ولستَ له بكفٍ
يقوله في أبي سفيان بن الحارث.
وفيه يقول أيضاً:

= ١١٦-٧٥/٢٠

(١) في الأغاني: «غيث يُعاش بوبله».

(٢) الأغاني: ١٠٥/٢٠.

(٣) في الأغاني: «جهدت بمدرك... ذي العلا داوود».

(٤) «لا نفع فيه» ليست في النسخ، بياض في الأصل.

(٥) ديوانه: ٦٤.

أبوك أب حرٌّ وأُمك حُرَّةٌ وقد يلدُ الحرَّانِ غيرَ نجيبٍ
فلا يعجبُنَّ الناسُ منك ومنهما فما خَبْتُ من فضةٍ بعجيبٍ
وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول

الشاعر:

فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خير عادته الصبرُ
تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبشَّ الحليفان المذلة والفقرُ

* * *

ومن غير هذا الفن، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبيه، عن عسل، قال: قال أبو سرح:
سمعني أبودلف أشد:

لا يمتنعك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانٍ
تلقي بكلِّ بلادٍ إن حللت بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ
فقال: هذا الأم بيت قالته العرب. والنزوع هنا رديء والجيد النزاع، وإنما جعل هذا البيت
أبودلف الأم بيت قالته العرب، لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساة، وحنين الرجل الى وطنه من
المناقب التي يعتد بها، ويمدح لأجلها، لما فيه من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل.
وقد قالت الحكماء:

حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشدة.

وقال بزرجمهر^(١):

من علامات العاقل بره بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأمل زمانه.
وقال أعرابي:

لا تشك بلداً فيه قبائلك، ولا تجف أرضاً فيها قوايلك.

وقالت العرب:

وأكرم الخيل أشدها جزعاً من السوط، وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب، وأكرم
الصفايا^(٢) أشدها حنيناً إلى أوطانها، وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها، وأكرم الناس آلفهم
للناس.

وقلت:

إذا أنا لا اشتاق أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهى بمكينٍ
من العقل أن اشتاق أولَ منزل غنيثٌ بخفض في ذراه ولين
وروض رعاء بالأصائل ناظري وغصن ثناه بالغداؤ يميني
واني لا أنسى العهود إذا أتت بنات النوى دون الخليط ودوني

(١) بزرجمهر: من حكماء فارس.

(٢) الصفايا: جمع الصفية: الناقة كثيرة اللبن.

إذا أنا لم أرعَ العهود على النوى فلست بمأمون ولا بأمين
وسنذكر من هذا الباب طرفاً فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ومما لا تكاد تجد أجود منه في معناه، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي قال: دخل بعض الشعراء على بعض الأمراء ببرقيد^(١) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه، ولا يسمع منه فخرج وهو يقول^(٢):

أدبٌ - لعمرك فاسدٌ مما تُؤدّبُ برّقيدُ
مَنْ ليس يعرف ما يريد دُ فكيف يعرف ما نريدُ
مَنْ ليس يضبطه الحديد دُ فكيف يضبطه القصيد
مالي رأيتك مرسلاً أين السلاسل والقيود
أغلا الحديد بأرضكم أم ليس يصطك الحديد
وقلت في المعنى الذي تقدم:

قل خيرُ ابن قاسم فغنأه كعدمه
كاذ مَنْ خشية القرى يختبي في حرامه
جازَ في اللؤم حذّه كأبيه وعمه
كاد يعديك لؤمه لو تسميت باسمه
قلت:

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابه فأصبحَ فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نساله القرى ونحن على أعناق أغير قائم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جازَ في فقه اللئام الأشائم^(٣)
أجازَ صيام الليل حين استفرّه تعاورَ ضيف في دُجى الليل عائم
فتنا أديم الليل نطوي على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم^(٤)
وأطعمنا لما مرقنا من الدُجى دحاريج لا تنساق في حلق طاعم^(٥)
مُدوّرة سود المتون كأنها خصى الزنج لاحت تحت فيش قوائم^(٦)
فأبشارها تحكي بطون عقارب وأرؤسها تحكي أنوف محاجم^(٧)
ومن أعجب الهجاء، هجو الرجل نفسه وهو ما رويناه للحطيئة ثم قال ديك الجن:

(١) برقيد: قرية بالموصل.

(٢) ورد في معجم البلدان ثلاثة من هذه الأبيات.

(٣) فقه: في الأصل «نقد».

(٤) الطوى: الجوع. الغبراء: الأرض.

(٥) مرقنا: في الأصل «فرقنا». دحاريج: دوائر.

(٦) فيش: جمع فيشه: رأس الذكر أو الذكر.

(٧) الجحاجم: ما يوضع في انف البعير كي لا يعض.

أيها السائل عني أنا إنسان براني الله
بل أنا الأسمج في العيد أنا لا أسلم من نفس
وهجا أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال (١) في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :
وأحوس ولاج عليّ ورائح زويت له وجهاً قطوباً عن الندي
فان كنت لأعن سوء فعلك مقلعاً فعندي مطل لا يطير غرابه
ومن خبيث الهجاء قول (٢) ابن الرومي :
مني الهجاء ومنك الصبر فاصطبر أنت اللثيم فان تصبر فمن قحة
رأيت عيبك شعري حين تالمه فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن
وقال ابن الزمكدم :
وليل كوجه البرقيدي ظلمة سريت ونومي فيه نوم مشرد
على أولق فيه اختبال كأنه ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :
ولو أنها عصفورة لحسبتها أي لورأيت لحسبتها من جنبك خيلاً مسومة ، ومثله قول عروة بن الورد (٣) :
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يحافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

(١) ديوان أبي نواس : ٢٣١ .

(٢) في الديوان : « وأحوس » . . . « لويغان بجود » .

(٣) في الديوان : « قطبت له » . . . « من نائل بوعيد » .

(٤) ديوانه : ١٩٥/٣ .

(٥) برقيدي : نسبة إلى برقيدي : قرية بالموصل .

(٦) في معجم البلدان : « كعقل سليمان بن فهد ودينه » .

(٧) في معجم البلدان : « فيه الهباب » .

(٨) البيت ليس في ديوانه .

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام^(١):

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي^(٢):

وفارس أجبن من صفره يحول أو يعور من صفرة
لو صاح في الليل به صائح لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جنبه فيرزق الجندبه النصرة

وقال^(٣) في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضرب به شوق إلى وجهه سيدنفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

وقال فيه:

هو الأسد الورد في قصره ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك: قول أبي الغمر هارون بن محمد من أهل آمل^(٤)، خرج عليه
للصوص فسلم إليهم متاعه وهرب: أنشدناه أبو أحمد عن الأنباري:

طلت تشجعني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى بذي شكر خلاف بأس المساعير البهاليل
لما بدت منهم نحوي جموعة تسرع الدعر في عرضي وفي طولي
حتى أتقيتهم طوعاً بذات بدي وانصعت أطوى الفلا ميلاً إلى ميل
الله خلصني منهم و؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل^(٥)

وهذا خلاف ما قاله المتنبي^(٦):

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً
وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان^(٧) بن محمد:

(١) ديوانه: ١٧.

(٢) ديوانه: ٧٧/٣.

(٣) ديوانه: ٢٠٥/٤.

(٤) آمل: مدينة في بلاد فارس.

(٥) منهم و...: الفراغ في الأصل.

(٦) ديوانه: ٢٤١/٤.

(٧) مروان بن محمد: آخر ملوك بني أمية. قُتل في مصر بعد هروبه من الشام سنة ١٣٢ هـ.

لَجَّ الْفِرَارُ بِمُرْوَانٍ فَقُلْتُ لَهُ
أَنْتَى الْفِرَارُ وَتَرَكْتَ الْحَرْبَ إِذْ كَشَفْتَ
فِرَاسَهُ الْحِلْمَ فَرَعُونَ الْعَذَابَ وَإِنْ
فَسَّيْهِهُ بِالنَّعَامَةِ فِي الْجَبَنِ وَهُوَ مِنْ أَنْفَرِ الْحَيَوَانِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ :
نَفْرِجَةٌ يَنْفِرُ مِنْ ظِلِّ الشَّجَرِ
وَالنَّفْرِجَةُ الْجَبَانُ .

وَمِنْ جَيِّدٍ مَا قِيلَ فِي التَّطْيِيرِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

الْكُوكَبُ الذَّنْبِيُّ يَخُ
خَلَعُوا عَلَيْهِ وَبَجَلُوا
وَكَذَاكَ يُفْعَلُ بِالْجَذْوِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ :

وَزَارَةُ الْعَبَّاسِ مِنْكُوسَةٌ
كَأَنَّهُ حِينَ غَدَا رَاكِبًا
جَارِيَةُ السَّوِّ إِذَا جَرِبَتْ
تَقْتَلِعُ الدَّوْلَةَ مِنْ أَسْهَاءِ
فِي خَلْعَةٍ يَعْجُزُ عَنْ لِبْسِهَا
ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا

وَأَكْسَلَ مَا سَمِعْنَاهُ مَا أَتَشَدَّنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ عِمَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
الْأُمَوِيِّ لِبَعْضِهِمْ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى
فِيَأْخُذَهَا وَيَطْرَحُهَا بَجْنِي
وَيَأْخُذْنِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا
وَيُرْسِلُ دِيمَةً سَحَا عَلَيْنَا
وَكَانَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
وَيَرْقِدهَا وَقَدْ كَشَفَ الْغَطَاءَ
وَيَرْقِدهَا وَقَدْ قَضَى الْقَضَاءَ
فَيَغْسِلُنَا وَلَا يَلْقَى عَنَاءً^(١)

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي عَمْرٍ، عَنْ ثَعْلَبٍ، قَالَ : قُلْتُ لَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ أَحْمَقِ الْأَعْرَابِ ؟
قَالَ أَعْرَابِي سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْمَوْسَمِ، وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ لِحَالِهِ وَشَأْنِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَاتِي
قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكَ الْوَفْدُ . قَالَ ثَعْلَبٌ أَفَلَا أَدْلِكَ عَلَى أَحْمَقِ مَنْهُ الَّذِي يَقُولُ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهُ فِي سِتَّةِ
وَسَأَلْنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ : أَيُّ الشُّعْرَاءِ أَشَدَّ حَمَقًا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
أَتَيْهُ عَلَى إِنْسٍ الْبِلَادِ وَجَنَّتْهَا
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ التِّيهِ مِنْ أَنَا
فَإِنْ صَدَقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ، مِثْلَهُمْ
وَأَبُوكَ يَمُدُّ حَوْضَهُ فِي عَامٍ
وَسَأَلْنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ : أَيُّ الشُّعْرَاءِ أَشَدَّ حَمَقًا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهَتْ عَلَى نَفْسِي
سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَمَا فِيَّ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ .

(١) الدِّيمَةُ : الْغِيَمَةُ الْمَاطِرَةُ . السَّحَابُ .

فقال ما عدوت ما في نفسي .

وقال بعضهم لابنه : إياك والكبر ، وكيف الكبر مع النظفة التي منها خلقت ، والرحم التي فيها حملت ، والغذاء الذي به غذيت .

ومن بليغ ما جاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل ، أحمد من السخاء والأدب مع الكبر والعجب .

وقلت في مثل هذا :

وعندهم مُذنبٌ مُنيبٌ أحمدٌ من محسنٍ مدلٍّ^(١)
وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لودق بوجهه الحجارة لرضها ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت في شيء خلافاً لم تكن لتكون إلا مشجباً في مشجبٍ
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهبِ
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيته وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله^(٢) :

قتلت (لا) فإنها خلعت خلعة العدم^(٣)
فهي تستهلك الجميـ ل وتأتي على الكرم

وقول^(٤) أبي تمام :

وسابحٍ هطل التعداد هتـانٍ على الجزاء أمين غير خوانٍ
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريانٍ
فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدانٍ
أيقنت أن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طولُ المجد عنك وعرضه
بذ لك كله امساكه ويفوتُ بسطك في المكارم قبضه^(٥)
وكان عرضك في السهولة وجهه وكأنَّ وجهك في الحزونة عرضه
وقال أبو الشمقمق^(٦) :

(١) منيب : عائد . مدل : ذو دلال .

(٢) البيتان ليسا في ديوانه .

(٣) العدم : في الاصل الحلم .

(٤) الأبيات ليست في الديوان .

(٥) في أول البيت سقط كلمة .

(٦) أبو الشمقمق : اسمه مروان بن محمد ، شاعر بصري هجاء . مات سنة ٢٠٠ هـ .

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفة
من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا^(١) الأصهباني يخاطب غلامه:

إجعل الزوج من سراجك فرداً واقتصد يا غلام والقصد أجدي
إن يكن فقدك الضياء رديئاً فاقتصادي للزر أردى وأردى

وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل:

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم:

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغرك منظره الأنيق
له خلق وليس عليه خلق كبارقة تروق ولا تريق^(٢)

وممن ملح في الدعوة رزين العروضي^(٣):

لقد جئت يا بن أبي تبع بأثم الدواهي لدى المجمع
حلفت بأنك من حمير وليس اليمين على المدعي

وملح أيضاً في قوله:

إن فخر الناس بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأدغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر، قول بعضهم:

أودعته السر فالفيتة أنم من كأس على راح
وقال السري^(٤):

ثنتي عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لها براضر
وإنك كلما استودعت سرّاً أنم من النسيم على الرياض

وقد أحسن كعب^(٥) بن زهير غاية الإحسان في قوله:

ولا تمسك بالعهد الذي عهدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل

(١) ابن طباطبا: عبد الله بن أحمد بن علي بن حسن العلوي الحسني المدني ثم البصري كان محتشماً. مات سنة ٣٤٨ هـ. (سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٩٦).

(٢) البارقة: السحابة.

(٣) رزين بن زندورد العروضي، أبو زهير، شاعر، كان يأتي بأوزان غريبة مات سنة ٢٤٧ هـ. (الأعلام: ٢٠/٣).

(٤) السري الرقاء: السري بن أحمد بن السري الكندي، شاعر من أهل الموصل. كان عذب الألفاظ مفتناً في التشبيهات. مات سنة ٣٦٦ هـ. (الأعلام: ٨١/٣).

(٥) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، أبو المضرب. شاعر فحل، قوي الرصف. والبيت من قصيدة أنشدها بين يدي النبي ﷺ يمدحه فيها عندما أسلم، مات سنة ٢٦ هـ. (الأعلام: ٢٢٦/٥).

وأخذه الحطيئة فقال^(١):

أغربالاً إذا استودعت سراً
والكانون: الرجل الثقيل. قال الشاعر:

ليت الكوانين في زبل معلقة
وقد مر فيما تقدم بيت الحطيئة:

ومدح ابن الرومي ابن المدبر^(٢) فرد مديحه فقال فيه:

رَدَدْتُ عليّ مدحي بعد مطلق
وقلت: امدح به من شئت غيري

ولا سيما وقد أعلقت فيه

مخازيك اللواتي لن تبدا^(٣)

ثم أخنى عليه بالهجاء، حتى قال فيه، وقد ضربه الريح بالأهواز، ضربة في وجهه، مدحه بها البحرني مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله^(٤):

ووجه ضمان البشر فيه موقف

به من صفيح الهند وشم تبنيه

متى ربدتها عزة أو حفيظة

متى ترها يوماً عليها دليلها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله:

بوجه أبي إسحاق صدع كعرضة

يخبر عنه أنه أثر ضربة

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى

في أبيات سخيفة، فطلبه ابن المدبر أشد

حقك الصفح عن ذنوبي وحقني

فاعف عن عبدك المسيء ولا تب

فعفا عنه وأجازه.

وقال يهجو بخيلاً:

نعماك عندي التي أقر بها

وحبك الذم لائق بك ما

أنك أصبحت لي من الغير

أشبه خطم الخنزير بالقدر

(١) الأغاني: ١٦٣/٢. وفي الديوان: ١٢٣. والكانون: كناية عن النمام.

(٢) هو ابراهيم بن المدبر، وزير كاتب شاعر، بغدادي وزر للمعتد العباسي، توفي سنة ٢٧٩ هـ.

(٣) الأبيات في ديوان ابن الرومي: ١٢٧/٢. و«أعلقت»: في الأصل «أعقت».

(٤) ديوان البحرني: ١٤٧/١ ص.

(٥) في الديوان: «مه موقف».

(٦) في الديوان: «وسم تبينه».

أبديتَ في أولياتِ لؤمك ما
كالقطرانِ الذي يرى أبداً
وهو من قول الناس: أول الدَّنْ دُردي.

وقالت العلماء: البلاغة أن تجعل المعنى الدنيء ربيعاً والمعنى الرفيع وضيعاً.
ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي:

في أوانِ الشبابِ عاجلني الشَّيْبُ وهذا من أول الدَّنْ دُردي
وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه.
وقلت في بخيل:

قفَّعَ البردُ ضيفَ عمروٍ فأضحى
بات للبردِ في ظهارةٍ سوءٍ
وهو قدماً للضيفِ جُوعٌ وقرُّ
جمع الرأسِ بين رأسه ورجلي
وقلت:

ضفتَ عمراً فجاءني برغيف
ثمَّ ولَّى يقولُ وهو كئيبٌ
كانَ خداعةَ الضيوفِ ولكنَّ
كنتُ أنزلته محلاً ربيعاً
عجباً منه إذ أتى حِجاءُ
زادني أكله على الجوع جوعاً
لهف نفسي على رغيف أضيعاً
ربما أصبحَ الخدوعُ خديعاً
فغدا ذلك الرفيعُ وضيعاً
كيف لم يمتنع وكان منيعاً

اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها في الأخلاق

قال الأول في ذلك:

يزيد الخير إنَّ يزيد قومي
يقودُ عصاةً وتقودُ أخرى
شبهك في الولادة والتسمي
ومثله:

عليٌّ وعبدُ الله بينهما أب
ألم ترَ عبد الله يلحى على الندى
ومثله:

فإنَّ يك مَجْرانا إلى جمع نسبةٍ
ففي الرأي والأخلاقِ مختلفانِ

(١) الأرسان: جمع الرسن: الحبل.

وما أنت مثلي في مقام أقومهُ لدى البأسِ إلّا أننا أحوانِ
آخر:

لئن وصلتْ أبوتنا انتساباً لقد قطعتْ مرارتنا العقولُ
أبوك أبي وأنت أخي ولكن تباينت الطبائعُ والشكولُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال: قال لنا المكثفي^(١) بالله يوماً: ما أهلك بيت من الشعر،
وأفجر قائل أتعرفونه؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول^(٢) أبي نواس:

ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سِرأً إذا أمكن الجهرُ
فقلت له: إن المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال: من عيوب محمد
أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرأً، ولكن الحسين^(٣) بن الضحاك الخليع قد قال ما هو
أهلك من هذا قال وما هو؟ فأشدته:

أتبعْتُ سُكرأً بسكر وابتعتُ خمرأً بقمرِ

فقال هذا لعمري أهلك من ذلك.

قال أبو هلال رحمه الله تعالى:

وأبلغ الهجاء، ما يكون بسلب الصفات المستحسنة، التي تخص النفس، من الحلم
والعلم والعقل وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة وما
في معنى ذلك بليغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت المهجو
والممدوح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فإذا ذكر لم يخفياً.

أخبرنا أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن الأشناداني عن التوزي عن أبي عبيدة قال:
مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٤):

سيروا فقد جُن الظلامُ عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصمِ
دفعنا إليه وهو كالذئخ خاطباً فشدَّ على أكبادنا بالعمائم^(٥)
ومالي من ذنبٍ إليه علمته سوى أنني قد جئتُه غير صائمِ
فلولا يدُ الفاروقِ عندي رميته بقافيةٍ يُحدى بها في المواسمِ
فليتك من جرمِ بن زبَانٍ أو بني نعيم أو النوكى أبان بن دارمِ^(٦)

(١) المكثفي بالله: الخليفة العباسي علي بن المعتضد. مات سنة ٢٩٥ هـ.

(٢) ديوانه: ٢٤٢.

(٣) الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، شاعر من ندماء الخلفاء، ويُعرف بالخليع، مات سنة ٢٥٠ هـ. في بغداد.

(٤) ذكر صاحب الأغاني ثلاثة أبيات ونسبها إلى الحزين.

(٥) في الأغاني: «وهو كالقيس طاعماً. والذئخ: الذئب الجريء».

(٦) النوكى: الحمقى.

أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
فلما بلغ ذلك عاصماً قال: ما أكثر من يسمى عاصماً حتى يقول: عاصم بن عمرو بن
عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال:

جنبتهَا عاصماً مَنْ أَنْ تَلَمْ بِهِ
إذا أناختْ بِهِ الضيفَانُ طارقةً
فبلغه ذلك فقال: الآن طوقني بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم:
أرى ضيفك في الدار وكرب الموت يغشاه
وقال (١) بشار:

وضيفٌ عمرو وعمرو يسهران معاً
آخر:

نوالك دونهُ خرطُ القتاد
ولو أبصرتْ ضيفاً في المنام
أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جداً
وما أهجوك أنك كفاء شعري
وقال آخر:

رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ لبخله
ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت:
قد كان للمال ربا فصار في البخل عبده
وقال (٢) أبو نواس:

على خبز إسماعيل واقيةُ البخل

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أحمد بن عماد، أخبرنا ابن مهوريه، حدثني محمد بن عمران بن
مطر الشامي، حدثني خالي الحسن ابن محمد قال: نصب إسماعيل بن نوبخت طارمة في صحن
داره، فاصطحبنا أربعين يوماً ومعنا أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال (٣) أبو نواس
بعد ذلك فيه:

خبزُ إسماعيلَ كالوش
عجباً من أثر الصن
إن رفائك هذا
ي إذا ماشقُ يُرفا
عة فيه كيف يخفى؟!
الطفُ الأمة كفا (٤)

(١) ديوان بشار: ٥٥٣. وفي عيون الأخبار: ٢٦١/٣.

(٢) ديوان أبي نواس: ٥٢٦. والعجز: «فقد حلَّ في دار الأمان من الأكل».

(٣) ديوانه: ٤٢٨.

(٤) في الديوان: «أحدق الأمة».

فإذا ألصق بالنص ف من الحروف نصفاً^(١)
الطف الصنعة حتى ما ترى مطعن أشفى^(٢)
مثل ما جاء من التذ ور ما غادر حرفاً
ولهُ في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفاً
مزجهُ العذاب بماء ال بئر كي يزداد ضعفاً
فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب صرفاً^(٣)
فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية .
قال : وقال^(٤) فيه أيضاً :

على خبز إسماعيل واقيةً البخل فقد حلَّ في دار الأمان من الأكلِ

وما خبزُهُ إلا كعتقاء مغربٍ تصوّر في بسطِ الملوك، وفي المثلِ
يحدّث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سوى صورةٍ ما إن تمرّ ولا تحلي
وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنهُ ولم ير آوى في الحزون وفي السهل^(٥)
وما خبزهُ إلا كليبُ بن وائلٍ ، ليالي يحمي عزه منبت البقل^(٦)
وإذ هو لا يستبُ خصمان عندهُ ولا الصوت مرفوعٌ بجديٍّ ولا هزل
فإن خبزَ إسماعيل حلَّ به الذي أصابَ كليياً لم يكن ذاك عن ذلٍّ
ولكن قضاءً ليس يسطاعُ ردهُ بحيلة ذي مكرٍ، ولا دهي ذي عقل^(٧)
وكان الجاحظ يفضل قوله :

وإذا هو لا يستبُ خصمان عندهُ

على قول مهلهل :

واستبَّ بعدك يا كليبُ المنزل

ومما قيل في قبح الخلقة وغير ذلك قال^(٨) ابن الرومي :
وقينةٌ أبرَد من ثلجة تظل منها النفسُ في ضجّة^(٩)

(١) في الديوان : «وإذا قابل بالنصف من الجردق نصفاً» . الجردق : الرغيف .

(٢) في الديوان : «مغرّز إشفى» .

(٣) «يشرب» في بعض النسخ «يسقيك» وعكس ذلك .

(٤) ديوانه : ٥٢٦ .

(٥) في الديوان : «في حزون ولا سهل» . والحزن : الأرض الغليظة .

(٦) في الديوان : «ومن كان يحمي» .

(٧) في الديوان : «ولا فكر ذي» .

(٨) ديوانه : ٣٢/٢ .

(٩) القينة : المغنية .

حانها من نتنها ثومة
تفاوتت خلقتها فاغتدت
كأنها والوشم في جلدها
خرجة للفسق دخالة
كأنما فقحتها فحمة
وهي أبيات سخيقة تركت أكثرها لسخفه.
ونقل قوله:

فهي لمن عطل محتجه
إلى موضع آخر فقال (٢) في إسماعيل بن بلبل:

لا سقيت نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق (٣)
وقد أبدع أبو نواس في قوله (٤) يهجو جعفر بن يحيى:

قالوا امتدحت فماذا اعتضت قلت لهم
ذاك الأمير الذي طالت علاوته
خرق النعال وإخلاق السراويل (٥)
وكان جعفر طويل الوجه والقفاء. وقال (٦) فيه أيضاً:

قفأ ملك يقضي الهموم على بثق

وقلت:

سوداء يذرف دمعها
وكانها من قبحها
مثل الأتون إذا وكف
سلح العليل على الخزف
وقال (٧) أبو تمام:

فأشهد ماجسرت علي إلا
ووجهك إذ رضيت به نديما
وزيد الخيل دونك في الشجاعة
فأنت نسيج وحدك في القناعة
ولو بدلت وجهاً إذا لم
أصل به نهاراً في جماعه

ومن أعجب ما قيل في كثير الأنف قول كشاجم:

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً
له حاجب من أنفه وهو مطرق

(١) في الأصل: «فهى لمن عقل محتجة».

(٢) ديوان ابن الرومي: ٢٧٢/٤.

(٣) الزنديق: المشكك في الدين.

(٤) ديوان أبي نواس: ٥٣٠.

(٥) في ديوانه: «إبلاء السراويل».

(٦) ديوان أبي نواس: ٤٥٦. وصدر البيت:

«قفأ خلف وجه قد أطيل كأنه»...

(٧) الأبيات ليست في ديوانه.

رعيت له من جانب السوق مخطّة تَوَهَّمْتُ أَنَّ السُّوقَ مِنْهَا سِيغْرُقُ
فَأَقْدَرُ بِهِ أَنْفًا وَأَقْدَرُ بَرَبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْهُ كَنِيفٌ مَعْلُقُ
وقال غيره:

أنت في البيت وعرنيد نك في الدار يطوفُ

ومن أقبح ما جاء في قبح الأسنان قول^(١) جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا في صرّاة قليب^(٢)
وإنما خص الأنياب العلى دون السفلى، لأنها تبدو في التبسم والتكلم، وعند التأثب، وهو
كقول الآخر:

إذا كان يهدي برْدُ أنيابها العلى لأفقرَ مني إنني لفَقِيرُ
فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقلب، والصرّاة: الماء الفاسد فشبه به فساد نكهتها.
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر، عن الرياشي، عن ابن سلام، قال: دخلت ديباجة المدنية على
امرأة، فقيل لها: كيف رأيتهما؟ قالت: لعنهما الله كأن بطنها قرية، وكأن ثديها دبة، وكأن استها
رقعة، وكان وجهها وجه ديك قد نفث عرفه يقاتل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتمخط والبخر قول^(٣) ابن الرومي:

تحسبُ مزكوماً وإن لم تزكم مِنْ سَدَّةٍ فِي أَنْفِكَ الْمَوْرَمِ^(٤)
مُحْشِرَجَ الصِّدْرِ بِرَطْلِي بِلْغَمِ إِنْ لَمْ تَنْخَعْ مَرَّةً تَنْخَمِ^(٥)
نخامة كالضفدع الموشم دكناء رقطاء بقيق أودم
ممتخطاً بالكوع أو بالمعصم تضرطُ من أنفٍ وتفسو من فم
ذا نكهة من لم تمته يصدّم حَتَّى دَعَاكَ الْمَاءُ: اِرْحَمِ تَرْحَمِ

وقال جحظة في البحر:

تنفس في وجهي فكدتُ أموتُ وَأَعْرَضَ عَنِّي جَانِباً فَحَيِّتُ
ونتنتني حتى حسبتُ بأنني وَرَبِّكُمَا يَا صَاحِبِي خَرِيتُ
وقال بعضهم في سرعة الكلام:

كأن بني رالان إذ جاء جمعهم فَرَارِيحُ يَلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ
وقال دعل في قصر الشعر:
فوهاء شوهاء لها شعرة

(١) ليس في ديوانه.

(٢) القلب: البشر.

(٣) ديوانه: ١٠٩/٦.

(٤) في الديوان: «نحست مزكوماً».

(٥) في الديوان: «إن لا».

وقال^(١) ابن المعتز في أمر دننف:

وَحْدَهُ مُشَوِّكٌ مَزَوَّرُ التَّلْوِيزِ
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مُشْتَرَقِ الْأَفْرِيزِ
وَقَلْتُ:

لَعَبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّراً مُتَعَصِّفُراً
وَكَأَنَّمَا صُدَّغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكي عن امرأة:

أَنَا كَعْبَةُ النِّيكِ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمَذَابِرٍ
كَأَجِيرِي الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ.

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني:

رَأَيْتُ فِي دَارِ حُسَيْنٍ مَشْرَعَهُ
لَهَا بِظُورٍ فِي اسْتِهَا مَجْمَعِهِ
وَامْرَأَةٌ قَاعِدَةٌ مَرْبَعَةٌ
كَأَنَّهَا أُتْرُجَةٌ مَفْقَعُهُ^(٥)

وقال^(٦) في خصي أراد ابن أن يتزوج بامرأة:

قُلْ لِنَجْحٍ: أَحْطَاتُ بَابَ النِّجَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ، فَدَعِ عِنْدَ
فِطْعِ الْحُبِّ بِالْخَصِيِّ كَمَا يَفِ
لَيْتَ شَعْرِي بِمَا تَظُنُّكَ تَصْبِي
أَبُوجِهِ كَأَنَّهُ وَجْهُ قَرْدٍ
نَمَشَةٌ فَوْقَ صُفْرَةٍ فَتَرَاهِ

إِذْ تَعَاطَيْتُهُ بِلَا مِفْتَاحٍ
لِكَرْكُوبِ الْبَحَارِ لِلْسَّبَاحِ
ظَعُ فَقْدُ الْمُرْدِيِّ بِالْمَلَّاحِ^(٧)
قَلْبُ وَدَانٍ يَا كَسِيرَ الْجَنَاحِ
حَائِلُ اللَّوْنِ؟ خَامِدُ الْمَصْبَاحِ؟
كُونِيمِ الذُّبَابِ فِي اللَّقَاحِ^(٨)

(١) ديوانه: ٢٣٠.

(٢) الشونيز: الحبة السوداء. (معرب). الفرنية: ما يخبز من المعجنات بالسكر.

(٣) الافريز: طنف الجدار. النوروز: من أعياد الفرس. وفي الديوان: «تحشى من الافريز».

(٤) في الديوان: فتلق منها.

(٥) بظور: جمع بظر: وهو ما بين أسكتي المرأة. الأترجة: ثمرة كالليمونة.

(٦) ديوانه ٦٣/٢. وفيه: «بل تعاطيته».

(٧) المردى: خشبة تدفع بها السفينة.

(٨) الونيم: سلح الذباب.

ما غناء الفقاح في الأحراح^(١)
 رِكْمَثَلِ الغازي بغير سلاح
 فدعوا الطعن للطوال الرّماح^(٢)

خالفوها في خِفّة الأرواح

ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله :

يواري من النكرات القباح
 وعذبت عرسك حتى الصباح
 فقد كان ستراً على مستراح

ويعاقب المسواك كل صباح

نفحات الكروّس من في وصيف^(٤)
 مع رفيقي كأننا في الكنيف^(٥)

إن لم تقم من بيننا قمنا
 من ينف فيه ذا كما كنا

صحفت التقبيل تقتيلاً
 يحسن للبخراء تقبيلاً^(٨)
 قد كُملت بالبطر تكميلاً^(٩)

إنما أنتم فِقاحٌ فمهلاً
 إن من يعشق النساء بلا أيد
 لن يكون الطعان إلا برمح
 ثم قال :

معشراً شبهوا القروود ولكن
 وهي طويلة .

وحلفت سبالك جهلاً بما
 فعذبت صبحك حتى المساء
 فلا أبعد الله ذاك السبال
 وقال ابن السكن^(٣) :

رجل يعق الكأس كل عشيّة
 وقلت :

قال لي صاحبي وقد صفقته
 لعن الله ليلة بت فيها
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله^(٦) :

فسا على القوم فقالوا له
 فقال لا عدت فقالوا له
 وقال^(٧) أيضاً يذكر قينة :

مسمومة الرّيق إذا قبلت
 قُبُلُها جلمودٌ غرارة
 فاحشة النقصان لكنها

(١) احراح : جمع حر : فرج المرأة .

(٢) في ديوانه : « فاتركوا الطعن » .

(٣) ابن السكن : سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي ، أبو علي ، من حفاظ الحديث ، نزل مصر ومات بها سنة ٣٥٣ هـ . (الأعلام : ٩٨/٣) .

(٤) الكروّس : الضخم من كل شيء ، وكبير الرأس ، والجمل العظيم .

(٥) الكنيف : المرحاض .

(٦) البيتان ليسا في ديوانه .

(٧) ديوانه : ١٦٦/٥ . وقالها في مغنية اسمها شنطف .

(٨) بخراء : ذات رائحة كريهة . والجلمود الصخر .

(٩) البطر : ما بين أسكتي المرأة .

أزرى بها الله فلم يعطها
إذا بدا الفيل وخرطومهُ
غول يبيت الشرب من قبها
ما أحسن الأرقم طوقاً لها
قد عذّب الله أمراً نالها
لها ضراط ريجهُ عاصفٌ
حلت سراويلي على واسع
أحلت تنكيلي بباب استها
لورامت التوبة لم تستطع
يابسة العود وقد ذلت

إلا بطول البظر تفضيلاً
قلنا أعارت بظرها الفيلاً
يرون في النوم التهاويلاً
وأحسن الأسود إكليلاً
طورين تعجلاً وتأجيلاً
يطفئ في الليل القناديلاً
ما خلته إلا سراويلاً
فكان للتنكيل تنكيلاً
لسنة الشيطان تبديلاً
قطوفها للنيل تذليلاً

وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء.

ومما قيل في طول اللحية قول (١) ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج
بنسج مسحين لخان الدارج

أغنى بها كواسد النواسج (٢)
وفرق الباقي على الكواسج (٣)

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحية
وقال الآخر :

ألم تر أن الله أعطاك لحية
وكان العوني ، إذا كتب كتاباً ، أخذ لحيته تحت إبطه ، وإذا كلمه إنسان من الجانب الآخر ،
التفت إليه فخلصت لحيته من تحت إبطه ، فمرت على الكتاب فطمست جميع ما كتبه ، فيقول
اللهم غفراً ، فقال فيه بعضهم أو في غيره :

لحية قاضي القضاة لو جهدت
إذا أراد الكرى توسدها
مجهودها لم تكن كعنفقته
فقد كفته مكان مرفقته

وقال رقية بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب لكانت من
الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت :

قل للمدلّ بلحية مؤفورة
وسماد لحية كلّ الحى جهلة

(١) ديوانه : ٣٠/٢ .

(٢) «كواسد النواسج» ساقطة من النسخ .

(٣) في الديوان : «الديزج ... وفرق» . كواسج : جمع كوسج : خفيف اللحية .

(٤) الجوالق : الوعاء .

لا يعجبنيك طولُ نبذك إنَّه من طال لحيتهُ تكوسج عقله
وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ، وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في هذا الباب
وهو قوله^(١):

إن تطلَّ لحيَّةَ عليك وتعرض
علقَ اللُّهُ في عذاريك مخلّا
لو غدا حكمها عليّ لطارت
ارع منها موسى فإنك منها
أيما كوسج رآها فيلقى
هو أحرى بأن يشكَّ ويغري
ما تلقاك كوسجٍ قطَّ إلا
لحيَّةً أهملت فطالت وفاضت
ما رأتها عينُ امرئ ما رأتها
روعةً تستخفه لم يرعها
فاتق الله ذا الجلال وغير
أو فقصر منها فحسبك منها
لو رآها النبي يوماً لأجرى
واستحبَّ الإحفاء فيهنَّ والحد
أراد قول النبي ﷺ: «أخفوا الشوارب وأعفوا عن اللحي»^(٤).
وقلت:

إن أبا عمرو له لحيَّةٌ
مضى إلى السوق وعشونه
وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ
يدوسها الناسُ بأقدامهم
بعيدةُ البعض من البعض
أقام في البيت فلم يمض
يملاها بالطول والعرض
كأنهم أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد، عن أبيه، قال: قال الجماز: كان لبعض أصابنا في الظاهرة تل تراب،
فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن، وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء القالب، فقلت له:
ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك؟ فقال إني سأخرجها من القالب قبل ضرب
اللبن، وإنما أردت أن أدفنها فيه قليلاً، قال فلما رأيت حمقه، قلت: يحتاج أن يضرب في كل يوم

(١) ديوان ابن الرومي: ٣٢/٣. وفي هذه الأبيات كفر شنيع فليحذروا!

(٢) المخالي: جمع المخلاة: ما يوضع فيها الطعام للحمار وغيره.

(٣) الكوسج: خفيف اللحية.

(٤) أخرجه مسلم في الطهارة: ٥٤. وأخرجه البخاري في اللباس: ٦٤. وأبو داود والنسائي.

ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم^(١) :

لابن شاهينَ لحيةٌ طُولُهُ شَطْرُ طُولِهَا
فهو الدَّهْرُ كُلُّهُ عاثرٌ في فضولِها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني ، والشرط المتقدم لتركت التشنيع ، الملفوظ من المنظوم والمنثور ، على أن العلماء لو تركوا رواية سخيـف الشعر ، لسقطت عنهم فوائد كثيرة ، ومحاسن جمـة موفـورة ، في مثل شعر الفرزدق ، وجـرير ، والـبعيث ، والأخطل ، وغيرهم ، ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها ، لكان تسمية أهل اللغة إياها بذلك خطأ ، وهذا محال .

ومما قيل في الذمـامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٢) .

إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محضٍ
فأقسم لوخرت من استك بيضة لما انكسرت من قرب بعضك من بعضٍ

وقال غيره :

ألا يا بيدق الشُّطرنج في القيمة والقامة

وقال آخر :

يعثر الناس في الطريد ق به من دمامته

وقال آخر :

فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدٍ لم يزد فيه القيام

وقال^(٣) ابن الرومي :

أأنت تشتم عرضي وأنت في طول أيري

وقال الناجم :

ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص

كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثمان والقرص

وقال :

وعازب السراي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكث

في جسم عصفور وحلم عصفور

(١) الناجم هو سعد بن الحسين بن شداد السلمي ، أبو عثمان ، شاعر له صحة مع ابن الرومي . مات سنة ٣١٤ هـ . (الأعلام : ٨٤/٣) .

(٢) ليسا في الديوان . في الأمالي ١/٢٧٨ وقد نسبهما إلى رجل من أهل الكوفة ، وفيه :
إذا راح في قبطية متأزراً فقل جعل يستن في لبنٍ محضٍ

(٣) ديوانه : ١٧٢/٣ .

وقال آخر:

كَأَنَّهُمْ كُلِّي غَنَمِ الْأَضَاحِي
وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخَرِ:

إِذَا لَبَسَ الْبَيَاضَ فَعَدَلَ قَطَنَ
وَقَالَ^(١) ابْنُ الرُّومِيِّ فِي الْقَبِيحِ وَالسَّوَادِ:
وَجْهَكَ يَا جَعْفَرَ مَنْ قَبِيحُهُ
كَأَنَّمَا تَأْوِي إِلَيْهِ الدُّجَى

وقال ابن طباطبا في مجذور:

ذُو جُدْرِيٍّ وَجْهُهُ
أَوْ جِلْدٌ أَفْعَى سَلَخَتْ
أَوْ حَلَقُ الدَّرْعِ إِذَا
أَوْ سَفَرٍ مَحَبِّبٍ
أَوْ مَنخَلٍ أَوْ عَرْضٍ
أَوْ حَجَرُ الْحَمَامِ كَمْ
أَوْ كَوْرُ زَنْبُورٍ إِذَا
أَوْ كَدَرُ الْمَاءِ إِذَا
أَوْ سَلْحَةُ جَامِدَةٍ
يَبْغُضُهُ مِنْ قَبِيحِهِ

وقد أبدع ابن الرومي^(٢):

جُدْرِيٍّ مَا شَأْنُهَا وَهِيَ شَيْنٌ
بَدَلَتْ مِنْ ضَفَائِرِ وَقُرُونٍ
وَقُلْتُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى:

قَدْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ
شَعْرٌ تَجَدَّدَ فِي عَوَارِضِهِ

إِذَا قَامُوا حَسِبَتْهُمْ قَعُودًا

وَإِنْ لَبَسَ السَّوَادَ فَعَدَلَ فَحَمٍ

أُولَى مِنَ الْعُرْوَةِ بِالسَّتْرِ
إِذَا هِيَ انْقَضَتْ عَنِ الْفَجْرِ

يَحْكِيهِ جِلْدُ السَّمَكَةِ
أَوْ قِطْعَةٌ مِنْ شَبَكِهِ
أَبْصَرْتَهَا مَشْتَبِكِهِ
أَوْ كَرَشٌ مِنْفَرَكَةٍ
رَقْعَتُهُ مِنْهَتِكِهِ
مِنْ وَسَخٍ قَدْ دَلَكِهِ
فَرَّخَ فِيهِ تَرْكِهِ
أَظْهَرَ فِيهِ حَبَكِهِ
تَنْقَرُ فِيهَا الدِّيَكَةُ
كُلُّ طَرِيقٍ سَلَكُهُ

كُلُّ أَثَرٍ فِي ذَلِكَ السَّوْجِ نَقْشُ
حَمَلٍ أَنْفٍ فِيهِ لِفَرَّخَيْنِ عَشْرُ^(٣)

وَأَمْرٌ مَخْبِرُهُ وَمَنْظَرُهُ
مِثْلُ الْمَكَا الرُّطْبِ تَسْفَرُهُ

وقال ابن طباطبا في أسودين: أخبرنا أبو بكر أحمد، أخبرني عبد الله بن أبي عامر، قال:

كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْعُلُوِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَبَّاطِبَا، قَصَدَ يَوْمًا أَبَا عَلِيٍّ بْنِ رَسْتَمٍ فَصَادَفَ عَلَى بَابِهِ
عُثْمَانِيَيْنِ أَسْوَدَيْنِ، كَالْفَحْمِ مَتَعَمِّمَيْنِ بِعِمَامَتَيْنِ حُمْرَاوَيْنِ، فَامْتَحَنَهُمَا فَوَجَدَهُمَا مِنَ الْأَدَبِ
خَالِيَيْنِ، فَدَخَلَ مَجْلِسَ ابْنِ رَسْتَمٍ وَكَتَبَ فِي دَرَجٍ:

(١) ديوانه: ١٥٠/٣.

(٢) ديوانه: ٣٣٠/٣.

(٣) في الديوان: «عَوَّضَتْ مِنْ ذَوَائِبِ وَقُرُونٍ».

رَأَيْتُ بَبَابَ الدَّارِ أَسْوَدَيْنِ
كَجَمْرَتَيْنِ فَوْقَ فَحْمَتَيْنِ
جَدُّ كَمَا عَثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ
يَا قَبْحَ شَيْنٍ صَادِرٍ عَنْ زَيْنِ
مَا أَنْتَمَا إِلَّا غُرَابَا بَيْنِ
زُورَا ذَوِي السَّنَةِ فِي الْمَصْرَيْنِ
وَحَلِيَا الشَّيْعَةِ لِلْسَبْطَيْنِ
سَتَعْطِيَانِ فِي مَدَى عَامَيْنِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ يَهْجُو عِيَاشاً بَعْدَ مَا مَاتَ:
كَرْتُ عَلَى اللَّؤْمِ بِمَا سَادَهُ
أَسْهَرْتُ عَيْنَ اللَّؤْمِ مِنْذَ انْطَوَتْ
قَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا شَفَتْ لَوْعَتِي
يَا أَسَدَ الْمَوْتِ تَخْلَصْتَهُ
أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ
وَقَالَ فِيهِ:

ذَوِي عِمَامَتَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ
قَدْ غَادَرَا الرِّفْضَ قَرِيرَ الْعَيْنِ
فَمَالَهُ أَنْسَلَ ظُلْمَتَيْنِ
حَدَائِدَ تَطْبَعُ مِنْ لَجِينِ
طَيِّراً فَقَدْ وَقَعْتُمَا لِلْحِينِ
الْمُظْهَرَيْنِ الْحَبَّ لِلشَّيْخَيْنِ
لَا تَبْرِمَا إِبْرَامَ رَبِّ الدِّينِ^(١)
صَكَاً بِخَفِينِ إِلَى حَنِينِ

وَسَاءَ كَرَّتْكَ الْخَاسِرَةُ^(٢)
عَلَيْكَ أَثْوَابُكَ بِالسَّاهِرَةِ
مَنْكَ وَلَكِنْ لُدْتُ بِالْآخِرَةِ
مَنْ بَيْنَ لَحْيِ أَسَدِ الْقَاهِرَةِ
فَاقْرَأْ نَجَّتَكَ مِنْ فَاقِرِهِ

وَتَصَوَّرَ الْقَبْرُ الَّذِي ضَمَنْتَهُ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ الْمَقْبُورُ^(٣)

فَاتَيْخَ لِأَبِي تَمَامٍ مَخْلَدُ الْمُوصَلِيِّ فَهَجَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ:

سَقَى حِمَارَكَ يَا طَائِيَّ غَادِيَةً
حَرَّ الْحُلَاقِ وَبَرْدَ الشَّعْرِ اتْلَفَهُ
مِنْ الْمَنَى وَقَطْعَانَ مِنَ الْكَمْرِ
فَجَاءَهُ الْمَوْتُ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ حَصْرِ

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْبَرْدِ أَيْضاً قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي الْمَبْرَدِ:

وَيَوْمَ كِنَارِ الشُّوقِ فِي الْقَلْبِ وَالْحَشَا
ظَلَلْتُ بِهِ عِنْدَ الْمَبْرَدِ قَائِلاً
عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا أَحَرُّ وَأَوْمَدُ^(٤)
فَمَا زِلْتُ فِي الْفَاطِظَةِ أَتَبْرَدُ

وَفَلَجَ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ فَسُئِلَ عَنْهُ رَجُلٌ فَقِيلَ لَهُ: مَا كَانَ سَبَبَ فَالْجَةِ؟ قَالَ أَكَلَ بَيْتَيْنِ مِنْ شَعْرِهِ.

وَمِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي بَرْدِ الْغَنَاءِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

كَادَ مِنْ بَرْدِهِ يَجْمَدُ رُوحِي
وَقَالَ غَيْرُهُ:

غَنَى لَنَا نَصْرٌ فَقَلْنَا لَهُ
وَحَرَّكَ الْعُودَ بِأَطْرَافِهِ
مَصْعَبُ جِرَّاءٍ عَلَى السَّبْعِ
فَكَانَ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّفْعِ

(١) السَّبْطُ: وَلَدُ الْوَلَدِ.

(٢) الْآبِيَاتُ لَيْسَتْ فِي الدِّيْوَانِ.

(٣) فِي الدِّيْوَانِ: «الَّذِي اسْكَنْتَهُ».

(٤) الْوَمَدُ: الْحَرُّ الشَّدِيدُ.

فقمّت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع
وقال كشاجم:

ومغْنٍ بارد النغمـة مختلّ اليدين
ما رآه أحدٌ في دار قومٍ مرّتين
صوته أقطع للذات من صيحة بيني
وقلت:

قد أسمعنا غناءً لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلما انخفضت فيه مزمزمة
لا تخدعنه بأثوابٍ مُصَبَّغَةٍ
وقال^(١) ابن الرومي:

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم:

وقينة شتمها قنوتٌ
مفقودة الكلّ غير بطن
أحسن أصواتها السكوتُ
مثقل فهي عنكبوتُ

وقال غيره:

كأن أبا الحسين إذا تغني
يلوك لسانه طوراً وطوراً
يحاكي عاطساً في عين شمسٍ
كأن بضرسه ضربانٌ ضرسٍ
وقال المصيصي^(٢):

وتحسب الندمان في حلقه
ما عجبني منه ولكنني
دجاجةٌ يخنقها ثعلبُ
من الذي يعجبه أعجبُ
وقلت في عواد:

يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتبُ غير الذي
فيكتبُ غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ويضربُ غير الذي نحسبُ
يقول المحذّث والمكتب
ويقرأ غير الذي يكتب
فنحن إذا قلت لا نطربُ

(١) ديوانه: ٥٢/٤.

(٢) المصيصي: عبد الله بن الحسين بن جابر البغدادي، إمام محدّث، صاحب رحلة وفضل. مات بعد سنة ٢٨٠ هـ. (سير اعلام النبلاء: ٣٠٧/١٣).

ولا تأتيني إذا جئتني فإني إذا جئتني أذهب
وقلت:

تغنى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لحمه
عمائم تنزع جلد القفا
ونتف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الأحداث عند خروج اللحي قول البسامي^(١):
قالوا تغير عن ملاحته
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
وقال سعيد بن حميد^(٢):
فالآن حين بدت بخدك لحيه
وقال ابن طباطبا:

يا من يزيل خلقة الر
تب وخف الله على
هل لك عذر عنده
بلحية إن سئلت
حمن عما خلقت
كفك مما اجتاحت
إذا التوحوش حشرت
بأي ذنب نتفت

وقلت:
حصلت في بيتي ذا غلظة
يالحية هتك أستارها
فخدّه من سح تارة
فتارة كالمسك في لونه
يعجبه المرء فيحكيهم
يقول ما أحسن رب الوري

وقلت:
من شقوة المرء أن تبدو شواربهم
يا ويحهم من لحي جدت مناقشهم
قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق.

(١) البسامي: علي بن محمد بن نصر بن منصور، أبو الحسن بن بسم. شاعر هجاء، عالم بالأدب والأخبار. مات

سنة ٣٠٢ هـ. (الأعلام: ٣٢٤/٤).

(٢) سعيد بن حميد بن سعيد، أبو عثمان، كاتب مترسل من الشعراء، تقلد ديوان الرسائل للمستعين العباسي.

مات سنة ٢٥٠ هـ. (الأعلام: ٩٣/٣).

الفصل الثالث في الاعتذار

الإعتذار أيدك الله ذلة، ولا بد منه، لأن الإصرار على الذنب، فيما بينك وبين خالقك هلكة، وفيما بينك وبين صديقك فرقة، وعند سائر الناس مثلبة وهجنة، فعليك به إذا وقعت الذنب، وقارفت الجرم، ولا تستتكف من خصوعك وتذلللك فيه، فربما استثير العز من تحت الذلة، واجتنى الشرف من شجرة الندلة، ورب محبوب في مكروه.

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومما خص به الإعتذار أن الحق لا يثبت لباطله، والحقيقة لا تقوم مع تخيله. وتمويهه، وإن رده لا يسمع من الكذب اللائح في صفحاته، وقالوا: المعاذير مكاذب، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له. وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر فيه أجود منه، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل^(١) اليشكري إلى النعمان، وزعم أنه غشي المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال (٢):

وإذا لمستَ لمستَ أخثمَ جاثماً	متحيزاً بمكانه ملء اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ	رابي المجسَّة بالعبير مكرمٍ
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ	نزعَ الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان: هذا وصف من ذاقتها. فوفر في نفس النعمان، ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة بني قريع، فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة، فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه:

(١) المنخل اليشكري بن مسعود بن عامر، شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعى بالنابغة

الذبياني إلى النعمان في أمر المتجردة. مات سنة ٢٠ ق. هـ. (الأعلام: ٢٩١/٧).

(٢) ديوان النابغة: ١٥٠. وفي الأصل: «لمست اجثم». «متحيزاً بمكانه». والأختم: الركب الضخم.

نفس عصام سَوَدَتْ عَصَامَا

فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي ، وإذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لا عظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان ، وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسدتهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه ، فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله (١) :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبه
لئن كنت قد بلغت عني خيانة
ولست بمستبق أخاً لا تلمه
وليس وراء الله للمرء مذهب
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
على شعث أي الرجال المهذب

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله (٢) :

وعيد أبي قابوس في غير كُنْهه
فبت كاني ساورتني ضيلة
أتاني أبيت اللعن أنك لمتني
إلى أن قال (٥) :

فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب
ولا أنا مأمون بشيء أقوله
فإنك كالليل الذي هو مدركي
وقال (٦) :

أنبت أن أبا قابوس أوعدني
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم
لا تقذفني بركن لإكفاء له
ما قلت من سيء مما أتيت به
ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت
ولا قرار على زار من الأسد (٧)
وما أثمر من مال ومن ولد
وإن تأففك الأعداء بالرفد (٨)
إذا فلا رفعت سوطي إلي يدي
فإن صاحبها قد تاه في البلد (٩)

(١) ديوان النابغة : ٤٥ .

(٢) ديوان النابغة : ٨٠ .

(٣) أبو قابوس : كنية النعمان . راكس والضواجع : موضعان .

(٤) الضيلة : الحية .

(٥) ديوان النابغة : ٨٤ .

(٦) ديوانه : ٢٩ .

(٧) في ديوانه : «ولا مقام على» .

(٨) لا إكفاء له : لا نظير له . تأففك الأعداء : صاروا حولك كالأنثافي .

(٩) في ديوانه : «فإن صاحبها مشارك النكد» .

فخلع عليه النعمان خلع الرضا، وكن حبرات خضرا مطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما تقدم. وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان البحري: أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا الصولي: سمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو لم يكن للبحري إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى، فليس للعرب مثلها، وقصيدته في صفة البركة:

ميلوا إلى دار من ليلي نحبيها

واعذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها، وقصيدته في دينار التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها:

ألم تر تغليس الربيع المبكر

وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه، فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه، ورقة تشبيهه في قصائده؟! فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها:

لوت بالسلام بنانا خضيبا

فقال^(١) فيها:

فديناك من أي خطب عرا
وإن كان رأيك قد حال في
يريبني الشيء تأتي به
وأكره أن أتمادي على
أكذب نفسي بأن قد جنيت
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
أصبح وردى في ساحتك
وما كان سخطك إلا الفراق
ولو كنت أعرف ذنباً لما
سأصبر حتى ألاقي رضاك
أراقب رأيك حتى يصح
وقوله^(٤):

ولقيني نحساً من الطير أشاما
أرى سخطه ليلاً مع الليل مظماً
بقية عتب شارفت أن تصرماً

عذيري من الأيام رنقن مشربي
وأكسبني سخط امرئ بت موهناً
تبلج عن بعض الرضا وانطوى على

(١) ديوان البحري: ٦١/١ ص.

(٢) في الأصل: «فلقيني بعد». وقطوب: عبوس.

(٣) في الديوان: «أكذب ظني بأن قد سخطت».

(٤) ديوان البحري: ٦٢/١ ص.

تلبك في أعقابها وتلوما
 كليلاً وإن راجعته القولُ جميعاً^(١)
 وأوهمه الواشون حتى توهمها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجهما
 ومتنقماً مني امرئ كان منعماً
 يرى الحمد غنماً والملاحاة مغرماً
 ولا خوف إلا أن تجور وتظلماً
 تبين أو جرم إليك تقدماً
 هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجماً^(٢)
 مقالاً دنيئاً أو فعلاً مُذمماً
 عليّ صروف الدهر أن أتشأماً
 فصار رجائي أن أؤوب مسلماً^(٣)
 بعيداً ولم أركب من الأمر معظماً
 فأقتل نفسي حسرةً وتندماً
 لما كان غرواً أن ألوم وتكرماً
 تناسيه والودّ الصحيح المسلماً
 وأنجد في أعلى البلاد وأتھماً^(٤)
 إليك على أني أخالك ألوما
 به فلك العتبي عليّ وأنعماً
 وإن صنع المعروف زاد وتمماً

إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
 وأصيد إن نازعته الطرف رده
 ثناه العدى عني فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعّرت
 أمتخذُ عندي الاساءة محسنُ
 ومكتسبُ في الملامة ماجدُ
 يخوفني من سوء رأيك معشرُ
 أعيذك أن أخشاك من غير حادث
 ألت الموالى فيك نظم قصائد
 أعد نظراً فيما تسخطُ هل ترى
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمتُ
 وكان رجائي أن أؤوب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً
 ولم اعرف الذنب الذي سؤتي له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنيه متنصلاً
 لي الذنب معروف وإني كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدي الفعال أعادة

ونحن نقول: إن لكل شيء ثمناً وثمر خضوع المعتذر قبله.

وكتبت:

وسيلتي إليك الثقة بكرم أخلاقك، وشرف أعراقك، وقد طلبت المسامحة منك بك،
 وجعلت كرمك أقوى أسبابي إليك، وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط، فتفضل
 عليّ بالقبول، لئلا يلحقني هجتان: هجنة تذلي لك، وأخرى ردك لي. وقد قيل: ارض لطالب
 الخضوع وللعارف^(٥) ذنباً مذلة الاعتذار.

(١) في الديوان: «نازعته اللحظ. الأصيد: السيد. الكليل: الضعيف.

(٢) في الديوان: «غر قصائد».

(٣) أب: عاد.

(٤) أنجد وأتهم: ذهب إلى نجد وتهامة.

(٥) القارف الذنب: مرتكبه.

وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم :

لما تعذر عليّ العذر، جعلت معولي على فضلك أبلغ عذر أقدمه وأقوى سبب أوكدّه .
وأخبرنا أبو أحمد، عن أبي روق، عن السكري، عن إبراهيم الندى قال : قلت لرجل : ما حملك على بذلك وجهك في حرائج الناس ؟ قال : إني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء حسن ، على رجل أحسن ، ومن شكر حر ، وشفاعة شفيح لطالب شاكر ، ولأني لا أبلغ المجهود ، ولا أسأل من لا يوجد ، وليس صدق العذر عندي بدون إنجاز الوعد ، ولا إكداء السائل بأغلظ من الأجحاف بالمسؤول ، ولا أرى الراغب إليّ بالمسألة بحسن ظنه بي أوجب حقاً علي من المرغوب إليه الذي يتحمله من لدي ، والعرب تقول : إن مع الهيبة الخيبة ، والفرصة خلسه ، فثب عند صدور الأمور ، ولا تتبع اعجازها . وقال ابن المعتز ؟ العذر مع التعذر واجب .

ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هَزَرْتُكَ لَا أَنِي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوَعِدْ وَلَا أَنِي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي حَالِ سَلِهِ إِلَى الْهَزِّ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيَا
ومن مליح ما يجري في هذا الباب : ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن العتبي ، عن أبيه ، عن شيخ من قريش ، قال : قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
إن القدرة تمنع الحفيظة ، وأنت تجل عن العقوبة ، وإن تعف فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَبِسْوَءٍ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدٍ
وَإِنْ تَغْفِرَ فإِحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرٍ جَدِيدٍ
تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ، ووصل حبلك ، ومعتك بأحبك ، وأعطاك مأمولك . في نفسك وأعزتك ، وأعاذك من قطيعة أحبابك ، وجنبك تجنب أودائك ، ولا جعل للهجر عليك سبيلا ، ولا للفراق عليك دليلاً ، لينعم باللذة جسمك ، ويعمر بالسرور قلبك ، فتعيش في ضمان الفرح ، ويبؤ حاسدك باعباء الترح ، إنه حميد مجيد فعال لما يريد .

العشق ، أدام الله توفيقك ، من شرائف أخلاق الفتيان ، وكرائم سجايا الشبان ، يطلق لسان العبي ، ويفتق حيلة البلبد ، ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم ، وينحر دون بذله اللثيم ، ويدعو إلى استعمال الفتوة ، واطهار المروءة في تنظيف اللباس ، وتحسين الرياش ، ويجدد حب المساعدة والائتلاف ، وكرهية التباين والاختلاف ، إلى غير ذلك من محمود الحال ، وممدوح الخصال ، وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه حقه ، واسلك به طريقه ، وتأمل ما أهديت إليك فيه فإنه يعينك عليه ، ويحسن أسبابه لك ، ويكتب لائمك فيه ، ويكون جلاءً لناظر ، وشحذاً لخاطرك ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

هذا كتاب المبالغة

في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو

الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني

قالوا : أرق بيت قالته القرب قول^(١) امرئ القيس :

وما ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ^(٢)
يقول : ما بكيتَ إِلَّا لِتَجْرَحَنِي قَلْباً مَعْشَراً أَي مَكْسَراً ، يقال برمة أعشار إذا كانت مشعوبة ،

(١) ديوانه : ٣٨ .

(٢) السهمان : كناية عن العينين .

يريد أن قلبه عليل، وأنت تزيدينه علة بسهميك، يعني عينيها، والمقتل المذل.
ومثله قول الشاعر:

رمثك ابنة البكري عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلن نعائم^(١)
ولم نسمع للأعشار بواحد.

وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام أنه قال أنسب بيت قالته العرب:

ولما التقى الحيان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقالوا: أنسب بيت قالته العرب قول الآخر:

إذا قلتُ إنني مُشتَفٍ بلقائها فحم التلاقي بيننا زادنا سقما
وأبلغ من هذا قول^(٢) أبي نواس:

ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلبُ مُشتاقا
وقد أحسن^(٣) ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه:

أعانقها والنفس بعد مشوّقة إليها وهل بعد العناق تداني
وألم فهاكي تموت حزازتي فيشتد ما ألقى من الهيجان^(٤)
وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
فإن فؤادي ليس يشفى رسيه سوى أن ترى الروحان تمتزجان^(٥)

ومن البليغ في الاشتياق، وما أنشدنا أبو أحمد، عن الصولي، عن الحسين بن إسماعيل:

هبت شمالاً فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
وقبل الريح من صبابته ما قبل الريح قبل أحد

وأبلغ ما قيل في شدة الحب: قول بعضهم، وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة؟ قال إني

أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها.
وقال نصر بن الحجاج لامرأة: أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك، أو كان تحتك لأقلك،
أخذه بشار فقال^(٦):

إني لأكتم في الحشى حباً لها لو كان أمسح فوقها لأظلمها
ويبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لأقلها
وقلت:

(١)، الخوص: ورق النخل.

(٢)، ديوانه: ٤٤٤.

(٣)، ديوان ابن الرومي: ٢٢٢/٦.

(٤)، في الديوان: «ما ألقى من الهيمان». والحزازة: الغرام والشوق.

(٥)، في الديوان: «كأن فؤادي ليس يشفى رسيه... أن يرى الروحين...».

(٦)، ديوانه: ٥٨٦.

أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفردَ بالتمام فلا تمام
فلا ألقيته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التمام
وقال (١) ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه:
سلالة نورٍ ليس يدركها اللمس إذا ما بدا أغضى له البدرُ والشمسُ
به أمت الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حُبهِ نفس (٢)

وقال بشار:
ولست بناسٍ من يكونُ كلامه بأذني وإن غُيِّبْتُ قرطاً معلّقا (٣)
ومن ظريف التشبُّب أيضاً (٤) قول ابن المعتز:

كذبت يا من لحاني من مودّته ما صورة البدرِ إلا دونَ صورته
يا ربّ أن لم يكن في وصله طمَعُ ولم يكن فرجٌ من طول جفوتيه
فاشف السقام الذي في لحظ مُقلّته واستر ملاحه خديّه بلحيته

ومن الظريف قول كشاجم:
كأن الشفاه اللعس منها خواتمُ من التبرِ مختومٌ بهنَّ على الدرِّ (٥)
ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا.

وأحسن ما قيل في حث الشوق، من قديم الشعر، قول عمرو بن شأس الأسدي (٦):
إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرنا حاديا (٧)
أليس يزين العيس خفة أذرع وإن كنّ حسرى أن تكون اماميا (٨)
وَأتم من ذلك شرحاً قول الآخر:
إذا عقلت خبت وإن هي خُلِيت لترتّع لم ترتّع بأدنى المراتع
كأن لديها سائقا يستحثها كفى سائقا بالشوق بين الأضالع
ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر:

(١) ديوانه: ٢٩٢/٣. وفيه: «ليس يدركه».

(٢) في الأصل سقطت «به».

(٣) البيت في ديوان بشار: ٥٦٧.

(٤) ديوانه: ٩٠.

(٥) الشفاه اللعس: الضاربة إلى السواد. التبر: الذهب.

(٦) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة، شاعر جاهلي مخضرم، ادرك الإسلام وأسلم. مات سنة ٢٠ هـ.

(الأعلام: ٧٩/٥).

(٧) البيتان في الأغاني: ٢٠١/١١. وفيه: «وكفى لمطايانا بوجهك هادياً. وأدلج: خرج ليلاً.

(٨) في الأصل: «أليس يزن». وفي الأغاني: «أليس يزيد». العيس من الأمل: البيض مع شقرة.

صَبُّ يَحْتُ مطاياهُ بذكرُكم
يَرْجُو النجاةَ من البلوى بقربكم
ومن ظرف الأعرابي قوله أنشد المبرد:
وعود قليل الذنب عاودتُ ضربه
وقلتُ له ولقاءً ويحك سببتُ
ونحوه قول الآخر:

قد قطعَ الاحراجَ أعناقَ الابل
وقول الآخر وقد ألغز:

إنَّ لها لسائقاً خدلجاً
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف:

أيامٌ يقتلُ شوقها زيارتي
فأما أجود ما قيل في التذكر على البعد فقول بعضهم:

أذكر أخانا تولى اللهُ صحبتَهُ
اللهُ يعلمُ أني لستُ أذكره
وقلت:

ذكرتهمُ والنوى بيني وبينهمُ
بل كيف أذكر عهداً لستُ ناسيهُ

ونحوه يقول السري:

غضبان ينساني وأذكره
وبجوره ماضار مورقه
وكفى الهوى لو كان مكتفياً
لم يقتسم في العاشقين أسي
فأصبح في نفس أصدده
ومن مליح ذلك قول (٣) بشار:

ولستُ بناسٍ من يكون كلامه
أجود ما قيل في إخفاء الحركة، عند زيارة المعشوق، من الشعر القديم قول (٤) امرئ القيس:

وليس ينساكم إن حلَّ أو سارا (١)
والقلب يلهبُ في أحشائه ناراً

إذا عادَ قلبي في معاهدها ذكرُ
لك الضربَ فاصبر إن عادتك الصبرُ

فهي تسيرُ سيرَ مشتاقٍ عجلُ

لم يُدلجَ الليلةَ فيمن أدلجاً

كالماء يقتلُ بردهُ عطشَ الصدى (٢)

إنني وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ
وكيف يذكره من ليس ينساهُ

ذكرى الشبابِ الذي قد كانَ عاصاني
هل يعرضُ الذكرُ إلا بعد نسيان

وينامُ عن ليلى وأسهره
حظي وحظ سواي مثمره
ما رحت أضمره وأظهره
إلا وحظي منه أوفره
وأعوم في دمع أحدره

بأذني وإن غيبتُ قرطاً معلقاً

من الشعر القديم قول (٤) امرئ

(١) صَبُّ: مشتاق.

(٢) الصدى: العطش.

(٣) ديوان بشار: ٥٦٧.

(٤) ديوانه: ١٤١.

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانا ولا زاجر
وهذا أبلغ أيضاً، لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء، لأن لسمو حباب الماء
صوتاً خفياً، ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالت ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجل غائر
أما رأيت الباب من دوننا قلت: فإني واثب ظافر
قالت: فإن القصر من دوننا قلت: فإني فوقه ظاهر
قالت: فإن الليث عاد به قلت: فسيغي مرفق بائر
قالت: فهذا البحر ما بيننا قلت: فإني سابح ماهر
قالت: أليس الله من فوقنا قلت بلى وهو لنا غافر
قالت: فأما كنت أعيتنا فأت إذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانا ولا زاجر

ومن مليح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل^(٢) :

وطارقات طرقنني رسلاً والليل كالطيلسان معتكر^(٣)
فقلن جئنا إليك عن ثقة من عند خود كأنها قمر
هل لك في غادة منعمة يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طول إذا التفتت وفي خطاها إذا مشيت قصر

فقلت أسعى إلى مُحَجَّبة تضيء منها البيوت والحجر

فقلت لما بدا تخفُّرها جودي ولا يمنعك الخفر
قالت: توقّر ودع مقالك ذا أنت امرؤ بالقبيح مشتهر
والله لا نلت ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شعر
لا أنت لي قيم فتخبرني ولا أمير علي مؤتمر
قلت: ولكن ضيف أذاك به تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسبي الأجر في إنالته وباشري قد تطاول العسر
قالت: فقد جئت بتغني عملاً تكاد منه السماء تنفطر

(١) وضاح اليمن: عبد الرحمن بن اسماعيل الخولاني الحميري، شاعر رقيق الغزل، ولقبه وضاح لبهائه. قتله الوليد بن عبد الملك لأنه تغزل بزوجه سنة ٩٠ هـ. (الأعلام: ٣/٢٩٩).

(٢) المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي، شاعر من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي واشتهر في العصر العباسي. مات سنة ١٩٠ هـ. (الأعلام: ٧/٣٣٤).

(٣) الطيلسان: ثوب أسود مع غطاء للرأس.

فقلتُ لما رأيتها خرجت
لا عاقبَ الله في الصُّبا أبداً
قالت: لقد جئنا بمبتدع
قد بينَ الله في الكتابِ فلا
قلت: دعي سورة لهجت بها
وجهك وجه تَمَّت محاسنه
ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر، ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين
المقطوعتين.

ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:
تستدفع الأعين عن حسنِها بعوده من سوء أفعالها
وهي من أبيات قليلة الظير:
هل حاكمٌ يعدي على ظبية
دائمة الإعراضِ عني فما
صغيرةٌ عظمها حُبُّها
تستدفع الأعين عن حسنِها
لم أطع العدَّالَ فيها وقد
تمضي بليلٍ فإذا أقبلتُ
قلت: وقد أبصرتها حاسراً
لو لم يكن من بردِ ساقها
وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه.

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله (٣):
وإذا لبسَنَ خلخالاً كذبُنَ أسماءَ الخلاخلِ
يقول: لا تخلخل الخلاخل في سوقهن، أي لا تتحرك فقد كذبت أسمائهن، وذلك أن
اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك.

وفي نحو ما تقدم قول كشاجم:
وكانَ الشمسَ نيط بها
صدً إذ مازحته غضباً
وهو لا يدري لنخوته
قمرٌ يمناهُ والقَدْحُ
ما على الأحبابِ إذ مزحوا
أننا في النومِ نسطلح

(١) سقر: نار جهنم.

(٢) الخلخال: سوار تضعه المرأة في ساقها.

(٣) ديوان ابن الرومي: ٢١٤/٥.

ثُمَّ لَا أَنْسَى مَقَالَته «أطفيلي» ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر:
وإني لأغضي الطرفَ عنها تستراً
ونبتئها قالت لقد نلتُ ودّه
ولي نظراً لولا الحياءَ شديدُ
وما ضَرَّنِي بخلٌ فكيف أجودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر:

سَرِيرَةٌ وَدَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ
سَتَبَقَى لَهَا فِي مُضْمِرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب، في عين المحبوب، قول (١) عمر بن أبي ربيعة:
خَرَجْتُ غَدَاةَ النَحْرِ اعْتَرَضَ الدُّمَى
فَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ
فوالله ما أدري أحسنأ رزقته
أم الحبُّ يعمي مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي ﷺ: «حُبُّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيَصِمُّ» (٢) وأنشدني أبو أحمد، عن الصولي،
عن أحمد بن سعيد الشامي، عن الزبير بن بكار، لعمر بن أبي ربيعة (٣):

زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا
أَكَمَا يَنْعَتْنِي تَبْصِرْنِي
عَمَرَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ
وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ
وَأَنْشَدْنَا عَنْهُ قَالَ أَنْشَدْنَا إِسْحَاقَ لِرَجُلٍ:
حَلَفْتُ بِصَحْرَاءِ الْحَجَوْنِ وَنَاقَتِي
غَمُوسًا لَقَدْ فَضَلْتُ فِي الْحَسَنِ بَسْطَةً

لَهَا بَيْنَ قَاعِ الْأَخْشَبِينَ حَنِينٌ
عَلَى النَّاسِ أَوْ بِي مِنْ هَوَاكُ جَنُونٍ
وأنكر بعض المحدثين، أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه، أو لجنونه له فيه فقال

وأحسن:

حَسَنٌ وَاللَّهِ فِي عَيْنِي وَفِي كُلِّ الْعَيُونِ
قِينَةٌ بِيضَاءِ كَالْفَضَّةِ
لَمْ يَصْبُهَا سَقَمٌ قَدْ
طُ سَوَى سَقَمِ الْعَيُونِ
لَمْ أَصْفُهَا بِجَمَالٍ
لَهْوَى أَمْ لَجَنُونٍ
بَلْ لِحَسَنِ وَجَمَالٍ
قَوْلَ حَقٍّ وَيَقِينِ

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول:

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَيْهِ
فَلَسْتُ تَبْرَحُ حَتَّى
أَنْظُرَ بِعَيْنِي إِلَيْهِ
تَصِيرَ مَلِكٌ يَدِيهِ

(١) ديوان عمر: ٢٥/١.

(٢) أخرجه أبو داود: ادب ١١٦. وأخرجه مسلم: مساقاة ١٣٨.

(٣) ديوان عمر: ٨٩/١.

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله :

وفي أربع مني حكمت منك أربع

أجود ما قيل في صفة النساء ، من الشعر القديم ، ما أخبرنا به أبو أحمد قال : قال ابن سلام

أحسن ما قيل في صفة النساء :

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهِهَا إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْطُ لَيْلِهِ وَمَدَّ
وتشبيه النساء ببيض النعام ، تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه ، من الشعر القديم قول^(١) قيس بن الخطيم :

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبُ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
مأخوذ من قول^(٢) النمر بن تولب :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسِ تَحْتَ قَنَاعِهَا بَدَا حَاجِبُ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كَأَنَّ الْمُنَى بَلَقَائِهَا فَلَقَيْتَهَا وَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحَسَنِ أَوْ كَدَنُوهَا لِفُرُوبٍ

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول^(٣) زهير :

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
وفضلها كثير على الشمس فقال^(٤) وأحسن :

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ طَبِنَ الْعَدُوُّ لَهَا فَغَيَّرَ حَالَهَا^(٥)

وَسَعَى إِلَيَّ بِعَيْبِ عِزَّةٍ نِسْوَةٍ جَعَلَ الْآلَةَ خُدُودَهُنَّ نَعَالَهَا^(٦)

وَلَوْ أَنَّ عِزَّةً خَاصَمَتِ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْقِفٍ لَقَضَى لَهَا^(٧)

قوله عند موقف غاية ما يكون من الإحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول^(٨) عمر بن أبي ربيعة :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَمْتُ أَقْبَلْتُ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحَسَنِ أَنْ تَتَقَنَعَا

تَبَالِهَنَ بِالْعُرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقَلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا

(١) ديوانه : ٧٩ .

(٢) عيون الأخبار : ١١٠/٣ .

(٣) البيت ليس في ديوانه .

(٤) الشعر والشعراء : ٤٢٢/١ . والأمايلي : ٦٧/٣ .

(٥) في الأمايلي : « من مظلومة » . طَبْنُ : فُطِنَ .

(٦) في الأمايلي : « بصرم عزة » . . . « جعل المليك » .

(٧) في الأمايلي : « عند موقف » .

(٨) ديوانه : ١٩٨/١ . وفيه : « وسلمت أشرفت » .

وَقَرَّبَ سَبَابَ الْهَوَى لِمَتِيمٍ يقيسُ ذراعاً كلما قسنَ أصبعاً
 فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن، أخذه من قول الشماخ:
 لها شرقٌ من زعفرانٍ وعنبرٍ أطارت من الحسن الرداء المجبراً
 ثم تصرّف المحدثون في تشبيهه، أي الوجه، بالشمس فقال^(١) ابن الرومي:
 كالشمس غابت في حمرة الشفق

وزاد أبو نواس فقال^(٢) في الأمين قبل الخلافة:

تتيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأميرُ
 فإن يك أشبهها منه قليلاً فقد أخطاهما شبه كثيرُ
 لأن الشمس تغرب حين تسمي وأنَّ البدر ينقصه المسيرُ
 ونور محمد أبداً تمامً على وضح الطريقة لا يحورُ

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح
 وأراك تمصح في المحاق وحسها باقٍ على الأيام ليس بماصح
 وقال العباس بن الأحنف:

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمتُ إنَّ الذي قاسني بالبدر قد ظلما^(٣)
 البدر ليس له عينٌ مكحلةٌ ولا محاسنٌ لفظٍ يبعث السقما
 وقال النظام:

يا مشرقاً ملأ العيو نَ وطرفها ما يستقبل
 أوفى على شمس الضحى حتى كأنَّ الليلَ طل

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا وحسبك من عيب لها شبه البدرِ

ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول^(٤) أبي نواس:

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدتُه نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر، والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل،
 ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته.

وقريب منه قول كشاجم:

بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرحُ

(١) ليس في ديوانه.

(٢) ديوانه: ٣٠٥.

(٣) ظلوم: اسم امرأة.

(٤) ديوانه: ٣٤٠.

كُلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلُّ ما تتغنّى فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجواري على حسب ألوانهن؛ فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر، فذكر أن هذه تحسن في كل معرض فهو غاية وقريب من
المعنى الأول قول كشاجم أيضاً:

منعمة يُقربُهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلادُ
يعادُ حديثها فيزيدُ حسناً وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الحماني^(١):

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاود
وهو من قول^(٢) أبي نواس:
أشبهك الشيءَ حسناً فما أتمم ذلك حتى تزيدا
وقال بعضهم:

وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمدُ
وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي عن أبي العيلاء، عن الأصمعي، قال: أحسن ما قيل في
اللون قول^(٣) ابن أبي ربيعة:

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماءُ الشبابِ
قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل فإنه قال:
بات يعمي يعالج السهرا وراح نشوان يقسمُ النظرا^(٤)
أغيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا
وقال ابن الأحنف:
وقد ملئت ماءَ الشباب كأنها قضيبُ من الرّيحانِ رَيّان أخضرُ
وقال السري:

ومخطفٍ يهتزُّ عن ماءِ الصبا كأنما يهتزُّ عن ماءِ العنبِ
وقلت:
ووجهٌ تشربَ ماءَ النعيمِ فلو عُصرَ الحسنُ منه انعصر
يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

(١) الحماني: يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفي، من حفاظ الحديث مات سنة ٢٢٨. (الأعلام: ٨/ ١٥٢).

(٢) ليس في ديوانه.

(٣) ديوانه: ٣٦/١.

(٤) نشوان: طرب.

تمتعت العين في حسنه
وقال (١) ابن المعتز:
يحرّك الدّل في أثوابه غصنا
وقال (٢) ابن الرومي:
متعاً وجهك في بديتها
وقوله (٣):

مخففة، مثقلة، تراها
إذا الإغاب جدّد حسن شيء
ومثله (٤) قوله:

لا شيء إلا وفيه أحسنه
فوائد العين منه طارقة
وقد أطرف أبو نواس في (٥) قوله:
إن اسم حسن لوجهها صفة
فهي إذا سميت فقد وصفت
وقد بالغ ذو الرمة في قوله (٦):
فيا لك من خدّ أسيل ومنطق

رخيم ومن خلّج تعلل جادبه (٨)
إلا أنه ذكر خلقها أجمع، والجادب: العائب، هو يقول: إن الذي يعيها لا يجد عيباً فهو
يتعلل. وهو في خبر حسن:

أخبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد حدثنا عمر بن شبة (٩)، حدثني إسحاق بن
إبراهيم الموصلي، حدثني أبو صالح الفزاري، قال: ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من
الأعراب فقال عصمة بن مالك شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - : إياي فاسألوا عنه كان
من أطرف بني آدم، خفيف العارضين، حسن الضحك، حلو المنطق، وكان إذا أنشد بربر وحيس

(١) ليس في ديوانه.

(٢) ديوانه: ٩٢/٣. وفيه «الأخر».

(٣) ديوانه: ٨٢/١. في الأصل «لم يعد» والتصليح من الديوان.

(٤) ديوانه: ١٤٨/٥. في الديوان: «منه طارقة».

(٥) ديوانه: ٤١٣.

(٦) في الديوان: «ويجمع اللفظ».

(٧) ديوانه: ١٣.

(٨) أسيل: فيه لين. جادبه: عاتبه.

(٩) في الأصل: «شعبة» والتصليح من الأمالي.

صوته، فإذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه، وكان له أخوة يقولون الشعر: منهم مسعود وحر فاس وهو أوفي، وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيد فيها الأبيات فيغلب عليها، فجمعني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي: يا عصمة إن مياً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه لأثر، وأبصره في نظر، فهل عندك من ناقة نزار عليها مياً فقلت: أي والله إن عندي للجؤذر قال: علي بها، فركبتها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحي، فاذا هم خلوف، وإذا بيت مية خلوف، فعرف النساء ذا الرمة، فقمنا إلى بيت مي، وجئنا حتى أنخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث، وإذا مي جارية أملود، واردة الشعر، صفراء فيها عسر، وإذا عليها سب أصفر، وطاق أخضر، فتحدثن ملياً ثم قلن له: أنشدنا يا ذا الرمة فقال: أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله:

نظرتُ إلى أظعان مَيِّ كأنها ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه^(١)
فأوشكت العينان والصدر كاتم بمُغرورٍ نمت عليه سواكبه^(٢)
بكى وامق جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارهُ ومعاتبه^(٣)

فقال ظريفة منهن: لكن الآن فليجل، فنظرت إليها مي، ثم مضيت في القصيدة إلى قوله:

إذا سَرَحْتَ من حُبِّ مَيِّ سَوَارِخُ عن القلب أته جميعاً عوازيه
فقال الظريفة: قتله قتلك الله، فقالت مي ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفساً، كاد حرها يطير شعر وجهه، ومضيت حتى انتهيت إلى قوله:

وقد حلفت بالله مِية ما الذي أقولُ بها إلا الذي أنا كاذبه
إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوُّ أحاربه

فقال الظريفة: قتله قتلك الله، فقالت مي: خف عواقب الله يا غيلان، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا راجعتك القول مِية أو بدا لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه^(٤)
فيا لك من خدٍ أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ تعلق جادبه

فقال الظريفة للنساء: إن لهذين لشأنا، فقمنا بنا، فقمنا وقمت معهن، فجلست في بيت أراها منه فسمعتها قالت له: كذبت والله، وما أدري ما قال لها وما أكذبت، فلبث قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة، فيها دهن وقلائد، فقال: طيب أنحفتنا به مي وهذه قلائد للجؤذر، ولا والله لا أقلدهن بغيراً، وشدهن بذؤابة سيفه، ثم انصرفنا فكان يختلف إليها، حتى تقضى الربيع، ودعا

(١) البيت وما يليه في الديوان: ١٣. وفيه: «موليه ميس تميل ذوائبه». والأثل: ضرب من الشجر. الذوائب: ما علا من الأشجار.

(٢) في الديوان: «فأبدت من عيني».

(٣) في الديوان: «هــرى الف جاء الفراق ولم تجل». لم تجل جوائلها: لم توجه وجوها.

(٤) في الديوان: «إذا نازعتك».

الناس الصيف، فأتاني فقال: يا عصمة قد رحلت مَيّ ولم يبق إلا الأثار والنظر إلى الديار، فاذهب بنا ننظر في ديارها، ونقفو آثارها، فخرجنا حتى أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال: إلا يا أسلمي يا دار مَيّ على البلى ولا زال مُنهلاً بجرعائك القطر^(١) قال عصمة: فما ملك عينيه فقلت: مه فانتبه وقال: إني لجلد وإن كان مني ما ترى. قال: فما رأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا وكان آخر العهد به.

ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري^(٢):

الم قلبي ناره وما شعر ذبت إليه عَقْرُبُ وقتَ السحر
دَبَّتْ إلي ظبي بعينه حَوْر ديبَ لوطي تواري وانتشر
فظفرت لا ظفرت أي ظفر وهكذا العقرُبُ للقمر
أحسن ما قيل في العيون:

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، قال: قال أبو عمرو لأصحابه: ما أحسن ما قيل في العيون؟ قال بعضهم قول^(٣) جرير: إن العيون التي في طرفها حَوْرٌ يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وقال آخر قول ذي الرمة^(٤):

وعينانِ قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله:

يذكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الأقحوان المنور
(ومراراً) حشولا يحتاج إليه، فقال أبو عمرو: أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع^(٥): وكأنها بين النساء أعارها عينه أحور من جاذر جاسم^(٦)
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم^(٧)
أخذ بعض المحدثين قول جرير:

(١) في الديوان: ٣٦. المنهل: الذي يجري صبا. الجرعاء: من الرمل المنبسط.

(٢) الصنوبري: أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي أبو بكر، كان وصافاً للطبيعة والرياض. مات سنة ٣٣٤ هـ. (الأعلام: ٢٠٧/١).

(٣) ديوانه: ٤٩٠.

(٤) ديوانه: ٣٧.

(٥) عدي بن الرقاع العاملي الشاعر، مدح الوليد بن عبد الملك، وهاجى جريراً وقيل: كان أبرص.

(٦) البيتان في ديوانه: ٩٩. وفي الشعر والشعراء: ٥١٦/٢. وفيه: «وكانها وسط»... «عينين». جاذر: جمع جؤذر: البقرة الوحشية. جاسم: موضع.

(٧) وسنان: ناعس. أقصده: صرعه. رنق: خالط.

وهن أضعف خلق الله أركاناً

فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعفِ القوي
ومثله أيضاً قول الناشئ^(١) :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوي إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها^(٢)
ومن التمثيل القليل النظير قول^(٣) ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متن السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول^(٤) ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثم انثنت عنه فكادَ يهيمُ
ويلاهُ إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قوله بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة؟^(٥)

وقول الآخر :

يظنّ من خلل السجوف كأنما يمطرن أحشاء الكريم نبالا
ومن أطراف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموح :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر
أمضى وأنفذ في القلو ب من الخناجر في الحناجر

وقلت :

فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة سقيت مُداما
إذا اكترت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهامها
وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما^(٦)

وقال^(٧) ابن الرومي :

(١) الناشئ : عبد الله بن محمد الناشئ الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد أقام ببغدا وخرج إلى مصر فسكنها ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . (الأعلام : ١١٨/٤) .

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة : ٢١ . أدماء : بيضاء . العوهج : الطيبة .

(٣) ديوانه : ٢٧١ وهو في الأمالي : ٢٢٧/١ .

(٤) ليسا في ديوانه .

(٥) في البيت اضطراب .

(٦) الشمول : الخمرة . الشمائل : الخصال الطيبة .

(٧) ديوانه : ١٣٩/٣ .

تقسمها نصفان: نصف مؤنث
تعبد من شاءت بعين كأنها
وقلت:

راحت تميم وحولها خرد
فملأت طرفي من محاسنها
عين تفل السيف لحظتها
وقال (٢) ابن المعتز:

كم ليلة عانقت فيها بدرها
فسكرت لا أدري أمن سكر الهوى
وغدا فنم عليه عند رقيبته
وسقام عين لم تذق طعم الكرى
وقلت:

إذا ما جاءني للأخذ عني
وقال (٤) البحري:

أجد النار تستعار من النا
وقلت:

يسعى إلي مفرط في كفه
وقد أطرف البحري في قوله (٥):

والذي صير الملاحاة في عي
لا أطمعت العذول فيه وإن أس
فدعا اللوم في التصابي فإني
وقلت:

ومقلة كحميا الكأس مسكرة
وقلت أيضاً:

ونسقيك في ليل شبيه بفرعها
فتسكر من عين وكأس ووجنة

ونصف كخوط الخيزران مذكر (١)
- وإن سقيت ريا من النوم - تسهر

كالبدرد بين كواكب شهب
ونسيت ما يجنى على الصب
أصبحت آمنها على قلبي

حتى الصباح موسداً كفيه
أم كأسه أم فيه أم عينيه
أثر من التقبيل في شفتيه
يدعو العوائد في الصباح إليه (٣)

تشاغل طرفه بالأخذ مني

ر وئشا من سقم عينيك سقمي

كأس وبين جفونه كاسان

نيه وقفاً والسحر في أجفانه
رف في ظلمه وفي عدوانه
لا أرى في السلو ما تريانه

وحاجب كهلال الشهر مقرون

شبيهاً بعينيها وشكلاً بخدّها
تحريك أعتاب الكؤوس بوردها

(١) الخوط: الغصن.

(٢) ليست في الديوان.

(٣) الكرى: النوم.

(٤) ديوانه: ٢٩٩/١ ع.

(٥) ديوانه: ٢٥/١ ص.

وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول^(١) جرير:
تجرى السواك على أغرّ كأنه برّد تحدرّ من مُتون غمام
وقالوا^(٢) بيت النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيكّة برداً أسفّ لثاته بالإثم^(٣)
كالأقحوان غداة غبّ سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي
شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة.

وقالوا بيت بشر بن أبي خازم:
يُفلّجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار^(٤)
ومن أحسن ما جاء في ذلك قول^(٥) البحتري:

ولما التقينا والتقى موعداً لنا تبين رامي الدُرّ منا ولاقطه
فمن برّد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه^(٦)
وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري:

إذا هنّ ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كفّ ناظم
ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول^(٧) البحتري أيضاً:

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
فجعله يجلو الظلام لبياضه، وذكر كثيرة الريق، فقال: خضل لأن قلة الريق تورث
تغير الفم، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين. فلا يرى في هذا المعنى أجمع من هذا
البيت.

وقد أحسن ابن طباطبا:

ثغرة عند سرده كالعناب المزرد
مثل دُرّ منظم بين دُرّ منضد^(٨)
وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله:

(١) ديوانه: ٤٥٢.

(٢) ليسا في ديوانه.

(٣) القادمة: ريشة في مقدّم جناح الطائر. الإنمّد: الكحل.

(٤) يُفلّجن: يفتحن. وفي الأصل: «عن الخوان». والتصليح من «متهى الطلب». و«غب سائرة».

(٥) ديوانه: ١١٩/١ ص.

(٦) شبه اسنانها بالبرد وكلامها باللؤلؤ.

(٧) ديوانه: ٣٩/١ ص. وفيه: «إذا ابتسمت... خضر السمطين لحاح».

(٨) «منضد»، ليست في الأصل.

وأرتنا خُداً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح^(١)
 وشتيتاً يغضُّ لؤلؤ النظر ويُرزي على شتيت الأقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجنة للشر ب وكادت تضيء للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بألحا ظِ مراضٍ من التصابي صحاح
 فطربنا لهنَّ قبل المثنائي وسكرنا منهنَّ قبل الرَّاح
 وتدير الجفون من عدم الألباب ما لا يدور في الأقداح
 وقلت:

مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههنَّ عقيقُ
 دهاني منها نرجسُ يرشق الحشا وهل نرجسُ يا للرجالِ رشوق
 ومبتسمُ عذبُ المذاقة مونق تجمع فيه لؤلؤُ ورحيقُ
 وقلت لبعض البغداديين: ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن الثغر؟ فقال
 قول^(٢) ابن الرومي:

وقبَلْتُ أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمرٍ خضبتُ لؤلؤ البحرِ
 فقلت: إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه، لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في البحر، ولو
 كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة.

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال^(٣):

وما تعترىها آفةٌ بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
 كذلك أنفاسُ الرِّياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيّرُ
 هذا التمثيل مليح جداً.

وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله^(٤):

يا ربَّ ريقٍ باتَ بدرُ الدُّجى يمجُّه بين ثناياكا
 يروي ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه. وقد سبق ابن الرومي إلى قوله^(٥):

سقتُه ابنةُ العمريِّ من خمرِ عينها ووجتِها كأساً يميّت ويدنفُ
 فقال امزجِها بالرُّضابِ لعلُّه يسكنُ من خمرِ الهوى ويخففُ
 فصدَّتْ ملياً ثم جادتْ بريقةً يزيد بها سكرُ المحبِّ ويضعفُ

(١) البيت وما يليه في ديوان البحري: ٢٤٩/١ ص. وفيه: «قد تدبر الجفون».

(٢) ديوانه: ١٩/٣.

(٣) ليسا في ديوانه.

(٤) في الأمالي: ٢٢٨/١ وليسا في ديوانه.

(٥) ديوانه: ٢٢٢/٤. وفيه: «تميت وتدنّف».

وقد يسأل العدل الولاة فيسعفُ
سوى ريقِ ذاتِ الخال أم أنت تعرفُ

فراح بضعفي سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد في سكر شارِبٍ
وقال^(١):

مَزَجَتْ خمرة عينيها بريقتها
فاشتد إسكارها إياي إذ مُزِجَتْ
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى، عن الرياشي، قال: قال الأصمعي: أحسن ما قيل في الثغر قول^(٢) ذي الرمة:

وتجلبو بفرع من أراك كأنه
ذُرَى أقحوانٍ وأجه الليل وارتقى
وقد أحسن ديك الجن في قوله:

من العنبر الهنديّ والمسك ينفُحُ
إليه الندى غاديه والمترَوِّحُ^(٣)

وقهوة كوكبها يُزْهِرُ
وردية يحثنها أحور
مهفف لم يتسم ضاحكا
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله:

ينفُحُ من خدِّه المسكُ والعنبرُ
كأنها من خدِّه تُعَصِّرُ
مذْ كانَ إلا كنيذ الجواهر

البدرُ لا يغنيك عنها إذا
في فمها مسكٌ ومشمولةٌ
فالمسكُ للنكهة والخمرُ للـرَّيْقَةِ واللؤلؤُ للثغرِ
جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً، ولم يترك مزيداً. ومن البارع المشهور في هذا المعنى قول الصنوبري:

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ
وقال غيره وأحسن التقسيم:

وثنايا وريقة كغدير
قال^(٤) ابن المعتز:

مشرَّبٌ عذبٌ مشارعه
وقال^(٥):

-
- (١) ليسا في ديوانه.
(٢) ديوانه: ٢١. وفيه: «والمسك يُضْبَحُ».
(٣) يشبه اسنانها بالأقحوان. وفي الديوان: «راحه الليل... إليه الندى من رامة المترَوِّحِ» وراحه الليل: ظهر برد هوائه. المترَوِّح: الذي يروح.
(٤) في ديوانه/ ١١٨ وفيه: «مشرَّبٌ طابت». و«في خمرة برَّده».
(٥) ديوانه: ٣٠٨. وفيه: «ذقت، والله، منه».

ذَقْتَ مِنْهُ وَاللَّهِ، أَطِيبَ مِنْكَ

قَلْتُ لِلْكَأْسِ وَهُوَ يَكْرَهُ مِنْهَا:
وقال (١):

لَيْلٍ رَأَيْتُكَ مَعِيَ كَوَاكِبُهُ
لِي وَاصِلًا، فَازُورْ جَانِبَهُ
مَنْ فِيهِ، تَرْضَى مِنْ يُعَاتِبُهُ (٢):

يَا سِرُّ، إِنْ أَنْكَرْتَنِي، فَلَكُمْ
بِأَبِي حَبِيبٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُ
عَبَقُ الْكَلَامِ بِمَسْكَةِ نَفَحَتْ
وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ (٣):

يَجْنِي عَذُوبَتَهُ يَمُرُّ بِشْغَرِهَا

تَعْطِيكَ مَنْطَقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ (٤) بِشَّارٍ:

إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ
وَقَوْلِ بِشَّارٍ مِنْ قَوْلِ قَيْسٍ (٥):

بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقٍ
كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقٍ

كَأَنَّ عَلِيَّ أَنْيَابَهَا الْخَمْرُ شَجَمَا
وَمَا ذَقْتَهُ إِلَّا بَعِينِي تَفْرُسًا
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

خَلِيقُ الشَّيَا بِالْعَذُوبَةِ وَالْبَرْدِ

وَتَبَسُّمٍ عَنِ أَلْمَى الثَّلَاثِ مَفْلَجٍ
وَقَالَ (٦) ابْنُ الرَّومِيِّ:

عَرِيضٌ وَمَا عِنْدِي سِوَى ذَلِكَ مَخْبَرٌ (٧)
فَكَمْ مَخْبَرٍ يَبْدِيهِ لِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ

بَدَا لِي وَمِيضٌ مُؤَذِّنٌ أَنَّ صَوْبَهُ
وَمَا ذَقْتَهُ إِلَّا لِشِيمِ ابْتِسَامِهَا
وَقَالَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ:

وَقِيعُهُ يَرْدِي تَهْلُلُ فِي تَعَبٍ (٨)
وَقَلْبُ وَمَا أَنْبَاكَ أَشْعَرُ مِنْ قَلْبٍ

كَأَنَّ عَلِيَّ أَنْيَابَهَا مَبِيتُ الْكَرَى
تَأْمَلُ عَيْنٌ لَا تَقِيلُ إِذَا ارْتَأَتْ
وَقَالَ آخَرُ وَأَحْسَنُ:

قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذَبٌ

بِأَبِي فَمُ شَهِدَ الْمَحَبَّ لَهُ

(١) ديوانه: ٥٠. وفيه: «ياشرُّ قد أنكرتني».

(٢) في الديوان: «نرضي».

(٣) ليس في ديوانه.

(٤) ديوانه: ٥٧٠، وفي الأملاني: ٢٢٨/١. المساويك: جمع المساوك.

(٥) قيس: هو مجنون بني عامر، قيس بن الملوّح بن مُزاحم، وكان يهوى امرأة من قومه اسمها ليلي، وكان به لوثة بسببها. مات سنة ٦٨ هـ. اخباره في الأغاني: في الأغاني: ١/٢ وما بعد. والبيت في الأغاني: ٣٢/٢. وليس في ديوانه.

(٦) ديوانه: ١٥/٣.

(٧) مؤذن: مخبر. الصوب: المطر.

(٨) في عجز البيت اضطراب.

كشهادةِ الله خالصة
وقلت في معنى الأول:

أقول لما لاح من صدره
أبدره أحسن من وجهه
قد مالت الرقة في شطره
فأزره غصت بأردافه
أصبحت لا أدري وإن لم يكن
أشعره أحسن من وجهه
ودره يؤخذ من لفظه
وثغره ينظم من عقده
فمن عذير الصب من صده
يا ليتته يعرف حبي له

أحسن ما قيل في حديث النساء قول^(١) القطامي :

فهنَّ ينبذن من قولٍ يصبن به
وقد أحسن القائل :

هي الدُرُّ منشوراً إذا ما تكلمت
تعبدُ أحرارِ القلوب بدلهـا

وقد أحسن ابن المعتز غاية الإحسان في قوله^(٢) :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المنى
ثم قال :

وشر أحاديث عذاب لو أنها
الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل، وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.

وعندي أن أحسن ما قيل في وصف حديثهن، قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي^(٤) :

وحديثها السحر الحلال لو أنه
إن طال لم يملل، وإن هي أوجزت
شرك القلوب وفتنة ما مثلها

لم يجن قتل المسلم المتحرز^(٥)
ودَّ المحدث أنها لم توجز
للمطمئن، وعقلة المستوفز^(٦)

(١) الشعر والشعراء : ٦٠٩/٢ .

(٢) الصادي : العطشان .

(٣) ليسا في ديوانه .

(٤) ديوانه : ٢٤٧/٣ .

(٥) في الديوان : «لو أنها ... لم تجن ...» .

(٦) في الديوان : «شرك النفوس» . المستوفز : القاعد غير مطمئن .

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول^(١) ابن الرومي :
ولقد سئمتُ مآربي فكأنَّ أطيَّبها خبيثُ^(٢)
إلا الحديثُ فإنه مثل اسمه أبداً حديثٌ
وقلت :

وحديثُ الرِّجالِ روضةُ أنسٍ باتَ يرعاهُ أهلُ نُبُلٍ وسرو
ومن جيد ما قيل في الحياء : ما أخبرني به عم أبي ، قال : قال أبو العباس ، الفضل ابن
محمد الزيدي ، قال : قال الهيثم : قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً شريفاً في امرأة
خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول^(٣) :

يضيءُ بها البيتُ القليلُ خصاصه إذا هي ، ليلاً ، حاولتُ أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا^(٤) فبيت الأعشى :
كأنَّ مشيتها من بيتِ جارِتها مرُّ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجل
قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال : قول أبي قيس بن
الأسلت^(٥) :

ويكرمُها جارِاتها فيزُرُنها وتعتلُّ عن إتيانهنَّ فتعتذرُ
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازم^(٦) :
إنني رأيتك في نومٍ تعانقني كما تعانقُ لأمَ الكاتبِ الألفا
وهذا من المقلوب ، لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال الألف لا تعانق
اللام إلا واللام معانقة لها .

ومن أطرف ما قيل في ذلك قول^(٧) ابن المعتز :
كأنني عانقتُ رِيحانةً تنفَّستُ في ليلِها الباردِ
فلو ترانا في قميصِ الدُّجى حسبتنا من جسدٍ واحدٍ

(١) ديوانه : ٢٤٣/١ .

(٢) في الديوان : «فكان طيبها» . والمآرب : المطالب .

(٣) ديوان حاتم : ١١٠ . وفيه :

يضيء لنا البيتُ الظليل ، خصاصةً إذا هي ، ليلاً ، حاولت أن تبسما
وحاتم هو ابن عبدالله بن سعد الحشرج الطائي ، فارس شاعر جواد يُضرب به المثل مات سنة
٤٦ ق . هـ . (الأعلام : ١٥١/٢) .

(٤) ديوانه : ٥٥ .

(٥) قيس بن الأسلت : شاعر جاهلي من الأوس .

(٦) شاعر كوفي مولى لبني أسد ، كان ورّاقاً معاقراً للخمرة . طيب الشعر له ترجمة وأخبار في الأغاني : ١٨٩/٢٣ .

والبيت في الأمالي : ٢٢٦/١ .

(٧) الأمالي : ٢٢٦/١ . وديوانه : ١٤٦ .

وقلت في نحو ذلك:

ونحن نظمٌ في الهوى واحدٌ كأننا عقدان في نحرٍ
وقال التنوخي:

الله أيامٌ مَضِينَ قطعَها وطوالها بالقاصراتِ قصارُ
أخلو النهارَ على الثَّهَارِ وأنثني والشمسُ لي دُونَ الشعَارِ شعَارُ
خَدَاهُ وَرَدَ والنواظرُ نرجسُ والثَّغرُ سوسنُ والرضابُ عُقَارُ^(١)
حتى إذا ما الليلُ أَقبلَ ضمنا دُونَ الإزارِ مِنَ العنَاقِ إزار
فعلى النحرِ مِنَ النحرِ قِلَادَةٌ وعلى الخدودِ مِنَ الخدودِ خِمَارُ^(٢)

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول^(٣) ابن الرومي:

طالما التفتُ إلى الصب ح لنا ساقٍ بساقٍ
في قِناعٍ مِنْ لثامٍ وإزارٍ مِنْ عِنَاقٍ
وأنشد أبو أحمد، عن الصولي، عن أحمد بن سعيد لابن عيد، كأنه الكاتب:
وكلنا مُرتدٍ صاحِبُهُ كارتداءِ السيفِ في يومِ الوغى
بخدودٍ شافياتٍ من جوى وشفاهِ مُروياتٍ من ظما
نساقى الريقَ فيما بيننا زق أمات القطا زغبَ القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول^(٤) الأعشى:

فأفضيت منها إلى جنةٍ تَدَلَّتْ عَلَيَّ عِناقِيْهَا
ليس لأشعار المتقدمين نظير، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع ما قيل في الشعر.

وقد أحسن القائل^(٥):

يبضأ تسحبُ من قيامِ فرعها وتغيبُ فيه وهو جثلٌ أسحُمُ
وكانها فيه نهارٌ ساطعُ وكأنه ليلٌ عليها مظلم
أخذه بعضهم فقال وأحسن:
نشرت عليّ ذوائباً من شعرها حَذَرَ الكواشِحِ والعدوِّ المحنِّ
فكأنني وكأنها وكأنهُ صبحانِ باتا تحتَ ليلٍ مطبق
وقد أحسن السري القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله:

(١) شبه الخد بالورد، والعين بالترجس، والفم بالسوسن، والريق بالدواء.

(٢) النحر: الصدور. الخمار: غطاء الوجه.

(٣) ديوانه: ٣١٤/٤.

(٤) ليس في ديوانه.

(٥) في الأمالي: ٢٢٧/١ «وَحُفَّ اسحُم». ونسبتها إلى بكر بن النطّاح.

مصقولةً بسنى الصباح وجوهها
أغصانُ بأنٍ أبدعت في حملها
طالت ليالي الحب بعد فراقها
ولربُّ ليالاتٍ بهنَّ تفرَّجتْ
ما كان ذاك العيشُ إلا سكرةً

وقال (٣) ديك الجن :

أنظر إلى شمسِ القصورِ وبدرِها
لم يبلُ عينُك أبيضاً في أسودِ

وقال (٤) أبو تمام :

بيضاء تسحبُ شعرَها من وجهها
وقال (٥) أبو نواس :

وسالتُ من عقيصتها
وقال آخر :

سيقربُ منك الردى عنوةً
فهل أنتُ باكٍ على أثره
سيكثرُ من بعدِ ترحاله
بنفسي الذي قلقتُ وشحه
يريك الحنادسَ إدباره
مليحُ الدلالِ قليلُ النوالِ

وقلت :

رخيمٌ فائزُ اللحظِ رشيقٌ مُخطفُ الخصرِ
وقد غمَمَ بالليلِ وقد قنعَ بالفجرِ
وما ينفعني حسنُك يا أحسنَ من بدرِ
إذا كان نصيبي منك طولَ البينِ والهجرِ
وقال كشاجم :

مصبوغةً بدُجى الظلام طرارُها (١)
فغرائبُ الوردِ الجني ثمارُها (٢)
وأحبهنَّ إلى المحبِّ قصارُها
أسدانُها وتأرَّجتْ أسحارُها
رحلتْ لذاذتها وحلَّ خمارُها

وإلى خزامها وبهجة زهرها
جمعَ الجمالَ كوجهها في شعرها

في حسنه أو وجهها من شعرها

سلاسلُ كُسرتْ حلقا

إذا مانأتُ عنك أحمالُ
وهل تشجينك أطلاله
توجُّعُ صبٍّ وإعواله
وضاقُ بما فيه خلخاله
ويدي لك الصبحُ إقباله (٦)
جميلٌ وإن قلَّ إجماله

(١) في ديوانه : « بسنى الصباح جباهها ».

(٢) في ديوانه : « بأنٍ أغربت ».

(٣) الأغاني : ٥٥ / ١٤ .

(٤) ديوانه : ٤٤٥ . العقيصة : ضفيرة الشعر .

(٥) ليس في ديوانه .

(٦) الحنيس : الليل الشديد الظلمة .

بالله يا متفرداً في حسنه
ومحكماً أردافه في خصره
ويكاتم الأسرار حتى إنه
لا تغضبني على فتى يرضى بما
أخذ قوله :

ومصافحاً خلخاله بصفائره

من قول^(٢) أبي نواس :
باتوا وفيهم شمسٌ دجن
تعومُ أعجازهنَّ عوماً
غريبٌ شكلٌ بديعٌ حسن
بانوا بروحي فصرتُ وقفاً
وقال نصر بن أحمد^(٥) :

سلسل الشعرُ فوقَ وجهٍ فحاكى
وقال السري :

قصرتُ ليلةَ الخورنقِ حسناً
إذ وجوهُ الأنام فيه رياضُ
وجناتٌ تحيرُ الوردُ فيها
فضحاهُ من الذَّوائِبِ ليلٌ
وقال :

ومالت غصونٌ طوقتها مناطقٌ
وقلت :

وذى غنج ياوي إلى فرعه الدُّجى
ففيه ظلامٌ بالصباح معمم
يروق سُليمى منك جَعْدٌ مسلسلٌ
ولكنها عن وجهه تتفرَّجُ
وفه صباحٌ بالظلامِ متوجُّ
ويسليك منها أقحوانٌ مفلجٌ

(١) في ديوانه : «يا متفرداً بجماله» .

(٢) ديوانه : ٦٢٢ .

(٣) في الديوان : «أعوزه المثل والقيرين» .

(٤) في الديوان : «فصرت شخصاً» .

(٥) نصر بن أحمد بن مأمون البصري . شاعر غزل . مات سنة ٣٢٧ هـ . ويُعرف بالخبر أرزي .

(الأعلام : ٢١/٨) .

(٦) الخورنق : قصر بظهر الحيرة .

(٧) حنادس : جمع حندس : ظلمة الليل .

وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
 أبلغ ما قل في صفة الأصداع والعدار: فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز:
 له طرة كجناح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله:
 وكأن عقرب صدغه وقفت
 وقوله:
 غلالة خده ورد جني
 وقلت:
 وكأن دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن:
 فقام مختلفاً، كالبدري مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأن لاما أديرت فوق وجته
 وقلت:
 إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت:
 الغيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضب مخضراً
 فإذا جلا لك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خده وعداره
 وقال آخر:
 عجي لخضرة زعفران عذاره
 ومن العجائب زعفران أخضر
 والروض بين مجدّد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كف أبلج كالصباح الأبلج^(١)
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج^(٢)
 يجلوه حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق وبنفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

(١) الصولجان: العصا. الغداف: النسر.

(٢) ديوانه: ٨٩.

(٣) ديوانه: ٣٣٦. الغلالة: البشرة. وفي الديوان: «غلالة خده صبغت بوردة».

(٤) أهيف: رشيق. أبلج: مشرق.

(٥) أدعج: اسود العين واسعها.

وقال^(١) ابن المعتز:

من كفَّ ريمَ تشنى مناطقه
يعطيك ما شاء من معانقة
مسطرَّ الخدِّ بالعذار ولا

وقلت:

له وجنتا ورْدٍ وعينا غزالة
وصدغٌ يناجي الأذن وهو مُعقربٌ
له من ظلام الليل أحسنُ ملابسٍ

وقال الصنوبري:

تلك طرازٌ عليك أم حلقٌ
وقلت:

يفتنُ القلبَ بخدِّ
مثلما تكتبُ بالمد
وعذار يسحرُ الصبَّ
وبصدغ دارَ في الخدِّ
كلما أظلم [ليلي]

وقال^(٤) ابن المعتز:

لعمرك ما أزرَّتْ بيوسفَ لحيه
فلا تعتذر من حبه في التحائه

وقال في خضرة الشارب:

تَبَسُّمٌ إِذْ مَا زَحَتْهُ فَكَأَنَّمَا

وقال بعض المتأخرين وأحسن:

ومُعَذِّرِينَ كَأَنَّ نَبْتَ خُدُودِهِمْ

على هضيم الكشحين ممشوق^(٢)
مقفلة من وراء معشوق
يحسنُ غصنٌ إلا بتوريقٍ

وغُرَّةٌ إصباح وطُرة غيهبٍ
وطوراً يناغي الخدَّ غير مُعقربٍ
وفوق ضياء الصبح أحسنُ ملعبٍ

زانك صدغانٍ أم هما زردٌ

لم يدعُ للوردِ قدرا
لك على الكافور سطرًا
وما يعرفُ سحرا
كما تعقدُ عشرا
كان [لي] وجهك فجرا^(٣)

ولكنه قد زاد حُسنًا، وأضعِفًا^(٥)

فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفًا^(٦)

تكشفَ عن دُرِّ حجاب زبرجدٍ^(٧) ^(٨)

أقلامُ مسك تستمدُّ خلوقا

(١) الأبيات ليست في الديوان.

(٢) هضيم الكشمين: ضامر الخاصرتين.

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل.

(٤) ديوان ابن المعتز: ٢٨٢.

(٥) أزرَّتْ: التفت وأحاطت.

(٦) في الديوان: «من حبه» و«إلا مُشَفَّفا». مشنف: معلق في الأذن.

(٧) في الديوان: ١٤٧. «فكأنه... يكشف... زمرد».

(٨) الزبرجد: حجر كريم. والعقيق: حجر كريم.

قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا
تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقاً
وقلت:

وعانقت حلق من صدغه حلقة
كالعين في العين أو كالجيم في الجيم
وقلت وليس من هذا الباب:

كأنما النور مضحك يقق
وعطفه الغصن شارب خضر
وقلت:

وترى النور مثل مضحك خود
وترى الغصن مثل شارب أمرد^(١)
ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان:

وشادن سائقات الشعر قد سلكت
في عارضيه على جهد بها طرقا^(٢)
هذا البيت متكلف جداً:

لما رأْتُ أنها قد أخطأت وجنت
ولت تعود فدارت كلها حلقة
وهو مأخوذ من قول كشاجم:

علم الشعر الذي عاجله

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقة) الفرق بينهما هذا.

وقلت:

لا والذي دار من صدغيك وانعطفاً
وصار نوناً إذا صيرته ألفاً
ما كنت إذ خنتني إلا أختة
لم تستعص منه إذ ضيعته خلفاً

لم أسبق لمعنى البيت الأول:

وقلت:

قد التوى صدغه واختط عارضه
كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق إلى معناه:

ومغنج قال الكمال لوجهه
كن مجمعا للطيبات فكأنه
زعم البنفسج أنه كعذاره
حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعني الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج:

وقلت:

بنفسج عارضه ينثني

إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه

يسيء إليه ويعدو عليه

وقال ابن المعتز:

(١) الخود: جمع الخود: الحسناء.

(٢) الشادن: ولدا الغزال.

والصدغُ فوقَ العِذارِ منكسرُ كصولجانٍ يرد ضربته^(١)
وقال:

وصدغه كالصولجان المنكسر

أجود ما قيل في حسن القد، ورقة الخصر، وكبر العجيزة:
أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبي، عن غسل بن ذكوان، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص،
عن جعفر بن محمد العسكري، عن بعض رجاله قال: قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه
أنشدوني أحسن ما قيل في حسن القد، وعظم العجيزة، فأنشده بعضهم قول علقمة:
صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة كأنها رشاً في البيت ملزوم^(٢)
قال: لم تأت بشيء، فأنشد^(٣) بيت ذي الرمة:

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً: نقا يرتج أو يتمرمر
وأنشد^(٤) بيت الأعشى:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة إذا تمشت يكاد الخصر ينحول
وأنشد بيت^(٥) ذي الرمة:

عجزاء ممكورة خمصانة قلق فقال أحسن من هذا كله قول الحارث:

غرثان سمط وشاحها قلق شعبان من أردافها المرط^(٦)
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال:

سلمى وما سلمى تفوق المنى والوصف أنواعاً وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شعباناً^(٨)

نقله إلى وصف الساق، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال^(٩):

وظباء غرائر مشبعات المآزر
ومن البديع قول^(١٠) أبي نواس:

(١) ديوان ابن المعتز: ٨٩. وفيه: «والصدغ قد صد عن محاسنه».

(٢) بهنكة: امرأة سمينه. وفي ديوانه: «خرعة». والرشا: الغزال.

(٣) ديوانه: ٣٨.

(٤) ديوان الأعشى: ٥٥. وفيه: «يكاد الخصر ينخل».

(٥) ديوانه: ١٠.

(٦) عجزاء: ذات عجيزة ضخمة. ممكورة: حسنة الخلق. قلق عنها الوشاح: كناية عن ضمور بطنها. خمصانة: نحيفة. القصب: العظام.

(٧) غرثان: عطشان. المرط: الثوب.

(٨) الخلخال: سوار يوضع في الساق.

(٩) ديوان ابن المعتز: ١٨٦. أي شابات ممثلة.

(١٠) ديوانه: ٤١٢.

ورِيَان من ماءِ الشبابِ كأنه
أخذه الآخر فقال:
ظبيُّ كأنَّ بخصره
من ضميره ظمأ وجوعاً
وقلت:

وقد نطقن أذقانا
وقد شدتْ زنانيراً
وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول:

وتحت زنانير شددن عقودها
وقال مؤمل وأفرط:

من رأى مثلَ جبتي
تدخلُ اليومَ ثم تد
تشبهُ البدرَ إذ بدا
خلُ أردافها غدا
وأشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد^(٢):
قد قلتُ لما مرَّ يخطو ماشياً
يا من يُسلمُ خصره من ردفه
والرَّدْفُ يجذبُ خصره من خلفه^(٣)
سلم فؤادَ محبه من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والترنح:

ممن له حسن الرحيق وطيبه
ومزاج شاربه ومشى نريبه
وقلت:

لا والظباء الأنسات إذا رنت
إن لحن لحن كواكباً أو نحن نحن
ويدرن من مُقلِّ إليك فواتر
ما خنت عهدَ هوًى عليك وقفته
وقبل هذا:

مترجرجُ الأردافِ مضطمرُ الحشا
دأب النعيمُ له فأنمر صدره
لدن القوام يكاد يعقد لينا^(٣)
ثمراً إذا جلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب. وكتبت في فصل لي: والله يعلم أنني أخدمه بالضمير خدمة، لو تصورت له لرأها الرائي ممطوراً، ووشياً مثوراً، ولؤلؤاً منظوماً ومثوراً، بل لأبصر أعطاف الفتيان تشني تشني الأغصان في قرايط الحبير، ومن زبرات الديباج والحبر، وقد أطلعت أزراهم بواهر الأقمار، مطرفة بعقارب الاصداع، وحلق الأطرار، فأقبلوا يسفرون عن

(١) الزنانير: جمع الزنار: الحزام. العكان: الطي في البطن بسبب السمن.

(٢) البيتان في الأمالي: ٩٥/٣ ونسبتهما إلى خالد الكاتب. وفيه: «لما أن بدا متبخراً».

(٣) مترجرج الأرداف: كناية عن امتلاء المؤخرة. مضطر الحشا: ضامر البطن.

غرة الصباح، ويسمون عن حباب الراح، ويمزجون الدلال بخجل، أسأروا فيهم الوصال فإذا حضروا وكلوا الأبصار، وإذا غابوا استوهبوا القلوب والأفكار، فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء.

ومن الإفراط في ذكر الغيد وهولين القامة قول ماني^(١):

أَتَمْنَى الَّذِي إِذَا أَنَا أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِطَرْفِ عَيْنِي تَجَنَّنَى
أَهَيْفُ كَالْقَضِيبِ لَوْ أَنَّ رِيحاً حَرَّكَتْ هَدَبَ ثَوْبِهِ لَتَثَنَّنَى
وأجود ما قيل في النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي: بيضاء جعدة لا يمسّ الثوب منها،
إلا مشاشة كفتيها، وحلمتي ثديها. أخذها الشاعر فقال: أو أخذها الأعرابي من الشاعر:
أَبْتَ الرُّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَقَمَصْهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاقَضَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا
وقلت:

تَمْشِي بِأَرْدَافٍ أَبْيَنَ قَعُودَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا أَبْيَنَ قِيَامَهَا
وقال^(٢) ابن المعتز في النهود:
يَا عُصْنًا إِنَّ هَزَّهَ مَشْيُهُ، خَشِيتُ أَنْ يَسْقُطَ رُمَانُهُ
إِرْحَمْ مَلِيكَاً صَارَ مُسْتَعْبِداً، قَدْ ذَلَّ فِي حُبِّكَ سُلْطَانُهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد، عن العكلي عن ابن خالد، عن الهيثم بن عدي، قال: قعد أعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن علي بالكوفة، فخرجت جارية فطفت الأعرابي ينظر إليها، فقال له رجل: ما نظرك إلى شيء غيرك؟ أقبل على شأنك واصبر، والجارية تسمع - فقال الأعرابي ربلات تصطك، وغصن يهتز وثدي يخرق إهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية، وقالت: والله ما مدحني أحد مثل ما مدحتني به. فقال: بأبي أنت وأمي، إن الهوى يظهر جيد القول، ويدي المستر الكامن، وإنك لما يكنى عنه. الربلات: مجامع الفخذين؟
وقلت:

أَيَا وَرْدًا عَلَى غَصْنٍ بَكَرُ اللَّحْظِ يَلْقَطُهُ
وَرْمَانًا عَلَى فَنَنِ يَكَادُ الْمَشْيُ يَسْقُطُهُ
أَتَى وَالْبَدْرُ يَحْسُدُهُ وَشَمْسُ الدُّجْنِ تَغْبِطُهُ
وَخَوْفُ النَّاسِ يَقْبِضُهُ وَحُبُّ الْوَصْلِ يَبْسُطُهُ
وأحسن ما قيل في الثدي:
قَبِيحٌ بِمِثْلِكَ أَنْ تَهْجُرِي وَأَقْبَحُ مِنْ ذَاكَ أَنْ تَهْجُرِي

(١) ماني الموسوس: رجل من أهل مصر، اسمه محمد بن القاسم، أبو الحسن، شاعر لئيل الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل. اخباره في الأغاني: ١٨١/٢٣.

(٢) الديوان: ٣٧٥.

ورُؤْمَانَتَيْنِ عَلَى مَنْبَرٍ
برَأْسَيْهِمَا نَقَطَتَا عَنبَرٍ

وقد فاجأَتْهَا العَيْنُ والستَرُ واقعُ
كأَيْدِي الأَسَارِي أثْقَلَتْهَا الجَوَامِعُ^(٢)

طَلَبْتُ إِلَى صُمِّ الصُّخُورِ
كَيْفَ انْتَسَبْنَ إِلَى الغُرُورِ^(٤)
تَجَنَّبْنَ رُؤْمَانَ الصَّدُورِ^(٥)

قَبَبِ البَطْنِ وَطِيَّ العُكْنِ^(٧)
وَإِذَا أَثْنَيْتَهُ لَا يَنْثَنِي

وَحَلِي زَانَهُ حَسَنُ اتِّسَاقِ^(٩)
أَهَذَا الحَلِيِّ مِنْ هَذَا الحَقَاقِ
أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الخَضَابِ بِأَنَامِلِ المَرَاةِ، مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ، قَوْلِ الأَسُودِ^(١٠) بَنِ يَعْفَرِ:
قَتَاتُ أَنْامِلُهُ مِنَ الفُرْصَادِ^(١١)

أَقَاتَلْتِي بِفَتُورِ الجَفُورِ
كَحَقِيقِينَ مِنْ لَبِّ كَافُورَةٍ
وَالنَّاسُ يَسْتَسْنُونَ قَوْلَ^(١) مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ:

فَأَقْسَمْتُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا
فَغَطَّتْ بِكَفَيْهَا ثِمَارَ نَحُورِهَا
وَهُوَ حَسَنٌ جَدًّا وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّمْرِيِّ^(٣):

أَعْمِيرُ كَيْفَ بِحَاجَةٍ
لِللَّهِ دَرُّ عِدَاتِكُمْ
وَلَقَدْ تَبَيَّتْ أَنْامِلِي

وَقَالَ^(٦) عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ:

شَاخَصُ فِي الصَّدْرِ، غَضْبَانُ عَلَى
يَمْلَأُ الكَفَّ، وَلَا يَفْضُلُهُ

وَقَدْ طَرَفَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْلِهِ^(٨):

صَدُورٌ فَوْقَهُنَّ حِقَاقٌ عَاجٍ

يَقُولُ القَائِلُونَ إِذَا رَأَوْهَا

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الخَضَابِ بِأَنَامِلِ المَرَاةِ، مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ، قَوْلِ الأَسُودِ^(١٠) بَنِ يَعْفَرِ:

يَسْعَى بِهَا ذُو تَوُؤْمَتَيْنِ مُقَرَطَقٌ

(١) الشعر والشعراء: ٧١٨/٢.

(٢) فِي دِيَوَانِهِ: «فَغَطَّتْ بِأَيْدِيهَا». «أَثْقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ». وَثِمَارُ النُّحُورِ كُنَايَةٌ عَنِ الثَّدْيَيْنِ. وَفِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ: «فَغَطَّتْ بِأَيْدِيهَا».

(٣) النَّمْرِيُّ: هُوَ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الزَّبْرَقَانَ، كَانَ مَقْدَمًا مَعَ الرَّشِيدِ. الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ: ٧٣٦/٢ وَالْأَبْيَاتُ مَعَ تَرْجُمَتِهِ.

(٤) عِدَاتٌ: جَمْعُ عِدَةٍ: مَا تَعَدُّ بِهِ الْآخَرِينَ.

(٥) فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ: «يَجْنِبْنَ رُؤْمَانَ النُّحُورِ».

(٦) دِيَوَانُهُ: ١٨٨.

(٧) قَبَبِ الْبَطْنِ: ضَمُورُهُ. الْعُكْنُ: طَيُّ الْبَطْنِ.

(٨) دِيَوَانُهُ: ٢٨٨/٤.

(٩) حِقَاقٌ: جَمْعُ حَقٍّ.

(١٠) الأَسُودُ بْنُ يَعْفَرَ: جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ جَنْدَلٍ بْنِ نَهْشَلٍ بْنِ دَارِمٍ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْجَرَّاحِ. وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ: ١٧٦/١.

(١١) مَقَرَطَقٌ: مِنَ الْفَرَطَقِ: لُبْسٌ. (مَعْرَبٌ كُرْتُهُ). الْفَرَصَادُ: الثَّوْتُ الْأَحْمَرُ. وَ«مَقَرَطَقٌ» فِي الْأَصْلِ «كَأَنَّمَا» وَفِي مَتْنِهِ الطَّلَبُ «مَقَرَطَقٌ».

فأخذ المحدثون ذلك ، وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول^(١) أبي نواس :

يا قمرأ أبصرتُ في مأتَم يندبُ شجواً بين أترابِ
يبكي فيلقي الدُرَّ من نرجسٍ ويلطمُ الورْدَ بعنابٍ^(٢)
وقال ديك الجن :

ودعُها لفراقٍ فاشتكتُ كبدي وشبكتُ يدها من لوعةِ بيدي
وحاذرتُ أعينَ الواشينَ وانصرفتُ تعضُ من غيظها العنابَ بالبردِ^(٣)
فكانَ أوَّلَ عهدِ العينِ يومَ نأتُ بالدَّمعِ آخرُ عهدِ القلبِ بالجلدِ
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرِّحيل فأسرَّعتُ أطرافها في خَدِّها وقد اكتسبنَ خضاباً^(٤)
فاخضرَّ موضعُ كفِّها فكأنما غرستُ بأرضِ بنفسجِ عُناباً
وقال الناشئ وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفٍّ جاريةٍ كأنَّ بنانها من فضةٍ قد طرُفتُ عُناباً
وكأنَّ يَمناها إذا نطقتُ به يلقي على يدها الشمالِ حساب
وقال أيضاً :

لنا قينةٌ ترنو بناظرتينِ بما في قلوبِ الناسِ عالمتينِ^(٥)
تخالُ تطاريفَ الخضابِ بكفِّها فصوصَ عقيقٍ فوق قضبٍ لجينِ
وقال :

متعاشقان مكاتمان هواهما قد نامَ بينهما العتابُ فطابا
يتناقلان اللحظَ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
وإذا هَدَّتْ عينُ الرِّقيبِ تخالست كفاهما خلس السلامِ سلابا
بأناملٍ منه يلوحُ مدادها وأناملٍ منها كسبنَ خضابا
فكأنما يجني لها من كفه عنباً وتجنیه له عُنابا
يذكر أثر المداد بأنامله أثر الخضاب بأناملها .

وقلت :

انظر إلى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج مشوراً على فضةٍ
أوخلتها أخذتُ أطرافَ خرمة فنضدته على جمارة غضةٍ
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تولب :

(١) ديوانه : ٥٣

(٢) شبه الدموع بالدر ، والعين بالنرجس ، والورد بالعناب .

(٣) البرد : كناية عن أسنانها البيضاء .

(٤) الخضاب : ما يصطبغ به .

(٥) القينة : المغنية .

كَعَابٌ عَلَيْهَا لَوْلُؤُ وَزَبْرَجْدٌ وَنَظْمٌ كَأَجْوَانِ الْجَرَادِ مَفْصَلٌ^(١)
 قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع، لم يسبق إليه ولا أعرف أحداً أخذه منه. ومن البديع قول الدمشقي:

بدر بدا والشمسُ في كَفِّهِ وَأَنْجَمُ اللَّيْلِ عَلَيْهِ رَعَاثُ
 وهو من الليلِ ومن طرفِهِ وشعرِهِ في ظِلْمَاتٍ ثَلَاثُ
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيص^(٢):
 لهوْتُ عن الأحزان إذ أسفر الضحى وفي كبدي من حَرِّهِنَّ حريقُ
 مزجتُ دماً بالدمعِ حتى كأنما يُذابُّ بعيني لَوْلُؤُ وعقيقُ
 وقول^(٣) أبي تمام:

نثرت فريدَ مدامعٍ لم تُنْظَمِ والدمعُ يحملُ بعضَ ثقلِ المُغْرَمِ
 وصلتُ نجيعاً بالدموعِ فخذُها في مثلِ حاشيةِ الرَّداءِ المعلمِ^(٤)
 وقال:

أبيتُ أراعي أنجمَ الليلِ بعدكم فيا ليتَ شعري هل تراعونها بعدي^(٥)
 ودمعٍ نثرتُ دُرَّهُ وعقيقَهُ كأني حللتُ العقدَ من طرفِ العقدِ
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع، على حمرة الخد، ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي:
 لو كنتَ يومَ الفوداعِ حاضراً وهنَّ يطفئنَ لوعةَ الوجدِ
 لم ترَ إلا الدُموعَ جاريةً تسقطُ من مقلَةٍ على خدِ
 كأنَّ تلكَ الدموعَ قطرُ ندَى يقطرُ من نرجسٍ على وردِ
 ونحوه قول ابن الرومي:

لما دنا البينَ وراحَ الدَّلُّ ودَّعَتْهَا وَدَمَعُهَا مُنْهَلٌ^(٦)
 وخذُها من قطره مُخْضَلٌ كأنَّهُ وَرْدٌ عَلَيْهِ طَلٌ
 ومن أجمع بيت قيل قول^(٧) المحدثين:
 فأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتُ وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

(١) كعاب: حسناء شابة. أجوان: جمع جونة، والجون: الأبيض وكذلك الأسود.
 (٢) أبو الشيص: هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي: شاعر مطبوع رقيق الالفاظ من اهل الكوفة، قُتل سنة ١٩٦ هـ. (الأعلام: ٢٧١/٦). والبيتان من الشعر والشعراء ٧٢١/٢ والأغاني ٤٠٠/١٦.

(٣) ديوانه: ٢٧٦. وفيه: «بعض شجو المغرم».
 (٤) في الديوان: «وصلت دموعاً بالنجيع». النجيع: الدم.
 (٥) البيتان ليسا في ديوانه.
 (٦) البين: الفراق. والبيتان ليسا في ديوان ابن الرومي.
 (٧) الإعجاز والإيجاز: ٢١٩. ونسبته إلى أبي الفرج الدمشقي.

ليس لهذا البيت نظير .

وقلت :

يبكي فيسقي الدَّمْعُ وجنَّته
ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :
كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا
ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :
يَحْدِرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ
فُرَادَى وَمِثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ

ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَى
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَمِهِ
يَحْسَدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
طَلٌّ عَلَى سَوْسِنَةٍ غَضَى

وفي صفة الدمع :

تَوْرِيْدُ دَمْعِي مِنْ خَدَّيْكَ مَخْتَلِسُ
لم يبق لي رَمَقٌ أَشْكُوهُوَ أَكْ بِهِ
وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب أظنه :
فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاجَةٍ
وقول البحري في معناه :

وَيَحْسَنُ دَلَّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتُ
نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِيْنَ حَتَّى
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع ، قول بعضهم ، ونسب إلى السري ، ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكاً
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سَرَائِرِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

(١) الطَّلُّ : الندى .

(٢) الصَّبَابَةُ : الشوق .

(٣) البيت في ديوانه ٢٨٣/١ ع . الدل : الدلال .

(٤) في ديوانه : وَيَغَالِبُ دَمْعَهَا نَظْرٌ كَلِيلُ .

قد كَانَ فِي طُول الْبُكَاءِ لِي رَاحَةً
 حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَأَ
 وَعِنَانٌ سَرَّيَ فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
 رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَةَ الْإِعْلَانِ
 وَمِنَ الْبَدِيعِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ (١) بَشَارٍ وَهُوَ مَشْهُورٌ:

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ
 فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ فَاضٍ مِنْ نَارٍ
 وَقُلْتُ:

أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادَهَا قَلَقُ
 فِي فُؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَسَى جَدُّ
 حَتَّى عَلِقَنَ بِجَفَنَ رَدَّهَا الْغَرَقُ
 وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلَقُ (٢)
 لَهَيْبَ قَلْبِي أَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ بَصْرِي
 وَلَا أَظُنُّنِي سَبَقْتُ إِلَى هَذَا التَّمثِيلِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ:

وَلَطْمَةٌ خَدٌّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ خُرْمًا
 وَنَظِيرُ الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلُ صَاحِبِ مِصْرٍ:

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِيرًا
 لِأَعَادَ تَفَاحَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجًا
 وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرًا
 لَثَمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنَبَرًا
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ، قَالَ: أُنْشِدَ الْحَسَنُ بْنُ رِجَاءٍ عَنِ الْمُبَرَّدِ، يَوْمًا بَيْتَ ذِي
 الرِّمَّةِ:

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً
 وَقَالَ لَهُ مَنْ قَالَ فِي مِثْلِهِ؟ فَقَالَ قَدْ مَلَحَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ (٤) فِي قَوْلِهِ:

إِبْكُ فَمَا أَكْثَرَ نَفْعَ الْبُكَاءِ
 إِفْزَعْ إِلَيْهِ فِي أَزْدِحَامِ الْجَوَى
 وَالْحُبُّ إِشْفَاقٌ وَتَعْلِيلُ
 فِيهِ مَسَلَاةٌ وَتَسْهِيلُ
 هُوَ إِذَا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ
 حَزَنٌ عَلَى الْخَدَّيْنِ مُحْلُولُ

وَقَدْ مَلَحَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ:

إِنِّي لِأَجْحَدُ حَبْكَمَ وَأَسْرُهُ
 وَالدَّمْعُ يَشْهَدُ أَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
 وَالنَّاسُ قَدْ عَلِمُوا وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ
 وَقَالَ:

طَالَ عَهْدِي بِهَا فَلَمَّا رَأَيْتَنِي
 نَظَمْتُ لَوْلَوْأَ عَلَى تَفَاحٍ

(١) دِيوَانُ بَشَارٍ: ٥٣٠.

(٢) الْكَرَى: النَّوْمُ.

(٣) الْخُرْمُ: نَبَاتٌ. وَالْبَيْتُ لَيْسَ فِي دِيوَانِهِ.

(٤) الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ، شَاعِرٌ كَانَ مُعَاصِرًا لِأَبِي تَمَّامٍ، وَكَانَ وَجِيهًا اسْتَكْتَبَهُ الْخُلَفَاءُ، مَاتَ سَنَةَ ٢٥٠ هـ.

(الْأَعْلَامُ: ٢٢٦/٢).

وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لا جواب لمفحم متحير إلا الدُموع تصان بالأطراف
قوله «تصان بالأطراف» عبارة صحيحة جيدة.

وقال آخر:

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبد الحريّ فسر ولك الصبرُ
وقد سبقتها عبرةً فدموعُها على خدّها ييضُ وفي نحرِها حمْرُ
معناه إذا انحدرت إلى نحرها، إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها. ومن غريب المعنى قول الآخر:

عَدْتُ بأحبتِي كُوم المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرارُ
وكان الدُمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة: جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى، لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعروض، فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً، ومعنى، ورصفاً، وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير:

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول^(١) الأعشى:

ما روضةً من رياضِ الحزنِ معشبةً خضراءَ جاد عليها مسبلُ هطلُ
يضاحك الشمسِ منها كوكبُ شرقُ مؤزَّرُ بعميمِ النبتِ مكتهلُ
يوماً بأطيبِ منها نشرِ رائحةٍ ولا بأحسنِ منها إذ دنا الأصلُ

وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة:

وما ريحُ قاعٍ ذي خِزَامِي وَحْنَوِ له أريجُ من طيبِ النبتِ عازبُ
بأطيبِ من مِيٍّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(٢)
إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين.

ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية^(٣):

خَوْدُ يكونُ بها القليلُ يمسه من طيها عبقا يطيبُ ويكثر^(٤)

(١) ديوانه: ٥٧.

(٢) في ديوان القطامي:

وما ريح روضٍ ذي أقاح وحنوة وذي نفل من قلة الحزن عازب
بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت من الليل وسنى جانباً بعد جانب
(٣) ابن الطثرية: يزيد بن سلمة بن سمرة، من بني قشير بن كعب شاعر مطبوع من شعراء العصر الأموي. مات سنة ١٢٦ هـ. (الأعلام: ٨/١٨٣).

(٤) البيت في عيون الأخبار ونسبته إلى ابن الأعرابي.

هذا البيت على غاية اضطراب الرصف:

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن، أخذه ابن الرومي فقال:

ألوف عطرٍ تذكي وهي ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان
يغيّم كل نهار، من مجامرها ويشمس الليل منها، فهو ضحيان
كأنها وعشان الخدّ يشملها شمس عليها ضبابات وأدخان^(١)

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه، إلا أنه زاد زيادة حسنة، وجاء بالفاظ بديعة وهو

قوله^(٢):

وما ريحُ قاع زاهرٍ مستٍ الندى وروض من الرّيحانٍ سحتٍ سحائبه
فجاء سُحيراً بين يومٍ وليلةٍ كما جرّ من ذيل الغلالةٍ ساحبه
بأطيب من أثوابٍ شمر موهبا إذا الليل أدجى دابر كتائبه
إذا رغبت عن جانبٍ من فراشها تضوّع مسكاً أين مالت جوائبه
وقد طرف ابن الأحنف في قوله:

ذكرتُك بالرّيحان لما شمتُه وبالرّاح لما قابلت أوجه الشرب^(٣)
تذكرت بالرّيحان منك روائحاً وبالرّاح طعماً من مقبلك العذب^(٤)

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه:

تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
فأسكتته نوراً كرياك طيبه يذكرني منك الذي لست ناسيا
وقد أحسن وحسنه قليل.

وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن تحبه أو ولد تربته^(٥) فقال ابن الرومي:

ريحه ريح طيب الاولاد

وقلت:

يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نحبه
مرّ بروض زاهرٍ ذرّ عليه عشبه
فخلته من طيبه نشوة من أحبه

(١) النّد: البخور. العُثان: العُبق. والأبيات في ديوان ابن الرومي: ١٧٦/٦ وفيه: «ضبابات وأدجان».

(٢) الأبيات ليست في ديوانه.

(٣) الراح الخمرة.

(٤) في ديوانه. «تذكرت بالتفاح منك سوافاء».

(٥) ديوانه: ١٩٥/٣.

ومن البليغ قول سحيم^(١):

فما زال بُردِي طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنْهَجَ البرْدُ باليا
وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب، وأول من قال ذلك
النميري^(٢):

تضوع مسكاً بطنُ نَعْمَانَ إذ مشَتْ به زينبُ في نسوةٍ خفِرات^(٣)
ومن أحسنه وأرشقه قول جميل^(٤):

ألا أيها الربع الذي غيرَ البلا تداوَبَ رِيحُ المسك فيه، وإنما
وقوله^(٥):

وأنت الذي حبَّبتَ شغباً إلى بدا حللتَ بهذي مرَّةً ثم مرة
إليّ، وأوطاني بلادُ سواهما بهذي فطابَ الواديانِ كلاهما^(٦)
وقال الآخر:

أرى كلَّ أرضٍ يممتهَا وإن مضت لها حججٌ يزداد طيباً ترأبها^(٧)
وقد طرف ابن الأحنف في قوله:

وجدَ الناسُ ساطِعَ المسكِ من دجلةٍ قد أوسعَ المشارِبَ طيباً
فهمُ ينكرونَ ذاك وما يد رُونَ أن قد حللتَ منها قريباً
وقال البحتري:

فكان العبيرُ بها واثياً وجرسُ الحلِي عليها رقيباً^(٨)
وقلت:

تأملتُ منها غزلاً ريبياً وبدرأً منيراً وغصناً رطيباً
جلتُ لك عن خضلٍ واضحٍ يبيتُ سناءً عليها رقيباً

(١) سحيم: هو عبد بني الحسحاس، وكان حبشياً معلقاً قبيحاً، قُتل بسبب بداءة لسانه. له ترجمة وأخبار، والبيت المذكور في الشعر والشعراء: ٣٢٠/١. والأغاني: ٣٢٦/٢٢.

(٢) النميري: هو محمد بن عبدالله بن نمير بن خرشة الثقفي: شاعر غزل من شعراء العصر الأموي، ولد ونشأ وتوفي في الطائف سنة ٩٠ هـ. (الأعلام: ٢٢٠/٦). والبيت في الأمالي دون عزو.

(٣) نساء خفِرات: فيهن حياء.

(٤) ديوانه: ٨٥. وفيه: «تذأب... به المسك إنْ مرَّت...».

(٥) ديوانه: ٩٢. وفيه: «لعمري لقد حسَّنتَ شغباً إلى بدا».

(٦) في الديوان: «حللتَ بهذا حلَّةً، ثم حلَّة... بهذا...».

(٧) في الأصل: «أرض دمتها». يَمُّم: وجَّه.

(٨) ليس في الديوان.

قضيباً تفرَّعَ منه كثيباً^(١)
يقلبن للهجرِ طرفاً مُريباً
كواكبٍ شيبَ تهاوت غروباً
وغزلانَ رملٍ قلبن القلوباً
جمالاً بديعاً وشكلاً غريباً
وخلفن فيه جمالاً وطيباً

والطيبُ فيها المسك والعنبرُ
والحلي فيها الدُّرُّ والجوهرُ
ولوقيل: إن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً.

وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقالت وهل يحتاج عطرٌ إلى عطرٍ

لنا من ريقه راحٍ ومن رِياه ريحانُ^(٣)
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح ، إلا أنه وصف رجل :
سقياً لأيام مضت وكأَنَّ معهدَها حلوم
أيامٌ يفني لي ويفني رهطَه الرجلُ العريمُ^(٤)
إذ لا دليل عليّ في برد الضحى إلا النسيمُ
أجود ما قيل في حبِّ الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب .

ولولا أن يقال صبا نصيبٌ
بروحي كلِّ مهضومٍ حشاها
إذا ما الذلُّ ضاعفن الحشايا
ومن مליح ذلك قول عوف بن محلم^(٥) :
وصغيرةٌ علقتُها
كالبدْرِ إلا أنها
كانت من الفتنِ الكبارِ
تبقى على ضوءِ النهارِ

وهزّت لنا بسراة الكثيبِ
عشيّةً راحتٍ وأترابها
كواكبُ ليلٍ إذا ما رأت
وأقمارُ روضٍ قمرن العقولَ
إذا زدتها نظراً زدتنني
رحلن العشيّة من ذي الغضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جاريةٌ أطيب من طيبها
ووجهها أحسن من حليها
ولوقيل: إن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً.
ومما هو غاية قول^(٢) امرئ القيس :

ألم تر أني كلما جئت طارقاً
وقد طرف القائل :
أتاها بعطرٍ أهلها فتضاحكتُ
وقد أجاد البحري :

(١) الكتيب : ما ارتفع من الرمل .

(٢) ديوانه : ٦٤ .

(٣) ديوانه : ٨٤ / ١ . وفيه : «لنا من كَفِّه» .

(٤) الرجل العريم : العظيم .

(٥) عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، سيد من سادات الجاهلية ، مات سنة ٤٥ ق . هـ . (الأعلام : ٩٦ / ٥) .

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف:
 جاريةً أذهلها اللعبُ عما يقاسي الهائمُ الصبُّ
 شكوتُ ما ألقاه من حبِّها فأقبلتُ تسألُ ما الحبُّ
 ومن ملِّح ذلك ما روي أن عبد الملك بن مروان عُرِضَتْ عليه جارية فقال لها أبكر أنت أم
 ثيب؟ فقالت بل ثيب، فأنشد عبد الملك:

قالوا: عشقتَ صغيرةً فأجبتهم خَيْرُ المطي لديَّ ما لم يركبْ
 كم بينَ حبةٍ لؤلؤٍ مثقوبةٍ لبستَ وحبّةٍ لؤلؤٍ لم تثقب
 فقالت الجارية:

إن المطايا لا يلدُّ ركوبُها ما لم تذلَّ بالزُّمام وتركبْ
 والدَّرُّ ليسَ بِنافعٍ أربابه ما لم يؤلَّفَ في النظام ويثقبْ

قد أحسنا جميعاً، إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام أصدق ما قيل في
 صفة الحب قول العباس بن الأحنف:

من كان يزعم أن يداري في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوبُ
 الحبُّ أملك للنفوذ بقهره من أن يرى للسرِّ فيه نصيبُ
 وقلت:

آفةُ السرِّ من جفو نِ دوامٍ دوامٍ
 كيف يخفى مع الدمو عِ الهوامي الهوامع^(١)
 ما رأينا أحَا هوى سِرُّه غير ذائع
 إن نيرانَ حُبِّه باديات الطوالع

من أظرف ما قيل في ذكر الشربة في الهوى ما أنشدني أبو أحمد:
 ما لي جفيتُ وكنتُ لا أجفى وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
 وأراك تمزجني وتشربني ولقد عهدتُك شاربِي صرفا
 وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله:

يا فور لم أهجركم لملاية مني ولا لمقالِ واش حاسدِ
 لكنني جرَّبتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعامٍ واحدِ
 وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع، قال^(٢) أبو نواس:

أتيتُ فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحامِ
 فيا مَنْ ليس يكفيها مُحِبُّ ولا ألفا مُحِبُّ كلِّ عامِ

(١) الدموع الهوامي: التي تسيل.

(٢) ديوانه: ٥٨٥.

أظنك من بقية قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام
ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله^(١):

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنني ذبالة نصبت تضيئ للناس وهي تحترق^(٢)
وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كيلة ودمنة وإلى معنى قول البيت الأول يومىء قول

البحري:

قصائد ما تنفك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الأنساب فيها وسائل إلى غير من يحبى بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته:
رُفِعَ السترُ فانشى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله اللذيذ جناه
فلو أني كمنت في بعض شعري فإذا ما شدها قبلت فاه
ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي بكر بن
دريد عن عبد الرحمن عن عمه:

وما نطفة كانت سلاله بارق نمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثاب تلثم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت
ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم «قيد الحسن عليه»، وهو
من قول امرئ القيس «قيد الأوابد» وقد أحسن الآخر في قوله:
طبي له من قلوب الناس نابتة من المودة تجني أطيب الثمر
إذا بدا رميت الأبصار وجنته معاً فلم تختلف عيان في نظر
ونحوه قول^(٣) المتنبي:

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد:
كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالاً
وقال أبو نواس:

لو مني الحسن ما تعداها

(١) الشعر والشعراء: ٧٠٨/٢.

(٢) ذبالة: فتيلة.

(٣) ديوانه: ٢٩٦/٢.

أخذه أبو تمام فقال (١):

معتدل لم يعتدل عدله
أظرفه أحسن أم طرفه
انظر فما عاينت في غيره
لو قيل للحسن تمنى المنى
أي خصال حازها سيدي
وقال (٥) أبو نواس:

تمت وتم الحسن في وجهها
للناس في الشهر هلال ولي
وقال (٦):

متائنه بجماله صلف،
لو كانت الأشياء تعرفه
لو تستطيع الأرض لأجتمعت
وقال:

الاحظ حسن وجنته
وقال غيره:

شكوت إلى شبيهك إذ تجلي
وكان كأت إشراقاً وحسناً
أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول (٨)
فصدت كأن الشمس تحت قناعها
وقد مر قبل.

في عاشق طال به خبله (٢)
وحسنه أكمل أم عقله (٣)
من حسن فهو له كله (٤)
إذا تمنى أنه مثله
لو لم يكدر صفوها مطله

فكل شيء ما خلاها محال
من وجهها كل صباح هلال

لا يستطاع كلامه نيتها
أجللته إجلال باريها (٧)
حتى يكون جميعه فيها

فتجرحني وأجرحها

هواك فلم يزل شكوى الحزين
وقلة رحمة للمستكين

النمر بن تولب:
بدا حاجب منها وضئت بحاجب

(١) ديوانه: ٤٠٩.

(٢) في الديوان: «يعتدل عدله». الخيل: الجنون.

(٣) في الديوان: «أو عقله».

(٤) في الديوان: «عاينت من».

(٥) ديوانه: ٥٠٦.

(٦) ديوانه: ٦٧٧.

(٧) في الديوان:

لو كانت الأشياء تعقله،
أجللته إجلال باريها
وهوليس في الأصل.

(٨) الشعر والشعراء: ٢٢٨/١. وعيون الأخبار: ٨٩/٣.

ومن ظريف ما جاء في ذلك قول^(١) ابن الرومي:

ما ساءني إعراضه عني ولكن سرّني
سالفته عَوْضُ عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن:

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
صدّ عني من غير جرمٍ إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبيه له، في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق، وكثرة تجنيه عليه قول

بعضهم:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب
وأذنو فتقصيني فأبعد طالباً رضاها فتعدّ التباعّد من ذني
فشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

وقريب منه قول^(٢) مسلم:

ويخطيء عذري وجه جرّمي عندها فأجني إليها الذنب من حيث لا أدري
إذا أذنبت أعددت عذراً لذنبها فإن سخطت كان اعتذاري من العذر
بذكرك مات اليأس في حضرة المني وإن كنت لم أذكرك إلا على ذكر
وقد أصاب صفة العاشق.

وقلت:

صبابة نفس لا ترى الهجر حاليًا صبوة قلب ما ترى الوصل شافيا
نزلت على حكم الصّابة والهوى فصرت أرى للخل ما لا يرى ليا^(٣)
ولولا الهوى ما كنت أمل باخلا وأرحم ظلاماً وأذكر ناسيا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرته جفاني وسماني إذا غبت جافيا
على أنني أنأي فأذنو تذكراً ولست كمن يذنو فينأي تناسيا
ويعجبني حبي له وصبابتي إليه وإمساكي عليه وداديا
فلو ظنني أسلوه لم يك هاجراً ولو خالني أنساه لم يك نائيا
ولكن عشقي في ضمان جفونه فيأمن سلواني ويرجو غراميا

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذي يقول:

إذا قربت دار كلفت وإن نأت أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعد

(١) ديوانه: ٢٥٦/٦.

(٢) الشعر والشعراء: ٧١٩/٢.

(٣) الصّابة: الشوق، الخل: الصاحب.

وإن بخلتْ بِالوَعْدِ مَتَّ عَلَى الوَعْدِ
وحبك ما فيه سوى محكم الجهدِ

وإن وَجَدَ الهوى حَلَوَ المذاقِ
مخافةً فرقةً أو لاشتياقِ
وببكي إن دَنُوا خَوْفَ الفراقِ
وتبرد عينه عند التلاقي^(١)
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب.

لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
فأسألها مرضاتها ولها الذنب^(٣)
وعطفكم صَدِّ وسلمكم حرب^(٤)
ووروى لفضل الشاعرة^(٥):

عني بذاك الرضا بمغتبِطِ
منك التجني وكثرة السخِطِ
منك وما سَرَّني فعن غلطِ

فكم من مبطل حقاً بجحدِ
فقد تكف السماء بغير رعدِ

وخلفك عند القرب من عصب البعدِ
وعند ابتسام البرق قهقهة الرعدِ
ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول^(٦) جميل:
يوافق طرفي طرفها حين تنظرُ

وإن وَعَدَتْ زَادَ الهوى لانتظارها
ففي كلِّ حال لا محالة فرحةً
ومثله قول الآخر:

وما في الأرض أشقى من محبِّ
تراه باكياً في كلِّ حين
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم
فتسخن عينه عند التناثي
ومثله قول ابن الأحنف:

إذا رُضيتْ لم يهنني ذلك الرضا
وأبكي إذا ما أذنبتْ خوفَ عتبها
وصالكم صرماً وحبكم قلى

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد
ما كنتُ أيام كنت راضيةً
علماً بأن الرضا سيتبعه
فكلُّ ما ساءني فعن خلقِ

ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر:
عدينا موعداً ثم اجحدينا
وإلا فابذلي من غير وعد
وقلت في نحو ذلك:

تسيء على بعد الديار تنائياً
كثير سروري في قليل وفائه
ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول^(٦) جميل:
أقلبُ طرفي في السماء لعله
ومثله قول ابن المعلوط:

(١) التناثي: البعد. «وتبرد» في الأصل «تسخن».

(٢) في ديوانه: «لعلمي به أن سوف يتبعه العتب».

(٣) في ديوانه: «خوف صدها».

(٤) الصرم: القطع.

(٥) فضل الشاعرة: جارية المتوكل العباسي، كانت مؤدبة شاعرة فصيحة اعتقها المتوكل، عاصرت ابن الجهم وأبا دلف، وكانت تعاجي الشعراء. ماتت ببغداد سنة ٢٥٧ هـ. (الأعلام: ١٤٦/٥).

(٦) ديوان جميل بشينة: ٤٣.

أليس الليل يلبس أم عمرو
بلى وأرى السماء كما تراها
وأنشدني أبو أحمد عن ابن الأنباري لجميل:

وإني لأرضى من بشينة بالذي
بلا وبالا استطيع وبالمنى
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب.

ومن رديء هذا الباب قول بعضهم:
وما نلت منها محرماً غير أنني
وعفة هذا كعفة المتنبّي في قوله^(١):

إني على شغفي بما في خمرها
لأعف عما في سراويلاتها
سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر عنها بهذا اللفظ.
وأخبرنا أبو أحمد، أخبرنا الجوهري، عن عمر بن شبة، قال: حدثني أبو يحيى الزهري
عن رجل ذكره قال: قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب؟ قال: الناس يقولون^(٢):
أريد لأنسى ذكرها فكأنما
تمثل لي ليلي بكل سبيل
وأنسب عندي منه:

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه
وهذا البيت جيد المعنى رديء الرصف.
وأبلغ ما قيل في شدة الحب ما أنشدناه قدامة^(٣):

يوذ بأن يمسي سقيماً لعلها
ويهتز للمعروف في طلب العلى
وقلت في معناه:

وقلت عساها إن مرضت تعودني
وزدت اتساعاً في المكارم والعلّا
ومن الشعر المختار في النسب قول أبي المطاع:

أفدى الذي زرتة والسيف يخفرني
فما خلعت نجاداً في العناق له
ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
حتى لبست نجاداً من ذوائبه

(١) ديوان المتنبّي: ٢٢٦/١. سراويلات: واحدته: سراويل.

(٢) طبقات ابن سلام: ٥٤٦/٢.

(٣) نقد الشعر: ١٣٧. وفيه: «عند ليلي شمائله». وقدامة هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، أبو الفرج:

كاتب، من الفصحاء البلغاء، له علم في المنطق والفلسفة، اسلم على يد المكتفي العباسي، مات ببغداد سنة ٣٣٧ هـ. له كتب منها: «نقد الشعر». و«نقد النثر» (الأعلام: ١٩١/٥).

فبات أنعمنا بالاً بصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر:

بقدر الصبابة عند المغيب
وأطيب ما كان برد الثغور
ومن المختار في صفة العذار:

وقلت الشعرُ يسليني هواءه
فظلتُ لشقوتي أفدى وأمي

ومن أعجب ما قيل في التهالك في الحب ونهاية التقرب إلى المعشوق قول ديك الجن:
بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
بأي وجه ألقاهم
ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول^(١) ابن الرومي:

أسماء أي الواعدين ترينه
أنت بنيل منك يبردُ غلتي

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الأحنف: أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن
هارون بن عبد الله المهلي، قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف، فقال جده قليل، ولا
أعرف أحسن من شعره في الشمس:

هي الشمسُ مسكنها في السماء
فلن تستطيع إليها الصعود

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركم
وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه.
ومما هو في معنى قوله:

هي الشمس مسكنها في السماء

الخ قول الآخر:

شكوت إلى بدرٍ هوايَ فقال لي
فقلتُ بلى قال التمسهُ فإنَّهُ
فإن نلتُهُ فاعلمُ بأنك نائلي

(١) الديوان: ١٥٨/٣.

(٢) الغلة: العطش.

(٣) في ديوان العباس بن الأحنف: «فجاهل قد رمى».

فَكَانَ كَلَا الْبَدْرَيْنِ صَعْباً مَرَامَهُ فَوَيْلِيَّ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ وَمِنْ بَدْرِي^(١)
وَمِنْ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ فِي مَدْحِ الْفَرَاقِ لِمَكَانِ الْقَبْلَةِ وَالْاعْتِنَاقِ قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ^(٢):

لَيْسَ عِنْدِي شَحْطُ النَّوَى بِعَظِيمٍ فِيهِ غَمٌّ وَفِيهِ كَشْفُ غُمُومٍ
مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفَرَاقَ فَلِإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَهُ لَوَدَاعٍ وَانْتَظَارَ اعْتِنَاقِهِ لِقَدُومِ
فَلَكُمْ قَبْلَةً وَغَيْبَةً شَهْرٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ امْتِنَاعِ مَقِيمِ
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ لَاِبْنَ الرَّومِيِّ^(٣):

فَإِذَا كَانَ فِي الْفَرَاقِ عِنَاقٌ جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَاقًا
أَجُودَ مَا قِيلَ فِي خَفَقَانِ الْقَلْبِ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ^(٤):

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بَلِيلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قِطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٥)
فَلَوْلَا التَّضْمِينُ الَّذِي فِيهِ لَكَانَ غَايَةً.

وَمِنْ الْغَرِيبِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ دِيكَ الْجَن:

وَمَمْلُوءٌ مِنَ الْحُزَنِ يِعَالِجُ سُورَةَ الْأَرْقِ
تَكَادُ غُرُوبُ مَقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْغُرُقِ
كَأَنَّ فَوَادَهُ قَلَقَا لِسَانَ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
وَقَدْ أَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا:

عَلِمْتُ قَلْبِي وَجِيبًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا أَنْكَرَ الْقَلْبَ إِلَّا كَلَّمَا خَفَقَا
يَا شَوْقَ الْفَيْنِ حَالَ الْبَيْنِ بَيْنَهُمَا فَغَافَضَاهُ عَلَى التَّوْدِيعِ فَاعْتَنَقَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطِيرًا مِنْ بَكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقَا
وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ وَجَاءَ بِمَا فِي نَفْسِ الْعَاشِقِ:

وَلَوْ دَاوَاكَ كُلَّ طَبِيبٍ رَكَبَ بَغِيرِ كَلَامِ لَيْلِي مَا شَفَاكَ
وَلَوْ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ سَوَى لَيْلِي عَتَبْتَ عَلَى غَنَاكَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «صَعْبًا فَرَاقَهُ».

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ الْخَزَاعِيِّ، تَوَلَّى نِيَابَةَ بَغْدَادِ أَيَّامَ الْمُتَوَكِّلِ، وَكَانَ أَدِيبًا جَوَادًا فَاضِلًا. مَاتَ سَنَةَ ٢٥٣ هـ. (الْأَعْلَامُ: ٦/٢٢٢٢).

(٣) لَيْسَ فِي دِيْوَانِهِ.

(٤) قَيْسُ بْنُ ذَرِيحِ الْكِنَانِيِّ، شَاعِرٌ مِنَ الْعَشَاقِ، اشتهر بحبه للمبني له شعر عالي الطبقة في الغزل. تُوْفِيَ سَنَةَ ٦٨ هـ. (الْأَعْلَامُ: ٥/٢٠٥). وَقَدْ نَسَبَ صَاحِبُ الْأَغَانِي فِي: ٢/٤٨، الْبَيْتَيْنِ إِلَى الْمَجْنُونِ وَفِي ٢/٩٢

إِلَى ابْنِ ذَرِيحٍ.

(٥) فِي الْأَصْلِ «غَزَاهَا».

ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المعشوق قول^(١) أبي دلف العجلي :
 أحبك جنان وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
 ولو أني أحبك حب نفسي لخفت عليك بادرة الطعان
 لإقدامي إذا ما الخيل جالت وهاب شجاعها وقع الطعان
 خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع، وهذا من جيد الاستطراد.
 ومن يبلغ ما قيل في الحب، مع الشجاعة، ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل، قول
 مجنون ليلى أو غيره:

خرجت فلم أظفر وعدت فلم أفز بنيل، كلا اليومين يوم بلاء
 فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالغنى وإن لم يكونا عندنا بسواء
 وقال:
 وقد أيقنت نفسي بأن حيل بينها وبينك لو يأتى بيأس يقينها
 أرى النفس، عن ليلي تعاني بلاعنا وقد جن من وجدي بليلي جنونها
 ومثل ذلك:

فإن يك عن ليلي غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر
 ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد:
 أسر إذا بليت وذاب جسمي لعل الريح تحملني إليه
 وقال^(٢) ابن المعتز:

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه أضنيته فيما يطبق ضعفه حمل اسمه^(٣)
 فلا يراك عائدًا إلا بعين وهمه
 وقال كشاجم:

وما زال ييري أعظم الجسم حيها وينقصها حتى لطفن عن النقص
 وقد ذبت حتى صرت إن أنا زرتها أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي
 وقال ديك الجن وبالغ:
 أنحل الوجد جسمه والحنين وبرأه الهوى فما يستبين
 لم يغش أنه جليد ولكن دق جداً فما تراه المنون
 وقال نصر بن أحمد:

قد كان لي فيما مضى خاتم فاليوم لو شئت تمنطقت به^(٤)

(١) الأغاني : ٢٤٨/٨ .

(٢) ديوانه : ٣٥٧ .

(٣) في ديوانه : «فلم يطق من ضعفه» .

(٤) تمنطقت به : اتخذته نطقاً .

وَذُبْتُ حَتَّى صَرْتُ لَوِزْجُ بِي فِي مُقْلَةٍ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ
الحسن بن وهب:

أَبْلَيْتُ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جَدَّتِهِ فَمَا تَكَادُ الْعَيُونُ تَبْصُرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنْزِلُ خَلْقِي تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنْكُرُهُ
ومما لا أظن أن له شبيها قول بعض الحول وليس في هذا المعنى:

حَمَدْتُ إِلَهِي إِذْ بُلَيْتُ بِحُبِّهَا عَلَى حَوْلٍ يَغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْرِ

وَمَنْ فَصِيحٌ مَا قِيلَ فِي اقْتِيَادِ الْهُوَى صَاحِبُهُ قَوْلُ بَعْضِ نِسَاءِ الْأَعْرَابِ:
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهُوَى مَا أَشَدُّهُ وَأَصْرَعُهُ لِلْمَرْءِ وَهُوَ جَلِيدُ
دَعَانِي الْهُوَى مِنْ نَحْوِهَا فَأَجَبْتُهُ فَأَصْبَحَ بِي يَسْتَنُ حَيْثُ يَرِيدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى:

أَقْبَلْتُ ثُمَّ عَرَّجْتُ لَيْتَهَا لَمْ تُعَرِّجْ
فِي حَدَادٍ كَأَنَّهَا وَرْدَةٌ فِي بِنَفْسِجْ

وَمَنْ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَجِيءِ الْفِرَاقِ بَعْدَ التَّلَاقِ قَوْلُهُ أَيْضًا:

لَمْ أَسْتَمَّ عَنَاقَهُ لِقْدُومِهِ حَتَّى بَدَأْتُ عَنَاقَهُ لَوْدَاعِهِ
فَمَضَى وَأَبْقَى فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ تَرَكْتُهُ مَوْقُوفًا عَلَى أَوْجَاعِهِ

وَأَنشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَنشَدَنِي الصَّوْلِي أَنشَدَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَنشَدَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ
الضَّحَّاكُ لِنَفْسِهِ:

بِأَبِي زُورٍ تَلَفْتُ لَهُ فَتَنَفَسْتُ عَلَيْهِ الصَّعْدَا
بَيْنَمَا أَضْحَكُ مَسْرُورًا بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَمْدَا
وَأَنشَدَنَا عَنْه لَأَبِي الْعَمِيثِلِ:

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسَيَّ عَاشِرَةَ الْعَشْرِ^(١)
فَكَلِمَتُهَا ثَنْتَيْنِ كَالثَّلْجِ مِنْهُمَا وَأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أَحَدٌ مِنَ الْجَمْرِ
الْأُولَى تَسْلِيمُ اللَّقَاءِ فِيهِ بَارِدَةٌ طَيِّبَةٌ وَالْأُخْرَى تَسْلِيمُ الْوَدَاعِ.

وَمَنْ جِيدٌ مَا قِيلَ فِي تَجَدُّدِ الشُّوقِ عَلَى قَرَبِ الدِّيَارِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ:
وَيَزْدَادُ فِي قَرَبِ الدِّيَارِ صَبَابَةٌ وَيَبْعُدُ مِنْ فَرَطِ اسْتِيَاقِ طَرِيقِهَا
وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَّ أَنْ ذَا اللُّوْعِ أَنْ يَرَى حِيَاضَ الْقَرَى مَمْلُوءَةً لَا يَذُوقُهَا
وَمَنْ جِيدٌ مَا قِيلَ فِي رَدِّ الْعَذُولِ:

إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَادِلَاتُ بِهَجْرِهَا هَفْتُ كَبَدٌ مِمَّا يَقْلَنُ صَدِيعُ

(١) عَنْ عُفْرِ: عَنْ بُعْدٍ. نَحْنُ حَرَامٌ: مُحْرَمُونَ. مُسَيَّ عَاشِرَةَ الْعَشْرِ: لَقِيَهَا بِعَرَفَاتٍ.

وكيف أطيع العاذلات ووجهها
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشدته أبو إسحاق الموصلي :
وإني لأستحيي كثيراً وأتقي
وأندُرُ بالهجرانِ نفسي أروضها
وقال غلام من فزارة :
وأعرض حتى يحسب الناس أنما
ولكن أروض النفس أنظر هل لها
وزاد العباس بن الأحنف فقال :
أورض على الهجرانِ نفسي لعلها
والزيادة في قوله :
وأعلم أن النفس تكذب وعدها
وما عرّضت لي نظرة مذ عرفتُها
وهذا من قول (٢) جميل :
أريدُ لأنسى ذكرها فكأنها
وذكر بعضهم أنه يهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن الصولي ، عن
أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :
خشيتُ عليها العين من طول وصلها
وما كان هجراني لها من ملالة
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالاً أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :
يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا
قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما
تطلع من نفسي إليك طوالعُ
وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذي الرمة حيث يقول (٣) :
إذا هبت الأرواح من نحو جانب
هوى تذرفُ العينان منه وإنما
به أهل ميَّ زاد شوقي هبوبها (٤)
هوى كل نفس أين حل حبيبها (٥)

(١) هجوع : راقدات .

(٢) ليس في ديوانه . وفي طبقات ابن سلام : ٥٤٦/٢ نسبته إلى كثير عزة .

(٣) ديوان ذي الرمة : ١٧ .

(٤) في الديوان : « من كل جانب » . و « هاج شوقي » .

(٥) في الديوان : « حيث حل » .

وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصريني يا ظلوم تبيني شمائلٌ بادِي البثِّ منصدع القلب
بريئاً تمنى الذنبَ لما هجرته لكيما يقال الهجرُ من سبب الذنب^(١)
وقد كنتُ أشكو عتباها وعتابها فقد فجعتني بالعتابِ وبالعتبِ

أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب، فيقال إنها ملول ليلحقها هجئة .

ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار، قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع فليس له شبهه في جميع أشعارهم .

وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن

أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطرُ والندى من الدارِ إلا ما يشفُ ويشفقُ
وقلت :

قد عريت أنا بها حين اكتستُ أريدَ الرِّيحَ عشيّاً وضحى
لم يبقَ فيها غيرُ ما يذكي الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكى
وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حيٍّ من أجل الحبيبِ المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللياليا^(٢)
ولأعرابي :

طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علمٌ ولا نضدُ
لبسا البلى فكأنما وجدا بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجدُ
وهذا مثل قول جرير

أحب لحب فاطمة الديارا

والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها، ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله، لكثرت واتصلت، وتوفرت حتى أملت وأضجرت، وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجئة على قائلة؟

ومن أجود ما قيل في حب السودان :

أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحبتُ من كانَ أسودا
فجئني بمثلِ المسكِ أطيب نفحة وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا

(١) في ديوان ابن الأحنف : «لما صرمتة» . و «يُقال الصرم» .

(٢) المغاني : المنازل .

البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل .
وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر
أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن
فإنَّ حسبت سوادَ الجلدِ منقصةً
وروي للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليح
ولستُ تملُ من نظرٍ إليه
وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :

إنَّ الذي يعشق من لا يرى
وإنَّ من يعشقُ زنجيةً
أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول^(٤) قيس بن الخطيم :

أنى سريتِ وكنتِ غيرِ سروبٍ
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه
كان المنى بقلائها فلقيتها
وقول عمرو بن قميئة^(٧) :

نأتكَ أمانةً إلا سؤالا
خيالي يخيّل لي نيلها
ولا خيالاً يوافي خيالاً^(٨)
ولو قدرتُ لم تخيل نوالا

وهذا من معاني القدماء غريب، وهو أبلغ ما قيل في بخل المعشوق، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(٩) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالعُ

(١) روم وخزر: من اجناس البشر.

(٢) سفعة: بقعة.

(٣) الغلّمة: شدة الشهوة.

(٤) ديوانه: ٥٥.

(٥) سري: سار ليلاً. سرب: سار نهراً.

(٦) في الديوان: غير مصرّد.

(٧) عمرو بن قميئة: هو ابن ذريح بن سعد بن مالك. شاعر جاهلي مقدّم. نشأ يتيمًا، وكان واسع الخيال في شعره. مات سنة ٨٥ ق. هـ. (الأعلام: ٨٣/٥).

(٨) الأغاني: ١٣٨/١٨.

(٩) البعيث: هو خدّاش بن بشر، شاعر من بني مجاشع كنيته أبو مالك كان يهاجي جريراً، مات سنة ١٣٤ هـ. (الشعر والشعراء: ٤٠٥/١).

فأعطتك آيات المني غير أنها
على حين ضمَّ الليل من كلِّ جانب
وأعجلها عن زورة لم أفز بها
وأحسن النميري حيث يقول:

عجباً لطيفك أنه
أخذه مسلم فقال (١):

طيف الخيال عهدنا منك إماما
ومن اللفظ الغريب قوله:

زف فحياني الكرى طيفها وهنا لخيالي
لا أعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ.

وقال (٢) أبو تمام:

استزارتُه فكرتي في المنام
يا لها ليلة تزاورت الأرم
مجلس لم يكن لنا فيه عيبٌ
وهذه معان جياذ إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة.

ومن غريب المعاني في هذا قول (٥) دعلج:

سرى طيفٌ ليلى حين حان هُبوبُ
ولم أر مطروقاً يُحلُّ بطارقٍ
وقضيتُ شوقي حين كاد يؤوبُ (٦)
ولا طارقاً يقري المني ويثيبُ
يقول إن العادة إن يقري الطارق المطروق، والخيال طارق يقري المطروق.

ومن الغريب الدقيق قول (٧) ابن الرومي:

طرقتنا فأنالت نائلا
ثم قالت وأحست عَجبي
شكره لو كان في النية الجحود (٨)
من سراها حيث لا تسري الأسود
عادة الأقمار والناس هجود (٩)
لا تعجب من سُرانا فالسُرى

(١) الأغاني: ٤١/١٩.

(٢) ديوانه: ٤٠٩.

(٣) في الديوان: «في خيفة».

(٤) في الديوان: «ليلة تنزهت».

(٥) الأغاني: ١٥٥/٢٠.

(٦) في الأغاني: «كاد يذوب».

(٧) ديوان ابن الرومي: ٢٥٧/٢.

(٨) في الديوان: «في النية الجحود».

(٩) السرى: السير ليلاً.

فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطرّز بنهار
فتعجبت من سراها فقالت غير مستطرف سري الأعمار
ثم مالت بكأسها فسقتني جلنارية على جلنار^(١)
آخر :

فيا ليت طيفاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً إليك يعود
أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكلف ما لا استطاع شديد
الجيد أن يقول «تكلف ما لا استطاع» وأما تكليفه في الحقيقة، فغير شديد على المكلف
وإنما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو رديء .
وقال الحمدوني :

لم أنله فنلت بالأماني في منامي سراً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مفترقان
وكأن الأرواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الأبدان
منظر كان نزهة العين إلا أنه ناظر بغير عيان
وقال^(٢) ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته إن كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى إن نمت يطرقني وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال :

كلامه أخدع من لحظه ووعدته أكذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحثري كثرة فمنه قوله^(٣) :

بعينيك إعوالي وطول شهيق وإخفاق عيني من كرى وخفوق
على أن تهوياً إذا عارض أطبي سري طارقاً في غير وقت طروق^(٤)
فبات يعاطيني على رقة العدى ويمزج ريقاً من جنه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقي رداع عبير صائك وخلق^(٥)
أرى كذب الأحلام صدقاً وكم صغت إلى خبر أذناي غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق^(٦)

(١) الجلنار: زهر الرمان الأحمر .

(٢) البتان ليسا في ديوانه .

(٣) ديوانه : ١١٩/٢ ع .

(٤) في الأصل : «عارض أطى» . التهويم : اول النوم . أطى : دعا .

(٥) الرداع : اثر الطيب في الجسد . عبير صائك : لاصق . الخلق : الطيب .

(٦) المتبول : من أضعفه الحب .

وقلت في خلاف ذلك :

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فغدا المقيم وهو أكبر صبوةً وأشدُّ بلبالاً وأكسفُ بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريمي (١) :
ليالي أرعى في جنابك روضةً وآوي إلى حصن منيع مراتبه
وإذ أنت لي كالخمر والشهد ضعفاً بماءٍ لصاف ضعفته جنائبه
وقال (٢) بشار :

لقد كان ما بيني زماناً وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب :

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي ، حدثنا محمد بن سعيد ، عن عمر بن شبة قال كان الناس
يقدمون قول أبي النجم (٣) ويتعجبون من حسنه :

كأن تحت درعها المنعطُ ضخم القذال حسن المخطُ
وقد بدا منها الذي تغطي كأنما قطُّ على مِقطُ
شطاً رميت فوقه بشطُ كهامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار :

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفعُ (٤)
زَيْنَ أعلاه بإشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول (٥) :
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رايبى المجسة بالعبير مَقْرَمِدِ (٦)
وإذا نَزَعَتْ نَزَعَتْ عن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد (٧)
يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزع كما يتعب الحزور - وهو الغلام - إذا

(١) الخريمي : هو اسحاق بن حسان ، أبو يعقوب ، كان مولى ابن خُريم اسلم وهو شيخ ، مات سنة ١٥ هـ .
(الأعلام : ٣٢٥/٢) .

(٢) ديوانه : ٣٣٦ .

(٣) ابو النجم : هو الفضل بن قدامة العجلي ، شاعر ، راجز ، كان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان . مات سنة
١٣٠ هـ . (الأعلام : ١٥١/٥) .

(٤) عجزاء : امرأة ذات عجيذة ضخمة . الحر : فرج المرأة .

(٥) ديوان النابغة : ١٥ .

(٦) مستهدف : مرتفع . رايبى المجسة : مرتفع مكان الجس . بالعبير مَقْرَمِد : مطلي بالزعفران .

(٧) مستحصف : قليل البلل . الحزور : الفتى . الرشاء : الحبل .

فقال الرشيد: من قال هذا وهماً فأني أقوله علماً، والله درك يا أصمعي، فأني أجد عندك ما يضل عنه العلماء، فأخذه محدث فقال:

يؤازرهُ قلبي عليّ وليس لي يدانِ بمنّ قلبي عليّ يؤازرهُ
وأخذه سهل بن هارون فقال: .

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرةٍ وقفْتُ جسمي على دائي
وكنتُ غراً بما تجني عليّ يدي لا علم لي أن بعضي بعضُ أعدائي
وهذا شعر في تكلف، أخذه البحري^(١):

ولستُ أعجبُ من عصيان قلبك لي عمداً إذا كانَ قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف^(٢):

قلبي إلى ما ضَرْنِي داعي يكثرُ أسقامي، وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي^(٣):

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا إنما بُعد الحبيب وقربهُ إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة:

وإني زوّارُ لمن لا يزورني إذا لم يكن في وُدّه بمريبٍ
يقربُ لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقريبٍ

ومن ظريف الشكاية قول إبراهيم بن العباس:

فدعني راغماً أشقى بوجدي وخذ قلبي إليك بغيرِ حمدٍ
سقام لا يرقُ عليّ منه ووجد لا يكافئه بوْد
وقد أصفيتهُ ودي بجهدي فعارض في الجفاء بمثل جهدي

ومن جيد ما مدح به الفراق قول بعض الكتاب: في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة^(٤) والسلامة من الملل، وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل المواصلّة واللقاء.

وقال الشاعر:

جزى اللهُ يومَ البين خيراً فإنه أَرانا على علاته أمّ ثابتٍ
وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر:

وما في الأرض أشقى من محب

(١)، ديوانه: ١٨/٢ ع .

(٢)، الأغاني: ٣٦٣/٨ .

(٣)، الفقعسي: هو النظار بن هشام (او هاشم) بن الحارث الحذلي، من بني اسد شاعر اسلامي .

(٤)، الأوبة: العودة .

وقد تقدم: تفكيري في مرارة البين، يمنعني من التمتع بحلاوة الصبر، وتكره عيني أن
تقربك مخافة أن تسخن ببعدي، فلي عند الاجتماع كبذ ترجف، وعند التناهي مقلة تكف. ومثله:
لا والذي بيده السلامة من نزوح دارك، وبعد مزارك، ما زادني اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحا وكلفا، لأنني منقسم القلب بين رجاء يعدني بقربك، وحذر يوعدني ببعدي، وإذا قربت
دارك كلفت، وإن نأت أسفت، فلا في القرب أسلو ولا البعد.

وسمعت لمانى الموسوس معنى أظنه ابتكره وهو:

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا^(١)
فعاقبت التي بخلت علينا بأن غمضتها يوم التقينا

وسبكه البيت الأول، ورصفه رديء جداً، لا خير فيه، وإنما استغربت المعنى فأوردته.
وقد أخذَه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله:

ولقد يؤلفنا اللقاء ليلةً جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزي العيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيب أثاما
فنيحهن مُرادهن يردنه فيما ادعين ملاحاةً ووساما
ونكافى الأذان وهي حقيقة إذ لا تزال تكابد اللواما
فنيثهن من الحديث مثوبة تشفي الغليل وتكشف الأسقاما
ونكافى الأفواه عن كتمانها إذ لا يزال لها الصمات لجاما
فنيحهن ملائماً ومراشفاً ما ضرها أن لا تكون مداما^(٢)
نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

ولخالد الكاتب^(٣) معنى يلحق بما تقدم وهو قوله:

بكيئ دماً حتى بكيئ بلا دم بكاءً فتى فرد على شجن فرد
أبكي الذي فارقت بالدمع وحده لقد جل قدر الدمع فيه إذا عندي
وكتبت في فصل لي:

قد جل شوقي إليك ووجدي بك عن أن يبرد نارهما، ويسكن أوارهما، دمع ينصب على
مثله، فتحسبه دماً يتكسر على در، ويمتزج بالدم فتخاله شذور عقيق، في نظام فريد.

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد:

وما كان حُبها لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلي عن الدنيا إذا ما تولت
وقال أعرابي:

(١) البين: الفراق.

(٢) ملائم ومراشف: افواه. المدام: الخمرة.

(٣) هو خالد بن يزيد البغدادي، شاعر غزل، من الكتاب. توفي سنة ٢٦٢ هـ.

استقى من البئر.

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول^(١):

لها هن تستعيرُ وقْدته من قلب صبٍّ وصدر ذي حنٍّ
كأنما حرُّه لخابره ما أوقدَتْ في حشاه من حُرِّق^(٢)
يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق^(٣)

وقال^(٤) في سخته:

يسعُ السبعةُ الأقاليمَ طراً وهو في أصبعين من إقليم
كضمير الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا وتحويه دفئا حيزوم^(٥)
ومن النادر قول الناجم:

إن ردفَ الفتاةِ عجنةُ خبا زِ وقْدَماها من الأدم جبنه
وقال المعذل بن غيلان^(٦):

ومركب كبيضة الأدحي كأن نبتَ الشعرِ المطلي
عليه شونيزٌ على فرني^(٧)

ومما يجري مع ذلك قول بعضهم:

أقولُ والقومُ تعادى بهم إلى الوغى مضمرةً قرح
استحمل الله على مركبٍ يحثُّ بالسيرِ ولا يبرح
وهو مثل قول مسلم:

ما مركب من ركوبِ الخيلِ بهِجني كمركبٍ بينَ دملوجٍ وخلخال^(٨)
ومثل الأول:

فباتَ يسري ليله ولم ينم ولم يجاوز سيرَه قيسُ قدم
وقال الفرزدق:

ثم اتقتني بجهم لا سلاحَ له كمنخرِ الثورِ مجوساً على البقر^(٩)

(١) ديوانه: ٢٩٣/٤.

(٢) الهن: فرج المرأة. وفي الديوان: «ما ألهمت».

(٣) الوهق: حبل مفتول.

(٤) ديوانه: ١١٦/٦.

(٥) الحيزوم: الصدر.

(٦) المعذل: هو المعذل بن غيلان بن الحكم بن أعين العبدي، أبو عمرو أديب شاعر، من أهل الكوفة، سكن البصرة. مات سنة ٢١٠ هـ. (الأعلام: ٢٦٧/٧).

(٧) الشونيز: (معرب). وهي الحبة السوداء. الفرني: خبز بسكر.

(٨) الدملج: المعضد. الخلخال: سوار يوضع في الساق.

(٩) الجهم: كنى به عن فرجها. والبيتان ليسا في ديوانه.

كأنَّ رمانةً في جوفه انفجرت تكادُ توقدُ ناراً ليلةَ القدرِ

وأبلغ ما قيل في كبره قول^(١) الفرزدق:

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها بشدين في نحرٍ عريضٍ وكعشب^(٢)
يقول إنها إذا بطحت على وجهها، لم يمس الأرض منها شيء، لأن نهود ثدييها وكبر ركبها
مثل أثافي القدر لبدنها، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي. وقال الراجز في وصف
الضيق:

كأنَّ حجاماً شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتّره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون^(٣):

وعهدي بليلى وهي ذات موصد ترد علينا بالعشي المراميا
فشبَّ بنو ليلى وشبَّ بنوا بنيها وأعلاق ليلى في الفؤاد كماهيا
ابن المعتز:

من معيني على السهر وعلى الهم والفكر

وابلائي من شادنٍ كبر الحب إذ كبر^(٤)

ومن البديع قول ابن الأحنف:

لعمري لقد كذب الزاعمون بأنَّ القلوب تحاذي القلوبا

ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو محباً حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي عن البلعي، عن أبي حاتم

قال: سمعت الأصمعي يقول: سمعت الرشيد يقول: قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له:

هذا يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٥) في آخر أبياته التي أنشدتها:

أراني تعروني لذكراك رعدةً لها بين جلدي والعظام ديبب^(٦)

وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبْهت حتى ما أكاد أجيبُ

وأصرف عن رأيي الذي كنتُ أرْتئي ويعزب عني ذكره ويغيب^(٧)

ويضمُرُ قلبي عذرها ويعينها عليّ فما لي في الفؤاد نصيبُ

(١) البيت ليس في ديوانه.

(٢) الأثافي: حجارة القدر. والكعشب: فرج المرأة.

(٣) ديوان المجنون: ١٢٢.

(٤) الشادن: ولد الغزال. وفي الديوان: ١٨٦ ما لفظه:

يا ليلةً بتَّ فيها دائم السهر

يا ويح قلبي من ريم بُليت به،

(٥) شاعر اسلامي من العشاق.

(٦) في الأغاني: «واني لتغشاني لذكراك هزة».

(٧) في الأغاني: «وأصدف». وأنسى الذي ازمنت حين تغيب».

أرعى النجوم، حليف الهم والفكر

بالصبح منتقب، بالليل معتجر

أعلل أصحابي بجدي وباطلي
ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن:
أدميتُ بالألحاظِ وجنته
أخذه علي بن عاصم فقال:

ضربتُ إلفي بيدي
فاقتصرَ لما اغرورَرتُ
فرأيتُ بعدها
فرأيتُ بعدها

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم:
جاءت تهض الأرض أي هض
يقول: يتحير الناظر فيها، ولا تقف عنه على واحدة فيصيبها بعين، لأن بعضها يشغل عن بعض.

ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء:
قصارك مني الود ما دمت حية
وأخر شيء أنت في كل مضجع
ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم^(١):

وما خفتُ وشكَّ اليبين حتى رأيتهم
لعمرك ما شيء مريتُ بذكره
ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم:

ما بين باب الوزير والمسجد الجا
أطماره رثة فقد ضاع لا
ليس له ناقد فيعرفه

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة:

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً
تراني آمن الشركاء فيه
معنى آخر:

وقائلة متى يفنى هواه
معنى آخر:

(١) أبو محلم الشيباني: محمد بن هشام بن عوف التميمي: أحفظ أهل زمانه للشعر ووقائع العرب. له مصنفات:

«خلق الإنسان» و«الخيال»... مات سنة ٢٤٥ هـ. الأعلام: (١٣١/٧).

(٢) الأطنار: الثياب الرثة.

وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قَصَرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
معنى آخر:
إذا طلعتْ شمسُ النهار فإنها أَمارةٌ تسليمي عليك فسلمي
آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ ، وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح^(١) لينعم عباده في العاجل ، ويدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٢) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٤) وله الحمد على كمال بره ، وتمام لطفه ، والصلاة على خير خلقه ، محمد النبي وآله .

هذا كتاب المبالغة

في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :

الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني

الفصل الأول في ذكر النار

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾^(٥) إلى قوله ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾^(٦) فذكر منفعتها ، وحسن عائدتها ، في الدنيا والدين ، فأما منفعتها في الدين فإنها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته منها في دار العذاب ، فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ، ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة ، وقد خص الإنسان بخيرها ،

(١) كذا فراغ في الأصل .

(٢) سورة البقرة : آية ١٦٨ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ٥١ .

(٤) سورة الأعراف : آية ٣٢ .

(٥) سورة الواقعة : آية ٧١ .

(٦) سورة الواقعة : آية ٧٣ .

دون سائر الحيوان، فليس يحتاج إليها شيء سواه، وليس به عنها غنى في حال من الأحوال، ولهذا عظمها المحجوس وقالوا: إنها قد أفردتنا بنفعها، فينبغي أن نفردها بتعظيمنا، على أنهم يعظمون جميع ما فيه نعمة على العباد، فلا يدفنون موتاهم في الأرض، ولا يستنجون في الأنهار، رؤي على عهد كسرى، رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبته، وكانت العرب إذا تحالفت، تحالفت على النار، ويدعون على من يغدر وينقض العهد بحرمان منافعها. وقد أحكمنا ذلك في كتاب الأوائل.

ومن عجب التشبيه في النار قول الأول:

كأنَّ الرِّيحَ تقطع من سناها بنايق حبة من أرجوان^(١)
وقول^(٢) ابن المعتز:

وموقدات بتن يضرمنَّ اللَّهَبُ يشبعنه من فحمٍ ومن حطبٍ
يرفعن نيراناً كأشجارِ الذَّهَبِ

وقال آخر:

كأنَّ نيراننا في جنبِ قلعتهم مصبغات على أرسانِ قصارٍ
وقول^(٣) أبي تمام في إحراق الأفسنين:

نارٌ يساورُ جسمُهُ من حرِّها لهبٌ كما عصفرت شقَّ إزارٍ^(٤)
صلَّى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجارِ

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، حدثنا أحمد بن اسماعيل، حدثني جعفر بن علي بن الرشيد، فقال: أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة:

ريعت هرقة لما أن رأْتُ عجبا جو السما ترتمي بالنفط والقار^(٥)
كأنَّ نيراننا في جنبِ قلعتهم مصبغات على أرسانِ قصار^(٦)
فقال لابن داود، وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفسنين شيئاً من هذا الجنس، استحسنته فقال أحمد: ما أحفظه، وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد الحجاب: أنا أحفظ القصيدة والموضع، فقال هات فأنشد:

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري
ناراً يساورُ جسمهُ من حرِّها لهبٌ كما عصفرت شقَّ إزارٍ

(١) سناها: بريقتها. الأرجوان: صباغ أحمر.

(٢) ليست في ديوانه.

(٣) ديوانه: ١٣٥.

(٤) يساور: يشب. والأفسنين: من قواد بني العباس اتهم بالزندقة.

(٥) هرقة: من بلاد الروم. وفي الأصل: «جوانماً ترتمي».

(٦) في الأصل: «مصقلات على».

طارَتْ لها شرر يهدم لفحها
ففضلن منه كل مجمع مفصل
رمقوا أعالي جذعه فكأنما
كرّوا وراحوا في مُتونِ ضوامِرٍ
لا ينزلون ومن رآهم خالهم
فقال المعتصم: أحسن ما شاء، قد أمرت له بعشرة آلاف درهم، ولهذا الذي حفظها
بنصفها، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم، ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل، قال: فلم يبق
في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام.

وقلت:

أوقدت بعد الهدوء نارا
شرارها إن علا نُصارُ
دعتهم فأنثنى إليها
إلى كريم الفعالِ سمح
يقضي ديونَ العلا ببذلٍ

وقال ابن المعتز:

وقد تعلّى شررُ الكانون

وقلت:

نار تلعب بالشقوق كأنها
ردّت عليها الريحُ فضلُ دخانها
فالجو يضحك في ابیضا ضِرائر

وقال أبو فضلة:

اشربْ على النار في الكوانين
بَدَتْ لنا والرّمادُ يحجبها

وقلت في معناه:

قصرْتُ يدَ الشتاء بحرَّ جمر
وأخت الجمر صافية الرّحیق

(١) في الديوان: «لها سعل». و«بغير غبار».

(٢) في الديوان: «لا يرجون ومن».

(٣) اللجين: الفضة.

(٤) في العجز اضطراب واضح.

(٥) الكانون: الموقد.

(٦) الجلتار: زهر الرمان الأحمر.

تري نبذ الرماد بوجنتيه ككافور يذر على خلوق
وقلت:

تحركت الشمال فقر ليلى فهات الراح من أيدي الملاح
جراد الجمر يستره رماذ كمثل الورد يستره الأقاحي
وأنفاس الرياض معطرات تطير بهن أنفاس الرياح
وأردية الظلام ممسكات مطرزة الحواشي كالصباح
وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط:

فترك البساط بعد الخمد ذا نقط سود كجلد الفهد
وقال أيضاً:

وصيرت جبابهم مناخلا

وقلت:

كأنما النار بينه ذهب والجمر من تحته يواقيت^(١)
ومن بديع ما قيل في القدور على النار قول بعض العرب:
كأن صوت غليه المستعجل قصد الشيوخ للشيخ الجهل
وقال ابن المعتز:

والسيف راعي إبلي في المحل يسلمها إلى قدور تغلي^(٢)
ترقل فيها بالوقود الجزل إرقالها في السير تحت الرحل^(٣)
وقالوا: أحسن ما قيل في الأثافي والرماد قول ابن هرمة:

نبكي على زمن ونؤي هامد وجواثم سفح الخدود رواكد
عرين من عقد القدور وأهلها فعكفن بعدهم بهاب لابد^(٤)
فوقينه عبث الصبا فكأنه دنف يرن الدمع بين عوائد^(٥)
وقال^(٦) أبو تمام:

أثاف كالخدود لظمن حزنأ ونؤي مثل ما انفصم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة . ومن أجود ما قيل فيها قول السري:
شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

(١) يواقيت: جمع ياقوت وهو حجر كريم.

(٢) ديوان ابن المعتز: ٣١٩. وفيه: «يسوقها إلى...».

(٣) في الديوان: «فيها بالقدور» «إرقالها والسير تحت الرحل».

(٤) الهاب: الخية.

(٥) في البيت اضطراب.

(٦) ديوان أبي تمام: ١٢٤.

وقول الآخر:

موقوفة بين حريق وغرق

وقلت:

كم قد جنيْتُ اللهو من غصنه
من روضة بلل أعطافها
وأوجه تحسبها أشمساً
وشققت عنها ستور الدُجى

وقلت في السراج:

وحية في رأسها دُرّة
وجنتها أكبر من رأسها
كم من مريب أهتكت ستره
يردفها أصفر في أصفر

وقال السري في الكانون^(٢):

وكانما الكانون ألهب جمره
يكسو حدود الشرّب من نفحاتها
وقلت في الكانون:

وبركة مترعة الأرجاء
يغسل فيها حلة الظلماء
نار كوجه غادة حسناء
والجمر في حلتها الحمراء
وأسهم تصبغ بالدماء
واشرب عليها حلب الصهباء

فشرب صهباء على شقراء^(٣)

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم:

فحم كيوم الفراق تشعله
أسود قد صار تحت حمريتها
نار كنار الفراق في الكبد
مثل العيون اكتحلن بالسرم

(١) التّوار: الزهر.

(٢) الكانون: الموقد.

(٣) صهباء وشقراء: من اسماء الخمرة.

الفصل الثاني من الباب الخامس

في ذكر ألوان الطعام

العرب تشبه البر^(١) بقراصة الذهب وبمناكير النغران، والنغران جمع نغرة وهي عصفورة. أخبرنا أبو أحمد، عن ابن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي قال: قال شيخ من أهل البادية: ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة، كأنها مناكير النغران، قد انتفخت في الملة، حتى رأيت الجمر يتحدر منها، تحدر الحشو من البطان، وتراها حين غمرت بالسمن، يجول فيها المثراد، كما يجول الضبعان في الضفرة، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان^(٢) يدخل فيها الفرس. الحشو صغار الابل، والضفرة الرمل المتعقد.

وأخبرنا أبو أحمد، عن الجلودي عن عبد الله، بن محمد القرشي، عن المثنى بن معاذ العنبري، عن بشر بن المفضل، عن عقبة الراسبي قال: دخلت على الحسن، وهو يأكل خبزاً ولحماً، فقال لي: هلم إلى طعام الأحرار، والعرب تدعو الخبز أم جابر.

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودي، حدثني محمد بن زكريا، حدثني مهدي بن سابق، حدثنا شبيب قال: استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب، فأذن له، فوجده يتغدى، فقال: يا بن صفوان أذن فكل، فقال: أصلح الله الأمير، لقد أكلت أكلة لست ناسيها، قال: وما أكلت؟ فوصف ما أكل، ثم قال: أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق، وكأنما تجري عليه سبائك الذهب، ثم أتيت ببناي بيض البطون، زرق العيون، سود المتون، حذب الظهور، مقفعات الأذنان، صغار الرؤوس، غلاظ القصر، عراض السرر، مع بصل نظيف كأنه قطع الزند، وخل ثقيف مري حريف، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم.

وقريب منه، ما أخبرنا به، أبو خليفة عن ابن سلام، عن محمد بن القاسم، قال: قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بناني زرق العيون، بيض البطون، سود الظهور، وأرغفة باردة لينة، وخلاً حاذقاً؟ قال: بلى قال: فانهض بنا، قال الرجل: فنهضت معه، فدخل منزله وقال خذ

(١) البر: القمح.

(٢) الورلان: جمع الورل: دابة كالضب.

تلك السلة، فكشفها فإذا فيها رغيفان يابسان، وسكرجة كامخ^(١)، وشبت، قال: فجعل يأكل، وقال لي: تعال كل، قلت: فأين السمك؟ فقال: ما عندي سمك، وإنما قلت أأشتهيه وأنا والله أأشتهيه.

أخبرنا أبو أحمد، عن الجلودي عن المغيرة بن محمد، عن أبي عثمان المازني، عن الأصمعي، قال: قال أبو صوارة، وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة، في شهوة الأكل: يا أبا سعيد، الأرز الأبيض، باللبن الحليب، بالسكر السليمانى، بالسمن السلى، ليس من طعام أهل الدنيا.

ومن أحسن ما قيل في الرقاق، قول^(٢) ابن الرومي:

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرِّقَاقَةَ وشكَّ الملح بالبصرِ
ما بينَ رؤيتها في كفهِ كَرَّةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمرِ
وقلت:

وخبز بأيدي الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلت بساحتها المنى إذا جاء من أرداحهنَّ يريد^(٣)
وضمتُ إلى الحلواء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفودُ

وقال الصنوبري في رقاق ورؤوس:

غير ما راج من رقاقٍ رقيق فوقَ هامٍ على عِدادِ الهام^(٤)
ذاك كالماءِ ذي الحُبَابِ وهاتِدِ لك عليه كطيرِ ماءٍ نيام^(٥)
يا لأقْيَالِهِنَّ وما يب دَيْنٌ من مضرٍ شديدِ الضرامِ^(٦)
كأناسٍ يُوشِحون مناديد لَ إذا خرجوا من الحمامِ

ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي، ولكني أوردتها لجودة معانيها، وإصابة التشبيهات فيها، وقوله غير ماراج فإن الرواج لفظ عامي، لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي:

هَامٌ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قد أخرجتُ من جاحمِ فوَارٍ
كوجوهِ أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةٌ بوجوهِ أهلِ النارِ

(١) الكامخ: إدام.

(٢) ديوانه: ١٩٧/٣.

(٣) أرداح: جمع رَدَاح: الجفنة العظيمة يوضع فيها الطعام.

(٤) الهام: جمع الهامة: الرأس أو القامة.

(٥) الحباب: الفقاقيع فوق سطح الماء.

(٦) الأقيال: ما يشرب نصف النهار.

وقال غيره في جودابة^(١):

وقادمٍ من جاحمٍ فؤارٍ مخللٍ الشَّقْشَقِ والأنوارِ
ملبساً حُلَّةَ جَلَنارٍ يقشر جلدًا منه كالنضارِ^(٢)
عن بدنٍ أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى .

ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الجلودي، عن محمد بن زكريا، عن عبد الله بن الضحاك، عن هشام بن محمد، قال: كان عوانة يكثر أكل الرؤوس، فقيل له: إنها متخمة فقال: إنها فاكهة اللحم.

وأخبرنا عن محمد بن زكريا، عن الأصمعي، قال: قيل لأعرابي: كيف تأكل الرؤوس؟ قال: أفك لحبيبه، وأبخص عينيه، وأفعض أذنيه^(٣) وخديه، وأرمي بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه. فقيل له: إنك لأحمق من ربع قال: وما حمق ربع؟ إنه ليجتنب العدوى، ويتبع المرعى، ويرأوح بين الأطباء، فما حمقه يا هؤلاء؟

وقيل لأحدهم: ما أحب الفاكهة إليك؟ قال: أما الرطب فاللحم وأما اليباس فالقديد. وقلت في صفة لحم:

تركتُ سمينَ اللحم يبيضُ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرِّ بالتبرِ
وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها فبيضُ إلى حمِرٍ وحمِرُ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاء قطع فوقها مقفعةٌ خضراء في ورق خضرٍ

وحاجة الإنسان إلى الطعام، إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده، فيحدث فيه خلل، فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد، بما هو من جنسه، فكأنه رقع الديداج بالديداج، فإذا أكل غير اللحم، فكأنه رقع الديداج بالكرباس^(٤) وفي الحديث^(٥) «مَنْ تَرَكَ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَاءَ خُلُقُهُ»

وأحسن ما سمعت في جَمَلٍ مشوي قول السري:

أنعتهُ معصفر البردين أبيض صافي حُمرة الجنين
خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
فجسمهُ شبران في شبرين يا حُسْنَهُ وهو صريعُ الحين
بعرفةٍ مُرهفةِ الحدّين بكفٍّ شاوٍ عطر الكفّين

(١) الجودابة: طعام يُتخذ من سكر ورز ولحم.

(٢) الجلنار: زهر الرمان الأحمر.

(٣) الفراغ كذا في الأصل. وبخص عينه: اقتلعها.

(٤) الديداج: الحرير. الكرباس: ثوب، من القطن الأبيض.

(٥) ليس في الكتب التسعة. وأحسبه موضوعاً.

كسارقُ حَدٍّ مِنَ اليَدَيْنِ ذو طرفٍ يَسْتَوْقِفُ العَيْنَيْنِ
يُريكَ مرآةً مِنَ اللّجَيْنِ مُذْهَبَةُ المَقْبَضِ والوَجْهَيْنِ^(١)
شَقٌّ حِشَاهُ عَنْ شَقِيقَتَيْنِ أُخْتَيْنِ فِي القَدِّ شَبِيهَتَيْنِ
كَمَا قَرَنْتَ بَيْنَ كَمَأَتَيْنِ أَوْ كَرْتِي مَسَكٍ لَطِيفَتَيْنِ^(٢)
إِنْ شَيْنَ ذَوْرَقَيْنِ نَاجِمَيْنِ فَإِنَّهُ زَيْنٌ بَغِيرِ شَيْنِ

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية^(٣):

وسميطَةٌ صفراءُ دِينَارِيَّةٌ ثَمْنَا وَلُونَا زَفْهًا لَكَ حَزَوْرُ^(٤)
طَفَقَتْ تَجُولُ بِذَرْبِهَا جُودَابَةً فَأَتَى لِبَابَ اللُّوزِ فِيهَا السُّكَّرُ^(٥)
ظَلْنَا نَقْشُرُ جِلْدَهَا عَنْ لَحْمِهَا فَكَأَنَّ تَبْرًا عَنْ لَجِينٍ يُقْشَرُ
يَا حَسْنَهَا فَوْقَ الْخَوَانِ وَبَتَّهَا قَدَامَهَا بِصَهِيرِهَا تَتَغَرَّغُرُ^(٦)
وَتَقْدِّمُهَا قَبْلَ ذَاكَ ثَرَاءُ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلِهِنَّ يُصَدَّرُ^(٧)
وَمَدَقَقَاتٍ كُلِهِنَّ مُزْخَرَفُ بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمَدْنَرُ^(٨)
وَأَتَتْ قَطَائِفُ بَعْدَ ذَاكَ لَطَائِفُ تَرْضَى اللِّهَاءُ بِهَا، وَيَرْضَى الْحَنْجَرُ
ضُحْكُ الوجوهِ مِنَ الطَّبْرَزْدِ فَوْقَهَا دَمْعُ العَيُونِ مِنَ الدَّهَانِ تَعَصَّرُ^(٩)
وَقَلْتُ فِي سَكْبَاجَةٍ^(١٠):

سَكْبَاجَةٌ طَيِّبَةٌ نَشْرَهَا كَأَنَّهَا عُودٌ عَلَى مَجْمَرٍ
يَا حَسْنَهَا فِي القَدْرِ إِذْ أَقْبَلْتُ وَهِيَ تَحَاكِي سَفْطَ الجَوْهَرِ
وَيَسْتَنِيرُ الشَّحْمُ فِي لَحْمِهَا كَغُرَّةٍ فِي فَرَسٍ أَشْقَرٍ
يَا حَسَنَ بَاذَنْجَانِهَا إِذْ بَدَا أَسْمَرُ وَسَطِ المَرِقِ الأَحْمَرِ
كَأَنَّهُ مَاءٌ خَلُوقٌ جَرَى وَجَالَ فِيهِ قَطْعُ العَنْبَرِ^(١١)

(١) اللّجين: الفضة.

(٢) العجز: ساقط من الأصل. واستدرك من ديوان السري. الكمأة: نبت.

(٣) ديوانه: ٥٦/٣.

(٤) السميط: الدجاجة المتتوفة. الحزور: الفتى القوي.

(٥) في الديوان:

طَفَقَتْ تَجُودُ بِذَوْبِهَا جُودَابَةً قَانِي لِبَابِ اللُّوزِ فِيهَا السُّكَّرُ
(٦) في الديوان: «يَتَغَرَّغُرُ». والخوان: ما يوضع عليه الطعام.

(٧) التراث: طعام يتخذ من فتات الخبز مع مرق.

(٨) في الديوان: «مَلْسُنٌ وَمَدْنَرُ». والمدنر: المشرق المتلألئ.

(٩) الطبرزد: (فارسي) ومعناها: ضرب من السكر.

(١٠) السكباج: ضرب من الطعام (لحم بخل). وهي من الفارسي المعرب.

(١١) ماء خلوق: ماء سحابة مخيلة الماء.

وقال ابن الرومي في دجاجة:

عظيمة الزور بصدر نهد أجريت منها في مجال العقد^(١)
مرهفة ذات شباً وحداً لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على النار:

كتبت أستعجل الندامي والنار تستعجل القدورا
وقد أتاني الغلام يسعي بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة شمول لو قطعت صيرت شذورا^(٢)
تكون قبل المزاج ناراً فانقلب بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا نشر على نفسك السرورا

وقال الشعبي: ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر، وأنشد لبعض الأعراب:

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زبداً
ومن عجب ما روي عن الأعراب، في شهوة الطعام، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبي بكر،
عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن جعفر بن سليمان، قال: لقيت أعرابياً فقلت: هل لك في
ثردة؟ فتنفس الصعداء ثم قال:

وهاً على مجمومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغمومة
قد كملت عراقا وألحفت راقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي
بفلفل وحمص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل، فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف، فلما قدمتها ارتعش
طرباً، ثم قال: أي بأبي والله هذه المرقصة، ثم وثب على رجليه فرقص ساعة، وجلس فأكل
أربعة أرغفة في السقي وستة ثم قبل رأسي وقال: بأبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت:
تمضي، ثم قال أي والثردة، والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها، ثم أنشأ يقول:

عمرت بطناً لم يزل مصغرا لم يعرف الرغف ولا المزدرأ
حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاي في جنب القرى
وقال ابن خلاد^(٣) في خبز الأرز والملح:

(١) ليست في الديوان. والزور: الصدر. والشبا: الطرف.

(٢) القهوة الشمول: الخمرة.

(٣) ابن خلاد: هو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد.. محدث العجم في زمانه من أدباء القضاة مات سنة ٣٦٠ هـ.

(الأعلام: ١٩٤/٢).

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ
رغيف بملح طيبِ النشْر خلطة
عليه من الشونيزِ آثارُ كاتب
ومن سمس قد زعفرؤه كأنه
وقال في الباقلاء:

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فإنه
إذا جعلوا فيه سذاباً ونعنعاً
فما صدف العاج المغشي ظواهرأ
بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدت
ثم قال:

ويا لك باذنجانة سابرية
فجاءتْ بأثواب الحداد مدلها
وأكرم بهانياً إذا بزْ ثوبها
فجعلها شطرين نلقم شطرها
وقال (٣) ابن الرومي في الهريسة:

أيا هتاهُ هل لك في هريس
أملَ الليلَ صانعها بضرب
وبينَ يديكَ من مريِّ عتيق
أرانا حولَ صُحفها بُروكا
فيالله من لقمٍ هناكم
وقال مسكين الدارمي في قدور على النار:
كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يومٍ
كأنَّ الموقدين لها جمال

وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبرٍ
حوارجه تغنيك عن أرج العطر
وجلباتُ وراق ينقطُ بالحبر^(١)
قراضةُ تبرٍ في لجينية غر

من المن قد وافى به الفضل في الزبر
وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر^(٢)
بطاشي أفرندٍ معقدة الخصر
بواكر منها في المجاسد والأزر

جلاها نسيم الليل نائرة الفجر
بأذناها العم المعقفة الخضر
فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
ونتبعه قبل الإساعة بالشرطير

بلحمان الفراخ أو البطوط^(٤)
فجاء بها تمدد كالخيوط^(٥)
توارثه النبطُ عن النبط^(٦)
كما برك البعيرُ على الخييط^(٧)
تجاذب بالشجيح وبالغطيظ^(٨)

قدورُ البرك ملبسة الجلال
طلاها الزفتُ والقطران طالي

(١) الشونيز: الخبّة السوداء.

(٢) السنب: ثبت.

(٣) ديوانه ٩١/٤.

(٤) في الديوان: «بلحمان النواض والبطوط».

(٥) في الديوان: «يعقدها بضرب».

(٦) في الديوان: النبطُ عن. والمري: حلب الناقة، ولعلة قصد الخمرة.

(٧) في الديوان: فتبرك فوق صفحتها بروكا. والخييط: ورق الشجر.

(٨) في الديوان: «تجاذب بالشجيح».

الشجيح والغطيظ: ترجيح صوت النائم.

تشبهها مغيرة الدوالي

بأيديهم مغارف من حديد
وقلت في هريسة:

في قصعة صفراء ديناريه
وللسلاء لمعة تبريه
مثل السوار في يد الروميه

هريسة بيضاء كافوريه
للمرء فيها حمة مسكيه
تدور في مبيضة فضيه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة، ما أنشدناه أبو أحمد، قال: أنشدني نصر بن أحمد لنفسه:

لشقائي فليته ما دعاني
وأثأت ومجلس وأوان
قبح الجوع حسن تلك الجنان
لم يكن ما يكون فوق الخوان
ليس فيهن ما يرى بالعيان
ليس فيها روائح الألوان
لم أجد ما أمسه ببناني
غير صك الأسنان بالأسنان
عند مدّي لها فد أبي وشاني
عند غسلي يدي بالأسنان^(١)
عرف عند الطعام بالنقصان
وسقانا بالمترع الملان
راحماً علّ جائع سكران

من حديثي أن ابن بكر دعاني
غرّني منه منظر ولباس
مجلس كالجنان حسناً ولكن
فلعمري كان الخوان ولكن
وجفان مثل الجوابي ولكن
وغضار الألوان جاءت ولكن
فإذا ما أدّرت فيها بناني
إني ماضغ علي غير شيء
ترجع الكف وهي أفرغ منها
لو تراني والجوع يضحك مني
زاد في السفر مسرفاً مثلما أسـ
والغضارات فارغات أتنا
سكرة فوق جوعة تركتني
وقلت في قريب منه:

وتسقينني الكثير على اليسير
فلا ينفك في يوم عسير
فيالك من سكير في سكير
أتعرف من قدور أم قبور

أتدعوني وتطعمني يسيراً
فأصبح منك في يوم عسير
هما حرّان من جوع وسكير
أقول وفي غضائره عظام

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة، قول أبي الحسن بن طباطبا، وقد دعاه الكراريسي،
فقرّب إليه مائدة عليها خيار، وفي وسطها جامات عليها قطر، ولم يصحبها بوارد، فسامها
مسيحية، لأنها أشبهت موائد النصارى، وقدم سكباجة^(٢) بعظام عارية، فسامها شطرنجية، ثم

(١) الأسنان: من الشن والشنّة: الخلق من كل آنية جلدية. ويُقال: قرية أسنان.

(٢) السكباجة: اللحم يخل.

قدم مضيرة^(١) في غضارة بيضاء فسمها معقدة لأن البياض لبس المعتدة وهي لا تمس الدهن والطيب، ثم قدم زيرباجة بأطراف جدي صفراء، لقلة زعفرانها فسمها عابدة، لأن ألوان العباد صفر، ثم قدم لوناً بقضبان محلولة، فسمها قنية، ثم قدم لوناً بزيب أسود فسمها موكبية، ثم قلية بعظام الأضلاع، فسمها حسكية، لتشج لحمها ثم قرب زعفرانية فسمها سلحية صفراء، ثم قرب فالودجة قليلة الزعفران والحلاوة، فسمها صابونية، ثم اعتل على الجماعة، بأن ابنه عليل، فحولهم من منزله إلى بستان، قد طبق بالكراث، وأحضرهم جرة مثلمة، يمزجون منها شرابهم، وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه، وربط الأكار^(٢) بحذائهم عجلة تخور عليهم خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال:

يا دعوة مغبرة قاتمة	كأنها من سفر قادمة
قد قلدّموا فيها مسيحية	أضحت على أسلافها نادمة ^(٣)
ثم بشطرنجية لم تزل	أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة	ثم نفضناها على قائمه ^(٤)
وبعدها معتدة، أختها	عابدة قائمة صائمه ^(٥)
في حجرها أطراف مؤودة	قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها	فحيرتي في وصفها دائمه ^(٦)
أقنب ما امتد في أصبعي	أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس، في	خندقها أوتأدها قائمه
والموكبيات بسلطانها،	قد تركت آناقنا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها	إذ سلحتها أنفُسُ هائمه
وجام صابونية بعدها	فافخر بها إذ كانت الخاتمه
ظل الكراريسي مستعبراً	من عصبية في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولي	قيامه من أجله قائمه
وولولت داياته حوله	فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة	تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها، فكم هيجت	من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه	خوفاً من المنية العازمه

(١) المضيرة: طعام يتخذ من اللبن الماضر أي الحامض.

(٢) الأكار: الحرث.

(٣) في نسخة: «على أسلافها».

(٤) في الأصل: «ثم تقضيها».

(٥) في الأصل: «وبعدها مقيدة».

(٦) القنب: نبات كالكتان.

ظلنا لدى الكراثِ نلهوبه
وغاية اللطفِ ففي جرّة
نبولُ فيها ثم نسقي بها
وعجلة تشدو بألحانها
فكانَ فيما أنشدتْ إذ شدّتْ
نشتم من أسمعنا صوتها
ظلتْ تبكي شجو ما أبصرت
فلو ترانا وتري زادنا
فيا له من زهرة قائمه
محطومة صارت لنا حاطمة
يا لك من عارضة لائمه
وكانت الكيسة الحازمة
من لي من بعدك يا فاطمة
وهي لنا من بعده شاتمه
من أمرنا وهي به عالمه^(١)
حياً صادفت منا نعماً سائمه^(٢)

فلما سمعها الكرايسي، حلف لا يدخل أبا الحسن، ولا أحداً من أصحابه داره، واتخذ
دعوة، ودعا قوماً من الشطرنجيين، فقال أبو الحسن: إنما دعاهم لينظروا في الشطرنجية، التي
كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة، وكتب إليه من وقته أبياتاً منها:

طمعت يا أحمق في قمرها
فإن أقاموها فما ذنبنا
لو أمكن القمرُ قمرناها^(٣)
كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن:
يا من دعاني أطال الله عمرك لي
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة
إذا أقبل الجدي مكشوفاً ترائبهُ
قد مدّ كلتا يديه لي فذكرني
كأنه عاشقٌ قد مدّ بسطته
وقد تردى بأطمار الرِّقاق لنا
فليت شعري ماذا كان أنحله
مددت كفي فلم ترجع بفائدة
وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه:

قدّم لي أعظم حَوْلِيَةٍ
فلم أزل زَلْتُ به نعلهُ
قد طبختُ بالماء في بُرْمته^(٤)
أَلْعَبُ بالشطرنج في قصعته^(٥)

ومن جيد الوصف، قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا أبو

(١) الشجو: الحزن.

(٢) النعم السائمة: المعلمة.

(٣) قَمَر اللجارية: تزوجها، أو ابنتي بها.

(٤) البُرمة: جفنة الطعام.

(٥) القصعة: بمعنى وعاء الطعام.

الفضل بن^(١) العميد لنفسه:

ودونك وسطاً أجاد الصنّاعُ
فمن صدر فائقةٍ قد نوت
ودنّر بالجوز أجوازه
وقابل زيتونها والجبن
فمن أسطر فيه مشكولة
وطرّز بالبقل أعطافه
موشى تخال به مطرفا

وأنشد في الشواريز^(٢):

ما متعة العين من خدّ تورده
مستغرق الحسن في توسيع وجته
يوفي على القمر الموفي إذا اتصلت
انهى إليك من الشيراز إن وضحت
وقد جرى الزيت في مثنى أسرته
وقال ابن خلاد:

وسوف يزورك شيرازها
يميس بشونيزة كالعروس
وتغشى موائد قد عولت
تباهى بجاماتها والغضار

وأول من ذكر الفالوذ^(٦) أبو الصلت^(٧) جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان^(٨):

له داع بمكة مشمعلٌ
وأخر فوق دارته ينادي^(٩)

(١) ابن العميد: محمد بن الحسين بن محمد، الوزير، الكاتب، وزر لركن الدولة الحسن بن بويه. كان متفلسفاً، ممدحاً. مات سنة ٣٠٦ هـ. (سير أعلام النبلاء: ١٦/١٣٧).

(٢) الشواريز: جمع الشيراز: اللبن الرائب. (وهو من المعرب).

(٣) الشونيز: الحبة السوداء.

(٤) ذهب إبريز: خالص.

(٥) الجام: إناء من فضة. الغضار: السعة من العيش.

(٦) الفالوذ: اللحم.

(٧) أبو الصلت: شاعر جاهلي من ثقيف.

(٨) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي، من أحواد الجاهلية، أدرك النبي ﷺ وسلم قبل النبوة. (الأعلام: ٧٦/٤).

(٩) في الأصل: «فوق وارثه». اشمعل: اشرف.

إلى رُوح من الشَّيزى عليها لباب البرِّ يلبك بالشهاد^(١)
لباب البريعني النشا.

وكان لعبد الله جفنة يأكل منها القائم، والقاعد، والراكب، وقال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ
أستظلُّ بجفنة عبدِ اللَّهِ بنِ جَدْعان في الهَواجر».

ومن النوادر في هذا: ما أخبرنا به، أبو أحمد، عن رحاله، قال: سأل أعرابي عن رأيه في
الفالوذ فقال: والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذ لآمن به ولكنه آتاه بعصاه.
ومن مصيب التشبيه فيه قول بعضهم:

ولاطفه بالشَّهيدِ المخلَقِ وجهه وإن كان بالالطاف غيرَ خَلِيقِ
كأنَّ اصفرارَ اللوزِ في جَنبَاتِه كواكبُ تبرٍ في سماءِ عَقِيقِ
وقلت:

حمراء في بيضاء فضية وظرف كافور وحشو الخلوqِ
يطوفُ الدُّهنُ بأرجائه اطافَةُ الدَّمعِ بجفَنِ المشوقِ
كأنما اللوزُ بحافاته أنصافُ دُرٍّ ركبت في عَقِيقِ
ومن المشهور قول^(٢) ابن الرومي في اللوزينج:

كأنما قرَّتْ جلابيبُه من أعين القطرِ إذا قَبَّبا
سَحَنف الحشو على أنه أرق جسمًا من نسيم الصِّبا
يَدورُ بالنفحة في جامه دوراً ترى الدُّهن له لولبا
لو أنه ثغرٌ لروميَّة لكان منه الواضح الأَشْنابا^(٣)

وقلت في قطائف:

كثيفة الحشو ولكنها رقيقة الجليدِ هوانيه
رُشَّتْ بماء الوردِ أعطافُها منشورة الطيِّ ومطويه^(٤)
كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشرِ ماريه
جاءت من السكر فضية وهي من الأدهان تبريه
قد وهَبَ الليلُ لها بُردَه وَوَهَبَ الخصبُ لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان.

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابه فأصبحَ فينا ظالماً للبهائم.

(١) في الأصل: «لدى روح». الرُّوح: سترة في مؤخرة البيت. الشَّيزى: خشب اسود يتخذ منه القصاع. ونُسب
البيت في لسان العرب إلى ابن الزبيري.

(٢) ديوانه: ٢٥٤/١.

(٣) الأَشْناب: ذو أسنان عذبة.

(٤) الأعطاف: الجوانب.

وقفنا عليه الركب نسأله القرى
فصام وصوم الليل ليس بجائز
أجاز صيام الليل حين استفره
فبتنا أديم الليل نطوي على الطوى
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى
مدورة سود المعون كأنها
فأبشارها تحكي بطون عقارب
وأخبرنا أبو أحمد، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا نصر قال: قال الأصمعي:
قيل للفاخري أي التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذي كان نواه ألسن الطير، تضع الواحدة في
فيك، فتجد حلاوتها في كعبك، يعنى الصيحاني تمر العلية.
وأخبرنا أبو أحمد، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أبي، حدثني عبد الله بن دينار،
عن عبد الله بن عمر، قال: اجتمع أربعة رهط: سروي، ونجدي، وحجازي، وشامي، فقالوا:
تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب:
قال الشامي:
إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً، تأخذ أدناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً في
الحنجرة، كتقحم بنات المخاض في الخرف.
قال السروي^(٢):
إن أطيب الطعام خبز بُر، في يوم قر، على حمر عشر، موسع سمناً وعسلاً.
فقال الحجازي:
أطيب الطعام خنس فطس بإهالة حمس^(٣) يغيب فيها الضرس.
فقال النجدي:
أطيب الطعام بكر سمنة مغتبطة^(٤) نفسها غير ضمنه، في غداة شيمة^(٥)، بشفار خدمه، في
قدور جذمه.

ثم قال الشامي:

دعوني أنعت لكم الطعام، إذا أكلت فابرك على ركبتيك، وافتح فاك، وأجحظ عينيك،
وامرح أصابعك، وعظم لقمته، واحتسب نفسك. قال عبد الله بن دينار: ما سمعت ابن عمر

(١) الفَيْش: جمع الفيشة: رأس الذَّكَر.

(٢) السروي: نسبة إلى السراة.

(٣) الخنس: الطباء والفطس: ذوات الأنوف المسطحة. حمس: مشوية.

(٤) سِئمة: ذات سنام، أي مرتفعة. مغتبطة: لحمها طري.

(٥) الشيم: الامتلاء.

حدث هذا الحديث قط فبلغ قول الشامي «واحتسب نفسك» إلا ضحك.

وقلت في عصيدة:

وعدت عَصِيدَةً شَقْرَاءَ تحكي
تراها حين تَبْرُزُ في ظلام
كذي دَلٍّ عليه معصفرات
فلما أن صبا قلبي إليها
تقاصر دونها كفايَ حتى
فدون السمن أطراف العوالي
أتلک عَصِيدَةً أم طيفُ سلمى
وقلت في سمكة طرية:

يقيض للمكتوب ماجر حفته
بعثنا إليه منسر الباز فانشى
فأطفأ نيران الطهارة كأنها
العزاز: الأرض الصلبة.

وقال كشاجم في السمك:

ومحبوبة في البحر عن كل ناظر
أخذنا عليهن السبيل بأعين
فجاء بها بيض المتون كأنها

ولكنها في حجبها تتخطف
رواصد إلا أنها ليس تطرف
خناجر في إيماننا تتعطف

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن القاسم، عن الأصمعي، قال: دخلت على
الرشيد، وهو يأكل الفالوذ فقال: يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً؟ فقال يا أمير المؤمنين،
وأني لها هذا ولكن قالت فيما دونه، قال وما قالت؟ قال: قال مُزَرَّد ابن ضرار^(٤) أخو الشماخ:

ولما غدت أمي تزور بناتها
خلطت بصاعي حنطة صاع عجوة
ودبلت أمثال الأثافي كأنها

أغرث على العِكم الذي كان يُمنع^(٥)
إلى صاع سمن فوقها يتربّع^(٦)
رؤوس نُقَادٍ قُطعت يوم تجمّع^(٧)

(١) العصيدة: طعام.

(٢) القتام: الغبار والظلام.

(٣) الودق: الدهن. يسح: يسيل.

(٤) مُزَرَّد بن ضرار، فارسي شاعر جاهلي. اسلم كبيراً. مات سنة ١٠ هـ. الأبيات في العقد الفريد: ٣٠٢/٦.

(٥) العِكم: العدل. وما رُبط به المتاع.

(٦) الصاع: مكيال.

(٧) في العقد الفريد: «رؤوس رخال قُطعت لا تجمّع». دبل: كبر.

وَقَلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِي الْيَوْمَ إِنَّهُ حَمَى آمِنًا مِمَّا تَفِيدُ وَتَجْمَعُ^(١)
 فَإِنْ تَكُ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ وَإِنْ تَكُ جُوعَانًا فَذَا يَوْمُ تَشْبَعُ^(٢)
 فضحك الرشيد، وقال: يا أصمعي ما لدنيا ليس فيها مثلك حسن، فدعوت له وفضلته على
 الملوك بالعلم، فقال يا أصمعي نحن كل يوم نشبع.
 ومما يجري مع هذا القول في الرحا: فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد:
 عَجِبْتُ مِنْ سَائِرَةٍ لَا تَبْرَحُ يَنْهَاكَ عَنْ رُكُوبِهَا مَنْ يَنْصَحُ
 دَائِبَةٌ تَمْسِي بِحَيْثُ تَصْبَحُ
 والحمد لله وحده.

(١) في العقد الفريد: «حمى آمنا» والرخال: جمع رخل: الأنثى من ولد الضأن.

(٢) في العقد الفريد: «فإن كنت» . . . «وإن كنت غرثانا».

الفصل الثالث

في ذكر الشراب وما يجري معه من رقيق المعاني

للقدماء في صفة الخمر قول الأعشى :

تريك القذى من دونها وهي دونه
يريد أنها من صفاتها، تريك القذى عالية عليها وهي في أسفلها.
ومن أطرف ما قيل في صفاء الخمر قول^(١) أبي نواس :

تري حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا
إذا عبّ فيها شاربُ القوم خلتهُ يقبلُ في داج من الليل كوكبا
أخذه ابن الرومي فقال^(٢) وأحسن :
ومهفهفٍ تمت محاسنُه حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكأنه والكأسُ في فمه قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ^(٣)

فجعل الشارب قمراً، وليس هذا في بيت أبي نواس.

وقال^(٤) أبو نواس، يذكر صفاء الخمر ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها، فهباءٌ يمنعُ الكفّ ما يبيحُ العيونا^(٥)
ثم شجت فاستضحكت عن جمان لو تجمعن في يدٍ لاقتنينا^(٦)
في كؤوس كأنهنّ نجومٌ دثرات بروجها أيدينا^(٧)

(١) ديوانه : ٣٧.

(٢) ديوانه : ٢٥٨/٣.

(٣) في ديوانه : «فكانها وكان شاربها».

(٤) ديوان أبي نواس : ٥٩٣.

(٥) اجتليتها : نظرت إليها.

(٦) في الديوان : «... عن جمان». وفي الأصل : «لضئنا».

(٧) في الديوان : «جاريات، بروجها»، وفي الأصل : «طلعات».

فاذا ما غربنَ يغربنَ فينا
قلتَ قومُ، من قِرّةٍ، يصطلوناً^(١)

كنجومٍ تلوحُ في أبراجٍ
أم زجاجاً سكبتُم في زجاجٍ^(٢)
نقشُ عاج يلوحُ في سقفٍ ساجٍ^(٣)

طالعاتُ مع السقاةِ علينا،
لو ترى المشربَ حولها من بعيدٍ،
وقلتَ في لطافةِ الخمر والزجاجةِ:
قلتُ والراحُ في أكفِّ الندامى
أمداماً فرطتُم لمدامٍ
وكأنَّ النجومَ والليلُ داجٍ
ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول النashىء:

فليس شيء عندها إلا القذى

وقلت:

فرحتُ كأنني في مدارِ الكواكبِ^(٤)
وليسَ بمرودٍ مع الصبحِ غاربٍ
تطيبُ لك الصهباءُ من كفِّ قاطبٍ^(٥)

فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ
أراحنا دارنا أم دارنا الراحِ^(٦)

بِ وكادتُ تضيءُ للمصباحِ^(٨)
ابن المعتز:

ما يعلمُ الله من حزنٍ ومن قلقٍ
هلالُ أولِ شهرِ غابَ في الشفقِ

موصولةً بالأنملِ الخمسِ
واسطةً للبدْرِ والشمسِ

ومشمولةٍ دارت عليَّ كؤوسها
أنازعُها بدارٍ مع الليلِ طالعا
وقد شابَ لنا بالشماسِ وإنما
وأشدني أبو أحمد:

فنبهتني وساقِي القومِ يمزجها
قلنا على علمنا والشك يغلبنا
ومثله قول^(٧) البحري:

فأضءات تحت الدُّجّةِ للشَّرِّ
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول^(٩) ابن المعتز:

ظبيُّ خليٍّ من الأحزانِ أودعني
كأنه وكانَ الكأسُ في فمه
وقول الآخر:

كأنما الكأسُ على ثغرها
ياقوتةٌ صفراءُ قد صيرتُ

(١) القِرّة: البرد.

(٢) المدام: الخمرة.

(٣) ليل داج: مظلم.

(٤) المشمولة: الخمرة.

(٥) الصهباء: الخمرة.

(٦) الراح الخمرة.

(٧) ديوان البحري: ١/٣٦١ ع.

(٨) الدجة: الظلام.

(٩) ديوانه: ٣٠٣.

قد ذهبَتْ نفسي على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت:

فيسقيني ويشربُ من عقيق خليق أن يشبَّه بالخلوق
كأنَّ الكأس من يده وفيه عقيقٌ في عقيقٍ في عقيق^(١)
الكأس الحمراء مثل العقيق، واليد المخضوبة كالعقيق، والشفة مثل العقيق، في لونها.
وقلت:

ودارَ الكأس في يدٍ ذي دلال رشيْق القدِّ يعرفُ بالرشيْق
يحلي بالتبسم درَّ ثغر تخلله شوابيرُ العقيقِ
رأيتُ الكأس في يده وفيه وجنحُ الليل منصرف الفريقِ
ففي فمه هلالٌ في غروب وفي يده الثريا في شروقِ
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه، قول ابن الرومي، وأتى بشيء لم يسبق إليه، وهو تشبيه
الحجاب بفلق اللؤلؤ، وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله، إنما شبهوه باللؤلؤ الصحيح، وهو
قوله^(٢):

لها صريحٌ كأنه ذهبٌ ورغوةٌ كاللآلىءِ الفلقِ
فشرحت ذلك وقلت:

وكأسٌ تمتطي أطرافَ كفٍّ كأنَّ بنانها من أرجوان^(٣)
أنازعها على العَلاتِ شرباً لهنَّ مضاحكٌ من أقحوان^(٤)
يلوحُ على مفارقها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجمان^(٥)
وفي هذا زيادة، لأن في الحجاب، ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد، وهي كبار اللؤلؤ، ومنه
ما هو صغير يشبه بأنصاف الجمان وهي صغار اللؤلؤ:

وطالعي الغلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكبِ كوكبانِ
ووافقها بخدِّ أرجوان وخالفها بفرعِ أرجواني
وأغرب ما قيل في الحجاب قول أبي نواس^(٦):

فإذا علاها الماءُ ألبسها حياً كمثلِ جلاجلِ الحجلِ^(٧)
حتى إذا سكنت جوامحُها كتبتُ بمثلِ أكارعِ النملِ

(١) العقيق: من الأحجار الكريمة.

(٢) ديوانه: ٢٩٢/٤.

(٣) البنان: الأصابع. الأرجوان: الصباغ الأحمر.

(٤) يشبه الفم بالأقحوان.

(٥) الحجاب: الفقايع تعلو الماء.

(٦) ديوانه: ٤٨٤.

(٧) في الديوان: «حياً شبيه». وفي الأصل: «نمشاً كمثل».

ومن غريب ذلك وبديعة الأول ويقال إنه ليزيد^(١) بن معاوية :
وكأس سبها التجر من أرض بابل كرقّة ماء المزن في الأعين النجل
إذا شجّها الساقى حسبت حبابها عيون الدبا من تحت أجنحة النمل

وأبدع ما قيل في الحباب قول^(٢) أبي نواس :
قامت تريني وأمر الليل مجتمع صبحاً تولد بين الماء واللهب^(٣)
كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصاء دُرّ على أرض من الذهب

وخطأه النحويون في قوله «كبرى وصغرى من فواقعها»، أخذه ابن المعتز فقال :
يا خليلي سقياني فقد لا خ صباح وأذن الناقوس^(٤)
من كميّ كأنها أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مغروس
وقلت :

راح إذا ما الليل مدّ رواقه لاحت تطرّز حلة الظلماء
حتى إذ مُزجت أراك حبابها زهرات أرض أو نجوم سماء
وقلت في المعنى الأول :

تبيّت لي اللذات معقودة العرى إذا ما أدار الكأس أحور عاقد
يدب الدجى عن وجه نار تحله كؤوس لأعناق الليالي قلائد
وقال^(٥) ابن المعتز :

قد حثني بالكأس أول فجره ساق علامة دينه في خصره^(٦)
فكأن حمرة لونها من خده وكأن طيب نسيمها من نشره^(٧)
حتى إذا صبّ المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثغره^(٨)
وقال :

للماء فيها كتابة عجب، كمثل نقش في فصّ ياقوت^(٩)

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، الخليفة، كان فصيحاً شجاعاً، له شعر، وكان يفعل المنكرات سنة ٦٤ هـ . (سير أعلام النبلاء: ٣٥/٤).

(٢) ديوانه: ٤٠ .

(٣) في الأصل: «بين الماء والعنب».

(٤) ديوان ابن المعتز: ٣٤١ . وفيه: «يا نديمي».

(٥) ديوانه: ٢٠٢ .

(٦) في الديوان: «أو في فجره». وعلامة دينه في خصره: كناية عن أنه ليس مسلماً.

(٧) في الديوان:

وكان حمرة خده في لونها، وكان طيب رياحها من نشره

(٨) في الديوان: «فحسبته من ثغره».

(٩) ديوانه: ٩٩ .

وقلت:

دارَ في الكأس عقيقٌ فجرى
تصب الساقى على أقداحها
وقال^(١) ابن الرومي في لطافتها:
لطفٌ فقد كادت تكونُ مشاعةً
ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز:
فأضحك عن ثغر الحباب فم الكأس

وقلت:

وشراب طوى الزمانَ فحاكى
إن يكن بالعقول غيرُ رحيم
ومن أحسن ما قيل، في خيال الكأس، على اليد قول بعض المحدثين:
كأن المديراً لها بالميمين
تدرّع ثوباً من الياسمين
وقال السري في معناه:

وبكر شربناها على الورد بُكرةً
إذا قام مبيض الجبين يُديرها
وقال البحري:

ألا ربما كأس سقاني سلافها
إذا أخذت أطرافه من قنوها
وقلت:

شغلت كلتا يديه بقهوة
كأن خيال الكأس فوق ذراعه
وقلت أيضاً:

يسعى إليّ مُقرطقٌ في كفه
وتناسبت فيها بغير قرابةٍ
ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورفقتها وصفاتها قول بعضهم:

(١) ديوانه: ٥/٦.

(٢) تدرع: اتخذ قميصاً أو درعاً. الجلنار: زهر الرمان الأحمر.

(٣) السلاف: الخمرة. الأشنب: عذب الفم.

(٤) في ديوان البحري: «إذا ذكرت أطرافه من فتورها».

(٥) القرطق: بُس.

رَقُّ الزُّجَاجِ وراقت الخمرُ وتشابها فتقارب الأمرُ
فكأنها خمرٌ ولا قدَحٌ وكأنَّهُ قدَحٌ ولا خمرٌ

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأس تحجبُ الأبصارُ عنها فليس لناظر فيها طريقُ
كأنَّ غمامةً بيضاءَ بيني وبين الرَّاحِ تحرقها البروقُ^(١)
وقلت:

وندمان سقيت الرَّاحَ صرفاً وجنحُ الليل مرتفعُ السجوفِ
صفتُ وصفتُ زجاجتها عليها لمعنى دَقٍّ في ذهنٍ لطيفٍ
وليس هذا التشبيه بالمختار، ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى بالعيان إلى ما يعرف بالفكر.

وقال بعضهم:

خفيتُ على شرابها فكأنهم يجدون رِيًّا من إناءٍ فارغٍ
وقال غيره:

ورَّنا الكأسَ فارغةً وملاى فكان الوزُنُ بينهما سواء
وقال ابن الرومي^(٢):

لطفُ فقد كادتُ تكونُ مشاعةً في الجوِّ مثل شعاعِها ونسيمِها
وقلت:

حملتُ بخصرها إناءَ مدامٍ صفراء تلمعُ في زجاجِ أقمَرِ
فكأنها واللحظُ ليس يحورها شمسُ النهار تختمتُ بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق، وفضول الكأس، وأنشده إسحاق:

كأنَّ أباريقَ المدامِ لديهم ظباءُ بأعلى الرُّقْمَتَيْنِ قِيامُ^(٣)
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللينِ لم يخلقْ لهنَّ عظامُ
وقد أحسن مسلم في قوله^(٤):

إبريقنا سلبَ الغزالةَ جيدها وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا
وأحسن الآخر وينسب إلى بشار^(٥):

كأنَّ إبريقنا والقطرُ في فمه طيرٌ تناول يا قوتاً بمنقارِ

(١) الراح: الحمرة. والبيت في الديوان: ٣٠٣.

(٢) ديوانه: ٥/٦.

(٣) الرقمة: جانب الوادي، والروضة.

(٤) الشعر والشعراء: ٧١٧/٢.

(٥) الديوان: ٥٣٠. والابريق: ابريق الخمرة والقطر: اراد الخمرة وشبهها بالياقوت.

إلا أن قوله «طير» رديء والعجيد طائر، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزّه غيره.
وقلت:

تضحك في الكأس أباريقنا وحسب ما يضحكن يبكيـنا
كأن أعلاها إذا أسفرت تعقد في الكأس تلابينا
وأول من شبه الأبريق بالأوزليد في قوله (١) ولم يذكر الخمر:
تُضْمَنُ بَيْضاً كالأوزَ ظروفيها إذا تأقوا أعناقها والحواسلا
فأخذ بعضهم فقال:

ويوم كطلّ الرُمح قصرَ طولهُ دُمُ الزَّقِّ عنا واصطكاكَ المزاهرِ
كأن أباريقَ المدام عشيّةً إوزٌ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجرِ
وقال أبو الهندي (٢):

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق يعلّق بها وضُرُّ الزبدِ
مقدمة قرأ كأن رقابها رقابُ بناتِ الماء تفزع للرعدِ
وقوله (تفزع للرعد) زيادة على ما تقدم.

وأما فضول الكؤوس فأحسن ما قيل فيها قول (٣) أبي نواس:
قرارتها كسري وفي جنباتها مها تدرّجها بالقسيّ الفوارسُ
فللخمر ما زرت عليه جيوبهم وللماء ما دارت عليه القلائسُ (٤)
وقال السري الموصلي:

كأن الكؤوس وقد كللت بفضلاتهنّ أكاليلُ نورِ
جيوبٌ من الوشي مَزْرُورَةٌ يلوحُ عليها بياضُ النحورِ (٥)
فجئت به في بيت وقلت:

وبيضُ تهاوى في مُزَعَفَرَةٍ صفرُ وهبتُ لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها سوائفُ تبدو من معصرةٍ حمري
وقال السري أيضاً:

وصفراء من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء الغلائلِ غضة
تبدّت وقضّل الكاس يلمع ساطعاً كأترجة زينت بإكليل فضة
وقال الناصبي:

(١) ديوانه: ١١٨. وفيه: «إذا تأقوا».

(٢) أبو الهندي: غالب بن عبد القدوس، اليربوعي: شاعر مطبوع، عاش بين الدولتين الأموية والعباسية، وكان
جزل الشعر اتهم بدينه. مات سنة ١٨٠ هـ. (الأعلام: ١٩٦/٢).

(٣) ديوانه: ٣٦١.

(٤) القلائس: جمع القلائسوة: توضع على الرأس.

(٥) النحور: الصدور.

ملوك ساسان على كأسها كأنها في عز سلطانها^(١)
فخمرها من فوق أذقانها وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان.

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الإناء، وحسنه، مع صفاء الخمر، قول^(٢) ابن المعتز:
غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تتقد^(٣)
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماءً جمداً
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد:

وقد حجب الغيم السماء كأنها يمدُّ عليها منه ثوبٌ ممسكٌ
ومجلسنا في الجوَّ يهوي ويرتقي وإبريقنا في الكأس يكي ويضحكُ
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم:

ولها ديبٌ بالعظام كأنه فيض النعاس وأخذُه بالمفصل
عبرت أكفهمُ بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل
وقول أبي نواس:

فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاءً^(٤)
وقوله:

ثم لما مزجوها وثبت وثب الجراد
ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد

ومن شعر المتقدمين قول^(٥) الأخطل:

أناخوا فجرؤوا شاصيات كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا^(٦)

«لم يتسربلوا» تتميم حسن، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق:

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا
تدبُ ديباً في العظام كأنه ديبٌ نمال في نقاً يتهيل^(٧)

أحسن ما قيل في خروج الخمر من الميزال قول^(٨) أبي نواس:

(١) بنو ساسان: اسرة حكمت بلاد فارس، قبل الفتح الاسلامي.

(٢) ديوانه: ١٥٧.

(٣) كرخية: نسبة إلى الكرخ.

(٤) ديوان أبي نواس: ٥٧ الصافية: الخمرة.

(٥) ديوانه: ٢٢٣.

(٦) شاصيات: جمع شاصية: ناقة مرتفعة القوائم.

(٧) النقا: الرمل المتراكم. يتهيل: ينهار.

(٨) ديوانه: ٤٩٣.

وخندريسٌ باكرت حانتها فودّجوا خصرها بمبزال^(١)
فسال عرقٌ على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال^(٢) ابن المعتز:

تخرج من دنّها وقد حذبت مثل هلالٍ بدا بتقويس
قوله «بدا بتقويس» فضل لا يحتاج إليه، لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس. وقال:

جاءتك من بيتٍ خمارٍ بطيتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقذ
فأرسلت من فم الإبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الإبريق، وقال في المعنى الأول:

سعى إلى الدنّ بالمبزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
لما وجأها بدت صفراء صافية كأنه قد سيراً من أديم ذهب

وقلت:

قد بزل الدنّ فقومي انظري زنجيةً تفتل خلخالاً^(٣)
واسقنيها واشربي واطربي وجرّري في الهواء أذيالاً
تنعمي ما اسطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشي^(٤) قول الأخطل يخاطب عبد الملك:

إذا ما ندمني علني ثم علني ثلاث زجاجاتٍ لهنّ هديرٌ
خرجتُ أجر الذيل حتى كأنني عليك أمير المؤمنين أمير^(٥)

وإنما صار ذلك، أحسن من غيره، لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال: أنا أمير عليك في ملك الحال. والأصل فيه.

قول^(٦) حسان:

ونشر بها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء
ومنه قول المخبل يشكري^(٧):

(١) الخندريس: من أسماء الخمرة.

(٢) ديوانه: ٢٤٠.

(٣) بزل الدن: ثقب وعاء الخمرة.

(٤) المنتشي: الذي سكر.

(٥) في ديوان الأخطل: «جعلت أجر الذيل مني كأنني».

(٦) ديوانه: ٦٠.

(٧) لعله المنخل يشكري. وهو المنخل بن عبيد بن عامر، من بني يشكر، وهو جاهلي قديم. والبيتان في الشعر

والشعر مع ترجمته: ٣١٧/١. أما المخبل فهو ربيع بن مالك بن ربيعة السعدي، شاعر فحل مخضرم بين
الجاهلية والإسلام. (الأعلام: ١٥/٣).

وإذا سكرتُ فإنني ربُّ الخورنقِ والسرير^(١)
وإذا صحتُ فإنني ربُّ الشوبهةِ والبعير^(٢)
وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس^(٣)
لنسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الإناء خضابُ
صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدق قيء سائل ولعابُ
وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية^(٤) :
نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه وبقيم وقت صلاته حمادُ
هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدم يسنها الحدادُ
وابيض من شرب المدامة وجهه فياضه يوم الحساب سوادُ
وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمَلُ
ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي فنن^(٥) :
جَدَّدَ اللذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريدُ
اله إن أمكن يوم صالح إن يوم الشرب لا كان عتيْدُ
وقال^(٦) «ديك الجن» :
تمتع من الدنيا فإنك فاني وإنك في أيدي الحوادث عاني
ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لغد من حادث بأمان
فإنني رأيت الدهر يسرع بالفتى وينقله حالين يختلفان^(٧)

(١) في الشعر والشعراء: السدير.

(٢) الشوبهة: تصغير الشاة.

(٣) المدامة: الخمرة. الحشاشة: الروح.

(٤) حماد الراوية: هو حماد بن سابور بن المبارك، أول من لقب بالراوية عالم بأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم وبالأنسب واللغات. توفي سنة ١٥٥ هـ. (الأعلام: ٢٧١/٢).

(٥) في الأصل (فنس). وذلك تصحيف.

(٦) الأمالي: ١٧٠/٣. والبيت الثاني كما يلي:

ولا يأتين يوم عليك وليله
(٧) في الأمالي: «يلعب بالفتى».

وأما الذي يبقى له فأُماني^(١)

من لَباناتٍ إذا لم يقضها
بالتّي أمضى كأنّ لم يمضها
بعد ما قد خرجت من قبضها
لقريب بعضها من بعضها

سراعٌ وأيامُ الهموم بطاء
فإنّ عتابَ الحادثاتِ عناء
ليأتي ما يأتي وهنٌ وراء
وجعل يشرب معهم ويقول:

واتركاني من عتابٍ وعدل
واسقياني أبعد اللهُ الجمل

واعصر من لامك فيها وعدل^(٥)
وإذا قيل نصاباً قل أجل
أنت فيها وسوى ذاك أمل

واصلُ خليلك إنما الدُّنيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل الممكروء من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقت الرّحيل
وارفض مقالةً لائم إن الملام من الفضول
وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي:

فأما الذي يمضي فأحلامٌ نائم
ونحوه قول عمران بن حطان^(٢):

يأسفُ المرء على ما فاتهُ
وترأه فرحاً مستبشراً
عجباً من فرح النفس بها
إنها عندي وأحلام الكرى
وقال ابن المعتز:

وبادر بأيام السرور فإنها
وخلّ عتابَ الحادثات لوجهها
تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها
ونحر عجير السلولي^(٣) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول:

عللاني إنما الدُّنيا علل
وانشلا ما اغبر من قدريكما
وقال أحمد المادرائي^(٤):

عافر الرّاح ودع نعت الطلل
غادها واسع لها واغربها
إنما دنياك فاعلم ساعة
ولابن بسام^(٦):

واصلُ خليلك إنما الدُّنيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل الممكروء من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقت الرّحيل
وارفض مقالةً لائم إن الملام من الفضول
وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي:

(١) في الأمالي: «فأما التي تمضي . . . وأما التي تبقى لها . . .» وقد نسب الأبيات جميعاً إلى سعيد بن حميد.

(٢) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني، شاعر مفلق مكثّر، من الصفرية، مات سنة ٨٤ هـ. الأبيات مع ترجمته في (الأغاني: ١٨/١٠٩).

(٣) عجير بن عبدالله بن عبيدة بن كعب، واسمه الحقيقي عمير. كان جواداً كريماً. مات سنة ٩٠ هـ. وكان شاعراً مقلداً.

(٤) المادرائي: شاعر، كاتب اسمه أحمد بن علي بن الحسن، أبو علي. الفهرست ٢٣٧.

(٥) الراح: الخمرة. الطلل: بقايا المنزل.

(٦) ابن بسام: هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور، ويعرف بالبسمامي شاعر هجاء، من الكتاب،

عالم بالأدب والأخبار. له مصنفات. مات سنة ٣٠٢ هـ. (الأعلام: ٤/٣٢٤).

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
وَانْصَرَمَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصْلِهِ وَالسَّكْرُ مِفْتَاحُ لِهَذَا كُلِّهِ
قَدْ أَوْطَأَ إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى . وَقَالَ أَيْضًا:
مَشْعُشَعَةٌ مِنْ كَفِّ ظِيبي كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا^(١)
فَظَلَّتْ بِأَيْدِينَا نَتَعَتَّعُ رَوْحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا^(٢)
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال:
إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بَوْتَرٍ تَوَقَّعْتُ عَلَى ضَعْفِهَا ثُمَّ اسْتَفَادْتُ مِنَ الرَّجْلِ^(٣)
وَبَيْتَ عَبْدِ السَّلَامِ أَجُودَ مِنْهُ .

أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ السَّاقِي إِذَا أَخَذَ الْكَأْسَ قَوْلَ الْآخَرِ:
كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بَذَرُ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبُ
وَقُلْتُ:

وَطَالَعَنِي الْغَلَامُ بِهَا سَحِيرًا فَزَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكْبَانِ
وَمَا يَدْخُلُ فِي مَخْتَارِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ:
وَمَهْفَهْفٌ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ
وَقَدْ مَرَّ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجُودَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّهُمْ قَمَرٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
وَمِثْلُهُ فِي الْجَمْعِ قَوْلُ الْآخَرِ:
فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَىءُ وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زَبَرْجَدُ^(٤)
وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي قِيَامِ السَّقَاةِ بَيْنَ النَّدَامَى قَوْلُ^(٥) ابْنِ الْمُعْتَزِ:
بَيْنَ أَقْدَاجِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ ، هُوَ سَحَرٌ ، وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامِ
وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلِفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
فَشَبَّهَ اصْطِفَافَ الشَّرْبِ جُلُوسًا بِالسُّطُرِ وَالسَّقَاةَ بَيْنَهُم بِالْأَلِفَاتِ فَأَحْسَنَ .

وَمِنَ الْبَارِعِ الدَّخْلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَتْرَةَ^(٦):
وَإِذَا سَكَّرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهِلُكَ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ

(١) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ: «مُرْدَةٌ مِنْ كَفِّ» .

(٢) نَتَعَتَّعُ رَوْحَهَا: نَتَزَعَّعَهَا .

(٣) الْبَيْتُ فِي دِيوَانِ: أَبِي تَمَامٍ: ٣٧٤ . وَفِيهِ: «تَوَقَّعْتُ . . . عَلَى ضَعْفِهَا ثُمَّ اسْتَفَادْتُ . . .» . الْوَتَرُ: الْعِدَاوَةُ .
تَوَقَّرْتُ: ثَبَّتْتُ . اسْتَفَادْتُ: طَلَبْتُ الْقَوْدَ .

(٤) يَشْبَهُ الْيَدَ بِالْعَاجِ لِبَيَاضِهَا . وَالْفَقَاقِعُ بِاللَّالِ . وَالْخَمْرَةُ ذَهَبٌ وَالزُّجَاجُ يَشْبَهُ الدَّرَّ .

(٥) دِيْوَانُهُ: ٣٦١ . وَفِيهِ: «وَمَا سِوَاهُ كَلَامٍ» .

(٦) دِيْوَانُهُ: ١٥ .

وكما علمت شمائي وتكرمي

وإذا صحوْتُ فما أقصر عن ندى

أخذه البحرني فزاد عليه في قوله^(١):

وراحوا بدوراً يستحثون أنجما

وما زلت خللاً للندامي إذا انتشوا

فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرماً

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم

والزيادة أن عترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحرني ذكر أنه تكرم قبل الكؤوس

فبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيد تكرماً.

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم:

على الكأس والندمان غير جهول

لقد علم الريحان والراح أنني

ولست إلى ما ساءهم بعجول

فإن ساءني منهم مقام غفرته

قوله:

لقد علم الريحان والراح أنني

في غاية الظرف. وشبه البيت الثاني قول الآخر:

ليس من شأنه إذا دارت الكأ س فأزرى إدمانه بالحلوم^(٢)

قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم

إلا أن في هذين البيتين عيبين: أحدهما التضمن والآخر قوله عند ذاك وهي زيادة لا يحتاج

إليها. وقال يحيى بن زياد^(٣):

لأصرفه عنها تحس وقد أبي

ولست له في فضلة الكأس قائلاً

وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى

ولكن أحبيه وأكرمه وجهه

ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى

وليس إذا ما نام عندي بموقف

وهذا جامع جداً. ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له: كم تشرب من

النبيذ؟ قال على قدر النديم.

ومن المنظوم قول بعضهم:

فأضحى أخاً لدي مطاعاً

ورضيع راضعت في كبر السن

صيرت بيننا المدام رضاعاً

لم يكن بيننا رضاع ولكن

وهو من قول الناشيء: المدام الرضاع الثاني.

ويقولون: ذكر الرجل عمره الثاني.

وروى ابن عون، عن ابن سيرين، أنه قال: لا تكرم أخاك بما يشق عليه، قالوا: معناه لا

(١) ديوانه: ١/٢٥ ص.

(٢) الحلوم: العقول.

(٣) هو أبو الفضل الحارثي، يحيى بن زياد بن عبيد الله: شاعر ماجن، مدح السفاح والمهدي العباسيين. مات سنة

١٦٠ هـ.

تسقه من النبيذ ما لا يقوم به .

وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أَرَى لِلرَّاحِ حَقًّا لَا أَرَاهُ
هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ
وَقُلْتُ :

لَمَّا تَبَدَّى وَجْهُهُ
وَكَأَنَّهُ ضَوْءُ الصَّبَا
آثَرْتُ طَاعَةَ حَبِّهِ
لَا أَسْتَفِيدُ مِنَ الْمَدَا
فَإِذَا حَنَنْتُ إِلَى النَّدَا
خَلَقَ النَّدِيمُ إِذَا صَفَا
وفاخر كاتب نديماً فقال :

أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للرخاء ، وأنا للحرب وأنت
للسلم .

فقال النديم :

أنا للنعمة وأنت للخدمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة ، تقوم وأنا جالس ، وتحترشم وأنا
مؤانس ، تدأب لمرضاتي^(٢) ، وتسعى لما فيه سعادتِي ، فأنا شريك وأنت معين ، كما أنك تابع وأنا
قرين فغلبه .

وقلت :

مَا أَعَافُ النَّبِيذَ خِيفَةً إِثْمَ
لَيْسَ فِي الْلَهُوِ وَالْمَدَامَةِ حَظٌّ
فَتَخِيرُ قَبْلَ النَّبِيذِ نَدِيمًا
وَجَمَالٍ إِذَا نَظَرْتُ بِسَدِيعِ

وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي أَحْمَرِ لَوْنِ الشَّارِبِ مِنْ
وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تَعْتَقُ بِأَبْلِ
الْجُرْيَالِ : اللَّوْنُ .

وقال بعض المحدثين :

نَفَضْتُ عَلَى الْأَجْسَامِ حُمْرَةَ لَوْنِهَا وَسَرْتُ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأَرْوَاحِ
وَأَخَذَ النَّاجِمُ قَوْلَ الْأَعَشَى (سَلَبَتْهَا جُرْيَالُهَا) فَقَالَ :

(١) يميس : يميل .

(٢) في الأصل : «تدأب الرضى» .

فخذها مشعشةً قهوةً تصبُّ على الليلِ ثوبَ النهارِ
ويسلبُها الخدُّ جريالها فتهديه للعينِ يومَ الخمارِ
إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله :

فتهديه للعين يوم الخمار

وهو في صفة حمرة العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) رديء، ووجه نظم اللفظ أن يقال قهوة مشعشة، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر، وإن كان جائزاً، فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك.
وقلت :

شقائق كناظرِ المخمور وأقحوانٌ كثغور الحور^(١)
ونرجسٌ كأنجم الديجور^(٢)

فشبهت ما يعتري بياض العين والحماليق، من الحمرة عند الخمار، مع سواد الحدقة بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مزاج الكأس حيث يقول^(٣) :

ألا دارها بالماء، حتى تُلينها فلنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حتى تهينها
أغالي بها، حتى إذا ما مَلَكْتُها أدلت لإكرام الصديق مصونها^(٤)
وصفراء قبل المزج، يبيضاء بعده كأنَّ شعاعَ الشمسِ يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها، وتحسُرُ حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال :

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بَدَتْ بينَ ثوبي نرجس وشقائق
حكّت وجهَ المعشوقِ صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لونَ عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان^(٥) :

بَدَتْ في نشوةٍ مثلَ الممها أدمجنَ إدماجا
يجاذبنَ من الأردا فِ كَثباناً وأمواجا^(٤)
وقضباناً من الفضّة قد أثمرت العاجا
ويسترنَ من الأبشا ر في الدّيباج ديباجا^(٧)

(١) الحور: الجميلات.

(٢) الديجور: الليل المظلم.

(٣) ديوانه: ٥٩٢.

(٤) في الديوان: «أهنت لإكرام الخليل».

(٥) القيان: جمع القينة: المغنية.

(٦) يشبه الأرداف بالكثبان الرملية والموج.

(٧) الديباج: الحرير.

وقد لاثت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلدس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغننك أرمالاً واهزاجا
وحركن من الأوتار أمسداً وأدراجا^(١)
فلا لوم على قلدك إن هيح فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحة حلق المغني قوله أيضاً:

أشتهي في الغناء بحة حلق
كأنين المحب أضعفه الشو
لا أحب الأوتار تعلو كما لا
وأحب المجنبات كحبي
كهبوب الصبا توسط حالاً
بين حاليين شدة وركود
ناعم الصوت متعب مكدود
ق فضاهاى به أنين العود
أشتهي الضرب لازماً للعود
للمبادي موصولة بالنشيد
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة^(٢):

وتلفظ يمناها إذا ضربت بها
وقلت:

وهيجت لي من شوق ومن فرح
لا عيب في العيش إلا خوف غيبتكم
أيدٍ نشرن على الأوتار غنابا
إن السرور إذ ما غبتم غابا

ومن أحسن ما قيل في وصف المغني قول ابن المعتز:

ومغن ملحق كل نفس
لا يمد الصوت فيه نفور
وأجمع من ذلك قول^(٣) ابن الرومي:

تغني كأنها لا تغني
مد في شأو صوتها نفس كا
ولها الدهر لائم مستزید
من سكون الأوصال وهي تجيد
ف كأنفاس عاشقها مديد
ولها الدهر سامع مستعيد

وللناجم من أبيات:

مندرة في كل أصواتها
وقول الآخر:

إذا وقع بالعود
لا كالتى تندر في الندره
زمرنا بالكؤوس له

(١)، أمسداً: جمع مسد: وهو حبل من ليف.

(٢) ديوان ابن المعتز: ٣٤.

(٣) ديوانه: ٢٦٦/٢.

فأما أعجب ما قيل، في ذم المغني، والثنائي من سماعه، فقول^(١) ابن الرومي:

فطلتُ أشربُ بالأرطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول^(٢) أبي نواس:

في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ذلك الجن في قوله:

كأنما البيت بريحانه ثوب من الندس مشقوق
ومثله قول الصنوبري:

وقد نظم السروض سمطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد بياض الغلالة من فرجة^(٣)
ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداء معناه ولكن
لتكلف ألفاظهما، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن
كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه وخولف به وجه الاستعمال.

وقال السري، ولا أعرف في معناه أحسن منه، يدعو صديقاً له:

ألست ترى ركب الغمام يساق وأدمعه بين الرياض تراق
وقد رقّ جلباب النسيم على الثرى ولكن جلايب الغيوم صفاق^(٤)
وعندي من الریحان نوع تحية وكأس كرقراق الخلق دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبداً من نثره ونظامه بدائع حلي ما لهن حقاق^(٥)
وأغيد مهتز على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق
هذا البيت من قول^(٦) المتنبي:

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
وقد مر، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً:

وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وخناق
وعرفتنا بين السحائب تلتقي لهن علينا كلة ورواق

(١) ديوانه: ٣٠١/٥.

(٢) ديوانه: ٣٢٥.

(٣) الغلالة: ثياب رقيقة. والبذ: التعب.

(٤) في ديوانه: «على الندى».

(٥) حقاق: جمع حق: وعاء.

(٦) ديوانه: ٢٩٦/٢.

تقسم زواراً من الهند سقفها خفاف على قلب النديم رشاق^(١)
وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإيطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي
عندهم:

أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنجٍ راعهنَّ طلاق^(٢)
أنسن بنا أنسَ إلا ماء تحببت وشيمتها غدرٌ بنا وإباق^(٣)
مواصلة والوردُ في شجراته مفارق إلف حانَ منه فراق^(٤)
فزرفتية بردُ الشرابِ لذيهم حميمٌ إذا فارقتهم وغساق^(٥)
وقلت:

وليل ابتعتُ به لذةً وبعثُ فيه العقلَ والدينا
أصابَ فيه الوصلُ قلبَ الجوى وباتَ فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا نسيمَ راح ورياحينا
وأكؤُس الرّاحِ نجومٌ إذا لاحَ بأيدينا هوتُ فينا
تضحك في الكأس أباريقنا وحسبما يضحكن يبكيانا
كأن أعلاها إذا كفرتُ يعقد الكأس ثلاثينا
وقلت:

هذا حبيبٌ وصول وذا رقيبٌ صرومٌ
وذاك شرخُ شباب أغرَّ وهو بهيمٌ
وقهوةٌ وغناءٌ وسامرٌ ونديمٌ
فخذ نصيبك منه فليس شيءٌ يدومٌ
وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب.

وقال الصنوبري:

يومٌ ذيولُ مزنه على الثرى منسحبه
بروقه سافرةٌ وشمسه منتقبة
فما سى؟ سماءه ضاحكة منتحبه^(٦)
طلبتُ أقصى أملي منه فنلتُ الطلّبه
بسيدين ارتقيا منقبةً فمنقبه

(١) في الأصل: «قلب الكريم رفاق».

(٢) الكواعب: جمع الكاعب. الفئات الشابة.

(٣) الإباق: التمرّد.

(٤) في ديوانه: «مفارقة ان حان منه فراق».

(٥) الحميم والنعساق: طعام أهل النار.

(٦) نقص في صدر البيت.

والتقيا في مرتبه
قامت بحق الشربه
كرمة في عنبه
على العلا مطنبه^(١)
ساعاته المستعذبه
وقبله مستلبه

واتفقا في كنية
نشربها عذراء قد
أكرم ذخير ذخرته
في مجلس أطنابه
أكرم به يوماً مضت
كلحظة مخلوسة

وقلت:

نُ ونقلُ وغناء
نِ شمولُ وطلاء^(٢)
نِ طبيخُ وشواء
نُ أحادِ وثناء
أدباءُ أرباء
فكأن الصحن ماء
فحواشيه رداء
إنما الهمُّ بلاء
قد تخطأه العناية
ليس للدنيا بقاء

عندنا طيبٌ وريحا
ومن المشروبِ لونا
ومن اللحمِ خليطا
ومن الحلواءِ ألوا
ولنا غلمانُ صدق
أرسلوا في الصحن ماءً
وانثنوا للحسن عدواً
فأت ننفِ الهمَّ عنا
واغتنم لذة يوم
فهو يطويك ويمضي

ومن المشهور في صفة السكارى قول بعضهم:

والرَّاحُ تمشي بهم مشي الفرازين^(٣)
عن القسيِّ وراحوا كالعراجين^(٤)
شربَ الملوكِ وناموا كالمساكين

مشوا إلى الرَّاحِ مشي الرَّخِ وانصرفوا
غدوا إليها كأمثالِ السهامِ مضت
وكان شربُهُم في صدرِ مجلسهم
ومثل البيت الأول:

مشى الفرازين بمشي الرَّخاخ^(٥)

راحوا عن الرَّاحِ وقد بدَّلوا
ومما يجري مع هذا قول الآخر:

وتتركُ أخلاقَ الكريمِ كما هيا
أقلهم عقلاً إذا كان صاحياً

تزيّدُ حسا الكأسِ السفيةَ سفاهةً
وإن أقلَّ الناسِ عقلاً إذا انتشى

(١) الأطناب: جمع طنّب: العمود.

(٢) شمول وطلاء: من اسماء الخمرة.

(٣) الفرازين: جمع الفرزان: الشُّطرنج.

(٤) العراجين: جمع العرجون: اصل العذق الذي يعوّج.

(٥) الرخاخ: جمع الرخ: وهو طير ضخم.

ومن أحسن ما أنشد في الخيش : ما أنشدناه أبو أحمد ، ولم يسمِ قائله ، ورأيت بعد في ديوان السري :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامةً من الندِّ إلا أنها ليس تهطلُ^(١)
وعلى بماء الوردِ خيش كأنه على جلده ثوبُ العروس المصنلُ
وقلت :

ظبي يروق الناظرين بأبيضٍ وبأسودٍ وبأخضرٍ وبأشكالٍ
ومقومٍ مميل القضيبي مهفهفٍ ومعوجٍ كالصولجانٍ مجبلٍ^(٢)
ومفرجٍ من خده ومكفرٍ ومخلقٍ من شعره ومسلسلٍ
وبياض وجهه بالصباح مقنعٍ وسواد فرع بالظلام مكللٍ
عقلت أباريق المدام بكفه كالبدري يعلق بالسماك الأعزل
وعلا دخان الندِّ أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فكأنما الكاسات في حافته شقراً الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم^(٣) :

شدو ألد من ابتدا العين في إغنائها
أحلى وأشهى من منى نفسٍ وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الأذان حتى كأنهم وما ناموا نيامُ
ومن عجب المعاني في الغناء قول^(٤) أبي تمام :
حمدتك ليلة شرفت وطابت أقام سهاؤها ومضى كراها^(٥)
سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسي من عناها^(٦)
ومسمعة تفوت السمع حسناً ولم تصممه لا يصمم صداها^(٧)
مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها^(٨)
ولم أفهم معانيها ولكن

(١) الند : البخور.

(٢) الصولجان : العضا.

(٣) الاعجاز والايجاز : ٢٥٣ .

(٤) ديوان أبي تمام : ٤١٦ .

(٥) في الديوان :

شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها ومضى كراها
(٦) في الديوان : «من غناها» .

(٧) في الديوان : «يحار السمع فيها» .

(٨) البيت ليس في النسخ . واستدرك من ديوان أبي تمام . ومرت : مسحت .

فكنتُ كأنني أعمى معني بحبِّ الغانياتِ ولا يراها
وكان ينبغي أن يقول «فادها حاسدها» وليس لقوله فلا يستطيع حاسدها معنى مختار.

وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور^(١) في قوله:
عجبتُ لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر بمنطقها فما^(٢)

ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلما
ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجما^(٣)

ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه وتشبيهه إصلاحه
بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم:

فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمته بين ترائب ولبان^(٤)
طوراً تدغدغ بطنه فإذا هفا عركت له أذنأ من الأذان

ومثله قول الناجم:

إذا احتضنت عابثٌ عودها وناغته أحسن أن يعربا
تدغدغ في مهل بطنه فتسمعنا مضحكاً معجبا
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد.

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال:

شدت فجلت أسماعنا بمخفف يحدّثها عن سرّها وتحدّثه
مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدّثه
فللنار منه الزير والأرض بمه وكل امرئ يرتاح منه لنغمة
شكا ضرب يمناها، فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعّثه^(٥)
فما برحت حتى أرتنا مخارقا يجاذبه في أحسن النقر عثّته^(٦)
وحتى حسبت البابليين القنا على لفظها السحر الذي فيه تنفّثه^(٧)

وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمير قول هارون بن على المنجم:

(١) هو حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، شاعر مخضرم بين الاسلام والجاهلية. أسلم وله صحة. مات سنة ٣٠ هـ (الأعلام: ٢/٢٨٣).

(٢) تغفر فما: تفتح.

(٣) البيت في العقد الفريد: ٤١٥/٥.

(٤) الترائب: عظام الصدر. اللبان: الصدر.

(٥) ترعّثه: تفرّطه.

(٦) مخارق: مغن عازف شهير. العثا: الترتيم في الغناء.

(٧) في صدر البيت اضطراب.

غصن على دعص نقا منهال
وفاتنات الطرف والدلال
يأخذن من طرائف الأرمال
يجري مع الناس بلا انفصال
يدعو إلى الصبوة كل سال
ومن حرام اللهو والحلال
وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميس من الوشي في حلة
وتحمل عوداً فصيح الجواب
له عنق مثل ساق الفتاة
فظلت تطارح أوتارها
وتعمل جساً كجس العروق
تجرر من فضل أذيالها
يضاهي اللحون بأشكالها
ودستانة مثل خلخالها^(٣)
بأهزاجها وبأرمالها^(٤)
وتلوي الملاوي بأمثالها

وقيل لرجل أي المغنين أحذق؟ قال: ابن سريج كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي. وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال: قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك: إني خارج إلى العراق فاستهد ما أحببت فقال: إهدلي بربطاً من عمل زلزل فأهدي إليه عوداً وكتب إليه: قد بعثت به أرسح البطن، أحذب الظهر، صافي الوتر رقيق الجلد، وثيق الملاوي كهينة طاليه، وملاحة محتضنه، وحسن الضارب به، وطرب المستمع له.

ومن أحسن ما قيل في جس الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ:

وكأن يمناها إذا ضربت بها

وقال ابن الحاجب^(٥):

إذا هي جستة حكمت متطبباً
يجيل يديه في مجس عروق
وقد استحسّن الناس هذا البيت، وأجازوه، وليس في طريقة الاختيار، لأن الطبيب يجس بيد واحدة، وكذلك الضارب فليس لذكر اليدين وجه.

ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون:

تناجيك بالصوت أوتارها فتوفيك ألسنة أحرفه

(١) الدعص: كتيب الرمل.

(٢) الأكفال: جمع الكفل: العجز أو ردفه.

(٣) دُست: من الثياب والورق.

(٤) الأهزاج والأرمال: ضربان من الإنشاد.

(٥) ابن الحاجب: هو علي بن عبد العزيز بن إبراهيم، شاعر، كاتب، بغدادى، كتب للطائع العباسي ثم للقادر. يُعرف بابن حاجب النعمان. مات سنة ٤٢٣ هـ (الأعلام: ٣٠/٤).

وأبين منه قول الناجم:

إذا نوت الضرب قبل الغناء
أنشدنا شعرها عودها
وقلت:

رُبَّ ليل كساكَ ثوبَ نعيم
وكؤوس جرّت وراء كؤوس
ولنا مزهراً كمثّل فطيم
وسَمُوا صدره بعاجٍ وذيل
مثل أرضٍ تحبّرت بأقاح
ذو ملاوٍ سود الفروع وخمر
ووسانين لا تجول عليه
أحمر الزير أسود البم أحوى
ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجس قول كشاجم:

وترى لها عوداً تحركه
ولم تحركه أناملها
جسته عالمة بحالته
فحسبت يمناها تحركه
وقال بعضهم في رقاد:

عجبت من رجليه تتبعاعته
كأن أفعيين تلسعانه
يعلوهما طوراً ويعلوانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الخمار، بمعاودة الشرب قول الأعشى:
وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها^(١)
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه، ولا يجوز أن يؤتى بمثله.
قال أبو انواس:

وداوني بالتي كانت هي الداء
فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله كانت هي الداء.
وقال المجنون:

كما يتداوى شارب الخمر بالخمر^(٢)

(١) خلاخيل: جمع خلخال: سوار تضعه المرأة في ساقها. مارد وظلوم: امرأتان.

(٢) الزير والبم: من أوتار العود. أحوى: في شفته سود. والأسود عموماً.

(٣) المدنف: المريض.

(٤) ديوان الأعشى: ١٧٣.

(٥) ديوان المجنون: ٧٠. وصدره: «تداويت من ليلي بليلى عن الهوى».

ولا يقع هذا مع قول الأعشى موقعاً.
ومثله قول البحري :

تدوايتُ من ليلى بليلى فما اشتفى من الداء من قد باتَ بالداءِ يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخصل :
أناخوا فجروا شاصيات
وقد مر .

وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :
ودنانٍ كمثلي صفٍّ رجالٍ
وقال العلوي الأصفهاني في الزق (٢) :

عجبتُ من حبشي لا حراكَ به لا يدركُ الشارَ إلا وهو مذبوحُ
طوراً يرى وهو ين الشرب مضطجعُ رغو الزقاقِ وطوراً وهو مشبوحُ
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره، وأخذ البيت الأول من قول (٣) بشار
يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طولِ صحبتِه لا ينفعُ الدهرَ إلا وهو محمومُ
وإن كان المعنيان مختلفين، إلا أن حذو الكلامين حذو واحد .
وقال ابن المعتز :

إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الزَّقْ أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرةً دكن الظواهر قد برنسن بالطين (٤)
مكافحات لحرِّ الشمس قائمة كأنهنَّ نبيطٌ في تباين
وقال آخر :

تحسبُ الزَّقْ إذا أسندته حبشياً قطعتُ منه الشوى
وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خزف :

مخدَّرةً مكنونةً قد تكشفتُ كراهبةً بينَ الحسانِ الأوانسِ (٥)
وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائل هي العُريُّ مقررٌ بها كلُّ لابسٍ

(١) الدستند : ضرب من الرقص . (معرب) . والدنان : أوعية الخمرة .

(٢) الزق : وعاء الخمرة .

(٣) ديوانه : ٦٠٣ . وفيه : «وصا حب نافع لي» .

(٤) مقيرة : شديدة الحموضة .

(٥) مخدَّرة مكنونة : مصنوعة .

مشعشعة مرهء ما خِلْتُ أنني أرى مثلها عذراء في زِيِّ عانس^(١)
المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة.

وقال آخر في الراووق^(٢):

كأنما الراووق وانتصابه خرطومُ فيلٍ سقطت أنيابه
وفيه:

سماءٍ لاذَ قطرها رحيقُ رَحْبُ الدُّرى ينحط فيه الضيقُ
ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى إذا ألهبها التصفيقُ
صحنا إلى جيراننا الحريقُ

وأنشد أبو عثمان:

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجلِ القصيرِ^(٣)
أدافعهن بالكفين عني وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بإقالة عند العثار^(٤).

في ضعف السكر:

فديتك لو علمت بضعفٍ سكري لما سقيتني إلا بمسعط
بحسبك أن خماراً بجانبى أمرُ ببابه فأكادُ أسقط
ولابن الرومي في نبذ حامض:

قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر قد ردّناه فاتخذهُ لسكبا
قد ردّناه فاتخذهُ على خوانك خلا واتخذهُ حموضةً فيه تحكي
أضرستنا حموضةً فيه تحكي

معنى آخر:

إسقني بالكبير إني كبير إنما يشربُ الصغيرَ الصغيرُ
لا يفرنك يا عبيد خشوعي تحتَ هذا الخشوع فسقٌ كثيرُ

وكان ابن عائشة ينشد:

لما رأيتُ الحظَّ، حظَّ الجاهلِ ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ

(١) مرهء: بيضاء.

(٢) الرواق: ما يُروَّق به الشراب.

(٣) الأنامل: الأصابع.

(٤) العثار: السقوط.

(٥) في الديوان: «خوانك أدما». والخوان: المائدة.

(٦) في الديوان: «ضجرة تعثريك».

فبتُّ من عقلي على مراحل^(١)

شربة نفضت سوادَ الشباب^(٢)
شاب أبصرتَ بازياً في غراب

إلا بصافي الشرابِ مقررٍ
نفست عنه خناق مزرور
كأنه صولجانٌ بللور

قصارُ رجال في المسول قعودُ

جيدُهُ نصفُ سائره
فاتن اللحظِ ساحره
ما جرى في خواطره

لها حنينٌ كحنين الغريبِ
بيضاء من جلدِ غزالٍ ربيبِ
نصنَ أشراكاً لصيد القلوبِ

رحلت عنا من كروم بابل
وقال غيره في نبذ الدبس :

علني أحمد من الدوشاب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لست بناف خمار مخمور
يطيرُ عن رأسه القناع إذا
يميلُ أعلاه وهو منتصبُ
وقلت :

وأبيض في أحشاء خضر كأنها
وبعضهم في الطنبور^(٣) :

مخطفُ الخصرِ أجوفُ
أنطقتهُ يدا فتى
فحكى عن ضميره
وقال آخر في المعزفة :

معلنةُ الأوتارِ صخابةُ
مكسوةُ أحشاؤها حلةُ
كأنما تسعةُ أوتاره

آخر الباب والحمد لله وحده

(١) بابل : مدينة عراقية مشهورة بالعنب .

(٢) الدوشاب : نبذ الدبس .

(٣) الطنبور : من آلات الموسيقى .

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً، شيد بنيانها، ووثق أركانها، فأمنها من التهافت، وبرأها من التفاوت ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾^(١) وصير لونها أوفق الألوان لأبصار الناظرين، وأحلاها في أنفس المتوسمين، وحبرها بالنجوم، وطرزها بالرجوم، وبيض أعلام صبحها، وسود ذوائب ليلها، وجلا غرة شمسها، ومسح صفحة قمرها، وقدره في منازلها، وخالف بين مناظره، لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق. وصلى الله على سيدنا محمد، سيد الأنبياء، وأكرم الأصفياء، وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً.

هذا كتاب المبالغة

في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر
وما يجري مع ذلك وهو:

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر النجوم

أحسن ما قيل في النجوم من الشعر القديم قول^(٢) امرئ القيس:
نظرتُ إليها والنجوم كأنها مصابيحُ رهبان تشبُّ لقُفال

(١) سورة الملك: آية ٣، ٤.

(٢) ديوانه: ١٤١. تشب: تُوقد. القُفال: العائدون.

وقول الآخر:

سرينا بليلٍ والنجوم كأنها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله:
ورأيت السماء كالبحر إلا
فيه ما يملأ العيون كبير
المعنى جيد وليس للألفاظ رونق.
وقال ابن طباطبا في معناه:

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز:
كأن سماءها لما تجلت
رياضُ بنفسج خضل نداه
إلا أنه مضمن.

وقلت:

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر
كأن بياض النجم في خضرة الدجى
وقلت:

كم سرور زرعْتُ بين الندامى
وتلوح النجوم في ظلمة الليل
وقلت:

بليل كما ترنو الغزالة أسود
كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها
وفي النجوم ما هو أبيض، ومنها ما هو أصفر وأحمر، فشبّه الأبيض بقبعة مفضضة،
والأصفر والأحمر بالمذهبة، والذهب يوصف بالحمرة والصفرة، ومثل هذا التمييز قليل في
الشعر.

وقال ابن المعتز.

(١) سرى: سار ليلاً.

(٢) الغلالة: الثوب الرقيق.

(٣) الرند: شجر طيب الرائحة.

(٤) الأبنوس: ضرب من الشجر.

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظُلمِ الدُّجى خِصاصاً أرى منه النهارَ وأنقاباً^(١)
وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول:
وردتُ عليها والنجومُ كأنها كُتائبُ جيشٍ شوّمتْ لكتائبٍ
وقلت:

وأنجم كبررب في شُهب كالشهب تجري في خلالِ خطب^(٢)
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول^(٣) امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أناء الوشاح المفصل^(٤)
وقد استحسّن الناس هذا البيت، في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه، ثم قال بعضهم،
وهو معيب، لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه، أي جانبه قال: والثريا تشق وسط السماء
شقاً.

وقالوا: أحسنه قول^(٥) ذي الرمة:

وردتُ اعتسافاً والثريا كأنها على قَمّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ محلّق^(٦)
وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت، فقال: ما هي بمتبددة ولكنها مرصوفة. قال أبو
هلال.

وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب وامرؤ القيس أيضاً أرادها حين تغيب،
لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب، وأحسن الوصف ما يتضمن أكثر صفات
الموصوف، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة البياض فقط. وأخذ معنى ابن الأسلت
بعض المحدثين فقال:

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
تبدو الثريا كفاجر شره يفتح فاه لأكل عنقود
والأول أجود لذكر^(٧) وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود أو أحمر.
وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: أجود ما قيل فيها قول الآخر:

(١) البيت في ديوان ابن المعتز: ٣٤.

(٢) ربرب: قطع.

(٣) ديوانه: ٣٩.

(٤) اثناء: واحدها ثني: وسط.

(٥) ديوان ذي الرمة: ٦٥.

(٦) ابن ماء: من الطيور.

(٧) فراغ في الأصل.

ولاحثٌ لساريها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسلٌ
أخذه ابن الرومي فقال^(١):

طَيِّبٌ طعمه إذا ذُقَتْ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرطٌ^(٢)
وقد قصر عن الأول أيضاً، ومثله قول أبي فضلة:

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيبٍ
فتخيرتُ لها التشبيبةَ بالمعنى المصيبِ
فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروبٍ

وقلت:

شربنا والنجومُ مغفراتُ تمرُّ كما تصدعتُ الزُحُوفُ
وقد أصغتُ إلى الغربِ الثريا دنو الدلو يسلمها الضعيفُ

وأجود ما قال فيها محدثٌ عندي قول بعضهم:

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج
وقد لمعتُ بينَ النجومِ كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج
وتروى لابن المعتز، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما.

وقال مخلد الموصلي:

وترى النجومَ المشرقاً تِ كأنها دُرُّ العِصَابهِ^(٣)
وترى الثريا وسطها وكأنها زَرْدُ الذَّوَابهِ^(٤)
وزرد الذَّوَابَةُ يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب.

وقال^(٥) ابن المعتز:

فناولنيها، والثرياً كأنها جنى نرجسٍ حياً الندامى به السَّاقِي
قالوا: لو قال باقة نرجس كأن أتم.

فقلت:

أراعي نجومَ الليل وهي كأنها نواظر ترنو من براقع سندسٍ
كأن الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجسٍ
وأشدني بعض العمال:

رُبَّ ليلٍ قطعتهُ بفنون من غناءٍ وقهوة ومُجُونِ^(٦)

(١) ديوانه: ٧٥/٤.

(٢) في ديوانه: «طيب ريقه».

(٣) العصابة: ما يُشد به على الرأس.

(٤) الذَّوَابَةُ: الضفيرة.

(٥) ديوانه: ٣٠٢.

(٦) القهوة: الخمرة.

والثريا كنسوة خفريات قد تجمعن للحديث المصون^(١)
وقد أحسن وأطراف. وقد أصاب القائل بعض وصفها في قوله:
كأن الثريا حلة النور منخل

وقال ابن المعتز:

ألا فاسقنيها والظلام مقوض
كأن الثريا في أواخر ليلها
وشبهت بالقدم.

قال^(٣) ابن المعتز:

قم، يا نديمي نصطبح بسواد
وأرى الثريا في السماء كأنها
وقلت:

كأن نهوض النجم والأفق أخضر
تبلج نغر تحت خضرة شارب
وقلت:

تلوح الثريا والظلام مقطب
تسير وراء الهلال أمامها
وقلت:

شمس هوت وهلال الأفق يتبعها
تبدو الثريا، وأمر الليل مجتمع
وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر:

وكأن الصبح لما
ملك أقبل في التا
وقلت:

وبالثريا أثر الخمود
في أنجم كربرب في ييد
كالنار لا تسعف بالوقود
يلوح في التصويب والتصعيد^(٥)
كشرفات فذن مشيد^(٦)

وقلت:

(١) نسوة خفريات: فيهن حياء.

(٢) مفضض: صنع من فضة.

(٣) ديوانه: ١٥٦.

(٤) الدملج: المعضد.

(٥) الربرب: القطيع من بقر الوحش. بيد: جمع بيداء: صحراء.

(٦) فذن: قصر.

قَمْ بَنَا نَطْرُدُ الهمومَ بكأسٍ والثريا لمفرق الليلِ تاجُ
وقد انجرتِ المجرةُ فيه كسبيبٍ يمدُّه نساجُ^(١)
وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستعارة:

رُبَّ ليلٍ وهتُ لآلى دُموعي فيه حتى وهتُ لآلى الثريا
ورِداءُ الدجى لبيسٌ دريسٌ بيدِ الصبحِ وهويطويه طيا^(٢)
وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر، وهو من المقلوب، لأن أنجم الثريا بيض والنقط على فخذ النمر سود.

وقال السري:

تري الثرياَ والبدر في قرْنٍ كما يحيا بنرجسٍ ملكُ
أجود ما قيل في الجوزاء من الشعر القديم قول كعب الغنوي^(٣):
وقد مالت الجوزاء حتى كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاة نزولُ^(٤)
ولو شبهها بفسطاط واحد كان أشبه.

ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا:
وقد هوى النجمُ والجوزاءُ تتبعهُ كذاتِ قُرطٍ أرادتُهُ وقد سقطا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف، والنجم اسم مخصوصة به الثريا.

وقال فيها وفي الشعرى العبور:

ولاحبتِ الشعرى وجوزاؤها كمثلِ رُمحٍ جرَّه رامحُ
وقلت:

سقاني والجوزاءُ يحكي شروقها طفوُ غريقٍ فوقَ ماءٍ مطحلبُ
وهذا وصفها عند طلوعها.

وقلت فيها حين توسط السماء:

شربتها والليلُ مُستوفزُ يجرُّ في جلبابه كوكبه
كأنما الجوزاءُ رَقاصَةٌ ترقصُ في منطقةٍ مذهبه
كأنها الجوزاءُ طبالةُ تحتضنُ الطبلَ على مرقبه
وقلت فيها عند غروبها:

إسقنيها والليلُ فرعُ عروس زَيْنُوهُ بدرةُ وُجْمانه^(٥)

(١) السبيب: الخصلة من الشعر.

(٢) ثوب لبيس دريس: خلَق.

(٣) الغنوي: هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي. شاعر جاهلي مات سنة ١٠ ق. هـ.

(٤) الجوزاء: من أبراج السماء. فساطيط: جمع فسطاط: مدينة.

(٥) الدرة والجمانة: اللآلئ الكبار والصغار.

وكأنَّ الجوزاء حينَ تهاوَتْ فارسٌ مالَ عن سِراةِ حصانه^(١)
وقال آخر:

وكأنَّ الجوزاء واطرُ قوم أخذوا وترهم بقطع يَدَيْه
وقد استحسَن قول العلوي الأصفهاني فيها:

وتلوخُ لي الجوزاءُ سكرى كلما ناءتُ بها الجرباءُ كادتُ تشني
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقتُ بقطعةِ جوشن^(٢)
الجرباءُ إسمٌ للسماء، وفي ألفاظها تكلف كما ترى والمعنى جيد.
وقلت:

وليلٍ أسود الجلبابِ داجٍ كفرع الخودِ أو عينِ الغزال^(٣)
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلةٌ مفجرةُ البُزال^(٤)
تميسُ بالحلي، قُرطُ الثريا إذا انخفضتُ وتوجَّ بالهلال
ركبتُ صدوره وتركتُ خيلي توالي تحت أنجمه التوالي
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال

ومن ظريف ما قيل في الشعري^(٥)، قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر:
أقولُ لما هاجَ شوقُ الذُكرى واعترضتُ وسطَ السماءِ الشعري
كانها ياقوتةٌ في مدرى ما أطولَ الليلَ بسرْمَرى^(٦)

وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور.

أحسن ما قيل في سهيل، وبعده من الكواكب قول بعضهم:
ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنه شهابٌ ينحيه عن الرُمحِ قابسُ
وقال ابن المعتز^(٧):

وقد لاحَ للساري سهيلٌ كأنه على كلِّ نجمٍ في السماء رقيبُ
وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرّان العود^(٨):

(١) سِراة الشيء: أعلاه.

(٢) الجوشن: الدرع.

(٣) الفرع: الشعر. الخود: الشابة.

(٤) في بعض النسخ: «زميرة مفجرة». ومفجرة البُزال: مثقوبة.

(٥) الشعري العبور والشعري الغُميقاء: أختا سهيل.

(٦) البدرى: المشط سرْمَرى: هي سر من رأى. مدينة في العراق كانت عاصمة للمعتصم العباسي.

(٧) ديوانه: ٧٠.

(٨) جرّان العود، شاعر وَصّاف. اسمه عامر بن الحارث النميري. أدرك الإسلام. (الأعلام: ٣/٢٥٠).

أراقبُ لمحاً من سهيلٍ كأنهُ إذا ما بدا من آخرِ الليلِ مطرفُ^(١)
وقلت:

وبسهيلِ رعدةً المزوودِ وهو من الأنجمِ في محيدِ^(٢)
حلَّ محلَّ الرّجلِ الطريدِ

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول:

كأن سهيلاً والنجومُ أمامهُ يعارضها راعٍ أمام قطعِ
أجود ما قيل في النسر الواقع قول الحماني:

وركب ثلاث كالأتافي تعاوروا دُجى الليل حتى أومضت سنة البدرِ
إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهرِ
وهو من اللغز المليح.

ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول^(٣) ابن المعتز:

ورنا إليّ الفرقدان كما رنت زرقاء تنظرُ من نقابٍ أسودِ^(٤)
وفي المجرة قول بعضهم:

كأن المجرة جدول ماءٍ نورُ الأقاحِ في جانبهِ
وقال ابن طباطبا:

مجرة كالماء إذا تفرقا شقت بها الظلماء بُرداً أزرقا
لباسُ ثكلى وشيها المشققا^(٥)

ونقله إلى موضع آخر فقال:

كأن التي حول المجرة أوردت فوجدته متكلفاً جداً.

فقلت في معناه:

ليل كما نفّض الغراب جناحه تبدو الكواكب من فتوق ظلامه
متبقع الأعلى بهيم الأسفل لمع الأسنة من فتون القسطل
وترى الكواكب في المجرة شرعاً مثل الطّباء كوارعاً في جدول
وقلت:

(١) (الأعلام: «أراقب لوحاً». . . . الليل يطرف».

(٢) المزوود: المذخور.

(٣) ديوانه: ١٤٠.

(٤) الفرقدان: نجمان. النقاب: الغطاء.

(٥) الثكلى: التي فقدت ولدها.

(٦) صبيب: ينصب.

تبدو المجرة، منجرّ ذوائبها كالماء ينساح أو كالآيم ينساب
 وزهرة بإزاء البدر واقفة كأنه غرض ينحوه نشاب
 أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي:
 كأن ابن مزنته جانحاً قسيطٌ لدى الأفق من خنصر
 أي كان ابن مزنته، وهو الهلال لدى الأفق، قسيط من خنصر، والقسيط القلامة. وهذا
 لبيت على غاية سوء الرصف.

وقد أخذ ابن المعتز فحسّنه في قوله^(١):
 ولاخ ضوء هلال، كاذ يفضحه مثل القلامة قد قُدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا:

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشفار
 كأن الذي أبقي لنا منه أفقه قصيص سوارٍ أو قراضة دينارٍ
 ولا خير في رصف قوله:

كأن الذي أبقي لنا منه أفقه ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز:
 إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
 كهامة الأسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه، ونقله إلى موضع آخر فقال^(٢):
 وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الأسود شابت لحيته
 ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً:

أهلاً بفطر قد أنار هلاله فالآن فاغذ إلى المدام وبكر
 وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلتة حمولة من عنبر
 وقال:

في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
 وقلت:

لست من عاشق أضل السبيل فسقى دمع الهطول طولاً
 برد الليل حين هبت شمالاً فجعلت الصلاء فيها الشمولاً^(٣)
 في هلال كأنه حيّة الرّم ——— ل أصابت على البقاع مقيلاً

(١) ديوانه: ٢١٩. وفيه: «كاذ يفضحنا».

(٢) ديوانه: ٤٢١. وفيه: «وقد بدت».

(٣) الصلاء: النار. الشمول: الخمرة.

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدُّجى إكليلاً
 وقلت: وكؤوس إذا دجى الليلُ أسرت
 وكأنَّ الهلالَ مرآةَ تبرٍ تحتَ سقفٍ مرصعٍ باللجين^(١)
 تنجلي كلَّ ليلةٍ أصبعين
 هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم.

وقلت في هلال شهر رمضان:
 جلبَ المجاعةَ ضامرٌ بخل طفلٌ ولكنَّ أمره عجبٌ
 قد خلت فيه لضعفه سلاً قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً
 ترَ مثله طفلاً ولا حملاً ترَ مثلها ليلتين فلم
 ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلةً كهلاً
 وقال السري:

قم يا غلامُ فهاتها في كأسها كالجلنارة في جنى نسرين^(٢)
 أو ما رأيت هلال شهركَ قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين
 جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس، إلا إذا كانت مملوءة، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه.
 وقال بعضهم:

والجرُّ صافٍ والهلالُ مشنَّفٌ كالزُّهرة الزُّهراءُ نحو المغربِ
 كصحيفةٍ زرقاءٍ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهبٍ
 جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها.
 وقلت:

والعيد زَيْنٌ للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
 يبدو، ويبدو النجم فوق جبينه وكأنَّ جُنحَ الليلِ ينقطُ نونا
 وقد استحسنت للعلوي الأصفهاني قوله:
 لاح الهلالُ فوثقَ مغربه والزهرة الزُّهراءُ لم تغب
 تهوي دوين مغيبها فهوت تبكي بدمعٍ غير منسكب
 فكانها أسماءٌ باكيةٌ عند انفصامِ سوارها الذهبِ
 ومن البديع قول الآخر:

لم أنس دجلةَ والهوى مُتضرِّمٌ والبدْرُ في أفقِ السماءِ مُغرَّبٌ
 فكانها فيه رداءٌ أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ

(١) اللجين: الفضة.

(٢) الجلنار: زهر الرمان الأحمر. والنسرين: من الزهور العطرية

حق الدجى أن تؤنث لأنها جمع دجية .

وقلت :

كأن الهلالَ الشهرَ قطعةً دملجٍ
ترى الزهرةَ الزهراء تهوي وراءه
ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة
كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت :

كم تناولت اللذاة من كشب
في ليلة قمرء تحسب أنها
ومن البديع قول (٢) ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدري
في قمرٍ مشرقٍ نصفه
فريسةً للبق منهوشةً
وقال في ذم القمر (٣) :

وبات كما سر أعداؤه
تعززه شررات البعوض
إذا رام قوتاً من النوم شد
في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

(١) الدملج : المعضد . العوس : الطوفان بالليل .

(٢) ديوانه : ٢٢٥ .

(٣) ديوانه : ١٦٩ .

الفصل الثاني من الباب السادس

في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه

فمن أحسن ذلك قول ذي الرمة:

وليل كجلباب العروسِ ادركته بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ^(١)
أحمَ عَلافي وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريٌّ وأروع ماجدٌ^(٢)
فأخذَه ابنُ المعتزِ ونقله إلى ما هو أطرف لفظاً منه وهو قوله^(٣):

وليل كجلباب الشبابِ قطعتهُ بفتيانِ صدقِ يملكونَ الأمانيا
جلبابِ الشبابِ أطرف من جلبابِ العروسِ.

قالوا: من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضرّس بن ربيعي^(٤):

وليلٌ يقولُ الناسُ من ظلماته سواءَ صحِيحاتُ العيونِ وعورُها^(٥)
كأنَّ لنا منه بيوتاً حصينةً مسوحٌ أعالِها وساجُ كسورها^(٦)
وقريب من هذا قول الأعرابي:

خرجنا في ليلة حندس، قد ألقت على الأرض أكارعها، فمحت صورة الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالأذان.

وقلت في هذا المعنى:

وليلةٌ كرجائي في بني زمني مُسوِّدةُ الوجهِ منسوباً إلى الفحمِ

(١) في الأصل: «ودعته ... بأربعة».

(٢) أحم: أسود. علافي: نسبة إلى علاف: حي من العرب. الأعيس: الأبيض. المهري: نسبة إلى مهرة: حي باليمن.

(٣) ديوان ذي الرمة: ٤١٧.

(٤) هو مضرّس بن ربيعي بن لقيط الأسدي. شاعر جاهلي حسن التشبيه.

(٥) في زهر الأداب: البيتان لابن محكان السعدي.

(٦) في زهر الأداب: «مسوحاً أعالِها وساجاً».

سَدَّتْ عَلَى نَظَرِ الرَّائِيْنَ مِنْهَجُهُ
 لَا أَسَامُ الْجَهْدَ فِيهَا أَنْ أَكَابِدُهُ
 أَحَاوِلُ النِّجْحَ فِي أَمْرِ أَزَاوِلُهُ
 وَمَنْ جِدَ التَّشْبِيهَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ:
 إِلَيْكَ هَتَكْنَا جَنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ (٣) أَبِي نَوَاسٍ:
 أَيْنَ لِي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرِيمِي
 وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ أَجُودَ، لِأَنَّ الْاِكْتِحَالَ بِالْإِثْمِ لَا بِالْقَارَةِ.
 وَأُظْرَفُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ (٤) مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ:
 أَجْدُكَ مَا تَدْرِيْنَ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ
 صِيرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بَغْرَةٌ
 وَقَدْ طَرَفَ الْقَائِلُ فِي قَوْلِهِ:
 لَا تَدْعُنِي لَصُبُوحٍ
 فَالَلَيْلُ لَوْنٌ شَبَابِي
 وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ:
 وَدَوِّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا
 أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ وَقَصُرَ:
 عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخَّ
 لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمَخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ «لَا طُخَّ جَوَانِبُهُ مِنْ ظِلْمَةِ بَمْدَادٍ» مِنْ بَعِيدِ الِاسْتِعَارَةِ.
 وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ:
 كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ
 فَقَالَ:

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ شَعْرِهَا
 شَبِيهَةٌ خَذِيهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
 فَوَقَعَ بَعِيداً عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ.

(١) الأَيْتِقُ: جَمْعُ النَّاقَةِ.

(٢) فِي دِيْوَانِهِ: ٩٣.

(٣) دِيْوَانُ أَبِي نَوَاسٍ: ٢٤٧. وَفِيهِ: «وَنَجْمُ اللَّيْلِ».

(٤) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ: ٣١٧/٥.

(٥) الصُّبُوحُ وَالْعَبُوقُ: شَرَابُ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ.

(٦) دِيْوَانُ ذِي الرِّمَّةِ: ٢٦١.

(٧) قَنْسَرِينَ: بَلَدٌ.

وقلت في معناه:

تسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها
تسكر من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ
ومن البديع في هذا المعنى قول^(١) ابن المعتز:

أرقت له، والركبُ ميلُ رؤوسهم
علاهم جليدُ الليل حتى كأنهم
إلى أن تعرى النجم من حلة الدُّجى
وقدوا أديمَ الفجر حتى ترفعت
وقال ديك الجن:

سيرضيك أني مسخطٌ فيك كاشحاً
وجانب ليلٍ تعلق قطعة
وقلت:

ومدّ علينا الليلُ ثوباً منمّقا
وصبحنا صُبحاً كأنّ ضياءه
وقال ابن المعتز:

فخلت الدُّجى والليلُ قد مدّ خيطه
وهو من قول الله تعالى: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٢). ومن أتم
أوصاف الظلمة، الذي ليس في كلام البشر، مثله قول^(٣) الله عز وجل: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾. وقال الأصفهاني
العلوي:

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ
لَامِعَةً فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا
تحملُ في الجوِّ سودَ راياتٍ
مثل الأزهير وسطَ رَوَاضِ

ولست أورد أكثر شعره، إلا لإصابة معناه، دون لفظه، لأن أكثر لفظه متكلف، وجل صنعته
فاسد، وهذا من العجب، لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره، وقد صنف كتاب عيار الشعر
فأجاده، وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه، لم يكمل له، فهو كالمسن يشحد ولا يقطع.
ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فنن:

(١) ديوانه: ١٨٠.

(٢) الضحضاح: الماء اليسير. الضحضح: جري السراب.

(٣) في الديوان: «حلق».

(٤) سورة البقرة: آية ١٨٧.

(٥) سورة النور: آية ٤٠.

أقولُ وجنحُ الدُّجى ملبدُ
ونحنُ ضجيعان في مسجدٍ
أيا ليلة الوصل لا تنفدي
يا غدُ إن كنت لي راحماً

وليل في كلِّ فجٍّ يدُ
فلله ما ضمنَ المسجدُ
كما ليلة الهجر لا تنفدُ
فلا تدنُ من ليلتي يا غدُ

وقال السري :

وشرَّد الصبحُ عنا الليلَ فاتضحت
وسطوره البيضُ في راياته السودِ

وقلت :

ليلٌ كفرع الخودِ تخلفه ضحى
عقت بأنفاس الرِّياض كأنما

زهراء مثل عوارض الزهراء^(١)
نفض الرقيب غلالة الدلتاء

وقلت :

والليلُ يمشي مشيةً الوثيدِ
والصبحُ في أخراه ثاني الجيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل، من الشعر القديم فقول^(٢) امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلتُ له تمطى بصلبه

عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليلتي
وأردف أعجازاً وناءً بكلكل^(٣)

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجل
بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل

وهذا من أفصح الكلام وأبرعه، إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب، وهو من أدل شيء على شدة الحب، والهم، لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه، فيما يكابده من الوجد والحزن، وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك، وهذا خلاف العادة، إلا أنه دخل في باب الغلو. والذي أخبرنا بما في العادة الطرماع في قوله^(٤) :

ألا أيها الليل الطويلُ ألا أصبح
فهذا معنى قول امرئ القيس، ثم استدرك فقال :

على أن للعينين في الصبح راحةً
فجاء بما لا يشك أحد في صحته، إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس موقعاً، والتكلف في قوله :

بطرحيهما طرفيهما كل مطرح

بين والكراهة فيه ظاهرة :

(١) الفرع : الشعر. الخود : الشابة.

(٢) ديوان امرئ القيس : ٤٨.

(٣) الكلكل : الصدر، وما بين الترقوتين.

(٤) الأغاني : ٣٥/١٢.

وقال^(١) ابن الدمينه في معنى قول الطرماح:

أظُلُّ نهارِي فيكم متعللاً ويجمعني والهَمَّ بالليلِ جامع

وقال المجنون:

يضمُّ إليَّ الليلُ أطفالَ حبها كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ^(٢)

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً، وفي هذا المعنى يقول^(٣) النابغة:

كليني لهَمَّ يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليل الذي يرعى النجوم بآيب^(٤)

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فجعل الهم يأوي إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة، تريحها الرعاة مع الليل إلى أماكنها، وهو أول من ذكر أن الهموم تزايد بالليل.

وقلت:

وذكرنيه البدر والليل دونه فبات بحدَّ الشوق والصبر يلعبُ

كذكرى الحمى والحي في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب^(٥)

فأزداد في جنح الظلام صباة فلا صعب إلا وهو بالليل أصعبُ

وقلت:

ورأيت الهموم بالليل أدهى وكذلك السرور بالليل أعذبُ

ومما استجدت من شعر أبي بكر الصولي^(٦) في معنى امرئ القيس قوله:

أسر القلب في هواه وسارا وتجني عليَّ ظلماً وجارا

فنهاري أراه للبعيد ليلاً وأرى للسهاد ليلى نهارا

أنت فرقت بالتفرق صبري فأعزني لما عراني اضطبارا

ويستجاد هذا، بالإضافة إلى جملة شعره، فأما لنفاسته لنفسه فلا.

وقال إسحاق الموصلي في معنى النابغة:

إن في الصبح راحةً لمحِبٍّ ومع الليل ناشئات الهموم

(٣) ابن الدمينه، عبدالله بن عبيد العامري، شاعر بدوي متغزل. قتل سنة ١٣٠ هـ. والبيت في الأغاني:

١٠/١٧.

(٢) البيت من شواهد اللسان: «بنق» وقال: يروي: «أثناء حبها». و«ابناء حبها». والبنائِق هي العرى التي تدخل فيها الأزرار. وأراد بالأطفال: الأحزان الناتجة عن الحب.

(٣) ديوان النابغة: ٤٨.

(٤) في الديوان: «يهدي النجوم». آيب: عائد.

(٥) أخلس: أشمط.

(٦) الصولي: أبو بكر، محمد بن يحيى بن عبد الله، يُعرف بالشطرنجي، عالم أديب من الندماء، له تصانيف.

مات سنة ٣٣٥ هـ (الأعلام: ١٣٦/٧).

وهذه اللفظة مأخوذة من قول^(١) الله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾
وقال طاهر بن علي بن سليمان :

إذا لآخ لي صبحٌ فهمي مقسم وفي الليل همي بالتفرد أطول
وتمنى بعض المثقلين بالدين ، المبتلين بالفقر ، دوام الليل لما يلقي بالنهار مع الغرماء ولما
يحتاج إليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليت النهار يعود ليلاً فإن الصبح يأتي بالهموم
حوائج لا تطيق لها قضاء ولا رداً وروعات الغريم
قوله «ولا رداً» من التميم الحسن .

وقال التنوخي في طول الليل :

وليلة كأنها طول الأمل ظلماً كالدهر ما فيه خلل
كأنما الإصباح فيها باطل أزهقه الله لحق فبطل
ساعاتها أطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
موصدة على الوري أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
وهذا يستملح وإن لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى ما ليس بمحسوس
في التشبيه رديء .

ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :

ويوم كظل الرمح قصر طولهُ دم الزقّ عنا واصطكاك المزاهر
وقال^(٢) البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد وأواخرهُ من بعد قطريه تلحق
وقال^(٣) ابن المعتز في نحوه :

وحلت عليه ليلةٌ أرحبيةٌ إذا ما صفا فيها الغديرُ تكذراً
بعيدة ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها حينَ بشر^(٤)
وقال :

بمخشية الأقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
كأن نجوم الليل في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد
يريد أن نجومه واقفة ، ليست تسير ، فكانها دراهم زيفت ليست تنقد .

وقد أبر بعض المحدثين ، على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :

(١) سورة المزمل : آية ٦ .

(٢) ديوانه : ٧٩ / ٢ ص .

(٣) ديوانه : ١٧٦ .

(٤) في الديوان : «طويلة ما» . . . «فيها فجرها» .

عهدي بنا ورداء الليل مُسَدَّدُ
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم
والليل أطوله كاللمح بالبصر
ليل الضرير فصبحي غير منتظر
وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم، إلا أنه لا يدخل في مختار الكلام،
لابتدال لفظه، وزيادته على معناه، وسوء صناعته، والمعنى أن ليله ممدود بلا انقضاء، كالليل
للضرير كله عند الضرير ليل.

وقال علي بن الخليل:
لا أظلم الليل ولا أدعي
ليلى كما شاءت قصير إذا
فأغار عليه ابن بسام فقال:

لا أظلم الليل ولا أدعي
ليلى كما شاءت فإن لم تزر
أن نجوم الليل ليست تغور
طال وإن زارت فليلى قصير
إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل.

وسمعت كافي الكفاة يقول لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده:

جُلُّ همي وهمتي جُرجانُ
فقال هذا المصراع خطبه، قال أبو هلال العسكري: وأنا أقول إن قوله: «ليلى كما شاءت
خطبه».

وقال سعيد بن حميد:
يا ليل بل يا أبد أنائم عنك غد
وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه:

ليست تزول ولكن تزيد

وقلت:

غابوا فلم أدر ما ألقى
ليلى لا يبتغي براحاً
مس من الوجيد أو جنون
أجيل في صفحتيه عيناً
ما تتلاقى لها جفون
وملح ابن الأحنف في قوله:

حدّثوني عن النهار حديثاً
وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال^(١):

لم يطل ليلى ولكن لم أنم
ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون:

(١) ديوانه: ٥٩١.

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الأكوار والليل غاسق
على أن زهيراً قد قال:

وكصفقة بالكف كان رقادي
والأول أفصح. وأنبأ العجاج أيضاً، عن العلة التي لها يطول الليل:
تطاول الليل على من لم ينم

وقال^(١) بشار:

لخديك من كفيك في كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد
وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب:

نام الخلي وبنت الليل مشتجرا
والاشتجار وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر:
نبئت نراعي الليل نرجو نفاذه وليس لليل العاشقين نفاذ^(٢)
وقال:

خليلي مات بال الدجى لا تزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح^(٣)
كان الدجى زادت وما زادت الدجى ولكن أطال الليل هم مبرح
وقال ديك الجن:

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا ما يعرف الليل إلا عاشق سهر
وقد أجاد ابن طباطبا العلوي القول في طول الليل وهو:
كأن نجوم الليل سارت نهارها ووافت عشاء وهي أنضاء أسفار
فخيم حتى تستريح ركبها فلا فلك جار ولا فلك ساري

وذكر خالد الكاتب أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيه وتبلده فقال:
لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقل
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مخلي
وتبعه أبو بكر الصولي فقال:

وطولت ليلى لو دريت بطوله ولكنه يمضي لما بي ولا أدري
وقال^(٤) بشار:

طال هذا الليل بل طال السهر ولقد أعرف ليلى بالقصر
لم يطل حتى دهاني بالهوى ناعم الأطراف فتان النظر^(٥)

(١) ديوانه: ٤٣٣. وفيه: «وجه الصباح».

(٢) ديوان بشار: ٤٣٣. وفيه: «نبئت نراعي الليل ترجو».

(٣) ديوان بشار: ٢٤٨.

(٤) ديوانه: ٥٢٤.

(٥) في الديوان: «جفاني شادن».

فكأنَّ الهجرَ شخصٌ مائلٌ كلما أبصره النومُ نفر^(١)،
وقلت:

صَيَّرَنِي الْبَيْنُ عَرْضَةَ الْحَيْنِ لا أربحَ اللّهَ صفقةَ البَيْنِ
قد طَالَ يَوْمِي وَلَيْلَتِي بِهِمْ لما يزالا بِهِمْ قَصِيرَيْنِ
كانَ قَلِيلاً لَدَيَّ مَكْشَهُمَا فكنتُ أدعوهُما الجديدينِ
فطالَ بعدَ الحبيبِ لِبْثُهُمَا فصرتُ أدعوهُما عتيقينِ
وقال آخر:

يا ليلة طألتَ على عاشقٍ متظّرٍ في الصبحِ ميعادا-
كادتُ تكونُ الحولَ في طولها إذا مضى أولُها عادا
أجود ما قيلَ في قصرِ الليلِ وأشدّه اختصاراً قول^(٢) إبراهيم بن العباس:
وليلة من الليالي الزُّهرِ قابلتُ فيها بدرها بيدري
لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجرٍ حتى تولّتْ وهي بِكرُ الدَّهرِ
وقال غيره:

وليلةٌ فيها قِصرٌ عشاؤها مثلُ السَّحرِ
وهذا على غاية الاختصار.

وقال العلوي الأصفهاني في قصر الليل واليوم:

ويوم دَجَنَ ذو ضميرٍ متهمٍ مثل سرورِ شابهٍ عارضٍ غمٍ
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنّه مستعرٌ قد ابتسمَ
ما زلتُ فيه عاكفاً على صنمٍ مُهفَهِفِ الكشحِ لذيذِ الملتزم^(٣)
تفاحه وقفَ على لثمٍ وشمٍ وبانة وقفَ على هصرٍ وضم^(٤)
يا طيّبه يوم تولى وانصرمَ وجُوده من قصرٍ مثلِ العدمِ
وقلت:

قصر العيشُ بأكناف الغضا وكذا العيشُ إذا طابَ قصر
في ليالٍ كأباهيم القطا لستُ تدري كيف تأتي وتمرّ
وقلت:

إذا البرق من شرقيّ دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرأً أغرَّ محجلاً نعمنا به في ظلِّ فينان مورق
فمرّ كرجعِ الطّرفِ ليس يردّه حينئذٍ إلى مخبورة المتعشقِ

(١) الأغاني: ٦١/١٠.

(٢) مهفهِف الكشح: ضامر الخصر.

(٣) الهصر: الجذب.

(٤) في الديوان: «وكانَ الهم».

وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقي
أخبرنا أبو أحمد أبو أحمد عن الصولي، عن محمد بن سعيد، عن أبي عكرمة قال:
أنشدت اعرابياً قول جرير^(١):

أبدّل الليل لأنسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال: هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني:

وليل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب^(٢)
نعيم الحب أورق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
بمجلس لذّة لم نقو فيه على الشكوى ولا عدّ الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجمت العيون عن القلوب

فقلت له: زدني فما رأيت أظرف منك شعراً، فقال أما من هذا فحسبك ولكن غيره.
وأنشدني:

وكنت إذا علقت حبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجنب الاساءة إن أساؤوا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي مشيئتهم وأترك ما أشاء
وأنشدنا عن محمد بن يزيد:

لله ليلتنا بجو سويقة والعيش غضّ والزمان غرير
طابت فقصر طيها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحاق الموصلي:

ظللنا في جوار أبي الجناب بيوم مثل سالفه الذباب
يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه، عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي، عن عيسى بن إسماعيل، قال:
سمعت الأصمعي يقول: قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله^(٣):

ويوم كإبهام القطاة محبب إليّ هواه غالب لي باطله^(٤)
رزقنا به الصيد العزيز، ولم نكن كمن نبه محرومة وجائله^(٥)
فيا لك يوم خيره قبل شره، تغيب واشيه وأقصر عاذله^(٥)

فقال: وبله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت: كذا قرأته على أبي عمرو، قال: صدقت

(١) ديوانه: ٤٩٢.

(٢) في زهر الآداب: «وقصر طوله وصل».

(٣) ديوان جرير: ٣٨٤. وفيه: «القطاة مزين... إلى صباه».

(٤) في الديوان: «رزقنا به الصيد الغزير، ولم أكن...».

(٥) في الديوان: «وذلك يوم خيره دون شره».

وقال: كذا قال جرير، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ، وما كان أبو عمرو وليقرئك إلا كما سمع، قلت: كيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال:

فيا لك يوماً خيره دون شره

فأروه هكذا، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء، فقلت: والله لا أرويه بعدها إلا هكذا.

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول^(١) أبي تمام:

وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثيرَ الطحلب

فقال: إنما قال «عن جلدة الماء» فقال: إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة، فمن حقها وحق قائلها أن تغير. قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد.

وقال ابن طباطبا:

بأبي من نعمت فيه بيوم لم يزل للسرور فيه نمو

يوم لهو قد التقى طرفاه فكأن العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره:

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد

وقلت:

وطال عمرُك في دهرٍ به قصرُ وقال القصافي^(٢):

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره

لذكركم ما أدري أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره

وبت أسقي الشوق حتى كأنني صريع مدام لم ينهنه دائره

وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثّل لي منكم خيالاً أسايره

فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعيي ورده ومصادره

أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تداني أوآخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال:

يا ليلة نسي الزمان بها احداثه كوني بلا فجر

راح الصباح ببدرها ووشّت فيها الصبا بمواقع القطر^(٣)

ثم انقضت والقلب يتبعها في حيث ما سقطت من الدهر^(٤)

وقلت:

وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها

(١) ديوان أبي تمام: ٣٦. (٢) الأبيات في ديوان ابن المعتز: ٢٢٦. الصبا: ريج.

(٣) لعلها من حيث.

(٤) لعله القطامي.

لست أدري أتمتعُ بها أم بزورِ الزور من خيالها
ومضى الليلُ سريعاً مثلما أنشطتْ دهماء من عقالها

الفصل الثالث من الباب السادس

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك أجود ما قيل في الصباح من شعر الأعراب

أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا أبو بكر ابن دريد، عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال:
نزلت بقوم من غنى وقد جاؤوا قبائل من بني عامر بن صعصعة، فحضرت ناديهم وهناك
شيخ طويل الصمت عالم بالشعر، قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية، فيجلسون إليه وينشدون
أشعارهم، فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجته، فينفذ حكمه على من حضر منهم بشاة،
إذا كان ذا غنم، وابن مخاض إن كان ذا إبل، فذبح أو نحر لأهل الوادي فقال حضرتهم يوماً
والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا:

غَدَّتْ فِي رَعِيلٍ ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بَلْبَاتُهَا مَرْبُوعَةٌ لَمْ تَمُرَّخْ^(١)
إِذَا سَرَبَخَ عَطَتْ مَجَالٍ سَرَائِهِ تَمَطَّعَتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبَخِ^(٢)

فقرع الشيخ الأرض بمحجته وهو صامت.
ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٣):

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِبَاتِهَا مُلَأَةٌ يَنْقِي مِنْ طَيَالِسَةٍ خُضِرَ^(٤)
تَخَالُ بِقَايَاهَا الَّتِي أَسَارَ الدُّجَى تَمُدُّ وَشِعَاءً فَوْقَ أَرْدِيَةِ الْفَجْرِ^(٥)
فقام الشيخ كالمجنون، مصلتاً سيفه، حتى خالط البرك^(٦) فجعل يضرب يميناً وشمالاً.
وهو يقول:

(٤). الطيالة: جمع الطيلسان: ثوب أسود له غطاء ل

(٥). أسارَ: ترك بقية. الوشيعه: النسيج.

(٦). البرك: الإبل.

(١). تمرّخ: تلّين. وفي الأصل: «بلباتها مدبوغة».

(٢). السربخ: الأرض الواسعة. عطت: شقت.

(٣). في الأصل: «يصف إبلا».

لا تُفرغن في أذنيَّ بعدها ما يستفزُّ فأريك فقدها
إني إذا السيفُ تولى ندها لا أستطيعُ بعد ذاك ردها
قال أبو هلال رحمه الله تعالى :

وهذا دليل على أن علم الشعر، والتمييز بين جيده ورديته، كان غريزاً عند أهل البوادي،
وهم أصوله ومنبعه ومعدته، وكان فعل هذا الشيخ، واستفزاز جيد الشعر له قريباً، مما روي عن
محمد الأمين، أنه قال: إني لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء.
ومن غريب ما قيل في الصبح، من الشعر القديم قوذي الرمة، وقد أجمع الناس على أنه
أحسن العرب تشبيهاً:

وقد لآح للساري الذي كمل السرى على أخريات الليل فتقُّ مشهراً
كلون الحصان الأنبط البطن قائماً تمايل عنه الجل واللون أشقر
وهذا أحسن تشبيه أكمله، الأنبط: الأبيض البطن، شبه بياض الصبح تحت حمرة بياض
بطن فرس أشقر.

أخذه ابن المعتز فقال:

وما راعنا إلا الصباح كأنه جلال قباطي على فرسٍ ورد
وقال أو قال غيره^(١):

بدا والصبح تحت الليل بادٍ كمهرٍ أشقرٍ مُرخى الجلال
ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز:

وقد رفع الفجر الظلام كأنه ظليمٌ على بيضٍ تكشف جانبه^(٢)
وقد أبدع أيضاً في قوله^(٣):

قد اغتدى والليل في جلبابه كالحبشي فر من أصحابه
والصبح قد كشف عن أنيابه كأنما يضحك من ذهابه
وقال^(٤) أبو نواس:

فقمْتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما جلا التيسمُ عن غرِّ الثنياتِ
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه.
وقال:

(١) ديوانه: ٣٣٦.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٧٦.

(٤) ديوان أبي نواس: ١١٧.

لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابهِ
وهذا من قول الآخر:

كطلعةِ الأشمطِ من بردِ سمل

وقال (١) ابن المعتز:

وقد قفوت الغيث ينطفُ دجنهُ والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشهلِ
وقلت:

باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثِ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال (٢) ابن المعتز:

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحما
وقال (٣):

والليل قد رقَّ وأصفى نجمهُ، واستوفز الصبحُ، ولما يتقب
معتريضاً بفجره في ليلةٍ كفرسٍ بيضاءَ دهماءَ اللَّب (٤)
وقال العلوي وأجاد المعنى:

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورَّدٌ مثلُ المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشعُ
وقلت:

إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلقُ
وجلل وجهَ الشمسِ بُردُ ممسكُ وقابلهُ للغربِ بُردُ ممشقُ
فلاح لنا من مَشرقِ الشمسِ مغربُ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مَشرقُ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعلَ فيه الفجرُ فهو يحرقُ
وصبحنا صبحُ كأنَّ ضياءهُ تعلمُ منا كيف يبهى ويُشرقُ
وقلت:

ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرزاتٍ بالصباحِ معلمه
أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في حلتِه المنمنه
قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرهُ ودرهمه
وقد وشى رداءهُ ورقمه

(١) ديوان ابن المعتز: ٣٢٥.

(٢) ديوان المعتز: ٣٥٣ ورواية البيت:

أغراكُ مني الهوى، فكيف ترى والجمرُ يُعدي بلونه الفَحَمُ

(٣) ديوانه: ٤٠. وفيه: «وأصفى نجمة». استوفز: استعد.

(٤) اللَّب: الصدر.

وقال بعض الأعراب:

والليل يطردُّ النهارُ ولا أرى كالليل يطردُّ النهارُ طريدا
وتراه مثل البيت مال رواقه هتك المقوض ستره الممدودا
وهذا شعر مطبوع.

وقال أبو نواس:

قد اغتدي والليل في حريمه معسكر في العز من نجومه
والصبح قد نسّم في أديمه يدعه بطرفي حيزومه^(١)
دع الوصي في قفا يتيمه
ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة^(٢):
على حين أثنى القوم خيراً على السرى وطار بأخرى الليل أجنحة الفجر
والنصف الأول من قول الآخر:

عند الصباح يحمد القوم السرى

وقال العلوي الأصفهاني:

وليل نصرتُ الغيَّ فيه على الرُّشد وأعديتُ فيه الهزلَ مني على الجدِّ
وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقي فظنَّ وشاتي أنني نائمٌ وحدي
إلى أن تجلّى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرطَ السيفُ اليماني من الغمدِ
وقلت:

حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعربِ
وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول:

قد اغتدي على الجيادِ الضمر والصبحُ قد أسفرَ أو لم يسفرَ^(٣)
كأنه غرّةٌ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصفرِ
ونجمه مثل السراج الأزهرِ

وقال الشمردل بن شريك^(٤):

ولاح ضوء الصبح فاستبيننا كما أرتنا المفرق الدهينا
وقال التنوخي:

والثريا كلواء
خافق من فوقٍ مرقبٍ

(١) الحيزوم: الصدر.

(٢) ابن وابصة: هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي، أمير، شاعر، من التابعين، دمشقي، تولى الرقّة لمحمد بن مروان ثلاثين سنة. مات سنة ١٢٥ هـ. (الأعلام: ٧٣/٣).

(٣) الضمر: جمع الضامر: غير السمين: أسفر: بان وظهر.

(٤) الشمردل بن شريك بن عبد الملك من بني ثعلبة، شاعر هجاء. مات سنة ٨٠ هـ.

وبدا الفجرُ كسيفٍ في يدِ الجوزاءِ مذهب
وقلت:

أديرا عليَّ الكأسَ والليلُ راحلُ وفي إثره للصبحِ بلقُ شوائلُ
ترفع عنه منكبُ الليلِ فانجلي كما ابتسمتُ لمياءَ والسترُ مائلُ
وقال التنوخي:

وبدا الصبحُ كالحسامِ علاه علق فوقَ شفرتيه متاع
وقال:

أسامره والليلُ أسودُ أورك إلى أن جلا الإصباحُ عن أشقرِ وردِ
تبسمُ محمراً خلالَ سواده تبسمُ وردِ الخدِّ في الصدغِ الجعدِ
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول (١) ابن المعتز:

ساروا وقد خضعتُ شمسُ الأصيلِ لهم حتى توقَّدَ في جنحِ الدُّجى الشفقُ
لحاجةٍ لم أضاجعَ دونها وسناً وربما جرَّ أسبابَ الكرى الأرقُ
وأبرق بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول (٢) ابن المعتز:
والصبحُ يتلو المشتري فكأنه غريانُ يمشي في الدُّجى بسراجِ
والناسُ يظنون أنه ابتدأه وابتكره، وإنما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب
والبرق:

تؤامِ الودقِ كالزُّاحِ ف يزجى خلفَ اطلّاحِ (٣)

صدوقِ البرقِ كالسكرِ ن يمشي خلفه الصّاحي

كأنَّ العازفَ الحنّى أوَّ أصواتِ نواحِ

على أرجائه والبر ق يهديه بمصباحِ

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لا خير فيه والمعنى بارد.

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول (٤) ابن المعتز:

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لحرَّ الهمومِ

وقلت:

وقد غدوتُ وصبغُ الليلِ متقصُّ وغرَّةُ الصبحِ مصقولُ حواشيها

وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها

(١) ديوانه: ٢٩٣.

(٢) ديوانه: ١١٧.

(٣) الودق: المطر. اطلّاح: جمع طلح وهو شجر عظام.

(٤) ديوانه: ٣٦٢. وفيه:

يلتقط الأنفاسُ بردَ الندى فيه فيهديه لحر السمومِ

فأما أجود ما قيل في الشمس مما أنشدناه أبو القاسم ، عن عبد الوهاب ، عن العقدي ، عن أبي جعفر ، عن ابن الأعرابي ، قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :
مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنبها فتخفى وأما بالنهار فتظهر^(١)
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فانجلي دجى الليل وانجابَ الحجابِ المستر
وألبسَ عرضَ الأرضِ لوناً كأنه على الأفقِ الشرقيِّ ثوبُ معصر
ولونِ كدرعِ الزعفرانِ مشبه شعاعِ يلوحُ فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علتْ وأبيضَ عنها اصفرارُها وجالت كما جالَ المليحُ المشهر
تري الظلَّ يطوى حينَ تعلق وتارةً تراه إذا مالتْ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتْ لمن يتبصر^(٢)
وأنتِ قروناً وهي في ذاك لم تزل تموتُ وتحيا كلَّ يومٍ وتنشر
وأنشدناه أيضاً أبو أحمد ، عن الصولي ، عن علي بن الصباح ، عن ابن أبي محلم ، على غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله :

وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالمرأة في كفِّ الأشل^(٣)
ونحوه قول أبي النجم :

وصارت الشمس كعين الأحوال

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعني الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتها را
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يغارا
فتستر غُرَّتَها بالخمارة طوراً وطوراً تزيل الخمارا^(٤)
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ خفي مدنف من خلفِ ستر
فتحاولُ فتقَّ غيم وهو يابى كعيني يريدُ نكاحَ بكر^(٥)
وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحككت من خلل الغيم طرفَ عمشاء
وقلت :

(١) جنبها : سترها .

(٢) تدنف : تمرض وتضعف .

(٣) الأشل : مقدار من الذرع .

(٤) الخمار : الغطاء .

(٥) العينين : الرجل لا يستطيع إتيان النساء .

فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ إذ هي رنقت
وقلت في يومِ صحو:

ملاً العيونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكانها عندَ انبساطِ شعاعِها
جَرتْ إذا بكرتْ ذُيولُ مَزْعَفِرٍ
فشربتها عذراءَ من يدٍ مثلها

وقال ابن طباطبا:

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها:
حتى علا الطودَ ذيلُ من أصائله
وقال أبو نواس:

قد اغتدي والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور:

كأنَّ خبَوَ الشمسِ ثم غروبها
تخاوضُ عينٍ بين أجفانها الكرى
ومن جيد ما قيل في احمرارها عند المغيب

وكأنها عند الغروب
وقال^(١) ابن الرومي وهو من المشهور:

إذا رَنَقَتْ شمسُ الأصيلِ ونفضت
وودَّعتِ الدُّنيا لتقضيَ نحبها

كما أشرقت فوق البرية زينب
ولكنَّ وجهَ الأرضِ فيها مُذهَّبُ
على الأفقِ الغربيِّ تبراً يذوبُ

صحوً يطالعنا بوجهٍ موني
وجهُ المليحة في الخمارِ الأزرقِ
تبرُّ يذوبُ على فروعِ المشرقِ^(١)
وتجرُّ إن راحتْ ذُيولُ ممشقي
تحكي الصباحَ مع الصباحِ المشرقِ

كأسماء إذ مدت عليها إزارها
كما يصفرُ فودي رأسه الحرفُ

مثل الكعابِ الخودِ في نقابها^(٢)

وقد جعلت في مجنح الليل تمرضُ^(٣)
يرتقُ فيها النومُ ثم تغمضُ^(٤)
قول ابن الحاجب^(٥):

بِ جُفُونٍ عَيْنِ الأرمَدِ

على الأفقِ الغربيِّ ورأساً مذدععا^(٧)
وشوّلَ باقي عمرها وتشعشعا^(٨)

(١) التبر: الذهب.

(٢) الكعاب الخود: المرأة الشابة.

(٣) ديوان ابن الرومي: ٦٢/٤.

(٤) في الأصل: «يرفق فيها».

(٥) هو عبد العزيز بن إبراهيم. أديب بغدادي متوفى سنة ٣٥١ هـ.

(٦) ديوانه: ١١٦/٤.

(٧) في الأصل: إذا أرفقت شمس.. الورس: نبات كالسمسم مذدعع: متفرق.

(٨) تشعشع: تفرّق.

ولاحظت النوار وهي مريضة
كما لاحظت عواده عين مدنف
وظلت عيون الروض تخضل بالندى
وبين إغضاء الفراق عليهما
وقال الآخر:

والشمس تؤذن بالشروق كأنها
وقال السري:

ومن قصور عليه مشرفة
بيض إذا الشمس حان مغربها

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب:
سبقت إذا ما الشمس عادت كأنها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي:
فإذا أشرق النهار تراها
وقلت:

ويخبطن الصباح إذا تبدى
وقلت:

وعلى الصباح غلالة فضية
فيها طراز من خيالك مذهّب^(٦)

آخر الباب السادس، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى الجزء الأول

(١) في الأصل: «لاحظت عوادها». المدنف: المريض.

(٢) في الديوان: «عيون النور الشجي: الحزين.

(٣) الخود: الشابة.

(٤) في الأصل: «على مشرفة».

(٥) في ديوانه أبي ذؤيب: «أضت كأنها». الصلاة: الجبهة. الليطه: مفرد. الليط: قشر القصبه.

(٦) الغلالة: الثوب الرقيق.

ديوان الملحماني

للمام الفروي الأديب
أبي هلال العسكري

ترعرع وضبط نفسه
أحمد حسن بسج

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة، وأياديه الخاصة والعامة، في إنشاء السحاب الثقال، وإجراء العذب الزلال، وتفجير البارد السلسال، ليغذوه به النجم والشجر، ويرب الحب والثمر، رحمة للأنام، ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق، شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله المختارين وعترته المنتخبين. وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون، في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها، وشرح مشكلها، وإيضاح أبوابها، وإدناء أسبابها، ليخف حملها، ويقرب تناولها، ويرغب فيها كل أحد، ويأخذ منها بنصيب، ويعترف منها بذنوب. وكنت جعلت كتابي، الموسوم بديوان المعاني، مشتملاً على اثني عشر باباً، يتضمنها خمسمائة ورقة، فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه، ويستقل نسخه، فجعلت كل باب منها كتاباً، ينفرد بنفسه، ويتميز من جنسه، ليقرب أمره ويسهل نسخه، ولتسرع الرغبة إليه، فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق.

هذا كتاب المبالغة

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين
والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو:

الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب^(١).

أخبرنا أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال: قال أبو عمرو
لذي الرمة: أي قول الشعراء في المطر أشعر؟ قال: قول^(٢) امرئ القيس:

دَيْمَةٌ هَظْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَّقَ الْأَرْضَ تَحْرَى وَتَدُرُ^(٣)

قوله طبق الأرض، غاية في صفة عموم السحاب، أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على
الإناء.

ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده، كاجادة ابن الرومي حيث يقول^(٤):

سَحَابٌ قَيْسَتْ بِالْبِلَادِ فَالْقَيْتْ غِطَاءٌ عَلَى أَغْوَارِهَا وَنَجْوِهَا
هَدَتْهَا النُّعَامَى مُثْقَلَاتٍ فَأَقْبَلَتْ تَهَادَى رُؤُوداً سِيرَهَا كَرَكُودِهَا
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها.
والبيت البليغ المشار إليه من أبيات امرئ القيس قوله^(٥):

(١) الضرب: المطر الخفيف.

(٢) ديوانه: ١٠٥.

(٣) الديمة الهظلاء: السحابة الماطرة. الوطف: السحاب الممتلئ ماء.

(٤) ديوانه: ١٢٨/٢.

(٥) ديوانه: ١٠٥.

وتَرى الشجرَاء في رَيْقِه كروُوس قُطعت فيها الخُمُر^(١)
الشجرَاء الأرض ذات الشجر، وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها إلا فروعها
فكيف يكون في شدته، وريق المطر أوله وأخفه، وشبه رؤوس الشجر خارجة من الماء برؤوس
قطعت عليها عمام، والخمار ههنا العمامة.

وقالوا : أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَاً في أفانين وبله كبيرُ رجالٍ في بجاد مُزْمَلٍ^(٢)

يقول كأن أبانا - هو جبل - من التفاف قطره، وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء، وخفض
مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خرب.

وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكلِّ مسيلٍ من تهامة بعد ما تقطع أقرانُ السحابِ عجيج

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً.

أخبرنا أبو أحمد، عن أبيه، عن عسل بن ذكوان، قال : قال الأصمعي : قلت لأبي عمرو ما
أحسن ما قيل في المطر فقال :

قول القائل^(٣) :

دانٍ مسفٍّ فَوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ يكادُ يدفعُهُ من قامٍ بالراح^(٤)

فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح^(٥)

يقول : قد عم هذا السحاب، فاستوى في شيم برقه، وأصاب مطره المنجد والغائر،
والمستكن والمصحّر، قرب من الأرض لثقله بالماء، حتى يكاد يدفعه القائم براحته وهذا غاية
الوصف.

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد،
عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال : سألت أعرابياً من عامر بن صعصعة، عن مطرٍ
أصاب بلادهم، فقال :

نشأ عارضاً فطلع ناهضاً، ثم ابتسم وامضاً، فاعترض الأمطار فأعشاها، وامتد في الآفاق
فغطاها، ثم ارتجز فهمهم، ثم دوى فأظلم، فأرك ودث وبغش، ثم قطقط فأفرط، ثم ديم

(١) الشجرَاء : جماعة الشجر. ريقه : أوله. الخُمُر : جمع خمار : غطاء المرأة.

(٢) في ديوان امرئ القيس : « أفانين ودقه » و « كبير أناس ». والويل : المطر الغزير. البجاد : الكساء المخطط.
مزمل : ملفف.

(٣) البيت في ديوان أوس بن حجر : ١٥. وكذلك في ديوان عبيد بن الأبرص : ٥٣.

(٤) مسفٍّ : شديد الدنو. هيدبه : ما تدلّى منه.

(٥) القرواح : الأرض المستوية.

فأغمط، ثم ركذ فأجثم، ثم وبل فشح وجاد، فأنعم فقمس الربى، وأفرط الزبى سبعاً تباعاً، لا يريد انقشاعاً، حتى ارتوت الحزون، وتضحضحت المتون، ساقه ربك إلى حيث شاء، كما جلبه من حيث شاء.

الذث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار، وقوله أنعم أي بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً، وقمس أي غوص، وأفرط ملأ. والزبى جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد، ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها، ولا تحفر إلا في مكان عال، فإذا بلغها السيل فهو الغاية، وفي المثل «بلغ السيل الزبى»^(١). والمتن صلابة من الأرض فيها ارتفاع، وتضحضح أي صار عليه ضحضاح^(٢)، وهو الماء يجري على وجه الأرض رقيقاً.

وأنشدنا أبوأحمد، عن أبيه، عن ابن أبي طاهر، عن ابن الأعرابي لأعرابية:

فبينما نرمقُ أحشاءنا	أضياء لنا عارضُ فاستنارا ^(٣)
فأقبل يزحف زحف الكسير	سياق الرعاء البطاء العشارا
تغني وتضحك حافاته	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأننا تضيء لنا حُرة	تشدُّ إزاراً وتلقي إزارا
فلما حسبنا بأن لانجاء	وأن لا يكون فرارُ فرارا
أشارَ له أمرٌ فوقه	هَلُم فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها:

تبسمت الريحُ ريحُ الجنوب	فهاجتُ هوىً غالياً وأدكارا
وساقتُ سحاباً كمثل الجبال	إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا
إذا الرعدُ جلجل في جانيه	فروى النبات وأروى الصحارى
تطالعنا الشمسُ من دونه	طلاع فتاةٍ تخافُ اشتهارا
تخاف الرقيب على سرِّها	وتحذرُ من زوجها أن يغارا
فتسترُ غُرَّتْها بالخمارة	طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا ^(٤)

وقد مرت هذه الأبيات الثلاثة قبل:

فلما مراها هبوبُ الجنوب	وانهمرَ الماءُ منه انهارا
تبسمت الأرض لما بكت	عليها الساءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الأقحوان	وكان الضواحكُ منها البهارا

(١) جمهرة الأمثال: ١/ ١٨٠.

(٢) الضحضاح: الماء اليسير.

(٣) رُمقة من العيش: بُلغة، شيء قليل.

(٤) الخمار: الغطاء.

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل^(١) في سحب:

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ
ثقلت كلاءه وأنهرت أصلابه
عَدَقَ يُتَجُّ بالأباطح فرقا
وكأن ريقه ولما يحتفل
غر محجلة دوالح ضمنت
سحماً فهنَّ إذا كظمن فواحمٌ
لو كان من لجج السواحل ماؤه
بمدامع لم تمرها الأقذاء
ضحك يؤلف بينه وبكاء
وتبعجت من مائه الأحشاء^(٢)
تلد السيول وما لها اسلاء^(٣)
ودق السحاب عجاجة كدراء
حفَل اللقاح وكلها عذراء
وإذا ضحكَن فإِنَّهِنَّ وضاء^(٤)
لم يبق من لجج السواحل ماء

ومن هذا البيت، أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة، في قول الفلاسفة: المطر إنما هو البخارات ترتفع من البحر، قالوا لهم: لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت: لا يلزم ذلك لأن البحر مغيض لمياه الأرض فمصيبر ما يتحلب من الثلوج إليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا أن ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار، وينقص عند قلتها، والعادة في ذلك معروفة، ولو كان الأمر على ما يقولون، لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لا محالة، لأن الشمس والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم، والكلام فيه يتسع وإنما أشرت إلى موضع الدلالة على فساد قولهم.

وقال النظار الفقعي:

يا صاحبي أعيناني بطرفكما
أبصرته حين غاب النجم وانسفرت
فبات ينهض بالوادي وجلهته
حيران سكران يغشى كل رايية
مفرق لدماء الأرض منهمر
كأن بُلُقاً غراباً تحت ريقه
أني تشيمان برق العارض الساري^(٥)
عنا غفائر من دجن وأمطار^(٦)
نهض الكسير بذئ أوتين جرار
من الروابي بأرجاف وأضرار
رعاب أفئدة شعال أبصار^(٧)
عوداً تذب برمح عند إمهار^(٨)

(١) الشعر والشعراء: ٣٤/١.

(٢) تبعج السحاب: انفرج في الودق.

(٣) اسلاء: جمع سلى وهي جلدة يكون فيها الولد عند ولادته.

(٤) سحماً فواهم: سود.

(٥) شام البرق: نظر إليه.

(٦) الغفائر: جمع غفارة وهي ما يوضع على الرأس.

(٧) دماء الأرض: ما التبسط منها.

(٨) بُلُق: سود وبيض.

وشبه البرق برمح الأبلق، وهو من قول^(١) أوس بن حجر:

كَأَنَّ رَيْقَهُ لَمَّا عَلَا شَيْطَباً أَقْرَابُ أَبْلَقٍ يَنْفِي الْخَيْلَ رِمَاحٍ^(٢)

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الأعرابية التي سألتها ذو الرمة عن الغيث فقالت: غشنا ما شئنا. فكان ذو الرمة يقول قاتلها الله ما أفصحها. وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال^(٣):

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالٌ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطْرُ^(٤)
فقليل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها، لأن القطر إذا دامت فيها فسدت. والجيد قول^(٥) طرفة:

فَسَقَى بِلَادَكَ، غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(٦)
وقال أعرابي:

أصابتنا سحابة، وإنا لبنوطة بعيدة الأرجاء، فاهر مع مطرها حتى رأيتنا وما رأينا غير السماء والماء، وصهوات الطلح، فضرب السيل النجاف، وملأ الأودية فرعها، فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى. قوله: «ما رأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح» غاية في صفة كثرة المطر. وأخبرنا أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر، فلقي أعرابياً فأمر بإحضاره، فأتي به فقال: كيف تركت الأرض وراءك؟ قال: «فيح رحاب، منها السهولة ومنها الصعاب، منوطة بجبالها حاملة أثقالها». قال: إنما عن السماء سألتك. قال: مطلة مستقلة على غير سيقاب^(٧) ولا أطناب، يختلف عصرها، ويتعاقب سراجها، قال: ليس عن هذا أسألك. قال: فسل عما بدا لك قال: هل أصاب الأرض غيث يوصف؟ قال: نعم أغمطت^(٨) السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت^(٩)، ورسفت، ثم خرجت من أرض قومي أفروها متواصية لا خطيطة منها حتى هبطت

(١) ديوانه: ١٥.

(٢) شطب: اسم جبل.

(٣) ديوان ذي الرمة: ٣٦.

(٤) المطر المنهل: الذي يصب صباً. الجرعاء: منبسط الرمل.

(٥) ديوان طرفة: ١١٩.

(٦) الصوب: المطر المنصب. الديمة: المطر الدائم. تهمي: تهطل.

(٧) سيقاب: جمع سَقَب: عامود.

(٨) اغمطت: دامت.

(٩) ثَرَتْ وَاَرَزَغَتْ: تَبَلَّلَتْ.

هبطت تعشار، فتداعى السحاب من الأقطار، فجاء السيل الجرار، فغفا الآثار، وملأ الجفار^(١)، وقوب^(٢) الأشجار، وأحجر الحضار، ومنع السفار ثم ألقع عن نفع وإضرار، فلما اتلأبت^(٣) في الغيطان ووضحت السبل في القيعان، تطلعت رقاب العنان، من أقطار الأعنان، فلم أجد وزراً إلا الغيران، فقات وجار الضب، فعادت السهول كالبحار، تتلاطم بالتيار، والحزون متلفعة بالغناء، والوحوش مقدوفة على الأرجاء، فما زلت أطأ السماء، وأخوض الماء، حتى أطلعت أرضكم اهـ.

أغمطت السماء دام مطرها، رهواً ساكتاً، ثرت: تركته ثرية^(٤)، أرزعت: تركت الأرض في رزعة، والرزعة والردغة: الطين إذا غطى القدم، رسغت: بلغت الرسغ، متواصية: متصلة، والهطيطة والخطيطة: أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين، وتعشار: موضع، والعنان: السحاب والأعنان: نواحي الشخب فقأت من القي وجار الضب وهو عندهم غاية ما يوصف به المطر، وهو عندهم الذي يجر الضب من وجارها فيخرجها، من كثرة سيله. وقوله: «والحزون متلفعة بالغناء» يقول: بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها فبقي الغناء في موضعه. ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم:

وقع مطر صغار، وقطر كبار، وكأن الصغار لحمه للكبار، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكاثفه.

ومن أجود ما قاله محدث، في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق، ما أنشدناه أبو أحمد عن نفطويه للعتابي^(٥):

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق	يخفيه طوراً ويديه لنا الأفق
كأنه غرة شهباء لائحة	في وجه دهماء ما في جلدها بلى ^(٦)
أو ثغر زنجية تفرّ ضاحكة	تبدو مشافرها طوراً وتنطق
أو سلة البيض في جأواء مظلمة	وقد تلقت ظباها البيض والدرق ^(٧)
والغيم كالثوب في الأفاق منتشر	من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لا فتق فيه فان	سالت عواليه قلت الثوب منفتح

(١) الجفار: الآبار.

(٢) القوب: حفر الأرض.

(٣) اتلأبت الأمر: استقام.

(٤) ثرية: التراب المبلل.

(٥) العتابي: هو كلثوم بن عمرو التغلبي، أبو عمرو. شاعر محسن وكاتب رسائل. مات سنة ٢٢٠ هـ. (الأعلام:

٢٣١/٥).

(٦) الشَّهَب: بياض يصدعه سواد. دهماء: سواد.

(٧) البيض: السيوف، الجأواء: الأرض الغليظة. الظبا: حدود السيوف.

أو لآلأ البرق فيه قلت يحترق
تغشى إذا نظرت من برقه الحدق
والبرق مؤتلق والماء منبعق^(١)
كأنه الوشي والديباج والسرق
وأصفر فاقع أو أبيض يقق

والماء من ناره يهمي فينبعق
كأنها غرة في الطرف أو بلق
إلا تحدر من حافته ورق
سلاسل التبر لا يبدو لها حلق
والغيث منبجس والسيول مندقق
والجزع فيما جرى من سيله شرق
والروض وشي وأنوار الرب سرق^(٢)
والعشب يجلوه نور أبيض يقق

وثلوج يذيبها العصران
هل تأملت مزحف الأفعوان
وهو حيث استطار سيف يمان

يا دار جادك وابل وسقاك
لم يمخ من قلبي الهوى ومحاك
دُم المنازل كلهن سواك
ممساك ذا الأصل أو مفداك
أم أرضك الميثاء أم رباك^(٣)
أو فت فأر المسك فوق نراك

إن مَعَمَع الرعد فيه قلت ينخرق
تستك من رعدِه أذن السميع كما
فالرعد صهلق والريح منخرق
قد حال فوق الرُب نور له أرج
من صفرة بينها حمراء قانية
فاستحسن هذه الطريقة فقلت:

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق
توقدت في أديم الأرض حمرة
ما امتد منها على أرجائه ذهب
كأنها في جبين المزن إذ لمعت
فالرعد مرتجس والبرق مختلس
والضال فيما طما من مائه غرق
والغيم خز وأنهاء اللوى زرد
والروض يزهوة عشب أخضر نصر
ومما ورد في المياه^(٤) .

من سيول يمجه الواديان
ذو استواء إذا جرى والتواء
فهو حيث استدار وقف لجين

وقال^(٥) ابن المعتز:

لا مثل منزلة الدويرة منزل
بؤساً لدهر غيرتك صروفه
لم يحل بالعينين بعدك منظر
أي المعاهد منك أنذب طيبة
أم برد ظلك ذي الغصون وذو الحيا
وكانما سطعت مجامر عنبر

(١) الصهلق من الأصوات: الشديد.

(٢) السرق: شقق الحرير الأبيض أنهاء: جمع نهى انتهى الرمل الذي يسكن إليه الماء.

(٣) بياض في النسخ.

(٤) ديوانه: ٣١٢.

(٥) الأرض الميثاء: السهلة.

وكانما حصباء أرضك جَوْهَرٌ وكان ماء الوردِ دمعُ نَدَاكِ
 وكان دِرْعاً مُفَرَّغاً من فِضَّةٍ ماء الغدير جَرَتْ عليه صَبَاكِ
 وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار.

وقلت:

شققن بنا تيارَ بحر كأنه ترى مستقرَّ الماءِ منه كأنه
 ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت فإن تسكن الأرواح خلَّتْ متونهُ
 فطوراً تراه وهو سيفٌ مهندٌ فصعد فيه وهو زُرْقُ جِمامه
 نصعدُ أنا في السماء نصعدُ

وقال ابن طباطبا العلوي في مدِّ الوادي:

يا حسن وادينا ومدَّ الماءِ يختالُ في حُلَّتِه الكدراءُ
 يصفحُ الرياحُ في الهواءِ جماءٌ قد شُدتْ إلى جِماءِ
 من كدرٍ ينجابُ عن صفاءِ تقشع الغيمُ عن السماءِ

وقال السري في المد وانقطاع الجسر ببغداد:

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت فظلت صغارُ السفن يرقصن وسطها
 تغرقها هوج الرياح وتعتلي فهن كدهم الخيل جالت صفوها
 كأن صفوف الطير عاذت بأرضها أو الشبح المسود حُلَّتْ عُقودُهُ

وقلت:

مَرَرْتُ بنهر المِسْرُقانِ عشيَّةً كأنهم دُرٌّ تقطعُ سلكهُ
 فأبصرتُ أقماراً تروحُ وتغربُ وغودرَ فوق الماءِ يطفو ويرسبُ

(١) النِّهَامِي: الحَدَّاد.

(٢) الغبراء: الأرض. والكدراء: السوداء.

(٣) بدر إليه: عجل إليه.

فَيَا مَنْ رَأَى خَشْفًا عَلَى الْمَاءِ يَلْعَبُ^(١)
تَجِيءُ عَلَى زُرْقِ الزَّجَاجِ وَتَذْهَبُ

مِنْهَا إِلَى شَطِّ وَشَطِّ
الْأَمْوَاجِ وَالْأَمْوَاجِ بَطِّ

مِنْ ذَهَبِ الزَّهْرِ لَجِينِ الْمَاءِ
بَيْنَ اسْتَوَاءٍ مِنْهُ وَالتَّوَاءِ
جَوْنَةُ الْحَوَاءِ

وَالْمَاءِ فِي بَرْكِ الرَّبِيعِ
فِي الذَّهَابِ وَفِي الرَّجُوعِ
نَحْ حَلَقِ الدَّرُوعِ

مَسْجُورَةٌ مَتَجَاوِزُ قُلَامِهَا
مِنْهُ مُصْرَعُ غَابَةِ وَقِيَامِهَا

نَغْضُ الطَّرْفِ كَالْأَبْلِ الْقِمَاحِ
تَذَكَّرَ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْجُنَاحِ

فَكَمْ ثَمَّ مَنْ خَشَفَ عَلَى الْمَاءِ لَاعِبٌ
كَأَنَّ السَّمِيرِيَّاتِ فِيهِ عَقَارِبُ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّنُوبَرِيُّ :

إِذَا السَّمَاءُ أَعْنَقَتْ
حَسِبْتُ أَنَّ بَطِّهَا
وَقَالَ :

وَرَوْضَةٌ أَرِيضَةٌ الْأَرْجَاءِ
يَجْرِي عَلَى زَمَرْدِ الْحَصْبَاءِ
كَمَا نَفَضْتُ

وَقَالَ^(٢) أَبُو فَرَّاسٍ بْنُ حَمْدَانَ :

أَنْظُرْ إِلَى الزَّهْرِ الْبَدِيعِ
وَإِذَا الرِّيحُ جَرَتْ عَلَيْهِ
نَثَرَتْ عَلَى بَيْضِ الصَّفَا

وَمَنْ أَوَائِلُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ الْمَاءِ الْمَظْلَلِ
فَتَوَسَّطَا عَرَضَ السَّمَاءِ فَصَدَعَا
مَحْفُوفَةً وَسَطَ الْبَرَاكِ يَظْلِلُهَا
وَقَالَ^(٤) بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ فِي الْبَحْرِ :

وَنَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قَعُودُ
إِذَا قَطَعْتَ بِرَاكِبِهَا خَلِيجًا

(١) الخشف: ولد الظبي .

(٢) ديوان: ١٨٩ .

(٣) ديوانه: ١٧٠ .

(٤) الشعر والشعراء: ١٩٠/١ .

الفصل الثاني من الباب السابع

في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد، عن رجاله، عن أبي عمرو، وغيره قالوا: أجود ما قيل في وصف روضة قول^(١) الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جادَ عليها مسبلٌ هَطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبتِ مكتهلٌ
يوماً بأطيب منها نشرٌ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ
قال المصنف:

خص العشي، لأن كون الانسان بالعشي أحسن منه بالغداة، لرقه تعلوه بالعشي وتهيج يعتاده بالغداة، وتعتری الألوان بالعشيات، صفة قليلة تستحسن، ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر.
ومن هذا قوله أيضاً:

وصفراء العشية كالعرارة

وقال بعضهم: بل خص العشي لنقصان الحسن فيه، قال: فشبها في نقصان الحسن، بالروضة في حال تمام حسنها، وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي.

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم:

وروض أحجم الروادُ عنه له نَقْلٌ وَحَوْدَانٌ تَوَامٌ^(٢)

تعالى نبتُه واعتَمَّ حتى كأن منابت العُلجان شامٌ^(٣)

الشام: جمع شامة أي ظاهر كظهور الشامة في الوجه، ويقال: ما أنت إلا شامة أي أمرك

ظاهر.

(١) نيبان الأعشى: ٥٧.

(٢) النَّقْلُ والحَوْدَان: ضربان من النبات.

(٣) العُلجان: نبت. وهو جماعة العضاء.

وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلي :

مِثَاءٌ جَادَ عَلَيْهَا مَسْبَلٌ هَاطِلٌ	فأمرعت لاحتِيال فرطَ أعوامٍ
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا دِيمٌ	من كوكب نازلٍ بالماء سجامٍ
لَمْ يَرَعَهَا أَحَدٌ وَارْتَبَهَا زَمْنَا	فأَوَّ من الأرض محفوفٌ بأعلامٍ
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا رَجَلًا	كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصَوَاتُ خُدَامٍ
كَأَنَّ رِيحَ خَزَامَاهَا وَخَنَوَتَهَا	بالليل رِيحٌ يَلْنَجُوجٌ وَأَهْضَامٌ ^(١)

ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره.

ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلاء، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن عمه، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال :

خطب ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها، فارتضت أنسابهم وجمالهم، وأرادت أن تسير عقولهم فقالت لهم : إني أريد أن ترتادوا إلى مرعى، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت؟ قال : رأيت بقلًا وبقيلًا، وماءً غدقًا سيلًا، يحسبه الجاهل ليلاً قالت : أمرت. وقال الآخر : رأيت ديمة فوق ديمة، على عهد غير قديمة، فالناب تشبع قبل الفطيمة.

وقال الثالث : رأيت نبتاً تعداً معداً متراكباً، جعداً، كأفخاذ نساء بني سعد، تشبع منه الناب وهي تعدو. اهـ.

بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير قد نشأ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته، والديمة المطر يدوم أياماً في سكون ولين، والعهد أول ما يصيب الأرض من المطر الواحد عهد، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلاء وهي قائمة لا تطلبه ولا تبرح موضعها، والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل. وهذه صفة بليغة.

وأبلغ منها قول الآخر : تشبع منه الناب وهي تعدو أي من طول النبات وكثرته وعمومه، تعدو وتأكُل لا تحتاج إلى تتبعه وطأ طأ رأسها له. ولا أعرف في جميع ما وصف به كثرة الكلاء أبلغ من هذا. والثعد : الرطب اللين والمعد اتباع. والثرى الجعد : الذي قد كثر ندهاء فإذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد، وخص نساء بني سعد لأن الأدمة فيهم فاشية. ومن أبلغ ما قيل في طول الكلاء قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب :

أَرَعَيْتُهَا أَطْيَبَ أَرْضٍ عَوْدَا	الصِّلِّ والصَّفْلُ واليَعْضِيدَا ^(٢)
وَالْخَزَابِازِ السَّنَمِ الْمَجُودَا	بَحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

يقول : قد سد النبات، من طوله وسبوغه، مسعوداً فليس يراه عامر، فهو يصيح به، الصل

(١) الخزامي والحنة : نبتان طيبا الرائحة. الينجوج : السند ومثله الأهضام.

(٢) الصَّفْلُ واليعضيد : نبتان من البقول.

والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة إنما اخترتها لجودة معناها .
ونظر أعرابي إلى يوم دجن ، وإلى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالاً :

أنتَ والله من الأيدِ نام لَدُنَّ الطَّرَفَيْنِ
كلما قلبتُ عي نبي فففي قرّة عينٍ

وقلت :

أتاهُ يُريدُ المزنَ يشدهُ الصبا فدَوَّمَ من أعلى رُباه ودَّيما
ولاح إليه بالبروقِ مُطرزاً فأصبح منها بالزواهر معلما

ومن بديع ما قاله محدث ، في صفة الرياض والبساتين ، قول عبد الصمد بن المعدّل
أنشدناه أبو أحمد وغيره :

مغانٍ من العيش الغرير ومَعمر
نما الروضُ منه في غداةٍ مَريعةٍ
تري لامعَ الأنوارِ فيها كأنه
تَسابقٌ فيه الأقحوانُ وَحَنوةٌ
يَمجُّ ثراها فيه عفراء جعدة
أَعادَ نسيمُ الريحِ أنفاسَ نشره
بدا الشيخُ والقيصومُ عند فروعه
وناضرُ رمانٍ يرفُّ شكيره
ويَناعُ تفاحٌ كأنَّ جنيّه
إذا زرتَه يوماً تَغرد طائرُ
فإذا هاجَ نوحُ الأيكِ في رونقِ الضحى
تجاوينَ بالترجيعِ حتى كأنما
مرانةٌ موموقٍ وترجيعٌ شائقٍ
واني إلى صحنِ العذيبِ لتائقٍ
مرعت ولا زالت تصوبك ديمةً
أحم الكلى واهي العرى مسبل الجدى

ومبدي أنيقٌ بالعذيب ومَحضرُ
لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أَزهرُ
إذا اعترضته العينُ وشيُّ مُدَنرُ^(١)
وساماهما رنَدُ نضيرٍ وعبهرُ^(٢)
كأن نداها ماءٌ وردٍ وعنبرُ
وخايل فيه أحمر اللون أَصفرُ^(٣)
وشثٌ وطَباقٌ وبانٌ وعَرعرُ^(٤)
يكادُ إذا ما ذرت الشمسُ يقطرُ
نجومٌ على أغصانِهِ الخضرِ تزهَرُ
وراناك ظبيٌّ بينَ غصنينِ أَحورُ
تذكر محزونٌ أو ارتاحَ مقصرُ^(٥)
ترنم في الأغصانِ صنَجٌ ومِزهرُ
فللقلب ملهاةٌ وللعين منظرُ
واني إليه بالموَدَّةِ أَصوَرُ^(٦)
يجودُ بها جَوْنُ الغوارِبِ أَقمرُ
إذا طعنت فيه الصبا يتفجرُ

(١) مدَنرٌ : متلألئٌ .

(٢) الأقحوان ، وحنوة ، ورنَد ، وعبهر : من النباتات .

(٣) خايل : فاخر .

(٤) الشيخ والقيصوم والبان والعرعر : نباتات .

(٥) الأيك : الشجر الكثيف الملفف .

(٦) اصوَر : مائل : العذيب : موضع .

كَأَنَّ ابْتِسَامَ الْبَرْقِ فِي حَجَرَاتِهِ مَهْنَدَةٌ بَيْضٌ تَشَامُ وَتَشْهَرُ
وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذ منه شيء البتة وهو:
والرَوْضُ مَغْسُولٌ بَلِيلٌ مَمْطَرٌ جَلَا لَنَا وَجْهَ الثَّرَى عَنَّمْ مَنْظَرٌ^(١)
كَالْعَصَبِ أَوْ كَالرُّشِيِّ أَوْ كَالْجَوْهَرِ، مِنْ أَبْيَضٍ وَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ^(٢)
وَطَارِقٍ أَجْفَانُهُ لَمْ تَنْظُرْ، تَخَالُهُ الْعَيْنُ فَمَا لَمْ يُغْفَرْ^(٣)
وَفَاتِقٍ كَادَ وَلَمْ يَنْوَرْ، كَأَنَّهُ مَبْتَسِمٌ لَمْ يَكْثِرْ
وَأَدْمَعَ الْغُذْرَانَ لَمْ تَكْذِرْ، كَأَنَّهُ دَرَاهِمٌ فِي مَنْشَرٍ^(٤)
أَوْ كَعَشُورِ الْمَصْحَفِ الْمَنْشَرِ، وَالشَّمْسُ فِي أَصْحَاءِ جَوْ أَخْضَرٍ^(٥)
كَدَمْعَةٍ حَائِثَةٍ فِي مَحَجَرٍ، تُسْقِي عُقَارًا كَالسَّرَاجِ الْأَزْهَرِ^(٦)
مُذَامَةً تُعْقِرُ إِنْ لَمْ تُعْقَرْ، يَدِيرُهَا كَفٌّ غَزَالٍ أَحْوَرٍ^(٧)
ذِي طَرَّةٍ قَاطِرَةٍ بِالْعَنْبَرِ، وَمَلَثَمٍ يَكْشِفُهُ عَنِ الْجَوْهَرِ^(٨)
وَكَفْلٍ يَشْغُلُ فَضْلَ الْمِثْرَزِ، تَخْبِرُ عَيْنَاهُ بِفَسْقٍ مَضْمَرٍ
يَعْلَمُ الْفَجُورُ إِنْ لَمْ يَفْجُرْ^(٩)

وقلت:

جَوَاهِرُ عَشْبٍ وَنُورٍ نَظِيمٍ وَأَفْرَادٍ ظَلٍّ وَقَطْرِ نَشِيرٍ
فَمَنْ بَيْنَ صُفْرِ وَحُمْرٍ وَخَضَرٍ عَلَى الْقَضْبِ غَيْدٍ وَزُورٍ وَصُورٍ
وَلَعَسَ تَنَاسَبُ لَعَسَ الشَّفَاهِ وَبَيْضٌ تَعَارَضَ بَيْضُ الثَّغُورِ^(١٠)
نَوَاطِرٍ مِنْ بَيْنِ يَقْظَى وَوَسْنَى وَنَجَلٍ وَحُزْرٍ وَحَوْلٍ وَحُورٍ^(١١)
وقد استوفى في هذه الأبيات، جميع أوصاف الأنوار، على اختلاف حالاتها. وأنشدنا
أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه:

(١) في الديوان: ٢١٦ والعجز «كأنه دراهم في منشَر».

(٢) في الديوان: «كالعصب».

(٣) في الديوان: «وطارق أجفانه». «ولم يغفر».

(٤) في ديوانه: «في منشَر».

(٥) في ديوانه: «أو كتفسير مصحف مفسر»، و «إصحاء».

(٦) في ديوانه: «جارية في».

(٧) في ديوانه: «تديرها».

(٨) في ديوانه: «عاطرة كالعنبر وميسم».

(٩) في ديوانه: «وكفل يشغل». «عيناه بعشق». «من لم» والكفل: الردف.

(١٠) اللعس: السواد في الشفة.

(١١) الوسن: ذبول العين. العين النجلاء: الواسعة. الخزر: كسر العين بصرها. الحور: شدة سواد العين مع

بياض

ومدّ نحو النّدامى للسلام يدا
وأصفر فاقع في أحمر نضدا
فاحمرّ ذا خجلا واصفرّ ذا كمد

يُكسِن أعلامَ المطارفِ
فيها عُشورٌ في مصاحفِ
تهتزُّ بالريحِ القواصفِ^(١)
نَ بها إلى طُررِ الوصايفِ

كاسيةِ البطونِ والظهورِ
مونقةِ المطويِّ والمنشورِ
ضاحكةِ كالوافدِ المحبورِ
شذرها الغيثُ بلا شذورِ
وأقحوان كثغورِ الحورِ
والطلّ منشور على منشور^(٢)

يرصعُ الياقوتَ بالبللورِ
وقال السري وأحسن، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة

والأزم لعمود الشعر منه:

جَنَى وَهَدَاتِهَا وَجَنَى رَبَّاهَا
وإن طاحَ الغمامُ طَفَّتْ مِيَاهَا
يَفِضُ عَلَى اللَّالِيءِ مِنْ حَصَاهَا
وَأَعْنَاقِ الْقِرْنَفِلِ فِي سُرَاهَا
وَيَأْبَى عَرَفُهَا إِلَّا انْتَبَاهَا^(٣)

نشرت وردها عليه الخدودُ
والنجومُ التي تطلُّ سعود

أما ترى الروضَ قد وافاك مبتسماً
فأخضرُ ناضرٌ في أبيض يقق
مثل الرقيبِ بدا للعاشقين ضحى
ومن المشهور قول الحماني:

دِيمَ كَأَنَّ رِياضَهَا
وَكَأَنَّمَا غُدْرَانُهَا
وَكَأَنَّمَا أَنْوَارُهَا
طَرَرِ الْوَصَائِفِ يَلْتَفَتِ

وقلت:

وروضةٍ حاليةِ الصدورِ
محمودةِ المخبورِ والمنظورِ
معجبةِ الظاهرِ والمستورِ
باكيةِ كالعاشقِ المهجورِ
شقائقِ كناظرِ المخمورِ
ونرجس كأنجم الدّيجورِ

يرصعُ الياقوتَ بالبللورِ

وجناتٍ يُحيي الشربَ وهنا
إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً
يُفرِّجُ وشيها عن ماءٍ وردٍ
تعانقُ ريحها لَمَمَ الخزامي
ويأبى زهرُها إلا هجوعاً
وقال^(٤) البحترى:

قطرات من السحابِ وروض
فالرياحُ التي تهبُّ نسيماً
وقال^(٥) ابن الرومي:

(١) في نسخة: «تفتّر بالريح».

(٢) الدّيجور: الليل، الطل: الندى.

(٣) العرف: الرائحة.

(٤) ديوانه: ٤٣/١ ص.

(٥) ديوانه: ٩١/٣.

بمنظرٍ فيه جلاءٌ للبصرِ
أثنتُ على الله بآلاءِ المطرِ
تبرحتُ بعدَ حياءٍ وخَفَرِ
تصدى للذكرِ

أصبحت الدنيا تروقُ من نظرٍ
واهأ لها مصطعاً لقد شكرُ
والأرضُ في روضٍ كأفواه الجبرِ
تبرجُ الأنثى

وقال^(١) وأحسن:

يُباكره دَانِ الرَّبَابِ مَطِيرُ^(٢)
ذوائبه حتى يقال: غديرُ

وجلس من الكتان أخضرَ ناصِرٍ
إذا دَرَجَتْ فيه الرياحُ تتابعَت
وقلت:

والى دموعِ المزنِ كيف تُذَرَفُ
فَمَسْهُمْ وَمُقْصَبٌ وَمُفَوِّ^(٣)
ومضاجعُ الأنداءِ فيها زخرفُ
ذَكَرْنَاكَ الكافورَ حينَ يَدُوقُ^(٤)
وعلى اليفاعِ من الشقائقِ مطرفُ
كالقطنِ في زرقِ الثيابِ يندفُ
ويصيرُ سيلاً وهو أغبرُ أكلف

أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت
وعلى الربى حُلُلٌ وشَاهُنُ الحيا
وملابسُ الأنواءِ فيها سُندسُ
نَمَ الرياحُ على الرياضِ نمائماً
وعلى التلاعِ من الأقاحي حُلَّةُ
والغيمُ تنقشه الرياحُ عَشِيَّةُ
والقطر يهمي وهو أبيض ناصعُ

والسيلُ يجري مثل أفعى تزحف
وقول أعرابي: باكرنا وسمي^(٥)، ثم خلفه وليٌّ، فالأرض كأنها وشي منشور، عليه لؤلؤ
منشور، ثم أتتنا غيوم بمناجل حصاد، فاخترت البلاد، وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوي
الأكول، بالضعيف المأكول.

والبرق يلمعُ مثل سيفٍ يُنتَضَى
وقول أعرابي: باكرنا وسمي^(٥)، ثم خلفه وليٌّ، فالأرض كأنها وشي منشور، عليه لؤلؤ
منشور، ثم أتتنا غيوم بمناجل حصاد، فاخترت البلاد، وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوي
الأكول، بالضعيف المأكول.

وقال^(٦) أبو تمام:

من ريقٍ محتفلاتٍ بالحياءِ دُلُحِ^(٧)
عيونُ نُوارِها تبكي من الفرحِ^(٨)

الروضُ ما بينَ مغبوقٍ ومصطبحٍ
جُونُ إذا هطلت في روضةٍ طِفِقتُ
وقال أبو الغضبان اليمامي:

(١) ديوان ابن الرومي: ٨٢/٣.

(٢) جلس: كساء يوضع على الدابة تحت البرذعة. الرباب: السحاب الأبيض.

(٣) الحيا: المطر. الثوب المسهم: المخطط. والمفوف: الرقيق أو فيه خطوط بيض.

(٤) داف: خلط. الذؤف: الخلط.

(٥) الوسمي: أول المطر. الولي: ما يليه.

(٦) ديوانه: ٣٧١.

(٧) المغبوق: الشارب مساءً. والمصطبح: الشارب صباحاً. دُلُح: سحب ممتلئة.

(٨) جُون: سود.

غدونا على الروض الذي طله الندى
فلم أر شيئاً كان أحسن منظرًا
وقال غيره:

وإذا الزمردُ مثمر ذهباً
لا زال يُمتِعنا بجِدِّته
وقال غيره في تلون الأرض:
فترى الرياض كأنهنَّ عرائسُ
وقال (٢) أبو تمام:

رقت حواشي الدهر وهي تَمَرَّمَرُ
مطرٌ يروقُ الصحو منه وبعدهُ
وندى إذا أدھنت به لممُ الثرى
ما كانت الأيامُ تسلبُ بهجةً
أو لا ترى الأشياء إذ هي غيرت
يا صاحبي تقصياً نظريكما
ترباً نهاراً مشمساً قد شابه
دنيا معاشٍ للورى حتى إذا
أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها
من كل زاهرة تَرَقُّقُ بالندى
تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها
الجميم متكاثف النبت، يقول: يظهر بتحريك الرياح إياه، ويستتر عند سكونها فيغطيه
الجميم:

صنع الذي لولا بدائع لطفه
وقلت في مديح:

إنني أرى لك في السماحة والندى
طلّق الغمام سرى بوجهٍ باسرٍ

سحيراً وأوداج الأباريق تسفكُ
من الروض يجري دمعهُ وهو يضحكُ

ومن اللجين لعسجد ورق (١)
وجديده بجديدهنا خلّق

يُنقلن في صفراء من حمراء

وغدا الندى فس حليه يتكسر (٣)
صحو يكاد من النضارة يطرُ
خلت السحاب أتاه وهو معذر (٤)
لو أن حُسن الروض كان يُعمرُ
سُمجت وحسن الروض حين يغير (٥)
ترباً وجوه الأرض كيف تصوّرُ
زهر الربى فكأنما هو مقمرُ
جلّى الربيع فإنما هي منظر (٦)
نوراً تكاد له القلوب تنور (٧)
فكأنما عينٌ عليه تحذرُ
عذراء تبدو تارةً وتخفّرُ
الجميم متكاثف النبت، يقول: يظهر بتحريك الرياح إياه، ويستتر عند سكونها فيغطيه

ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضرُ

طلقاً ذريت به على الإطلاق
يُروي الوجوه ومبسم براق

(١) الزمرد: من الأحجار الكريمة. العسجد: الذهب. اللجين: الفضة.

(٢) ديوانه: ١٣٨.

(٣) تمرمر: تهتز. يتكسر: يتشقق. وفيه: «وغدا الثرى في حليه يتكسر».

(٤) لمم: جمع لمة: لحية. معذر: نبت شعر عذاره.

(٥) في الديوان: «إن هي... حين تغير».

(٦) في الديوان: «إذا حل».

(٧) في الديوان: «بطونها لظهوره... نوراً».

ثقلت على عنق الصبا أعباؤه
فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال^(١) البحتري:

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسي السحاب على أقبالها فرقا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلاً
وقال^(٢) أيضاً:

ولا زال مخضراً من الأرض يانع
يذكرنا رياء الأحبة كلما
شقائق يحملن الندى فكأنه
ومن لؤلؤ في كالأقحوان منضد
كأن جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت
وقلت:

أما ترى عود الزمان نضرا
أنته اللطاف السحاب تنرى
تبسط في الصحراء بسطاً خضراً
ونرجساً مثل العيون زهرا
كأنما يصوغ فيها تبرا
كأنما ينثر فيها دُراً
كالماء لوناً والعبير نَشْراً
والعيش أن تُسرَّ أو تُسرَّ

مثل الضعيف بنوء بالأوساق
مثل الحلي تروق وسط حقايق

مستحسن وزمان يشبه البلدا
ويصبح الروض في صحرائها بددا
أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

عليه بمحمر من النور جاسد
تنفس في جنح من الليل بارد
دموع التصابي في حدود الخرائد^(٣)
على نكت مصفرة كالفرائد
دنائير تبر من تؤام وفارد^(٤)
بكل جديد الماء عذب الموارد
شآبيب مجتاز عليها وقاصد^(٥)
تليها بتلك البارقات الرواعد^(٦)

ترى له طلاقة وبشرا
وساقت الجنوب غيماً بكرا
وتمنح الروضة زهراً صفرا
وأقحوان كالشفور غرا
كأنما يدوف فيها عطرا^(٧)
فأعمل الكاسات شُطاً شُقرا
ثم مُر الزير يناغي الزمرا
لا تفسدن بالفراغ العمرا

(١) ديوانه: ١٥/١ ص.

(٢) ديوانه: ٣٦/١ ص.

(٣) الخرائد: جمع الخريدة: الشابة.

(٤) التبر الذهب. تؤام: اثنين. الفارد: المفرد.

(٥) المزنة: الغيمة الماطرة. شآبيب: جمع شؤبوب: دفعة المطر.

(٦) الفتح بن خاقان: وزير المتوكل العباسي وجعل له إمارة الشام، وكان فصيحاً بليغاً، شاعراً أدبياً كاتباً. مات سنة

٢٤٧ (الأعلام: ١٣٣/٥).

(٧) يدوف: يذيب ويخلط.

أحسن ما قيل في النرجس قول^(١) أبي نواس :

لدى نرجسٍ غَضُّ القطافِ كأنه إذا ما منحناه العيونَ عيونُ
مخالفةً في شكلهنَّ فصفرةً مكانَ سوادٍ والبياضُ جفونُ
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل .

ومما لم يقل مثله قول^(٢) ابن الرومي :

خجلتُ خُدودُ السُورِدِ من تفضيلِهِ خجلاً تورَّدُها عليه شاهدُ
لم يخجلِ الرُودُ المورودُ لونه إلا وناهله الفضيلة عائدُ
للنرجسِ الفضل المبينُ وإن أبي أبٍ وحادٍ عن الطريقة حائدُ
فصل القضية أن هذا قائدُ زهرَ الربيعِ وأن هذا طاردُ
شَتانٍ بين اثنين هذا مُوعِدُ بتسلُّبِ الدنيا وهذا واعدُ
وإذا احتفظتْ به فامتُعْ صاحبُ بحياته لو أن حياً خالدُ
يحكي مصاييحَ السماءِ وتارةً يحكي مصاييحَ الوجوه تُراصدُ
ينهي النديمَ عن القبيحِ بلحظه وعلى المدامةِ والسماعِ يُساعدُ
إن كنتَ تطلبُ في الملاحِ سميَّهُ يوماً فإنك لا محالةً واجدُ
هذي النجومُ هي التي ربتهما بحياً السحابِ كما يُربِّي الوالدُ
فانظر إلى الأخوين : مَنْ أدناهما شهباً بوالده ، فذاك الماجدُ
أين العيونُ من الخدودِ نفاسةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ؟

وقلت :

ونرجسٍ مثل أكفٍ خُرِّدٍ درن علينا بكؤوس الذهب^(٣)
ناولنيه مثله في حسنه فحلَّ من قلبي عقدَ الكُربِ
مبتسمٌ عنه وناظرٌ به هذا لعمرى عجبٌ في عجبِ

وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغوايةَ حقها ونجري مع اللذاتِ جري السوابقِ
بمحمرةِ الأجسادِ مبيضةِ الدُرى كمثل سقيطِ الطلِّ فوق الشقائق^(٤)
لدى الصفرِ في أوساطِ بيضٍ كأنها كؤوسُ عُقارٍ في أكفٍ عواتقِ
وقال ابن الرومي :

(١) ديوانه : ٥٩٩ .

(٢) ديوانه : ١٦٠/٢ .

(٣) الخُرْد : جمع الخريدة : الشابة .

(٤) الطل : الندى .

على صنوف الورد والفضل قسم
فما لها والخد وهو الملتدّم^(١)
ما هو إلا نعمة من النعم

يشبه ديناراً على ذرهم

وشرابهم دُرٌّ على ذهب

فترى درهماً على دينار
علقت بالنبات والأشجار
كشوف الكواعب الأبيكار^(٣)

مثل عروس تجلى وتشتهر
فاعتاده من منامه سهر
كأنما في جفونه قصر
فليس يرقا وليس ينحدر^(٤)
فردّها في جفونه الحذر

فانتبه النرجس من رقدته
وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يفتح قول بعض المحدثين:
ضمّ فم لقبله من بُعد

ما بين أغصان وأقمار
جاءت من المسك بأخبار
كالخد منقوطةً بدينار

للنرجس الفضل برغم من رغم
العين قبل السن وهي المبتسم
ما أطيب الريح وما أذكى النسم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر:

ونرجس لاحظني طرفها

وقال^(٢) ابن الرومي في الخمر والنرجس:
ريحانهم ذهب على دُرٍ
وقلت:

يركب الأقحوان فيها نهراً
فرشت فوقها فرائد طل
وتدلت على الغصون فجاءت

وقال الآخر:

ونرجس قام فوق منبره
نام الندى في عيونه سحراً
لم يغتمض والظلام حل به
تحير الطل في مدامعه
كدمعة الصب يسكبها
وقلت:

وغنت الطير بالحنانها
وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يفتح قول بعض المحدثين:
قد ضمه في الغصن قرص برد
وقلت فيه إذا تفتح:

مر بنا يهتز في خطره
يدير في أنمله وردة
يلوح في حمرتها صفرة

وقال ابن المعتل:

(١) لدم: ضرب. الملتدّم: مكان الضرب. والأبيات في ديوان ابن الرومي: ١٦٩/٦.

(٢) ديوانه: ١٣٦/١.

(٣) الشنوف: الأقراط. الكواعب الأبيكار: الفتيات الحسنات.

(٤) الطل: الندى.

عشية حياني بوردي كأنه
وقلت:

قومي وانظري ورداً كخذك أحمرأ
قد ضمه برد ففتقه ندى
ترك الربيع وراءه وتقدما
كالصب قبل فاك ثم تبسما
ولم أجد في تشبيه الورد أبدع مما ذكرته، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب، ولكني تركت
الإكثار منه لشهرته وكثرته، ويقال للوردة الحمراء الحوجة، وللبيضاء الوتيرة، ويشبه بها قرحة
الفرس قال عمرو بن معدي كرب:

تباري قرحة مثل الـ
وقد أحسن علي بن الجهم في قوله^(٢) يصف الورد:

كأنهن يواقيت طيف بها
وهو من قول أزدشير:

الورد ياقوت أحمر وأصفر، ودر أبيض، على كراسي زبرجد، يتوسطه شذور ذهب.
وقال^(٣) البحرى:

وقد نبه النيرور في غلس الدجى
يفتحه برد الندى فكأنه
وأوتل ورد كن بالأمس نوما
يبث حديثا كان قبل مكتما
وقلت في تفضيل الورد على النرجس:

أفضل الورد على النرجس
ليس الذي يقعد في مجلس
لا أجعل الأنجم كالأشمس
مثل الذي يمثل في المجلس

وقال ابن بسام:

مداهن من يواقيت منضدة
كأنه حين يبدو من مطالعه
علي الزمرد في أوساطها الذهب
صب يقبل صبا وهو مرتقب
ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر، وليس في البيت دليل، على أنه أراد الأحمر دون
لأزرق، فهو معيب من هذه الجهة.

وقلت في الورد على الشجر:

أصبح الرود في الغصون يحاكي
مثل فرسان غارة يعتليهم
أوجه الحور في مقامع خضر^(٤)
لمع من دماء سحر ونحر
فهو كالرجل في عمائم صفر^(٥)
ويلوح النهار أسفل منه

(١) القرحة في وجه الفرس دون الغرة. مغدى: شبه.

(٢) ديوانه: ١١١.

(٣) ديوانه: ٨٤/١.

(٤) المقامع: جمع القمع.

(٥) الرجل: الرجال.

بين بُذ من الشقائق يحكي غَلَمَة الدَّرُّ في مطارف حمر^(١)

وقال ابن المعتز:

ولا زورديّة أوفت بزُرْقَتِها بين الرياضِ على زُرْقِ اليواقيتِ^(٢)
كأنها فوق طاقاتٍ ضَعْفَنَ بها أوائلُ النارِ في أطرافِ كبريت
والصحيح أنه في الخُرْمِ والشاهدِ قوله:
بنفسجٍ جمعت أطرافه فحكّت دمعاً ينشفُ كحلا يومَ تشتيت
وقوله:

كأنها فوق طاقاتٍ ضعفن بها

ويدل على أنه أراد الخرم، لأن ساق البنفسجة لا يضعف عن حمل وردتها، وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه فاعرف ذلك.

وقلت في البنفسج:

وروضة كأنها من حسنها تبرزُ في أثوابِ سعد ومُنَى
قد نثر الليلُ على أنوارها لآلئِ الطلِّ وأفرادِ الندى
بكت عليها مُزنةً فابتسمت عن لؤلؤِ بينِ فرادى وثنى
وحولها بنفسجٍ كأنه أواخرُ النيرانِ في جزلِ الغضا^(٣)

وقال آخر:

وكأن البنفسجَ الغضُّ فيه أثرُ اللطمِ في حدودِ الغيدِ
وقلت:

وبحافاتِها البنفسج يحكي أثرُ القرصِ في حدودِ العذارى
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً:
ومغنج قال الكمالُ لخلقهِ كن مَجْمَعاً للطيباتِ فكانه
زعمَ البنفسجُ أنه كعذاره حُسنًا فسلُّوا من قفاهُ لسانه
وقال ابن الرومي:

أشرب على وردِ البنفسج قبل تأنيب الحُسودِ
فكأنما أوراقها آثارُ قرص في الخدودِ

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخیطل:

هذي الشقائق قد أبصرتُ حمرتها مستشرفاتٍ على قضبانها الذللِ

(١) غلّمة: جمع غلام.

(٢) لازوردي: نسبة إلى لازورد ومعرب لاجورد الفارسية) وهو من الاحجار الكريمة لونه أزرق اليواقيت: جمع

ياقوت: حجر كريم

(٣) الغضا: شجر.

كانها دمعَةٌ قد مَسَّحتْ كُحْلاً جالَتْ بهِ وقْفَةٌ في وجتِي خَجَلٍ
وأظنَّ الأخيطل ابتكره، إلا أنه أورده في أهجن معرض، وفي أشد ما يكون من التكلف
وأتى بالمحال لأن الوقفة لا تجول.

فنظمته وقلت:

وشقائقُ نقشَ الربيعِ ثيابها فبرزنَ بينَ مُكْحَلٍ ومُجَسَّدٍ
كالخدِّ يصبغُهُ الحياءُ بحمرةٍ وجرى عليه الدمعُ خلطَ الإثمِ^(١)

ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين:

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجَوَ القيانَ فشقَّ فضلَ رداءه^(٢)
وتحيرت ما بينَ إثمِد ماقه في الخدِّ دمعتهُ وبينَ حيائه
فكانه الحبشيُّ بضعَ جسمه فثيابهُ مُخضلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً، وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة، فإذا ذُكر فعلى معنى النور
وتسميه العرب الشقر.

وقلت:

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنةُ الوردِ بالدينارِ منقوطة
وقال التنوخي:

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نُقِشتْ شواربٌ بالمسكِ فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب.

ومن أحسن ما قيل في الأذريون قول ابن المعتز:

يا ربما نازعني رُوحَ دنانٍ صافيه^(٣)
في روضةٍ كأنها جلدُ سماءٍ عاريه
كأنما أنهارها بماءٍ وردٍ جاريه
كأن أذريونها غبُ سماءٍ هاميه
مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً:

وصيرَ أذريونه فوقَ أذنه ككأسٍ عقيقٍ في قرارِتها مسكُ
وقلت:

ولاح أذريونها مثلَ الغوالي في السررِ

(١) الإثم: الكحل.

(٢) القيان: المغنيات.

(٣) الدنان: أوعية الخمرة، الأذريون: الورد الجوري، أو نوع من الشقائق. (وهو فارسي).

وقال الشمشاطي^(١):

تراه عُيُوناً بالنهارِ نواظراً وبعدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباجِ
وقال ابن المعتز:

كأنها مدهنٌ من ذهب مشرفاتٌ وسطهنَّ غاليه
أتم التشبيه ههنا بقوله «مشرفات».

ومن جيد ما قيل في البهار قول^(٢) ابن الرومي:

وروضةٌ عذراءٌ غيرُ عانسه خضراء ما فيها خلابة يابسة^(٣)
فيها شمسٌ للبهارِ دارسه كأنها جماجمُ الشمامسه^(٤)
تروكُ النُورةَ منها الناكسه بعينٍ يقظي، وبجيد ناعسه^(٥)
وخرمٌ في صبغة الطيالسه مثل الطاووسِ غدت مُطاوسه^(٦)
وقال ابن المعتز:

في روضةٍ كحللِ العروسِ وخرمٌ كهامةِ الطاووسِ
وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي:

خرمةٌ كهامةِ الطاووسه داري من بهجتها مأنوسه
والعينُ في فنائها محبوسه محفوظةٌ تحسبها محروسه
تعجبنِي منظورةٌ ملموسه مرفوعةُ الهامةِ أو منكوسه
ياقوتةٌ لكنها مغروسه في زهر كالشعلِ المقبوسه
كحل ألوانها ملبوسة

وقال التنوخي:

ومن خرمٍ عض خِلالَ شقائقِ يلوحُ كخيلائِ على وردتي خدَّ
وإذا كان في الخد خيلائِ لم يستحسن الخال الواحد.
وقلت:

على رياض خرمٍ كأنها رؤوسُ هداياٍ حريرٍ أكحل
وقال ابن طباطبا:
وطُوسٌ فيها خرمٌ فكأنها صماماتٌ وشيْ هُيئت لمخازن

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي، كان على صلة بالحمدانيين وله تصانيف.

(٢) ديوانه: ٢٦٠/٣.

(٣) في ديوانه: «بروضة».

(٤) البهار: نبات.

(٥) النُورة: الزهرة.

(٦) الخرم: نبات طيب الرائحة حسن المنظر.

وقلت في البهار والورد:

وردٌ إلى جنبه بهار كالخدّ أصغى إليه قرط
وقد جمعت أصناف المثنور في أبيات، وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب في أبيات غير
مختارة الرصف.

فقلت:

ألوانٌ منشورٌ يرينك حسنهما
يا حسنهما في كفٍّ من يشبهها
من أشهل كعينه وأبيض
وأصفرٍ مثل صريع حبه
وقال السري في الورد:

أما ترى الورد قد باح الربيع به
وكان في حللٍ خضرٍ وقد خلعت
وقلت:

ليس ينفكُ للغمام أباد
فترى رعدهُ يشقُّ حريراً
وترى للزمان غصناً وريقاً
أنبت الأرض عسجداً ولجيناً
وجرى الريح سجسجاً ورخاءً
وسبى العين لؤلؤً وعقيقاً
فترى ثمّ مضحكاً يتجلى
قطرات الندى أحاداً ومثنى
وكان الشقيق كأس عقيق
فترى النجد في رداء موشى
وعليه من البهار عطاف

تتكافا وأنعم تتجدد
وسنى برقه يطرز مطرد
يملك الطرف إذ يقوم ويأود^(١)
فالروابي مكلل ومقلد^(٢)
فالمناهي مسلسل ومسرود^(٣)
نظماً في زمرد وزبرجد^(٤)
وترى ثمّ وجنة تتورد
مثل دُر منظم ومبدد
طرح المسك في قرارتها ند
وترى الوهد في قميص مُعمد
ومن الورد الشقائق مجسد

(١) الند: البخور والند الثانية: المثل.

(٢) العين الشهلاء: إذا أشربت حدقتها حُمرة.

(٣) يأود: يعوج.

(٤) العسجد: الذهب: اللجين: الفضة.

(٥) سجسج: لا بارد ولا حار. المناهي: جمع المنهى. حيث ينتهي الماء.

(٦) العقيق والزمرّد والزبرجد: من الأحجار الكريمة.

وَتَرَى النَّوْرَ مِثْلَ مَضْحَكِ خَوْدٍ وترى الغصن مثل شارِبٍ أَمْرَدٍ
ومن بدیع ما قیل فی کمون النیلوفر^(١) وظهوره قول ابن الرومي :
فكأنه في الماء صاحبُ مذهبٍ أغراه وسواسُ بأن لا يظهر
وقال السري :
ونيلوفر أوراقه الخضر تحتَه بساطٌ إليه الأعينُ النجلُ شُخْصُ
هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :
إذا غاص في الماء النمير حسبتَه رؤوسَ إوزٍ في الحياضِ تغوصُ^(٢)
وقوله «النمير» لا يحتاج إليه .
وقال آخر من أبيات :
كأنما كل قضيبٍ بها يحملُ في أعلاه ياقوته
وقلت :
فشربتها عذراء من يدٍ مثلها تحكي الصبَّاح مع الصبَّاحِ المشرقِ
في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنمنم من نبتها ومنمقِ
فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلى زهر هناك مفرقِ
تحبى بورِدٍ كاللجين مكفرِ منها ووردٍ كالعقيقِ مخلَقِ^(٣)
وكذلك تتحف من مناقع مائها بمخلَقٍ يعلو ذؤابةً أخلقِ^(٤)
يبدو ويكمن في الغدير كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقي
فإلى السرور لنا عنان مطلق إن الفوائد في العنانِ المطلقِ^(٥)
وقد أحسن القائل في وصفه الرياض :
بكين فأضحكن الربى عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الثرى متهاملُ
ترى قضيبَ الياقوت تحت زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائلُ
تلقحها الأنداء ليلاً بريقها فيصبحن أبكاراً وهنَّ حواملُ
وقلت في الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :
ومهرجانٌ معجبٌ مونتق كالنَّورِ غبَّ السَّبلِ الساجمِ^(٦)
طالعت فيه غرراً وُضحا كمثُلِ أيامِ أبي القاسمِ

(١) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في الماء الراكد .

(٢) النمير : الماء العذب .

(٣) اللجين : الفضة . مخلَق : تام الخلق .

(٤) الخليفة والخليفة : السحابة فيها أثر المطر .

(٥) العنان : السحاب .

(٦) الساجم : الذي ينصب .

والآس في كفي أحبيهم
وقلت في الريحان:

وخضرُ يجمع الأعجاز منها
لها حسنُ العوارض حينَ تبدو
وقال كشاجم وأحسن:

أرتك يدُ الغيثِ آثارها
وكانت أكنْتُ لكانونها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف:

فما تقعُ العينُ إلا على
يفتحُ فيها نسيمُ الصَّبَا
ويسفح فيها دماءُ الشقيقِ
وتدني إلى بعضها بعضُها
كأنَّ تفتحها بالضحي
تفضُّ لئرجسها أعيناً
إذا مزنةً مكبت ماءها
وقال فيها:

وأقبلَ ينظُمُ أنجادها
وأرضعُ جناتها دَرَّةً
ودارَ بأكنافِها دَوْرَةً
وقال أيضاً في الباقي:

جنيُّ يومٍ لم يؤخر لغدٍ
كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ
أو ككبار اللؤلؤ المنضدِ

وقلت فيه أيضاً:

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعته
خضرُ ظواهرها بيضُ بطائنها
بيضُ شبائهُ في خضرٍ ململمةٍ

مثل شوابير بني هاشم

مناطق مثل أطواق الحمام
وفيها لين أعطاف الغلام

وأعلنت الأرض أسرارها
خبثاً فأعطته آزارها

رياض تصنّف أنوارها
جناها فيهتك أستارها
ندى ظلٍ يفضُّ أبكارها
كضمِّ الأحبة زوارها
عذارى تحلل أزارها
وطوراً تحدّق أبصارها
على بقعةٍ أشعلت نارها

بفيض المياهِ وأغوارها
فعممَ بالنور أشجارها
تُسي الأوائِل برَّ جارها^(١)

ولم ينقل من يدٍ إلى يدٍ
أو كالفصوص في أكف الخرد^(٢)
في طيِّ أصدافٍ من الزبرجدِ

مفروشة بالكرسف الملبّد^(٣)

شبائهُ اتفقت في الشكل والصور
تحكي القبايطي تحت السندس النضر
مثل الزبرجدِ مثنياً على درر

(١) الأكناف: جمع كنيف: ما يستر.

(٢) الخرد: جمع الخريدة: الشابة.

(٣) الكرسف: القطن.

ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يبقِي كالشعرِ يشرقُ تحتَ الشاربِ الخضرِ^(١)
ومن المشهور في ورد الباقلِي قول الصنوبري:
وبناتٍ باقِلِي يُشبه نَوْرُها بَلَقَ الحمامِ مُشيلةً أذنابَها
وقلت فيه:

ويزْهِي وَرْدُ باقِلِي كأطواقِ الشعانين
وقال السري في غير ذلك:

في زاهرٍ عبقَ تَضوعُهُ فكأنَّ عطاراً يعطره
ضاهي ممسكُهُ معنبرُهُ وحكى مُدْرَهْمَهُ مدنْرُهُ

ومن أجود ما قيل في البساتين، ومواضع الأشجار، قول الخليل بن أحمد، أخبرنا أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال:

كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليتيم، فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل إلى الأرض، ومعه قارورة من ماء زمزم، فلما جاء المدُّ صب ما فيها في فوهة نهرها، ليخلص إلى جميعها، ثم قال: يا بني هذه أرضك، فقم فصل فيها ركعتين، واشكر الله على ما أعطاك منها، وادع بالبركة لك ولمن بعدك.
ثم أنشأ يقول في وصفها:

ترفعت عن يدِ الأعماقِ وانخفضت
فالتفتُ بالزهرِ والريحانِ أسفلها
وصارَ يحسده فيها أصادقُهُ
أبا معاويةً اشكر فضلَ واهبها
وقال ابن المعتز في السرو والرجس:

لدى نرجسٍ غُضٍّ وسروٍ كأنه
قدودُ جَوارٍ رُحْنٍ في أُرْجٍ خُضرٍ^(٢)
وقلت:

لبسَ الماءَ والهواءَ صفاءً
فكأنَّ النِّهاءَ صرْنَ رياضاً
وكأنَّ الهواءَ صارَ رحيقاً
وتخالُ السماءُ بالليلِ أرضاً
جللتها الأنواءُ زهراً وصفراً
واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
وكأنَّ الرياضَ عدنُ نِهاءٍ^(٣)
وكأنَّ الرحيقَ صارَ هواءً
وترى الأرضَ بالنهارِ سماءً
يومَ ظَلَّتْ تنادُمُ الأنواءُ^(٤)

(١) يبقِي: أبيض.

(٢) في ديوانه ٢٠٩: «وسدر كأنه» و«جوار ملن».

(٣) النِّهاء: جمع النِّهاءة: اصفر محابس المطر.

(٤) التَّوَد: المطر.

تتكافأ تبسماً وبكاء
قميصاً أو الجمال رداء
واكتست حين أوركيت سيراً^(١)
وترى الطير فوقها خطباء

فتراها ما بين نوء ونور
وتظل الأشجار تتخذ الحسن
لبست حين أثمرت خلداً
وترى السرو كالمنابر تزهى
وقال أبو عيينة:

وطوراً تواتيني على القصف والفتك^(٢)
كان ثراها ماء ورد على مسك

تذكرني في الفردوس طوراً فأرعوي
بغرس كأبكار الجواري وتربة

وقال السري في تفاح ودستبوي^(٣) ورماني:

إن شيطانك في الظر ف لـ شيطان مريد
فلهذا أنت فيه مبدئ ثم معيد
قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه حدود وقدود ونهود

وقد أحسن التنوخي في وصف النارنج^(٤) حيث يقول:

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب

وقلت:

خدود عذارى في ملاحفها الخضري
فهاجت له الأحزان من حيث لا يدري

تطالعنا بين الغصون كأنها
أت كل مشتاق برّياً حبيبه

وقال:

شموس عقيق في قباب زبرجد

إذا لاح في أغصانه فكأنه

وقلت في المركب:

قد كنز الفضة في تبره
ويشبه المعشوق في نشره

مركب تعجب من حسنه
يشاكل العاشق في لونه

وقال الصنوبري في التفاح وقد ظرف:

نعطي المحب أمانه من صدّه

أعطت يداه محبه تفاحة

وهذا البيت متكلف جداً:

سألتم أختها من خدّه

فعلمت حين لثمتها من كفه

(١) خلداً: أقرط. سيرا: ضرب من الثياب.

(٢) القصف والفتك: اللهو.

(٣) الدستبوية: ضرب من البطيخ وهو الشمام. (فارسي معرب).

(٤) النارنج: ضرب من الثمار (فارسي معرب).

وقال أيضاً في أترجة^(١) وأحسن:

جاء فحياني بأترجة
أتى بها ناعمة غضة
تُبدل للقبلة حسناً ولا
أحب بها من مسكة مخضة
وقلت في الأترج والنارنج:

ترى النارنج في ورق نصير
وأترج على الأغصان يزهى
وقال بعضهم في دستنبوية^(٢):

يا حبذا تحية
مخزنة من ذهب
وقال غيره في الليمون:

وقهوة تزهر في السراج
ملبسات أصفر الديباج
وقلت فيه:

أحدق ليمون بأترجة
مخروطة الأجساد من فضة
قد شد من هامتها زرها
اشرب عليها وتمتع بها
ولبعض الكتاب رسالة في التفاح، ليس لها نظير في معناها، وهي التي أخبرنا بها أبو أحمد

قال:

قال أخبرنا الجلودي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة
وكتب:

لما رأيت تنافس أحبابك، وثقات أصدقائك، على الهدايا وتواتر ألطافهم عليك، تفكرت
في هدية تخف مؤنتها، ويعظم خطرها، ويجل موقعها، تجمع الخصال المحموده، وتنظم
الخلال المرموقة، فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا، ويكمل له ما وصفنا غير التفاح، فأهديت
إليك منه واحدة، وأحببت أن أنبهك على فضلها، وأفلك على نبلها، وأكشف لك عن سرائرها،
وأعرفك لطائف معانيها، وأنعت لك مقالة الأطباء فيها. وما نظمت الشعراء في مدحها، حتى
تراها بعين الجلالة، وتنظر إليها نظر الصيانة، فإنه يحكي عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال:

(١) الأترج: ثمر كالحامض كثير المنافع.

(٢) الأترج: ثمر كالحامض كثير المنافع والنارنج: ثمر.
(٣) دستنبوية: الشمام الأصفر.

اجتمع في التفاح الصفرة الدرّية، والحمرة الخمرية الذهبية، وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث: العين لحسن لونها والأنف لطيب عرفها، والفم للذة طعمها. وقال حكيم من الحكماء:

الخمر صديقة الجسم والتفاح صديق الروح. وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته، واجتمع إليه تلامذته، وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال: إئتوني بتفاحة أعتصم برائحها ريثما أقضي وطري من المناظرة. فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها. وقال آخر:

جسم التفاح صديق الجسم وريحه صديق الروح.
وقال حكيم من الأطباء:

إن أجود الأشياء، لعلاج المزاج الحاد، الكائن في المعدة مع المزاج البارد، الكائن في الرأس، وغثيان النفس، وقلة الاستمراء للطعام: التفاح. وقال إبراهيم بن هانئ:

ما علل المريض المبلى، وسكنت حرارة الثكلى، وردعت شهوة الجبلى، ولا كسرت فورة السكران، ولا أرضى الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان، بشيء مثل التفاح. والتفاحة إن حملتها لم تثقلك، وإن رميت بها لم تؤلمك، وقد اجتمع فيها لون قوس قزح، من الحمرة والخضرة ولو حل التفاح، لكان قوساً، ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً. وقال بعض الشعراء:

حُمرة التفاح في خُضرته أقربُ الأشياء من قوسِ قزح
والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة. وقال الشاعر:

الخمر والتفاح شكلان وقال الآخر:

تفاحة حمراء منقوشة	ركبتها في عُصن الآس ^(١)
ألبستها ورداً وكللتها	إكليل نسرين على الراس

وقال آخر في التفاحة:

كأنما حُمرتها
حمرة خدّ خجل

وقال ابن أبي أمية^(٢):

ما زلت أرجوك وأخشى الردى	معتصماً بالله والصبر
حتى أتني منك تفاحة	زحزحت الأحزان عن صدري
حشوتها مسكاً ونقشتها	ونقش كفيك من السحر

(١) الآس: ضرب من الشجر.

(٢) ابن أبي أمية: كاتب مترسل وشاعر. راجع (الفهرست ٢٣١).

واهاً لها تفاحة أُهديتْ لولم تكن من خُدَعِ الدهرِ
 فإذا وصلت إليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك، وتناولها
 بيمينك، وأحضرها ذهنك، وفرغ لها شغلك، واجمع لها عقلك، وغازلها ساعة، وهازلها
 أخرى، ولا تكن متهاوناً بقدرها، غير عالم بفضلها، فتناولها بحركة باردة، وطبيعة جامدة، وقلب
 ساهٍ، وعقل لاهٍ، وذهن غبيٍّ، وشراهية نهمٍ، عساه أن يكلمها بأسنانه، ولا يدري ما قدرها عند
 إخوانه، ويقصر بمن حياه، ويتقص من أهدها، ولا تخذشها بيدك، ولا تثلمها بظفرك، ولا
 تبذلها للغبار، ولا تعرّضها للدخان، فإذا طال لبثها لديك، وخفت أن يرميها الزمان بسهمه،
 ويقصدها بربه ويذهب بهجتها، ويحول نضرتها فهنئاً لك أكلها والسلام. وشبه بعضهم ورق
 الريحان بقافات وفاآت، في شعر غير جيد، فتركته ولم أذكره. وقلت في الريحان:
 ثم انثنينا إلى خضرٍ مُنعمَةٍ كأنَّ أوراقها آذانُ جُرْذانٍ
 وقهوة كجنيِّ الرودِّ وشحَّة من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطان^(١)
 وقال السري في دستنبوية:

وأغنَّ كالرُشأ الغريبِ رِشا خلاَلِ الربِّ^(٢)
 في خَدَه وردُّ حما هُ من القطافِ بعقربِ
 حيا بدستنبوية مثل السنان المذهبِ
 وقال أيضاً فيها:

صفراء ما عَنَّت لعيني ناظرٍ
 وقلت:

وأُترج يحفُّ بها أقاحٍ
 وقال السري في نارنجة:

أهدت على نأي المحلِّ وقد
 نارنجةً منها استعيرَ لها
 وشعاعُها من نورِ وجنتها
 وكأنَّ ما يخفيه باطنها
 وحكى اخضرارُ شابٍ وجنتها
 فأتتك مُكملةً محاسنها
 فشعارُها صفوُ اللجينِ ومن
 تُهدي إلى الأرواح من بُعدٍ
 أنأي التصبرَ طولَ هجرتها
 ما البستُ من حُسنٍ بهجتها
 ونسيمُها من عطرٍ نكهتها
 ما أضمرتُ من سوءٍ عُدرتها
 قرصَ الأكفِّ أديمَ وجنتها
 تختالُ في أثوابِ زينتها
 ذهب مصوغٌ ثوبٌ بذلتها
 تحفُ السرورِ لطيبِ نشوتها

(١) السمط: خيط النظم.

(٢) الأغن: في صوته غنة. الرشأ: الغزال الصغير الربرب: القطيع من البقر الوحشي.

(٣) الأفاحي: جمع الأقحوانة.

من أن تباشرها بشمّتها
في نعت رِيّاها وصبغتها
راحت معذبة بفكرتها^(١)

شبهتها بعد فكرة فيها
تسُدُّ آذانها بأيديها

ويصونها مسرى روائحها
فاشرب عليها من شقيقتها
واعطف عنان النفس عن فكر
وقال ابن طباطبا العلوي في الأترج:

ريحانة في اصفرار مهديها
أحبة لم تصخ لعاذلها

فأورد المعنى في بيتين فقص من غرابة معناه.

وجعلت دستبوية مقفعة في غصن آس، فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت:

كما انقض نجم في الدجنة ثاقب^(٢)
كمثل بنان الكف يلويه حاسب^(٣)
له الشمس أم والبدور أقارب
له الحسن خدن والملاحه صاحب^(٤)

وما ذاك في غيره لو طلب
أكف تشير إلى من تحب

فلإن لها عز القناعة والصبر
تصرف زيد آخذاً بقفا عمرو

لا ولكنه صديق لروحي
فمليح يطوف حول مليح

فتى رأها كخذ معشوقه
فقلت لا بل أمص من ريقه

أو ذاب تفاحنا غدا راحا^(٥)

وأصفر يهوي من ذؤابة أخضر
له شعب تهوي على سرواتهِ
فناولنيه ذو دلال كأنما
فأصبح مشهور الجمال مشهراً
وقال بعضهم في الأترج:

لها ورق ريحها ريحه
كان تعطف أوراقها

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون:

إذا ذلت الأشجار يوماً لجفوة
تصرف في اللذات من كل مطعم

وقلت في التفاح:

ليس ريح التفاح عندي بريح
حمرة الخد واخضرار عذار

وقال نصر بن أحمد:

أكلت تفاحة فعاتبني
فقال خد الحبيب تأكله

وقال السري:

لوجمدت راحنا اغتدت ذهباً

(١) في نسخة: «بصحبته» بدل «بفكرتها».

(٢) الدجنة: الظلام.

(٣) وله شعب تلوي.

(٤) الخدن: الصاحب.

(٥) الراح: الخمرة.

وقلت في الرُّمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً:

حكى الرُّمان أوَّل ما تبسَّدي فجاء الصَّيفُ يحشوه عقيقاً
حِقاقُ زبرجدٍ يُحشَيْنَ دُرّاً ويكسوه مرورُ القَيْظِ تبراً
ويحكى في الغصونِ تُديُّ حُور شَقَقْنَ غلائلاً عنهن خضراً^(١)
وقلت في خوخة:

وخوخة ملء يدِ الجانية تملك لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرةِ الرجنةِ حمرة كأنها عاشقةٌ سالية
وأجود ما قيل^(٢) في العنب قول ابن الرومي:

ورازقي مخطفِ الخصور كأنه مخازنُ البللور
قد ملئت مسكاً إلى الشطور وفي الأعالي ماءٌ وردٍ جُوري
لم يُبقي منها وهجُ الحرور إلا ضياءٌ في ظروف نور^(٣)
له مذاقُ العسل المشور وبردٌ من الخصر المقرور^(٤)
ونفحةُ المسك مع الكافور لو أنه يبقى مع الدهور
قرطُ آذانِ الحسانِ الحور

وقال في معناه:

ورازقي مخطفِ خصوره قد أينعت أنصافه الأسافلُ
كأنها مخازنُ مملوءة من ماءٍ وردٍ فيه مسكٌ ثافل^(٥)
لا يزيد على هذا الوصف أحد.

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: ما أطيب العنب عندكم؟ قال ما أخضر عوده، وغلظ عموده، وسبط عنقوده، ورق لحاؤه، وكثر ماؤه. فقال له كم عطاءك؟ فقال ألفين. فسكت ساعة، ثم قال له كم عطاؤك؟ قال ألفان. قال فلم لحتن أولاً؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير المؤمنين راجلاً، لحتن فلحتن، ونحوت فنحوت. فاستحسن أدبه وأجازه. وقلت:

باكرنا الدهرُ بسرَّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يشني على الدهرِ بآلائه
أما ترى الرقة في جَوْه تناسبُ الرقة في مائه

(١) تُدي: جمع تُدي. الحُور: الجسان. الغلائل: جمع الغلالة: الثوب الرقيق.

(٢) ديوانه: ٨٦/٣.

(٣) الحرور: الحر.

(٤) العسل المشور: المجتنى. المقرور: من أصابه البرد.

(٥) الثافل: ما استتر تحت الشيء من كُدرة أو غيرها.

قد ضمها في بُرد أحشائه
تقرصها في برد أفنائيه
يُهدى إلى بهجة شعرائه^(١)
حمرأه في وجهه بيضائه

أنظر إلى أنواع أثماره
راحت عليها نسَمَات الصبا
أما ترى حسن ملاحيه
أنظر إلى رُمَّانه ضاحكا
وقال ابن المعتز في العنب:

كما اختبى الزنج في خضر من الأزر

ظلت عناقيدها يخرجن من ورق
ويروى لابن المعتز في التفاح:

كخد مُحِب فوق خد حبيب
من الراح في كفي أغن ربيب

وتفاحه صفراء حمراء غضة
أحيا بها طورا وأشرب مثلها
وقلت في النارج:

بمكفر ومزعفر ومُضْرَج
مثل العقيق يلوح في الفيروزج^(٢)
وجنات ورد في عذار بنفسج

روض زهاه المزن في كراته
فتبسم النارج في شجراته
والكأس يحملها أغن يزينه

ومن أجود ما قيل في النخل، من قديم الشعر، ما أنشدناه أبو أحمد، عن الجلودى عن محمد بن العباس، عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب:

طلبن معينه حتى ارتويننا^(٤)
إذا لم تبق سائمة بقينا
عذارى بالذوائب ينتصينا^(٥)

ضربن العرق في ينبوع عين
بنات الدهر لا يخشين محلا
كأن فروعهن بكل ريح
وقد ملح النبغة في قوله^(٦):

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها إذا طار قشر التمر عنها بطائر
من الواردات الماء بالقاع تستقي بأعجازها قبل استقاء الحناجر

وهذا أجود من الأول، لأنه ذكر أنهم وردن الماء، يعني الماء الذي في بطن الأرض معينا. وقال النمر: «طلبن معينه» فجعل الماء، الذي في بطن الأرض معينا، والمعين إنما هو الماء الجاري على وجه الأرض ظاهرا. ومن أجود ما قيل في الطلع، من الشعر القديم، قول كعب بن الأشرف^(٧):

(١) ملاحي: عنب ابيض طويل.

(٢) مكفر: مخروج بالكافور. ومزعفر: ممزوج بالزعفران. مضرج: مشقق.

(٣) الفيروزج: الفيروز: حجر كريم.

(٤) في نسخة «حتى رويننا».

(٥) الفروع: الشعر. الذوائب: الضفائر. ينتصي: يأخذ بعضها بنواص بعض.

(٦) ديوانه: ١١٢.

(٧) هو كعب بن الأشرف الطائي، شاعر جاهلي، هجا المسلمين، والني ﷺ فأهدر دمه ثم قتلوه سنة ٣ هـ.

ونخيل في تلاع جمّة
وقال الربيع بن أبي الحقيق:

أذلك أم غرس من النخل مترع
لها سَعَفٌ جعدٌ وليفّ كأنه
بوادي القرى فيه العيون الرواجع
حواشي بُرودٍ حاكهنّ الصوانع^(٢)

وهذا في وصف الليف حسن .

وأخبرنا أبو أحمد، عن الجلودي، عن الحارث بن إسماعيل، عن سهل بن محمد، عن علي بن محمد، عن أسلم الأزدي، عن يونس عن الشعبي، قال كتب قيصر إلى عمر:
إن رسلي أخبروني أن بأرضك شجرة، كالرجل القائم، تفلق عن مثل آذان الحمر، ثم يصير مثل اللؤلؤ، ثم يعود كالزمرد الأخضر، ثم يصير كالياقوت الأحمر والأصفر، ثم يربط فيكون كأطيب فالوذ اتخذ، ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن كان رسلي صدقوني، فهي الشجرة التي نبتت على مريم بنت عمران.
فكتب عمر إليه:

إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .
وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل:

حدائقٌ ملتفة الجنان	رست بشاطى ترع ريان
تمتارٌ بالأعجاز للأذقان	لا ترهبُ المحلّ من الأزمان ^(٣)
ولا توقّي ختل الذوبان	ولا ترى ناشدة الرعيان
ولا تخافُ عِرّة الأوطان	سُحْمُ الرؤوسِ كمتُ الأبدان ^(٤)
لها يوم البارح الحنان	مثل تناصي الخرد الحسان ^(٥)
إذ هي أبدت زينة الرهبان	لاحت بكافورٍ على إهان
يطلع منها كيدُ الإنسان	إذا بدت ملمومة البنان
عُلت بورسٍ أو بزعفران	حتى إذا شبه بالأذان
من حمر الوحش لذي عيان	

وهذا لفظ رائد على معناه:

شققة عِلجانٍ ماهران	من لؤلؤ صيغ على قضبان
مصوغة من ذهبٍ خلصان	ثم ترى للسبع والثمان

(١) القلاع: جمع القلعة: ما ارتفع من الأرض ومسيل الماء .

(٢) البرود: الثياب .

(٣) أعجاز النخل: أصولها .

(٤) سُحْم: سُود. كُمت: جمع كُميت: أشقر .

(٥) الخرد: جمع الخريدة: الفتاة الشابة .

قد حالَ مثلَ الشذرِ في الجمان يضحكُ عن مشتبهِ الأقران
 كأنه في باطنِ الأفنان زمرْدُ لآخِ على التيجان
 حتى إذا تمَّ له شهران وانسدلت عثاكلُ القنوان^(١)
 كأنها قضبٌ من العقيان فصلنَ بالياقوتِ والمرجانِ
 من قانى أحمرَ أرجوان وفاقعَ أصفرَ كالنيرانِ^(٢)
 مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل، من شعر المحدثين، أجود من هذه الأرجوزة.
 وقلت:

ونخيل وقفن في معطفِ الرم ول وقوفَ الحبشانِ في التيجانِ
 شربت بالأعجازِ حتى تروّت وتراءت بزينَةِ الرحمانِ
 طلّع الطلُعُ في الجماجم منها كأكفَ خرجنَ من أردانِ
 فتراها كأنها كُمتُ الخيلِ توافت مُصرةُ الأذانِ
 أهو الطلُعُ أم سلاسلُ عاج حُمّلت في سفائنِ العقيانِ
 ثم عادتُ شبائهاً تتباهى بأعالي شِئائه أقرانِ
 خرزاتُ من الزبرجدِ خضرُ وهبتها السلوكُ للقضبانِ^(٣)
 ثم حال النجارُ واختلف الشكـ ل فلاحت بجوهرِ ألوانِ
 بين صُفَرِ فواقع تتباهى في شماريخها وحُمَرِ قواني
 وقال بعض العرب:

طلعاً كآذانِ الكلابِ البيض

وقال ابن المعتز في الرطب:

كقطعِ العقيقِ يانعاتٍ بخالصِ التبرِ مُنوعاتٍ^(٤)

وأخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال: أخبرنا السكن بن السعيد، قال: أخبرنا محمد بن عباد، قال: تكلم صعصعة، عند معاوية، بكلام أحسن فيه، فحسده عمرو بن العاص فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام، قال صعصعة: أجل أجوده مادق نواه، ورق سحاؤه، وعظم لحاؤه، والريح تنفجه، والشمس تنضجه، والبرد يدمجه، ولكنك يا بن العاص، لا تمرأ تصف، ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(٥). فقال معاوية: رغماً. فقال عمرو: أضعاف الرغم

(١) العثاكل: جمع العثكولة: العذق أو الشمراخ.

(٢) أرجوان: صباغ أحمر.

(٣) الزبرجد: من الأحجار الكريمة.

(٤) العقيق: من الأحجار الكريمة. التبر: الذهب.

(٥) تعرف: تقذف.

لك، وما بي إلا بعض ما بك.

ومن الغلو في صفة التمر: ما أخبرنا به أبو أحمد، عن ابن الأنباري، عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي، عن أبي نصر، قال: قال الأصمعي: قيل للغاصري أي التمر أجود؟ قال: الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير، تضع الواحدة في فمك، فتجد حلاوتها في كعبك يعني الصيحاني.

وقال الخباز البلدي:

ذرى شجر للطير فيه تشاجرُ كأن بنات الورد فيه جواهرُ
كأن القمارى والبلايل بينها قيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة كأن على أحداقها الدرُّ دائر
وقال غيره:

أي يوم لنا على التلِّ بالما ه وعيش تضيقُ عنه النعوتُ^(١)
ورَدَّ الدرُّ فيه في شجر اللو ز وفي الخوخ ورَدَّ الياقوتُ
وقلت:

ظل يسقي حدائقاً وجناناً يا لها من حدائق وجنان
خطرت بينها الرياحُ سُحيراً فتناصت تناصي الأقران^(٢)
وتناجى الغصونُ فيها سراراً وتنادى الطيورُ بالإعلان
فتناجى الغصونُ شبه عتاب وتنادى الطيورُ مثل أغاني
من كروم تمايلت بعناقير كجعد الزنوج والجُبان
وملاحية تميلُ أخرى كوجوه الخرائد الغُرَّان^(٣)
كلالي تشبثت بلالٍ وبنان تشبكت ببنان
فهى كالنجم في فروع كرومٍ وهي كالشمس في بطون الدنان^(٤)
وقلت في البطيخ:

وجامعة لأصناف المعاني صلحن لوقتٍ إكثارٍ وقله
وإحداهن تبرُّز في عباءٍ وأخراهن في جبرٍ وحله
ومنها ما تشبههُ بُدوراً فإن قَطَّعتها رجعت أهله
وقلت:

بُسْمرانٍ وسُودانٍ وحُمرانٍ وصُفرانٍ

(١) الماه: اسم موضع.

(٢) التناصي: إن يأخذ كلُّ بناصية الآخر.

(٣) ملاحية: الملاحي: العنب الأبيض الطويل. وكذلك التين.

(٤) الدنان: أوعية الخمرة.

كوشي في يَدِي وَاشِ
فمن آدم ومن نقلِ
وشهد في يَدِي جاني
وريحانٍ وأشنانٍ

وأنشدنا أبو أحمد في الكرم:

لهنَّ ظلُّ باردُ الودائعِ
كأنها غدائرُ العوائقِ
يحملنَ لذاً طعمه للذائقِ^(١)
تُناطُ في حُجرٍ من المعالقِ^(٢)
كأنها أناملُ الغرائقِ

وهو من قول الآخر:

يحملنها بأناملِ النقرانِ

وقلت في اللُّفَّاحِ^(٣):

انظر إلى اللُّفَّاحِ تنظرُ معجباً
يعلو مفارقهُ قلانسُ أخفيت
يجلو عليك مُفضضاً في مُذهبِ^(٤)
من تحتهنَّ دراهمٌ لم تضربِ

وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد:

وممشوقة القاماتِ بيضُ نحوورها
لها حقْبٌ لا تستطيعُ أطراحها
وهنَّ رِمَاحٌ لا تريقُ دَمَ العدى
يميل على أعرافها عذباتها
تناهى بها الأدراكُ حتَّى كأنها
ترى الريح يُغيرها بنجوى خفيّة
وخُضرٌ نواصيها وُفِرَ جُسومُها
وليس يطيقُ سلبها من يرومها
ولكن يُراقُ في القُدور صميمها
كحورٍ تناصي هندها ورميمها^(٥)
يُعلِّ بماءِ الزعفرانِ أديمها
إذا ما جرى قَصْرُ العشي نسيمها

ومن جيد ما قيل في السِّدر والطلح قول بعضهم:

لم ترَ عَيْنًا ناظرٍ مَنْظراً
كأنها والريحُ تسموبها
أحسن من أفنانِ طلح مَروح^(٦)
ألويةٌ منشورةٌ للفتوحِ
على سَواقٍ كمتونِ الصفيحِ
وسِدره مدّت بأفنانها

إلا أن قوله «للفتوح» فضلٌ لا يحتاج إليه، لأن الألوية إذا نشرت للفتوح، مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو.

وإنما أورد في هذا الكتاب، مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها، فأريد أن أدلُّ على موضع

(١) الودائع جمع الودق: المطر القليل.

(٢) الغرائق: الشاب أو الشابة: إذا كان ممثلاً.

(٣) اللُّفَّاح: نبت يشبه الباذنجان.

(٤) مفضض: عليه فضة. مُذهب: مطلى بالذهب.

(٥) التناصي: أن يأخذ الواحد بناصية الآخر. هند ورجيم: اسمان مؤنثان.

(٦) مروح: أصابته الريح.

العيب فيه ليقف عليه .

ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :

أتاني فحياني بنبق كأنه
بأحمر كالياقوت يقطر ماؤه
وقال آخر:

أقبل تحت الليل كالظبي الفرق
فجاء بالوصل وحيًا بالنبق
وقلت: نبقى هكذا ونتفق
ما اخضرَّ عودُ أبدأ لا نفترق

وقلت في النبق :

كواعباً	أبكاراً ^(١)	جلى الربيع علينا
مسورات	نهارا	مُتوجات عقيقاً
د شوذراً	وخماراً ^(٢)	ترى لهن من الور
تحيرُ	الأبصارا	أهدى لنا جواهرات
تريك جمرأ ونارا		يا حسن حمر وُصفراً
وراع ذاك اصفرارا		قد راق ذاك أحمراراً
وخلت ذاك نُضارا		وخلت هذا عقيقاً
وذاك راحاً عُقاراً ^(٣)		وذاك شهداً مشاراً
نظمته تقصاراً ^(٤)		لو كان يبقى سليماً

وقلت في الممشى، ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً:

بنادقاً مخروطةً من الذهب	جنيتها والصبح وردى العذب
والتف منها خشبٌ على غرب	قد ضمنت أمثالها من الخشب
فهي لعمري عجبٌ من العجب	وصار منه السم حشواً للضرب
	الغرب الفضة، والضربُ العسل.

ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

مُبْتَسماً على طبق	أهلاً بتين جاءنا
وبعضه يحكي الغسق	يحكي الصبح بعضه
قد جمعت بلا حلق	كسفر مضمومة

(١) كواعب ابكار: شابات حسناوات .

(٢) الشوذر: الملحفة وهو (معرب) .

(٣) الشهد المشار: العسل المجتني والراح: الخمرة .

(٤) التقصار: القلادة .

وقال الحلبي في الفُستق:

من الفستق الشامي كل مصون
زبرجدة ملفوفة في حريرة
وقلت في خيارة:

زبرجدة فيها قراضة فضة
تلم بناطورين في كل حجة
فعند المصيف ليس يفقد نفعها

وأما دَم البساتين، فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي:

الله ما ضيَعته من الشجر
ومُعجبات من بقول وزهر
في بقعة لا سقيت صوب المطر
ضميرها النار وإن لم تستعر
بستانه أنثى وبُستاني ذكر

ومما يجري مع هذا قول الأعرابي:

مُطرنا فلما أن روينَا تهادرت
ورامت رجالاً من رجال ظُلامة
ونصت ركاباً للصبَا فتروحت
بني عمنا لا تُعجلوا نضب الثرى
ولو قد تولى الضب وامترت القرى
وصار غبوق الخود وهي كريمة
وصار الذي في أنفه خنزوانة
أولئك أيام تبين لفتى

تصان من الأحداث في بطن تابوت
مضمنة ذراً مغشى بياقوت

فإن رجعت تيراً فقد خس أمرها
فيكثر فينا خيرها ثم شرها
وعند الخريف ليس يؤمن ضرها

أطفال غرس تترجى وتنتظر

مصفرة قد هربت لا من كبر

حالقة لنبيها خلق الشعر^(١)

كل امرئ غيري من هذا البشر

بستانه أنثى وبُستاني ذكر

ومما يجري مع هذا قول الأعرابي:

شقاشق فيها رائبٌ وحليب

وعدت دخول بيننا وذنوب

ألا ربما هاج الحبيب حبيب

قليلاً ويشفي المترفين طيب^(٢)

وحنت ركاب الحي حين تؤوب^(٣)

على أهلها ذو جدتين مشوب^(٤)

ينادي إلى هادي الرّحَا فيجيب^(٥)

أكاب سليب أوا أشم نجيب

(١) الصوب: المطر.

(٢) نضب الثرى: جفافه.

(٣) تؤوب: تعود.

(٤) الغبوق: شراب المساء.

(٥) خنزوانة: القرد أو الخنزير.

الفصل الثالث من الباب السابع في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز:
ونسيم يُبَشِّرُ الأرض بالقط
وَوُجُوهُ البلاد تَنْتَظِرُ الغيـ
وقال (١) ابن الرومي:

رَكَذِيلُ الغلالةِ المبلولِ
تَنتَظِرُ المَحَبَّ رَدَّ الرِّسُولِ

بَجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحاً وَرِيحَانَا
سِرّاً بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
تَسْمُو بِهَا وَتَشْمُ الْأَرْضُ أَحْيَانَا
وَالْغَصَنُ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

حَيَّتْكَ عَنَا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا
هَبَّتْ سُحَيْراً فَنَاجَى الْغُصْنَ صَاحِبَهُ
وَرَقٌّ تُغْنِي عَلَى خَضِرٍ مُهْدَلَةٌ
تَخَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرِبِ
وقال ابن المعتز:

وَبَلَّلَهَا دَمْعٌ مِنَ الْمُزْنِ ذَارِفُ
يَفْتَحُهَا أَيْدِي الرِّيحِ الضَّعَائِفُ

يَشُقُّ رِياضاً قَدْ تَقَيَّقَتْ نَوْرُهَا
كَأَنَّ عُبابَ الْمَسْكِ بَيْنَ بَقَاعِهَا
وقلت:

فَتَرَى الْقَطَرَ لِلرِّيَاضِ نَدِيمَا
وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيمَا

وَالصَّبَا يَجْلِبُ الْغَمَامَ إِلَيْنَا
وَتَرَى لِلْغُصُونِ فِيهَا نَجِيّاً
وقال (٢) ابن الرومي:

وَلَاهَا بَعْدَ وَسْمِيٍّ وَلِيٌّ (٣)
لَأَفْنَانِ الْغُصُونِ بِهَا نَجِيٌّ
نَفْسٌ كَالشَّجِيِّ لَهَا الْخَلِيٌّ

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُزَامِي
هَدِيَّةٌ شَمَالٍ هَبَّتْ بَلِيلُ
إِذَا أَنْفَاسُهَا نَسَمَتْ سُحَيْراً

(١) ديوانه: ٢٠٩/٦.

(٢) ديوانه: ٣٨٥/٦.

(٣) أرج الخزامى: عطرها. والخزامى: نبت ذكي الرائحة. الوسمي: أول المطر. الولي: ما يليه.

وقال ابن المعتز:

وما رِيحُ قاعِ عازِبٍ طَلَّهَ النَّدى
فجاءت سُحيراً بينَ يومٍ وليلةٍ
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمه كُرداءِ الوشي مُشتبهٍ
والريحُ تجذبُ أطرافَ الرداءِ كما
وقلت:

وأقبل نُشْرُ الروضِ في نفس الصِّبا
ومما لا يجيىء في معناه مثله قول بشار:

وروضٌ من الريحانِ دَرَّتْ سحائبُه
كما جرَّ في ذيلِ الغلالةِ ساحِبُه^(١)

نَفَذْتُه والذُّجى والصُّبحُ خيطانِ
أفضى الشفيقُ إلى تنبيهِ وسنانِ

فباتَ به ثوبُ الهواءِ مُكفراً^(٢)

أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي، قال: حدثنا المكتفي بالله يوماً، أنه كان نائماً، فسمع دق باب، فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً، ثم عاد فنظر، فإذا الريحُ تُحرِّكُ البابَ حركةً كأنها دق بيد، قال: فقلتُ له: قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته^(٣) لبشار:

طَرَقَتْنِي صَباً فَحَرَّكَتِ الْبَا
فَكَأَنِّي سَمِعْتُ حَسَّ حَبِيبٍ
بَ هُدُوءاً فَارْتَعْتُ مِنْهُ ارْتِيَابَا
نَقَرَ الْبَابَ نَقْرَةً ثُمَّ هَايَا

قال ما كنت أظنُّ أنَّه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.

وقال^(٤) ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكه أيلولٍ إذا اجتمعتُ
إذا لما حَفَلَتْ نَفْسِي مَتَى اشْتَمَلْتُ
يا حبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردتُ
وجَمَشَ الْقَمَرُ فِيهِ الْجِلْدَ وَأَتَلَفْتُ
وأسفرَ القمرُ الساري فَصَفَحَتُهُ
يا حبذا نفحةٌ من ريحه سحرًا
قل فيه ما شئتَ من شهرٍ تَعَهَّدُهُ

وقلت:

ولهُ مَجْنَحُ الْأَصِيلِ نَسِيمٌ

لَيْنُ الْعَطْفِ هَيْنَ الْخَطَرَانِ

(١) الغلالة: الثوب الرقيق.

(٢) مُكفر: أي فيه كافور.

(٣) ديوانه: ١٩٥.

(٤) ديوانه: ٢٩/١.

(٥) الريح سجواء: ساكنة.

(٦) التجميش: الملاعبة. القر: البرد.

أرْجُ يَقتَدي به نفسُ المسـ لك وتحكيه نكهةُ الزعفرانِ
كم غدا مُدْنفأ وراحَ حسيراً يتهادى في دجلة المسرُقان^(١)
فرأينا له لبوسَ شجاعٍ ووجدنا بها ارتعاشَ جبانٍ
وإلى هذا انتهى بنا القولُ في هذا الباب، ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأمللنا، ولم نأت
على ما في نفوسنا منه، والاقتصار على المشاهير والأعيان منه أولى وبالله التوفيق.
انقضى الباب السابع، من كتاب ديوان المعاني، والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا
محمد، وآله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم.

(١) المدنف: المريض.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة، ودمغ الجهالة، وقذف بالحق على الباطل فأزهقه، وأزاله منه حتى أوبقه، بما أقام من الدلائل الواضحة، وبين من الشواهد اللائحة، وجعل لخلقه حدوداً حذرهم تعديها، وخوَّفهم تخطيها، بالقول الصادق، والبيان الصادع، إغذاراً وتحذيراً، وحجة وتنبها، فمن لم يُقنعه ما سيق من صدق قوله، وحتم أمره ونهيه، حُكم فيه السيفُ، وسلط عليه السوط، ليردَّاه إلى سبيل الحق، بعد أن يجعلاه نكالا للخلق، والله عليم حكيم. وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا كتاب المبالغة

في صفات الحرب والسلاح والظمن والضرب وما يجري مع ذلك وهو:

الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني

قالوا: أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول:

كأن الأفق محفوف بنارٍ وتحت النارٍ آسادٌ تزيرو^(١)
وقريب منه قول مُحدث:

ويوم كأن المصطلين بحرهُ وإن لم يكن جمرٌ وقوفٌ على جمرٍ
صبرنا له حتى تجلى وإنما تُفرِّج أيام الكريهة بالصبرِ
ومن بليغ ما قيل في شدة الروح قول زيد^(٢) الخيل:

والخيل تعلم أني كنتُ فارسها يوم الأكس به من نجدة روق

(١) آساد: جمع أسد.

(٢) هوزيد بن مهلهل بن منهب، عُرف بكثرة خيله فلقب بزيد الخيل، شاعر خطيب من أبطال الجاهلية، اسلم في

وفد من قومه على النبي ﷺ، مات سنة ٩ هـ. (الأعلام: ٦١/٣).

وقول^(١) المفضل النكري:

فداءً خالتي لبني حيي خصوصاً يوم كُسُ القومِ رُوقُ^(٢)
معناه أن الأكس، وهو القصيرُ الأسنان، وقد كَلَحَ من كراهة الحال، وشدة الروع، حتى
تراه كأنه أروق، وهو الطويلُ الأسنان، أَخَذَهُ أبو تمام فأجاده في قوله:

فخيل من شدة التعيس مبتسماً
على أنه ليس فيه مدح لأن الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة. ومما يدخل في هذا
الباب وليس منه قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم ثلج^(٣):

ويوم كأن الأرض شابت لهولهِ قطعتُ بخيل حشو فرسانها الصبرُ
تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزُ وأطرافها حُمُرُ
أجود ما قيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر^(٤):

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفتى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أقمى فأصطلي^(٥)
يتخالسون نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهي وانتمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة:
والخيل من خلل الغبارِ خوارجُ كالتمر ينثر من جراب الجرم^(٦)
وقال آخر:

ورُبَّتْ غارةٍ أوضعتُ فيها كسحُ الخزر جيّ جريم تمرٍ
وقد أحسن الأعرابي في قوله:
نُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيشاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ^(٧)
بغزو كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتعرجُ
وقال^(٨) أبو فراس:

وسمر أعاد يلمعُ البيضُ بينهم وبيض أعادٍ في أكفهمُ السمرُ
وخيل يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها ونصلٍ إذا ما شِمتُهُ نزلَ النصرُ

(١) طبقات ابن سلام: ٢٧٥/١. والأصمعيات: ٢٠١.

(٢) الكس: قصر الأسنان.

(٣) ديوانه: ١٣٢.

(٤) الأسعر: هو الأسعر الجعفي، مرثد بن أبي حمران، شاعر جاهلي.

(٥) المقرور: من أصابه البرد.

(٦) الجرم: جمع الجارم: من يجني التمر.

(٧) أشار إلى أربع قبائل عربية.

(٨) ديوانه: ١٣٢.

وقوم متى ما ألقهم رَوَى القنا وأرض متى ما أغزها سُبَع النسر
ومن أبلغ ما قيل في إعمال السيف قول^(١) عمرو بن كلثوم:

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريقٌ بأيدي لاعبين^(٢)
وقول^(٣) قيس بن الخطيم:

كأن يَدَي بالسيفِ مخراقٌ لاعِبِ

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني:

وإننا لتصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك
منابرهنَّ بطونُ الأكفِّ وأغمادهنَّ رؤوسُ الملوِكِ

أخذه من قول سعد بن ناشب^(٤):

فإنَّ أسيافنا بيضٌ مُهندَةٌ عتقٌ وآثارها في هامكمُ جُدُدُ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلا وهامُ بني بكر لها غمدُ

وقال مسلم:

ونغمد السيف بين النحر والجيد

وقال أيضاً:

لو أنَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا احمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوف مقيلا

وقال^(٥) حسان:

ويثربُ تعلمُ أنابها أَسودُ تُنفِضُ البأذاها^(٦)
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجمَ أغمادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز:

شَقَّ الصِّفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأحنِ
دامي الجراح كأنه وردُ تفتَّح في فنن^(٧)

(١) شرح المعلقات السبع: ١٢٦.

(٢) المخراق: واحد المخاريق. وهو السيف. أو خرقة بلوح بها الصبيان.

(٣) ديوانه: ٨٨. وصدر البيت: «أجالدهم يوم الحديقة حاسراً».

(٤) هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعده التميمي، من أهل البصرة شاعر من الفتاك. مات سنة ١١٠ هـ.

(الأعلام: ٨٨/٣).

(٥) ديوانه: ١٩٦.

(٦) ألباد: جمع لبة: شعر كتفي الأسد.

(٧) في ديوانه: ٣٨١: «في غصن».

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم:
فلولا الله والمهر المفلدى لرحت وأنت غربال الإهاب
وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة:
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نقذ لولا الشعاع أضاءها
ملكها بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها^(١)
ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب:
أبقى الحوادث والأيام من نمر أسباد سيف قديم أثره بادي^(٢)
تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي
وهذا من الأفراط والغلو، وهو عند بعضهم مذموم، إذا كان في هذا الحد، وعند آخرين
ممدوح، يقول إذا ضربت به قطع المضروب وتجاوزته، حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفر
عنه فتستخرجه.

ودون ذلك في الغلو قول النابغة:
يطير فضاضاً بينهم كل قونس ويتبعها منهم فراش الحواجب^(٣)
تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحجاب^(٤)
يقول: إنها تقد الدرع التي ضوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح النار
بالصفاح: وهي حجارة.

ومن بليغ ما قيل في صفة السيف، قول ابن يامين قال محمد بن داود بن الجراح: عن
أبي هفان، عن الإياسي القاضي، عن الهيثم بن عدي، قال: لما صار سيف عمرو بن معدي
كرب، الذي يسمى الصمامة إلى الهادي وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص، فتوارثه ولده إلى
أن مات المهدي، فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل، وكان موسى من أوسع بني العباس
خلقاً وأكثرهم عطاءً، للمال، قال: فجرده ووضعه بين يديه، وأذن للشعراء، فدخلوا ودعا بمكتل
فيه دنانير، فقال: قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال:

حاز صمامة الزبيدي من يه من جميع الأنام موسى الأمين^(٥)
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أعمدت عليه الجفون
أوقدت فرقته الصواعق ناراً ثم شابت به الزعاف القيون^(٦)

(١) البيت في ديوان ابن الخطيم: ٤٦. وفيه: «من خلفها ما».

(٢) أسباد: ثياب سود.

(٣) البيت في ديوان النابغة: ٥١. فضاض: متناثر. القونس: أعلى الرأس. والحواجب: العظام الرقيقة فوق
الخياشيم.

(٤) السلوقي: درع منسوب إلى سلوق. الحجاب: شرر النار. والصفاح: حجارة عريضة.

(٥) الصمامة: السيف.

(٦) القيون: جمع القين: الحداد.

فإذا ما هزرتَه بهرَ الشمسِ ضياءَ فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصار كالقَبسِ المشعلِ ما تستقرُّ فيه العيون
وكانَ الفرنْدَ والجوهرَ الجا رِي في صفحتيه ماءً معينُ
نعمَ مخراقُ ذي الحفيظة في الهيْجَا بعضُاتها ونعمَ القريرينُ
ما يبالي إذا انتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمين
وكانَ المنونَ نيطت إليه فهو من كلِّ جانبِهِ منون
أخذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس، ثم بالقبس، لأنه قد حطَّ درجات،
فقال موسى: أصبت ما في نفسي، واستخفه الفرْح، فأمر له بالمكتل والسيف. فلما خرج
الشعراء: إنما حرمتُم لأجلي فدونكم المكتل ولي في هذا السيف غنى، قال فقال موسى فاشترى
اليف منه بمال جزيل هـ.

وذكر الهيثم بن عدي هبة عمرو بن معديكرب الصمصامة لسعيد بن العاص فقال: قال
سعيد بن العاص: وهو بالكوفة لعمر بن معديكرب هب لي الصمصامة، فإنك قد ضَعُفْتَ عن
حملة، وكان وزنه هَيْبَةً أرتال فقال عمرو: ما ضَعُفْتُ قتاتي ولا جناني ولا لساني، وإن اختل
جُثمانِي، وهو لك على أنه أوجش من لا يؤنسه، وأظلم من لا يقبسه. ثم قال:
خليلٌ لم أهبه من قِلاءٍ ولكن المواهب في الكرام
خليلٌ لم أخنه ولم يخني على الصمصام أضعافُ السلام
وقوله: «أوجش من لم يؤنسه، وأظلم من لا يقبسه» يقول: إذا كنت أستوحش من جانب
العدو آنسني، وإذا أظلم لي الليل أضاء لي.
وقال البحرِي (١):

مُصنِع إلى حُكم الردى غداً مضى لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل
متوقد يَبْرِي بأولِ ضربةٍ ما أدركت ولو أنها في يذبل
فإذا أصاب فكلُّ شيء مَقْتَلٌ وإذا أصيب فما له من مَقْتَلِ
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة من حدّه والدرع ليس بمَعْقِلِ

وذكر عمرو بن معديكرب أنواع السلاح فأجاد:

أخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن عرفة، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، عن
ابن الأعرابي، قال: حدثني رجلٌ من ولد أبي سرحة الغفاري، قال:

قدم عمرو بن معديكرب، على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عن سعد بن
أبي وقاص، فقال عمرو: أعرابي في نمرته، عاتق في حجلته، أسد في تامورته، نبطي في
جبايته. فقال كيف علمك بالسلاح؟ فقال بصيرٌ. قال: فأخبرني عن النبل، قال: منايا تخطيء
وتصيب، قال: فأخبرني عن النبل، قال: فأخبرني عن الرمح قال: أخوك وربما خانك. قال:

(١) ديوان البحرِي ٢٢٢/٢ ص.

فأخبرني عن الترس . قال : هو المجنُّ^(١) ، وعليه تدور الدوائر . قال : فأخبرني عن السيف . قال :
 عنده قارعت أمك الثكلى . قال : بل أمك ، والحمى أضرعتني لك .
 النمرة : كساء أسود تلبسه الأعراب . والعائق : الجارية الكعاب ، وصفه بالحياء . والتامورة
 ههنا الأجمة . فقال : نبطي في جبايته ، وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج . وقوله : «الحمى
 أضرعتني لك» : أي^(٢) الاسلام قيّدني لك ، وأذلني ، ولو كنت في الجاهلية ما كلمتني بهذا
 الكلام ، وهو مثل العرب تضربه عند الشيء يضطرها إلى الخضوع .
 ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن ابن دُرَيْد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : قال
 الأغرُّ النهشلي ، ووقع بينه وبين قومه شرٌّ ، فأرسل ابنه ، وقال يا بُنيّ ، كن يداً لأصحابك على
 قتالهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظلّ الموت ، وآتق الرمح ، فإنه رشأ^(٣) المنية ، ولا تقرب السهام ،
 فإنها رُسُلُ تعصي وتطيع . قال : فيمَ أقاتل ؟
 قال : بما قال الشاعر :

جلاميدُ أملاء الأكفّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حُلّقت في المواسمِ
 فعليك بها فألصقها بالأعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزغ عن ساحتيه وزاغت الأبصارُ
 فقتلاً يسيلُ من الدماءِ على قنا بطوالهنّ تُقَصِّرُ الأعمارُ
 ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالطُّيِّ فكانها تحتَ الغبارِ غبارُ^(٤)

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزجَّةً ودروعاً
 وكان أيديهم تُنْفَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنْ وقوعاً^(٥)
 وقال أيضاً :

بطعن تضيعُ الكفّ في لهواته وضربٌ كما شقَّ الرداءَ المرعبُ^(٦)
 وقال أيضاً :

قَرَيْنَا بَعْضَهُمْ طَعْناً وَجِيعاً وضرباً مثلَ أفواه اللقاحِ^(٧)

(١) المجن : الترس وما بقي ويحفظ .

(٢) جمهرة الأمثال : ٢٨٢/١ .

(٣) الرشأ : الحبل .

(٤) الطُّيِّ : جمع الطبابة : حد السيف .

(٥) في ديوانه : ٢٦٧ . وفيه : «وكان أيدينا» .

(٦) الرداء المرعب : الممزق . والبيت في ديوانه : ٣٢١ .

(٧) في ديوانه : ١٢١ . وفيه : «محاه كل هطال ملح ، بوبلٍ مثل أفواه اللقاح» .

وقال^(١) البحري وأحسن في ذلك :

ألوي إذا طعن المدجج صكه
فأنا النذير لمن تغطرس أو طغى
وقد ظرف في قوله^(٢) أيضاً :

ولو لم يحاجز لؤلؤ بفراره
ومن المختار قول مالك بن نويرة^(٣) :

بُسْمِر كَأَشْطَانِ الْجُرُورِ نَوَاهِلِ
يَقَعْنَ مَعاً فِيهِمْ بِأَيْدِي كِمَاتِنَا

ومن أبلغ ما قيل، في صفة الضرب والطعن، من قديم الشعر، قول عبد مناف بن ربيعي :
فَالطَّعْنَ شَعْشَعَةً وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةً
وَلِلْقَسِيِّ أَزَامِيلٌ وَغَمْغَمَةٌ
جِسَ الْجَنُوبِ تَسْوِي الْمَاءِ وَالْبَرْدِ

الهيقعة : وقع الشيء الصُّلب على مثله، سمعت هيقة الحجر والحديد، وشبه أصوات
القسي بصوت السحاب الذي فيه برد. والمعول الذي يتخذ العالة وهو أن يعمد الراعي، إذا خاف
المطر إلى الشجر، يتعضده ويجعل عضده على شجرتين متقاربتين، ويستكن تحته. والعضد : ما
يعضد من الشجر، أي يُقَطَّع والعضد المصدر.

ومن أجود ما قيل، في نفوذ التدبير في الحرب، مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في
صاعد^(٤) :

يَظُلُّ مِنَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِمَعَزِلِ
كَمَا احْتَجَبَ الْمَقْدَارُ وَالْحُكْمُ حَكْمُهُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ^(٥) بشار بن برد :

الدَّهْرُ طَلَاغٌ بِأَحْدَائِهِ
مَحْجُوبَةٌ تُنْفِذُ أَحْكَامَهَا
وقال :

(١) ديوانه : ١٦٧/١ ص.

(٢) ديوانه : ٨١/٢ ص.

(٣) هو مالك بن نويرة اليربوعي، قتله خالد بن الوليد في حرب الروة شاعر.

(٤) اشطان : جمع شطن وهو الجبل.

(٥) الكُماة : جمع الكمي : المقاتل المدجج.

(٦) صاعد : الوزير الكبير. أبو العلاء، الكاتب، كتب للموفق، ووزر للمعتمد، له اعمال بر وصدقات وقيام ليل.

مات سنة ٢٧٦ هـ. والبيتان في ديوانه. ١٢٤/٢.

(٧) مُعَرَّد : مهرب.

(٨) وانه : ٥٢٤.

حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المُتزوّد

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل تحيفها حتى كأنك مبرّد
تُفرّق عنه بالمكاييد جُنْدَهُ وتزدارهم جنداً وجيشك محصّد^(١)
سكنت سكوناً كان رهنأً بوئية عماس كذاك الليث للوثب يلبّد
فما رمته حتى استقلّ برأسه مكان قنّاة الظهر أَسْمَرُ أجرد
مناك له مقداره فكأنما تقوّض نهلان عليه وصنّد^(٢)

فقال: صندد، بفتح حرف الردف، وهو خطأ، وليس في العربية، فعلل إلا درهم وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلمع وهو الكثير القلع للأشياء، وكان بني قصيدته على فتح الردف، ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صندد ورمدد، وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها:

أفيضا دماً ان الرزايا لها قيم
وانما هو «درم». وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام^(٣):
هزّزت له سيفاً من الكيد إنما تجدّ به الأعناق ما لم يجرد
يسرّ الذي يسطو به وهو مُغمّد ويُفضّح من يسطو به غير مُغمّد
يقول: إن أخفيت الكيد ظفرت وسررت، وإن أظهرته افتضحت وخبت.

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهبت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تُردّ لريب الموت عنه يد
كأنها وهي في الأرواح والغنة وفي الكلى تجد الغيظ الذي يجد
من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل ما في متنه أود
كأنه كان خیدن الحبّ مُدّ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبّد

ويُشبه بياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمري:

ذكر يرونقه الدماء كأنما يعلو الرجال بأرجوان فاقع
وثرى مضارب شفر تيه كأنها ملح تنائر من وراء الدارع
ويُشبه الفرند بمذبّ الذر، فمن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس:

مُتوسّداً غضباً مضاربُه في متنه كمدبة النمل^(٤)
وقول^(٥) أوس بن حجر:

(١) محصد: قوي مجتمع.

(٢) نهلان وصندد: جبلان.

(٣) ديوانه: ٩٢.

(٤) ديوانه: ٩٥.

(٥) العضب: السيف.

وذو شَطْبَاتٍ قَدَّهُ ابْنُ مُجَدَّعٍ
وَأَشْبَرْنِيهِ الْهَالِكِيُّ كَأَنَّهُ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْقَيْنُ أَثْرًا كَأَنَّهُ

وقال (٤) ابن المعتز وأبدع :

وَجَرَّدَ مِنْ أَغْمَادِهِ كُلَّ مُرْهَفٍ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ، كَأَنَّمَا

وقال : إسحاق بن خلف :

الْقِيَّ بِجَانِبِ خَصْرِهِ
وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْهُمَا

وقال (٦) قيس بن الخطيم :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا
بَسِيفٍ كَأَنَ الْمَاءِ فِي صَفْحَاتِهِ
أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ (٧) :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنٌ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ
وَقَدْ أَجَادَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْلِهِ :

خَيْرٌ مَا اسْتَعْصَمْتُ بِهِ الْكَفُّ عَضْبٌ
مَا تَأَمَّلْتُهُ بَعِينُكَ إِلَّا
مِثْلُهُ أَفْزَعَ الشَّجَاعَ إِلَى الدَّرِّ
وَمَا أَبَالِي أَصَمَّمْتُ شَفَرَتَاهُ
وقال آخر :

جَرَّدُوهَا فَالْيَسُوهَا الْمَنَايَا
وَكَأَنَ آجَالُ مَنْ أَرَادُوا

لَهُ رَوْنَقٌ ذَرِيَهُ يَتَأَكَّلُ (١)
غَدِيرٌ جَرَى فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسِلُ (٢)
مَدَبٌ دَبًّا سَوْدٍ سَرَى وَهُوَ مَسْهَلُ (٣)

إِذَا مَا انْتَضَتْهُ الْكَفُّ كَادَ يَسِيلُ
تَنْفَسَ فِيهِ الْقَيْنُ، وَهُوَ صَقِيلُ (٥)

أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُتَمَتِّعِ
عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ

كَأَنَ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقٌ لِأَعْبٍ
طَحَارِيرُ غَيْمٍ أَوْ قُرُونُ جَنَادِبٍ

فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكَ دِمَاءٍ
بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقٌّ دُونَ سَمَاءٍ

ذَكَرْتُ مَتْنَهُ أُنَيْتُ الْمَهْزُ (٨)
أَبْرَقْتُ صَفْحَتَاهُ مِنْ غَيْرِ هَزٍّ
عَ فَعَالِي بِهِ عَلَى كُلِّ بَزٍّ
فِي مُحِزٍّ أَوْ جَازَتَا عَنْ مُحِزٍّ

عِوَضًا عَوِضْتُ مِنَ الْأَغْمَادِ
وَوَظَّيَاهَا كَانَتْ عَلَى مِيعَادِ

(١) ابن مجدع : حداد يصنع السلاح . رونق السيف : صفاؤه . يتأكل : يبرق .

(٢) أشبرنيه : اعطانيه .

(٣) القَيْن : الحداد . دبا : جراد .

(٤) ديوانه : ٣٣٠ . وفيه : «وجردت من» .

(٥) في ديوانه : «وهو ثقیل» .

(٦) ديوان ابن الخطيم : ٨٨ .

(٧) ديوان ابن المعتز : ١٨ .

(٨) سيف أينث ومثناة : كهام . والأبيات في ديوان ابن الرومي : ٢٤٤/٣ .

وقلت:

تميلُ كَفَيَّ من سيفٍ إلى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بينَ السيفِ والقلمِ
وقال ابن المعتز:

وسيوفُ كأنها حينَ سُلت ورقٌ هزّةُ سُقوطِ قطارٍ^(١)
ودروع كأنها شَمَطٌ جَع دُهينٌ يضلُّ فيه المَداري^(٢)

وقال ابنُ الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح:
وبكلِّ عَرَّاصِ المَهزّةِ مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقَدِ^(٣)
أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزدرد:

أصم إذا ما هُزُّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائِلِ
له رائدٌ ماضي الغرارِ كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحِلِ
وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد:

وأسمر مربوعٌ يرى ما أريتَه بصيرٌ إذا صَوَّبته للمقاتِلِ
وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين:

بكلِّ رُدِّيْنِي كأنَّ كعوبَه قطانسقُ يستورد الماءَ صائفُ
كأنَّ هلالاً لأح فوق سراته جلا الغيمَ عنه والقَتامَ الحراجفُ^(٤)

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح، وتداركه قول دريد بن الصمة^(٥):
نظرت إليه والرماحُ تنوشُه كوقع الصياصي في النسيجِ المددِ
الصيصية: الشوك الذي يسوي به الحائك الثوبَ، والصيصية أيضاً: الحصن ويقال للنناشر
من ساق الديك الصيصية أيضاً.

وقد أحسن البحري في قوله^(٦):

في معركٍ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوعِ إذا انحنينَ ضلوعا
وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر:
وقد طالَ حملي الرُمحِ حتى كأنه على فرسي غُصنٌ من البانِ نابِتُ
يطولُ لساني في العشيِّرةِ مُصلحاً على أنه يومُ الكريهةِ ساكتُ

(١) في ديوان ابن المعتز: ١٧٥ وفيه: «وسيوفُ هَزَّتْ» «هَزَّها سقوطُ القطار»

(٢) في الديوان: «الجمد دهيناً تضيل فيها» والمداري: الأمشاط.

(٣) الفرقدان: نجمان.

(٤) السراة: المرتفع. القتام: الغبار الحراجف: الرياح الشديدة.

(٥) ديوانه: ٤٨.

(٦) ديوان البحري: ٢٤٦/١ ع.

والسكوت في الحرب دليل على سكون الجأش، وكثرة الصوت فيها إمارة الفزع.
وقد قيل:

وكثرة الصوت والإيعاد من فشل

وقلت في الرمح:

يغدو بصدق الكعوب لذن يهتز ما بين كوكبين
أعني الزج والسنان.

وقال^(١) البحري:

كأنما الحربة في كفّه نجم دُجى شيعه البدر
وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان، والأسنة بالشهبان، فتركنا ذكر ذلك لشهرته واستفاضته.

أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول^(٢) أوس بن حجر وهو أوصف العرب للسلح:

فجرّدها صفراء لا الطول عابها ولا قصر أزرى بها فتعطلا
كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ولا عجزها عن موضع الكف أفضلا
وحشو جفير من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأملا^(٣)
تخير أنضاء وركبن أنصلا وقال الشماخ في صوت القوس^(٤):

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز
وقال آخر:

وهي إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الثكلى أبت لا تهجع^(٥)
وقال آخر:

تسمع عند النزع والتوتير في ستيها رنة الطنبور
وقال الأصمعي:

أحسن كلام في الإيجاز، قول عكلي في صفة قوس:

في كفه معطية منوع

ومن أحسن ما قاله محدث في القوس، قول ابن المعتز بالله:

أتيح لها هفان يخطم قوسه بأصفر حنان القرى غير أعزلا^(٦)

(١) ديوان البحري: ٣٣٣/١ ع.

(٢) ديوانه: ٩٠.

(٣) الجفير: الكنانة. وحشو الجفير: السهام.

(٤) الشعر والشعراء: ٢٣٣/١.

(٥) الثكلى: التي فقدت ولدها.

(٦) الأبيات في الديوان: ٣٤٠ وفيه: «له لهفان يخطر بأصفر» يُقال: على هفانه: على أثره. القرى: الظهور.

فأودعهُ سهماً كِمَدْرِ مواشِطٍ
 بطيئاً إذا أَسْرَعَتْ إطلاَقُ فُوقِهِ
 أفواهُها حَشْوُ الجفِيرِ كأنها
 وأجود ما شُبَّ به أفواقُ السَّهامِ قول الآخر:

والنُغْران: جمع نغرة وهي عصفورة. وقاتل الفند^(٢) الزماني:
 ونبلي وقفاهها كعراقيب قطعاً طحل

أخذه عتَابُ بن ورقاء^(٤) فقال:

وحطَّ عن منكبهِ شريانةً
 أم بناتٍ عَدَّها صانِعُها
 ذات رؤوس كالْمَصابيح لها
 إن حُرِّكت حنَّت إلى أولادِها
 حتى إذا ما قُرِنت ببعضِها
 وقال^(٥) ابن الرومي في قوس بندق^(٦):

كأنَّ قَراها والغرور التي بها
 مَذْرُ سحيقِ المسك فوقَ صلايةٍ
 لها أولُ طوعِ اليدينِ وآخرُ
 تطوُّعٍ لراميها الرمايا كأنما
 يُقَلِّبُ نحو الجَوِّ عيناً بـيرةً
 لها عَولَةٌ أولى بها من تصييه
 وهذا مثل قوله^(٩) في امرأة:

تُشْكي المحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً
 كالقوسِ تصمي الرمايا وهي مِرْنان^(١٠)

(١) في ديوانه: «في الريح».

(٢) الفند الزماني: هو شهل بن شيبان، شاعر جاهلي وسيد بكر في زمانه.

(٣) امير وشاعر، اسمه عتَاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو، تولى اماره اصبهان ايام ابن الزبير. مات سنة ٧٧ هـ. (الأعلام: ٢٠٠/٤).

(٤) الطلا: الصغير من أولاد الحيوان.

(٥) ديوان ابن الرومي: ١١٨/٤.

(٦) قوس بندق: كرة يقذفون بها.

(٧) الغرور: الطراوة.

(٨) الذر: النمل.

(٩) ديوان ابن الرومي: ١٧٦/٦.

(١٠) تصمي: تصيب. مِرْنان: ذات رنين.

وقال^(١) المتنبي في سداد الرمي :

يُصِيبُ بِيَعْضِهَا أَفْوَاقُ بَعْضٍ
وقال الراجزي في ضد ذلك :

مستَهْتَرٌ بِالرَّمِي وَإِ عَضْدِهِ
أَحْصَنَ شَيْءٍ يَوْمَ يَرْمِي طَرْدَهُ
وقال ابن الرومي في سهام :

وكل ابن رِيح يَسْبِقُ الطَرْفَ مَعْجَهُ
صَنِيعٌ مَرِيشٌ قَوْمُ الْقَيْنِ مَتْنُهُ
يَغْلُغُهُ فِي الدَّرْعِ نَصْلٌ كَأَنَّهُ
وقال ابن المعتز في قوس البندق :

وماء به الطيرُ مَرْبُوطَةٌ
غَدُونَا عَلَيْهِ وَشَمْسُ النَّهَارِ
فَظَلْنَا وَظَلَّتْ عُيُونُ الْقَسِيِّ
تَحَاكِي الْحَلِيِّ بِأَطْوَأَقِهِمَا
لَمْ تَكْسُهُ ثُوبٌ إِشْرَاقُهَا
تَرْمِي الطَّيُورَ بِأَحْدَاقِهَا

وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :

تَرَى غَابَةَ الْخَطِيٍّ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
كَمَا أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصَّوَارِ قَرُونُهَا^(٣)
ومما يجري مع ذلك قول^(٤) أبي فراس بن حمدان :
وما الذنبُ إلا العريكةُ الفتى
ومن كان غير السيفِ كافلَ رزقه

وما جاء عن أهل الجاهلية في الشباب ، شيءٌ إلا قول سيف بن ذي يزن يذكر القوس :
هَزَّوْا بِنَاتِ الرِّيحِ نَحْوَهُمْ
كَأَنَّهُا بِالْفَضَاءِ أَرْشِيَةٌ
فَأَمَّا النَّبْلُ فَقَدْ جَاءَ فِيهَا عَنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ .
أَعْوَجُّهَا طَامَحٌ وَزَمَزَمُهَا
يَخْفُ مَنْقُوضُهَا وَمُبْرَمُهَا

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول^(٥) كعب بن زهير :
وبيض من النسيج القديم كأنها
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت
نهاءً بقاع مأوها مترايع^(٦)
وتعقبها الأمطارُ فالماء راجعُ

(١) ديوانه : ١٤٣/١ .

(٢) مستهتر: مُولَع .

(٣) الخطي: الرمح . الصوار: جماعة بقر الوحش .

(٤) ديوانه : ٢٣ .

(٥) ديوان كعب : ٤٤ .

(٦) نهاء: جمع نهاءة: مجرى ماء . مترايع: متردد .

وهو مأخوذ من قول (١) امرئ القيس :

تفيض على المرء أردائها كفيض الأتي على الجدجد (٢)
وقال (٣) البحري :

يمشون في زرد كأن متونها في كل معركة متون نهاء
بيض تسيل على الكماء فضولها سيل السراب بقفرة بيداء
وإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء
ومعنى البيت الأخير دقيق غريب حسن مصيب ما أظنه سبق إليه .

ومن مליح ما جاء في صفة الدروع قول بعض بني هاشم :

وعلي سابعة الذبول كأنها سلخ كسانيه الشجاع الأرقم
ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ، ما أخبرنا به أبو القاسم ، عن القعدي ، عن أبي جعفر ،
عن المدائني ، قال : قال رجل من بني تميم لعبادي : لم يكن لآل نصر بن ربيعة صولة في
الحرب . قال : لقد قلت بطلاً ، ونطقت خطأً ، كانوا والله إذا أطلقوا عقل الحرب ، رأيت فرساناً
تمور كرجل الجراد ، وتدافع كتدافع الأمداد ، في فيلق حافاته الأسل ، يضطرب عليها الأجل ، إذا
هاجت لم تتناه دون بلوغ إرادتها ، ومتتهى غايات طلباتها ، لا يدافعها دافع ، ولا يقوم لها جمع
جامع ، وقد وثقت بالظفر لعز أنفسها ، وأيقنت بالغلبة لضرواة عاداتها ، فلها العلو والتمكين ، ولمن
ناوأها الذل والتوهين ، خصت بذاك على العرب أجمعين .
ومما يجري مع ذلك ، ما أخبرنا به أبو القاسم عن القعدي عن أبي جعفر قال : أنشد جرير
هشام بن عبد الملك :

لقومي أحمي للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع (٤)
وأوثق عند المردفات عشيّة لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع
فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن ؟ ألا جعلتهم كنسوة المخبل ! فما سمعنا بعربيات
قط أمتع منهن حيث يقول :

وساقطة كور الخمار حيّة على ظهر غري زال عنها جلالها (٥)
تشد يديها بالسنام وقد رأت مسومة يأوي إليها رعالها
نزلنا فساقينا الكماء دماءها سجال المنايا حيث تسقى سجالها (٦)

(١) ديوان امرئ القيس : ١٨٦ .

(٢) الأتي : السيل والجدول . الجدجد : الأرض الصلبة المستوية .

(٣) ديوانه : ٢٣١/٢ ص .

(٤) النقع : القتل والجلبة .

(٥) الكور : الرخل .

(٦) الكماء : جمع الكمي : المدجج بالسلاح .

وأجود ما قيل في ثياب الرجال في الحرب قول الحارث^(١) بن عباد:
قَرَّبَا مَرَبْطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقَحْتُ حَرْبُ وَائِلَ عَنِ حِيَالِ
قَرَّبَاهَا فَإِنَّ كَفْيَ رَهْنٍ أَنْ تَزُولَ الْجِبَالُ قَبْلَ الرِّجَالِ
وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٢).

ولم يصف أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحري:
أخبرنا به أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي، قال: سمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو لم
يكن للبحري إلا قصيدته السينية، في وصف إيوان كسرى، فليس للعرب سينية مثلها، وقصيدته
في البركة:

ميلوا إلى الدار من ليلى نُحييها

واعتذاراته في قصائده إلى الفتح، التي ليس للعرب، بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان
مثلها، وقصيدته في دينار بن عبد الله، التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله، أولها:
ألم تر تغليس الربيع المبكر
ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه. فكيف إذا أضيف إلى هذا،
صفاء مدحه، ورقة تشبيهه. وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته:

غَدُوْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ صُحْبًا وَإِنَّمَا	غدا المركب الميمون تحت المظفر ^(٣)
إِذَا زَمَجَرَ النُّوتِيُّ، فَوْقَ عَلَاتِهِ	رَأَيْتُ خَطِيئًا مِنْ ذُؤَابَةِ مَنِيرٍ ^(٤)
يَغْضُؤُونَ دُونَ الْإِسْتِنَامِ عَيُونَهُمْ	وَقُوفَ السَّمَاطِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤْمَرِ
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ	جَنَاهَا عُقَابُ فِي السَّمَاءِ، مُهَجَّرِ
إِذَا مَا انْكَفَا فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خَلَّتْهُ	تَلْفَعُ فِي أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُحَبَّرِ
وَحَوْلِكَ رُكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا	كُؤُوسَ الرَّدَى مِنْ دِرَاعَيْنِ وَخُسْرِ ^(٥)
تَمِيلُ الْمَنَايَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ	إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكُرِ
إِذَا رَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكْ رَشَقُهُمْ	لِيُقْلَعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُقْتَرِ
صَدَمَتْ بِهِمْ صُهْبُ الْعَثَانِينَ دُونَهُمْ	ضَرَابُ كُلِّ قَادِ اللَّظَى الْمَتَسَعِرِ ^(٦)
كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ، بَيْنَ رَمَاجِهِمْ،	إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيْعُ عَوْدٍ مُجْرَجِرِ

(١) الحارث بن عباد بن قيس، حكيم جاهلي شجاع، شاعر. مات سنة ٥٠ ق هـ.

(٢) سورة الصف: آية ٤.

(٣) الأبيات كلها في ديوان البحري: ٣٧٦/١ ع. ورواية البيت الأول: «غدون على الميمون».

(٤) النوتي: الملاح.

(٥) دارعون: لابسودروع.

(٦) صهب العثانين: الروم. والعثانين: جمع العثنون: اللحية.

تُقَارِبُ مِنْ رَحْفَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا
فما رحت حتى، أجلت الحرب عن طُلَى
على حين لا نَقْصُ يَطْوُحُهُ الصَّبَا
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده
جدحت له الموت الزعاف فعافه
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها

ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول (٣) عنترة:

أبيناً فما نُعطى السواء عدونا
أبيناً فما نُعطى السواء عدونا
بكل هتوفٍ عجبها رَضْوِيَّة
بكل هتوفٍ عجبها رَضْوِيَّة
وقال راشد بن شهاب الشكري:

ونبل قران كالسيور سلاجِم
ونبل قران كالسيور سلاجِم
ومُطَرِد الكعيبين أحمر عانز
ومُطَرِد الكعيبين أحمر عانز

وصف النبل والقوس، والرمح والدرع، في بيتين فأحسن، والأدوم: الأملس الذي لاجم له، والسلاجم الطوال، والسقي الذي يشرب الماء، والششم شجر. ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (٨):

إذا ما علونا ظهرَ نشز كأنما
إذا ما علونا ظهرَ نشز كأنما
وقول الآخر:

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِم

ورواه بعضهم:

كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوِّ بَاضَ عَلَيْهِم

فقليل له: أخطأت من وجهين: أحدهما أن النعاج لا تكون في الجو، والآخر أنها لا تبيض. ومن أحسن ما قيل فيه قول (٤) ابن المعتز:

(١) الهام: الرؤوس.

(٢) الشطب المسمر: السفينة. جدح: لت ولطح.

(٣) ديوان عنترة: ١٤٣.

(٤) السراء: شبر تصنع منه السهام.

(٥) رضويه: نسبه إلى رضوى.

(٦) السلاجم: الطويل من الخيل والنصال.

(٧) دَرَمَ قَارِبَ الخطو في عجلة.

(٨) سلامة بن جندل: شاعر جاهلي من الفرسان من أهل الحجاز مات سنة ٢٣ ق هـ.

(٩) النشز: المرتفع من الأرض. الهام: جمع الهامة: الرأس. والبيت في ديوانه: ١٦٤.

(١٠) ديوان ابن المعتز: ١٧٣.

وبيض كأنصاف البدور أبية إذا امتحتهن السيوف خیار
فتشبيها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب:

أجود ما قيل في أتباع الرجال الرئيس في الحرب قول^(١) البحري:
حمر السيوف كأنما ضربت لهم أيدي القيون صفائحاً من عسجد^(٢)
في فتية طلبوا غبارك أنه رَهج ترفع عن طريق السؤدد
كالرمح فيه بضع عشرة فقرة مُقادة خلف السنان الأصيد
وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى:

إذا شئوا عمائمهم ثنوها على كرم وإن سفروا أناروا
يبيع ويشتري لهم سواهم ولكن في الطعان هم التجار
ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر:

خلقت أنامله لقائم مُرهف ولبت عارفة وذروة منبر
يلقى الرماح بوجهه وبصدره ويُقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطر لبشا القنا فهدمت ركن المجد إن لم تعقر^(٣)
وإذا تأمل شخص ضيق مقبل مُسربل سربال ليل أغبر
أوما إلى الكوماء هذا طارق نحرنتي الأعداء إن لم تنحري^(٤)
ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض العجم:

دافع بالحرب ما أمكن فإن النفقة في كل شيء من الأموال، إلا الحرب فإن النفقة فيها من
الأرواح. وقال^(٥) النابغة الجعدي:

وتستلب المال الذي كان ربها ضيناً به والحرب فيها الحرائب
فتبعه أبو تمام فقال:

والحرب مشقة من الحرب

وقول جذل الطعان:

دعاني أشب الحرب بيني وبينه فقلت له لا بل هلم إلى السلم
وإياك والحرب التي لا أديمها صحيح وما تنفك تأتي على الرغم
فإن يظفر الحزب الذي أنت منهم وينقلبوا ملء الأكف من الغنم
فلا بد من قتلي لعلك فيهم وإلا فجرح لا يكون على العظم
فلما أبي خليت فضل ردائه عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

(١) ديوان البحري: ٤٢/٢ ص.

(٢) القيون: جمع القين: الحداد: صانع السلاح. المسجد: الذهب.

(٣) شبا القنا: طرف الرمح وحده.

(٤) الكوماء: الناقة.

(٥) ديوانه: ١٨٤. وفيه «وتستلب الدهم».

وكان صريع الخيل أولَ وهلةٍ فبعداً له مختار جهل على علم
ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل، ما أنشدناه أبو أحمد في خبر أخبرناه عن
الصولي، عن عبيد الله السكوني، قال: دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي، على
بعض أمراء الكوفة، وقد جرى عليه ظلمٌ، فلم ينصفه فخرج من عنده.
وقال:

يا أيها الرجلُ الذي بيمينه غيثُ الزمانِ وصولُ الجذثان^(١)
أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا إن السيوفَ تحيةُ الفتیان
قد أبطرتك سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍّ ومن إحسانٍ
والدهنُ جِدْنُ مَسْرَّةٍ ومضرةً مُتَقَلِّبٌ بالناسِ ذو ألوان^(٢)

يخاطب نفسه، ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان، إذ ليس عنده للظلم نكير، فيكون
ذلك سبباً للحرب، فيحیی بالسيوفِ فلا يفرع فإنها تحيةُ الفتیان.
وقال علي بن جبلة^(٣):

كأنَّ أرماحه تعطي إذا عملت تحتَ العجاجةِ أسماعاً وأبصاراً^(٤)
ومن أحسن ما قيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة: أخبرنا أبو أحمد قال: أنشدنا
محمد بن يحيى، قال: أنشدنا المبرّد قول النابغة، وذكر أنه أحسن ما قيل في تقسيم الخيل في
الحرب:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وخيلٌ تعلقُ اللُجما^(٥)
قال ثعلبٌ: قلتُ لابن الأعرابي: الصائمة التي لا تصهل وغير الصائمة التي تصهل فما هذه
الأخرى؟ قال التي تعلق اللجم في الكمين.

أخذه محمد بن مسلمة البشري يصف تأديبه فرسه:

عوّدتُه فيما يزور حبائبي إمهاله وكذاك كلُّ مخاطِرٍ
فلإذا احتبى قربوسه بعنائه علكَ الشكيمَ إلى انصرافِ الزائر^(٦)
من أجود ما قيل في ارتفاع الغبار، ولمعان الأسنة فيه، من قديم الشعر قول^(٧) النابغة:

(١) الجذثان: نواثب الدهر.

(٢) الجِدْنُ: الصاحب.

(٣) علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الأبنائي، المعروف بالعمكوك. شاعر عراقي مجيد، أعمى، أسود، أبرص، كان حسن الإنشاد قتله المأمون العباسي سنة ١٦٠ هـ. (الأعلام: ٤/٢٦٨).

(٤) العجاجة: الغبار والجلبة، ومثله العجاج.

(٥) ديوان النابغة: ٢١٧.

(٦) القربوس: جنو السرج. الشكيم: الذي وضعت في فمه حديدة كي لا يعض.

(٧) ديوانه: ١٨٥. وفيه: «لا ألنور نور، ولا الإظلام إظلام».

تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةً، نوراً بنورٍ وإظلاماً بإظلامٍ
قالوا أراد قول الناس: لأرينك الكواكب نهاراً، وقالوا: أراد توضيح الأسنة في سواد
العجاج.

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول بشار^(١):

كأن مثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهُ
وقال النمري:

ليل من النقعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جبينك والمذروبةُ الشرعِ
وقول ابن المعتز^(٢):

وعَمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماحِ شرارٌ
وأبلغ ما قيل في الإقدام والاعتدار على العدو قول بعضهم:

عشيةٌ كنا بالخيارِ عليهم أننقصُ من أعمارهم أم نزيدها
ومن بديع المعاني في صفة اللقاء قول بعض الأعراب:

على كل جرداءِ القرى أعوجيةٌ إذا طرَدَتْ لم ينجُ منها طريدها^(٣)
وما قادَ من قوم إلينا جيادهم فنلقاهم إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه:

إلى ابن الأَولى شادوا المعالي بالطَّبى إذا طلبوا رَوحَ الحياةِ وطيبها
غواربُ تهوي في الطلي والغوارب تشولُ إلى الهيجاءِ شولَ العقارب
أثارت بناتِ الحتفِ من كلِّ جانب جنائب أو تقتادها في الجنائب
ضرائب من تصميمه في الضرائب
وعموا البرايا باللُهى والرغائبِ فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيضُ في سُدِّ القساطلِ أنجمٌ وتحملهم يومَ الكريهةِ ضمرٌ
فكم وقفه في الرَوعِ منهم وحمله تَرَدُّ الجيادِ تحت قسطله الوغى
بابيض مصقولٍ كأن بحده

ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شهاب^(٤):

بجأواءٍ ينفي وردُّها سرعانها كأن وميضَ البيضِ فيها كواكبُ
الجأواء: الكتبية يضربُ لوئها إلى الكلفة، وذلك من صدى الحديد، والرعان: الأواثل،
يقول: إن المياه لا تسعهم، والأمكنة تضيقُ بهم، فكلما نزل فرقة منهم رحل من تقدمهم.

(١) ديوانه: ١٤٦. وفيه: «فوق رؤوسهم».

(٢) ديوانه: ١٧٢. والنقع: الغبار.

(٣) القرى: الظهر.

(٤) الأخنس بن ثمامة بن أرقم التغلبي: شاعر جاهلي، من الشجعان حضر حرب البسوس وله فيها شعر. مات سنة

٧٠ ق هـ.

وقال^(١) أوس بن حجر:

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة
التعضيل: أن ينشب الولد في بطن أمه.
ومثله قول النابغة:

جمع، يظل به الفضاء مُعضلاً
وأعجب من هذا قول زيد الخيل:

بجيش تضلّ البلق في حجراته
تري الأكم فيه سُجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى
كثيرٌ تواليه سريعُ البوادر
أخبرنا أبو أحمد، عن العبشمي، عن المبرد، قال: يروى عن حماد الرواية قال: قالت
ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: كم كانت خيل أبيك؟ حيث يقول:
بجيش تضلّ البلق في حجراته

قال: ثلاثة أفراس أحدها فرسه. قالوا: وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور،
فقالته أخته تربيته:

لعمري وما عمري عليّ بهين
لنعم الفتى غادرتُم آل خثعما
وكان إذا ما أوردَ الخيل بيشةً
إلى جنبِ أشراج أناخ فألجما^(٤)
فأرسلها رهواً كأنّ رعالها
جرادُ زهته ريحُ نجدٍ فأتها
فقليل لها: كم كانت خيل أخيك؟ قالت: اللهم لا أعرف إلا فرسه.

قوله: «تضلّ البلق في حجراته»، غاية في صفة الكثرة، لأنّ البلق مشاهير، فإذا خفي
مكانها في جمع، فليس وراءه في الكثرة شيء، والعرب تقول «أشهر من فارس الأبلق»^(٥)،
ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاث ينم عليهم فيقصدوا بشر.

أخبرنا أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، أن النبي ﷺ لما
انصرف من بدر الموعد، لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راکباً، وفيهم فرسان: فرس للزبير،
وفرس للمقداد^(٦)، قال^(٧) حسان بن ثابت:

أقمنا على الرسّ النزوع ليااليا
بأرعن جرارٍ عريض المبارك^(٨)

(١) ديوان أوس بن حجر: ١٢١.

(٢) عضل المكان: ضاق. عرمم: كثير.

(٣) ديوان النابغة: ١٢٤. وفيه: «جمعاً يظل».

(٤) بيشة: بلد.

(٥) جمهرة الأمثال: ٤٥٩/١.

(٦) المقداد بن عمرو المعروف بالأسود. صحابي من الأوائل: مات سنة ٣٣ هـ.

(٧) ديوان حسان: ٣٤٩.

(٨) في الديوان: «النزيع».

ترى العرفجَ الحوليَّ تَذري أصوله
إذا ارتحلوا، عن منزل خلت أنه
نسيرٌ فلا تنجو اليعافيرُ وسطنا
دعوا فلجاتِ الشام قد حالَ دونها
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم
إذا أقبلَ العضروط من أرضٍ عالج
ورسول الله ﷺ يسمع ويضحك. ومثل هذا في ترهيب العدو حسن.

وقال أبو دعلج بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم:
وأقبلَ عامرٌ من لبن سيراً
بجمعٍ تهلكُ البلقاء فيه
وَمَن بليغ ما قاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول (٣) أبي نواس:
أمامَ خميسٍ أدجُوان كأنه
الآدجوان: الأسود واشتقاقه من الدجى، وروى الأرجوان وهو الأحمر.
وقال (٥) البحري:

لما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً
يمشي عليه كثافةٌ وجموعا
قال ابن الرومي:

فلو حصبتهم بالفضاء سحابةً
وهو من قول قيس بن الخطيم (٧):
لو أنك تلقى حنظلاً فوق بيضنا
تدحرج عن ذي سامةٍ المُتقاربِ
السأم: عرق الذهب والفضة، وهو هنا الطرائق المذهبة في البيض.
وقلت:

ولقد نقودُ الخيلَ تخطرُ بالقنا
فَتَصُبُّهُنَّ على العدى آجالا
ما إن يلين لها مَدَى فتخالها
تجري بطاءً إذ جَرَيْنَ عجالا
وقال أبو عمرو بن العلاء: أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة (٨):

-
- (١) في الديوان: «العرق العامي». والعرنج: شجر سهلي. المنسم: الخف. الرواتك: الإبل تقارب خطوها.
(٢) اليعافير: جمع اليعفور: الطي. داءل: ختل ومشى مشيةً فيهما تقارب باخطو
(٣) ديوانه: ٢٢١.
(٤) الخميس: الجيش.
(٥) ديوان: ١٧١/١.
(٦) في ديوان ابن الرومي: ٢٧/٢ حصبتهم: رمتهم بالحصاء وقصد: البرد.
(٧) ديوانه: ٨٦. والسامة: عرق من ذهب.
(٨) ديوانه: ١٨٥.

أو يزجروا مكفهراً لا كِفَاءَ له كالليل يخلطُ أصراماً بأصرام
تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بإظلام^(١)
فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج^(٢):

كأنما زهاؤه لمن جَهَر ليلٌ ورزٍ وغَيرُهُ إذا وغَـ^(٣)
سارٍ سرى من قِبَلِ العينِ فجر

والأول أحسن عندي .

ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :

أخبرنا أبو أحمد، عن أبيه، عن عسل، قال :

كان الشعبي، إذا تحدّث، كأنه لم يُسمِعْ من غيره، لحلاوة منطقته، وعذوبة لفظه، فتحدّث يوماً، فقال له رجلٌ كان يجالسُهُ يقال له حُنَيْشٌ : اتق الله ولا تكذب، فقال له الشعبي : ما أحوجك إلى محذرع عظيم الثمرة، لين المهزّة، أخذ من مغرز عُتَيٍّ إلى عجب ذنب، فيوضّع على مثل ذلك منك، فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال : وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال : أمرٌ لك فيه أدبٌ، ولنا فيه أربٌ . يعني السوط .

ومن أحسن ما وُصِفَ به الرأس إذا حُمِلَ على القنّاة قول^(٤) مُسلم :

ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبلِ

مأخوذ من قول جرير :

تيجان كسرى وقيصرا

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعضُ البصريين :

أنظر إليه كأنه في جذعِهِ لما توشحَ بالجبالِ ودُّعَا^(٥)
رامٍ رمى عن قوسِهِ بمذلقٍ وأراد صحة رمية فتسمعا
وهذا من أتم ما قيل فيه .

ومن المستحسن فيه قول^(٦) البحري :

فترَاه مُطرداً على أعواذِهِ مثلَ أطراد كواكب الجوزاء^(٧)
وقول ابن الرومي^(٨) :

(١) في الديوان : « لا النور نورٌ، ولا الإظلامُ اظلامٌ » .

(٢) العجاج : عبد الله بن رُوَيْه . أبو الشعثاء، شاعر راجز، مخضرم بين الجاهلية والإسلام . مات سنة ٩٠ هـ .

(٣) الوغز : اشتداد الحر، والحقْد .

(٤) الأغاني : ٤٠ / ١٩ .

(٥) في الأصل : « أنظر إلي » .

(٦) ديوانه : ٢٣١ / ٢ .

(٨) ديوانه : ١٣٢ / ٢ .

(٧) مطرد : مستقيم .

يلعبُ الدسْتَبندُ فرداً وإنْ كا نَ لَهُ شَاغِلٌ عَنِ الدسْتَبندِ^(١)
وقال مُسلمُ بنُ الوليدِ :

كَأَنَّهُ شَلُو كَبشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تَنوُّرٌ شَاوِيَةٌ وَالْجَذْعُ سَقَوْدٌ^(٢)
ومما يَجري مع ذلك، ما أَخبرنا به أَبُو القاسمِ، عَنِ العُقدي، عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ
المَدائني، قال :

قال أَهلُ خراسانَ لوكيعَ : كيف قَتَلْتَ ابنَ خازمٍ ؟ قال : لما صرَعُ قَعَدْتُ عَلَى صدره،
فحوالَ القيامِ فلم يَقدر. فغلبته بِفضلِ القنا، وقَلْتُ : يا لثاراتِ دُوبِلَةَ، فقال : لعنكَ اللهُ أَتَقَتِّلُ كَبشَ
مُضَرَ بِأَخِيكَ عَليجَ، لا يَساوي كَفَ نَوِي؟! وَتَنخَمُ في وَجْهِهِ، فمَرايْتُ أَحداً أَكثَرَ ريقاً مِنْهُ. فَذَكَرَ
ابنُ هُبَيْرَةَ يَوماً هَذَا الحَدِيثَ فقال : هَلِ البَسالةُ إِلَّا أَنْ يَكثُرَ الرِيقُ عَلَى تِلْكَ الحالِ.

وَمَنْ جَيدٌ ما قِيلَ في طرائقِ الدَمِ عَلَى المَطْعونِ قولُ أَبِي خَراشِ الهذلي :
وَنَهَنَتْ أُولي القومِ عَنِّي بِطِئْنَةٍ كَأَوْشَحَةِ العِذراءِ ذَاتِ القلائِدِ^(٣)
أَوْشَحَةُ جَمعٌ وَشاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَراكٌ، عَلَيْهِ وَدَعٌ، فَشَبَهَ لَوْنَ الدَمِ بِالسَّيْرِ، وَالزَّبَدِ
بِالوَدَعِ.

ومما يَجري مع ذلك، ذَكَرَ الحَذَرُ مِنَ المَوْتورِ.
ما قَلْتُ فِيهِ :

لا تَأْمَنَنَّ أَخا العِداوَةِ إِنَّهُ لَلَّهِ دَرَكٌ كَيْفَ تَأْمَنُ مَحْنِقاً
إِنْ أَمَكنتَهُ فَرْصَةٌ لَمْ يُمَهِّلْ تَغْلَى عِداوَةُ صدره فِي مِرْجَلِ
وَمَا الحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِثاثِ أَصُولِهِ وَالْأَيْمُ لَمْ يَؤْمَنُ إِذَا لَمْ يَقْتُلْ^(٤)
وَمَنْ الجَيدُ مِمَّا قِيلَ فِي سَعَةِ الطِئْنَةِ قولُ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذَتَهُمْ كَرَّتْ عَلَيْهِمُ بَطِئَنُ مِثَالِ أَفْواهِ الخَبورِ^(٥)
الخَبَرُ المَزادَةُ وَالْجَمْعُ خَبورٌ.
وقال عَمْرُو بْنُ شَاسٍ :

بَطِئَنُ كَأَيْزَاغِ المَخاضِ إِذَا اتَّقَتْ وَضُرِبَ كَأَفْواهِ المَفْرِجَةِ الهَدَلِ^(٦)
شَبَهَ اللَّحْمَ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنَ فَمِ الجَرَحِ، بِمِشْفَرِ البَعِيرِ، الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ فَيَهْدِلُ لَهَا
مِشْفَرَةً.

(١) الدسْتَبندُ : ضَرْبٌ مِنَ الرِّقَصِ . (وهي كَلِمَةٌ فارسيَّة).

(٢) الشَّلُو : العَضُو المَسْلُوخُ . السَّقَوْدُ : حَدِيدَةٌ يُشَوَّى بِهَا.

(٣) نَهَنَ : مَنَعَ .

(٤) الْأَيْمُ : الشَّعْبَانُ .

(٥) الْخَبورُ : القَرَبُ .

(٦) الْأَيْزَاغُ : أَنْ تَقْدَفَ بِمَا فِي حَيَاها .

وقال^(١) عمرو بن شاس أيضاً:
وأسيافنا آثارهنَّ كأنها
وقال غيره:
بضربٍ كآذانِ الفراءِ فضولُهُ
وطعن كإزاعِ المخاضِ تبورها
الفراء: جمع الفراء وهو حمار الوحش.
وقال خلف الأحمر^(٢):
وأطعن الشجساجة المشلشله
على غشاش دَهَش وعجله
يردُّ في نحرِ الطبيبِ فتله
أي يسح الدم، ويشلشله: يفرقه.
وقال خدّاش بن زهير^(٣):
وطعنةٌ خلس كفرع الأزاء
أفرغ في مثعبِ الحائر^(٤)
تهالُ العوائدُ من فرغها
تَرُدُّ السبار على السابِر^(٥)
السبار: الشيء الذي تسير به الطعنة، أي تقدر والسابر الذي يسبرها، والحائر: المطمئن
من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران، والمثعب: مسيل الماء.
هذا آخر صفة الحرب والصلاح، وما يجري معهما، والحمد لله حق حمده، وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين.

(١) الشعر والشعراء: ٣٣٩/١.

(٢) خلف الأحمر: خلف بن حيّان، من أهل البصرة، عالم بالشعر واللغة والنحو، كان استاذاً للأصمعي. مات
سنة ١٨٠ هـ. (الأعلام: ٣١٠/٢).

(٣) شاعر جاهلي من بني عامر، من الشجعان له شعر في الفخر والحماسة.

(٤) الأزاء: منفذ الماء إلى الحوض.

(٥) أي زواره يخافون مما يرون من اثر الضربة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قسم البيان، بين القلم واللسان، لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر، والمقيم والمسافر، إتماماً للنعمة على عباده، وإكمالاً للعارفة في عمارة بلاده، ودل على موضع الصنعة في البيان، ونبه على موضع العارفة في اللسان، حيث يقول تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١) وأخبر عن عظيم قدر القلم، وما تضمن من سوابغ النعم، حيث يقول تعالى: ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) وأعلى قدره، وفخم أمره، حين أقسم به على أجل أمر وأنبله، وأشرفه وأفضله، فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) فسبحان من جعل جلائل النعم، وسوابغ الآلاء والقسم، في شخص ضئيل، وقد قصير، تقل قيمته، وتصغر قمته، مع جلالة شأنه، وعلو مكانه.

هذا كتاب المبالغة

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس، وذكر البلاغة وما يجري مع ذلك، وهو:

الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك.

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط: قول عبيد الله بن العباس بن الحسن العلوي:

الخط لسان اليد.

وقال جعفر بن يحيى:

(١) سورة الرحمن: الآيات ١ - ٤.

(٢) سورة العلق: الآيات ٣ - ٥.

(٣) سورة القلم: آية ١.

الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها، وينظم منشورها.

وقلت في معناه:

الكتبُ عُقْلُ شِوَارِدِ الكَلَمِ والخطُ خَيْطُ فَرَائِدِ الحَكَمِ
بالخطِ نَظْمٌ كُلُّ مُنْتَشِرٍ منها وَفُصْلٌ كُلُّ مُنْتَظَمٍ
والسيفُ وَهُوَ بِحَيْثُ تَعْرِفُهُ فرضٌ عَلَيْهِ عِبَادَةُ القَلَمِ

واختلف الناس في الخط واللفظ، فقال بعضهم: الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يفهم الحاضر، والخط يفهم الحاضر والغائب.

وقال بعضهم: الخط كلام ميت، والمخاطب به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره، حتى يبلغ منه غرضه.

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه، والأصل واحد، كاختلاف صور الناس، مع اجتماعهم في الصفة، وخط الانسان كحليته ونعته في اللزوم له، والدلالة عليه، والإضافة إليه كإضافة القافة الآثار إلى أصحابها.

ومن أحسن ما قيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن إسماعيل^(١):

مستودعٌ قِرطاسُهُ حَكْمًا كالرُوضِ مَيِّزٌ بَيْنَهُ زَهْرُهُ
وَكأنَّ أَحْرَفَ خَطِهِ شَجَرٌ والشكلُ فِي أَضْعَافِهِ ثَمَرُهُ
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال:

كَأنَ خَطُهَا أَشْكَالَ صُورَتِهَا، وَكَأنَ مَدَادُهَا سَوَادَ شَعْرِهَا، وَكَأنَ قِرطَاسُهَا أَدِيمٌ وَجْهَهَا، وَكَأنَ قَلَمُهَا بَعْضُ أَنَامِلِهَا، وَكَأنَ بَيَانُهَا سَحْرٌ مُقْلَتِهَا، وَكَأنَ سَكْنُهَا سَيْفٌ لَخَطُهَا، وَكَأنَ مِقْطُهَا قَلْبٌ عَاشِقُهَا.

وقلت:

وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سيب^(٢)
يُعبِّرُ عَنْهُ الرُوضُ وَهُوَ مُنَمَّنٌ وَيُخْبِرُ عَنْهُ الوَشْيُ وَهُوَ قَشِيبٌ
سَوَادٌ مَدَادٍ فِي بَيَاضٍ صَحِيفَةٍ يَقُولُ شَبَابٌ بِالمَشِيبِ مَشُوبٌ
كَأنَ ظِلَامُ اللَّيْلِ أَدْرَى دَمُوعَهُ فَظَلَّتْ عَلَى خَدِّ الصَّبَاحِ تَصُوبُ
ومن غريب ما قيل في الشكل، ما أنشدناه أبو أحمد، قال: أنشدنا الصولي قال: أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه:

فَدُونَكُ مَوْشَى نَمْنَمَتُهُ وَحَاكَتُهُ الأَنَامِلُ أَيُّ حَوَكِ
بَشْكَلٍ يَأْمَنُ الأشْكَالَ فِيهِ كَأَنَّ سَطُورَهُ أَغْصَانُ شَوْكِ
وقلت:

(١) أحمد بن إسماعيل الخصب الأنباري، كاتب مترسل. قُتل سنة ٢٩٠ هـ.

(٢) السيب: شعر الذنب والعُرف، والناصية.

بياضُ صحيفةٍ تلتاحُ حُسناً
كغيمِ رَقٍّ في أطرافِ جوٍّ
ويحكى أرضَ كافورٍ صريحٍ
كمثلِ الليلِ في صُبحٍ صديعٍ
وبين سَطوره عَجْمٌ مُصيبٌ
كمثلِ الخالِ في الخدِّ المليحِ^(١)

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد، ما أخبرنا به أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي قال: سئل بعضُ الكتاب عن الخط، متى يستحق أن يوصَفَ بالجوِّدة؟ فقال:

إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سَطوره، وضاهى صعوده حُدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه وأظلمت انقاسه^(٢)، ولم تختلف أجناسه، وأسرع في العيون تصوُّره، وإلى العقول ثمره، وقُدِّرَتْ فصوله، واندمجت وصوله، وتناسب دقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبُعِدَ عن تصنع المحررين، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية، كان حينئذٍ كما قيل في صفة الخط:

إذا ما تجلَّلَ قرطاسه
تضمنَ من خطه حُلَّةً
حروفاً تعيدُ لعين الكليل
وساوَّره القلمُ الأرقشُ
كمثلِ الدنانيرِ أو أنقشُ
نشاطاً ويقرأها الأخفشُ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله^(٣):

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ.

ومن مليح التشبيه قول الأعرابي، وقد قال له هشام بن عبد الملك: أنظر كم علي هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي يحسن القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال: رأيت شيئاً كرأس المحجن، مُتصلاً بحلقة صغيرة، تتبعها ثلاث كأطباء الكلبة، يفضي إلى هنة كأنها قطعة بلا منقار. ففهم هشام بالصفة أنها «خمسة».

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي عن أبي العباس الربيعي، عن الطلحي عن أحمد ابن إبراهيم، قال:

دخل أعرابيٌّ إلى الرشيد، فأنشده أرجوزةً وإسماعيل يكتب بين يديه كتاباً، وكان أحسن الناس خطاً، وأسرعهم يداً وخاطراً، فقال الرشيد للأعرابي: صف هذا الكاتب. فقال: ما رأيت أطيح من قلمه، ولا أثبت من كلمه، ثم قال ارتجالاً:

رقيقُ حواشي الحلم حين تبوره
يريك الهوينا والأمور تطيرُ

(١) العجم: النقط.

(٢) انقاس: جمع النقس: المداد.

(٣) ديوان المتنبي: ٣/٣٦٧.

له قلماً بُؤْسَى ونُعمى كلاهما
يناجيك عما في ضميرك لحظه
فقال الرشيد:

قد وجب لك يا أعرابي حق عليه ، هو يقضيك إياه ، وحق علينا فيه نحن نقوم به ، ادفعوا إليه دية الحر ، فقال إسماعيل وله على عبدك دية العبد . قوله : « رقيق حواشي الحلم » رديء لأن الحلم يُوصف بالرزانة لا بالركة ، واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فعيب به . وقوله : « يريك الهوينا والأمور تطير » رويناه لمنصور النمري .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف ، فقال صاحب القلم :
أنا أقتل بلا غرر ، وأنت تقتل على غرر .
قال صاحب السيف :

القلم خادم السيف ، إن بلغ مراده وإلا فإلى السيف معاده ، أما سمعت قول^(١) أبي تمام :
السيف أصدق أنباء من الكتب
وأبى ذلك ابن الرومي فقال^(٢) :
كذا قضى الله للأقلام منذ بُرئت
وقال^(٣) أيضاً :

لعمرك : ما السيف سيف الكمي
له شاهد إن تأملتُه
أداة المنية في جانبيه
سنان المنية في جانب
ألم تر في صدره كالسنان
وقد أحسن الخالدي في قوله :
ففي كف ليث الورى للندى
وقلت :

أبيت بالليل غريب الكرى
وقيم الحكمة في أنملي
أنف ضميري حين أرعفته
لسان كفي حين أنطقته
مُنحَف في خلقه ذابل
ياخذ مني الدرس والكتب
يصوغ ما يسبكه اللب
أفرغ ما استوعبه القلب
أرضاك منه المنطق العذب
مُعْظَم في فعله ندب

(١) ديوانه : ١٤ .

(٢) ديوانه : ٥٩/٦ .

(٣) ديوان أبي تمام : ١٦٩/١ .

إن لم يكن كالعضب في حده
ينكسه المرء فيعلو به
ومد عرفنا لذة العلم لا

فإنه في فعله عضب
ورب ينكس غبه نصب
يُعجبنا الحل ولا العذب

وقال^(١) البحري في تفضيل السيف على القلم:

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم
فلا غرني من بعدكم عز كاتب
ومن أحسن ما وُصف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهِهِ
لِعَابُ الْأَقَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ
لَهُ رِيقَةٌ طُلُّ وَلَمَنُ وَقَعَهَا
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
أَطَاعَتَهُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَقَوَّضَتْ
إِذَا اسْتَفْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ

وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب، على القلم بالقلم، أنشدناه أبو أحمد، عن

الصولي، عن أحمد بن محمد بن إسحاق:

مَا ضَرَّ مَنْ أَضْنَى بِهِجْرَانِهِ
لَوْ فَرَجَ الْكَرْبَةُ عَنْ مُدَنْفٍ
بِرْقَعَةٍ يَنْظُمُهَا كَفَهُ
بِمَرْهَفِ الْأَحْشَاءِ ذِي حُلَةٍ
لِعَابُهُ يَسْرُ وَعَسْرُ إِذَا
إِذَا امْتَطَاهُ بِشَبِيهَاتِهِ
يَرْكُضُ فِي مِيدَانِ قَرْطَاسِهِ

وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم:

أَفْدَى الْبَنَانُ وَحَسَنَ الْخَطِّ مِنْ عِلْمٍ
حَتَّى إِذَا قَابَلَتْ قَرْطَاسَهَا يَدُهَا

إِذَا تَقَمَّعْنَ بِالْحَنَاءِ وَالْكُتْمِ^(٤)
تَرَى ثَلَاثَةَ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ

(٢) البُعَاث: طائر أغبر.

(١) ديوان البحري: ٢٥٩/١ ص.

(٣) في الأصل: «امتطاه شبيهاً به».

(٤) الكُتْم: نبت يخلط بالحناء ويصطنع بالخليط.

ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل:
 في كفه مثل سناب الصعده أرقت بر الأفعوان جلدته
 يلتهم الجيش اللهم وحده لو صادم الطود المنيف هذه (١)
 لو صافح السيف الحسام قده يأوي إلى ظئر له محتبه (٢)
 يمزج فيها صبر بشهده يرضعها من مقله مسوده
 يمدّها جار كثيف العده كأنه الليل إذا استمده
 مقلتها مكحولة بنده

وقلت في القلم:
 أنظر إلى قلم تنكس رأسه
 تنظر إلى مخلاب ليث ضيغم
 يبدو لناظره بلون أصفر
 فالدرج أبيض مثل خد واضح
 قسم العطايا والمنايا في الوري
 طعمان شوب حلاوة بمرارة
 فإذا تصرف في يدك عنانه
 ومذلاً بمعزٍ ولربما
 وقلت:

لك القلم الجاري بيؤس وأنعم
 إذا ملأ القرطاس سود سطوره
 فتلك جنان تجتني ثمراتها
 وهن بروء ما لهن مناسج
 وهن حياة للولي رضية
 فمناها بوادٍ ترتجي وعوائد
 فتلك أسود تتقى وأساود
 ويلقاك من أنفاسهن بوارد
 وهن عقود ما لهن معاقد
 وهن حتوف للعدو رواصد

وأنشدنا أبو أحمد، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائي قال أنشدني
 أبو الحسين بن أبي البغل:

لهم هيم تناسط إلى الشريا
 وأقلام تشبهها سيوفاً
 وتحكم في الطريف وفي التلاد (٥)
 مهنده هواد في الهوادي

(١) الجيش اللهم: الكثير. الطود: الجبل.

(٢) الظئر: الركن الشديد.

(٣) الضيغم: الأسد. الغرار: حد الرمح والسيف.

(٤) في الأصل: «شهادة» بالضم. والحنظل: نبت مر.

(٥) الطريف والتليد والتلاد: المال المستحدث والموروث.

يُخْطُ بِهَا سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بَيَاضاً فِي سَوَادٍ
إِذَا فَرَزَ الصَّرِيخُ أَمْدَ خَيْلاً بَخِيلٌ تَسْتَثَارُ مِنَ الْمَدَادِ
وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ:

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخْتَمٌ مِنْ خَصْرِهِ
أَبْدَأُ تَرَاهُ وَصَدْرُهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرِهِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ يَذْكُرُ أَرْضَةً أَكَلَتْ كِتَاباً:

شَغَلِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شُغْلُ دَفْتَرُ فُقَهٍ أَوْ حَدِيثُ أَوْ غَزَلُ
أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمُكْتَهِلِ تَخَالُهُ مَكْتَجِلاً وَمَا اكْتَحَلُ^(١)
رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحْلُ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلِ
يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَّ مَا كَانَ أَضْلُ
كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنْ نَقْشٍ حُلَّ يَخَاطِبُ اللَّحْظَ بِنَطْقٍ لَا يَكُلُ
وَلَا يَمْلُ صَاحِباً حَتَّى يَمْلُ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ:

تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لَا أَكُلُ

وَكَتَبَ الصَّاحِبُ فِي وَصْفِ كِتَابٍ:

وَصَلَ كِتَابُكَ، فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيداً أَوْرَخَ بِهِ أَيَّامَ بَهْجَتِي، وَأَفْتَحَ بِهِ مَوَاقِيتَ غِبْطَتِي،
وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ، مَا سَأَلْتَ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَصِلَهُ بِالْدَوَامِ، وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ.
وَكَتَبَ أَيْضاً:

وَصَلَ كِتَابُهُ، أَيَّدَهُ اللَّهُ، يَضْحَكُ عَنْ أَخْلَاقِهِ الْأَرْجَةِ، وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ، وَيَخْبِرُ عَنْ
رِعَايَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ شَمْلَ الْحَرِيَّةِ بِهِ مُنْتَظِماً، وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مُلْتَمِثاً، وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ
مَا أَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ، وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِزَالِهِ، فِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ، مَا تَزْدَادُ بِهِ
أَسْبَابُ السَّرُورِ تَمْهِدًا.

وَقُلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةُ^(٢):

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ	الْمَحْضَرِ مَأْمُونٌ	الْمَغِيبِ
مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا	بِخَفِيَّاتِ	الْغِيُوبِ
أَبْلُهُ غَيْرُ لَبِيبٍ	وَهُوَ فِي حَالِ	الْبَلِيبِ
جَاهِلٌ غَيْرُ أَدِيبٍ	وَهُوَ عَوْنٌ	لِلْأَدِيبِ
أَخْرَسٌ غَيْرُ خَطِيبٍ	وَلَهُ لَفْظُ	الْخَطِيبِ
مَفْحَمٌ يَنْظُمُ شِعْرًا	مِثْلَ إِقْبَالِ	الْحَبِيبِ
سَاكِتٌ يَرْوِي حَدِيثًا	مِثْلَ إِعْرَاضِ	الرَّقِيبِ

(٢) الْأَرْضَةُ: دُوبَةُ.

(١) الْمُكْتَهِلُ: فِي سَنٍ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ.

نَمَقَّتُهُ الْكَفُّ حَتَّى هُوَ كَالْوَشِيِّ الْقَشِيبِ^(١)
 مِنْ سَوَادٍ وَبَيَاضٍ كَشَابٍ وَمَشِيبٍ
 فِيهِ إِمْتَاعٌ لِأَبْصَارٍ رِ وَأَنْسٍ لِلْقُلُوبِ
 دَبٌّ فِيهِنَّ دَبِيبٌ كَانَ مِنْ شَرِّ الدَّبِيبِ
 مِنْ صَغِيرَاتِ جُسُومٍ وَكَبِيرَاتِ الذُّنُوبِ
 أَخَذَتْ مِنْهَا نَصِيباً فَالْتَوَى مِنْهَا نَصِيبِي
 أَفْرَحْتُ قَلْبَ جَهُولٍ وَكُوتَ قَلْبَ لَبِيبٍ
 وَيَلْ هَاتِيكَ الْمَعَانِي مِنْ بَدِيعٍ وَغَرِيبٍ
 وَأَفَانِينَ بَيْنَ سَهْلٍ وَصَلِيبٍ
 مِنْ بَدِيعٍ وَفَصِيحٍ وَصَحِيحٍ وَمُصِيبٍ
 بُدِّلَ الْإِصْلَاحُ مِنْهُ نَ بِإِفْسَادٍ عَجِيبٍ
 فَجُجُومُ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ تَهَاوَتْ لِلْغُرُوبِ
 كُلُّ شَيْءٍ سَوْفَ يَفْنَى عَنْ بَعِيدٍ وَقَرِيبٍ

ومن بديع ما وُصِفَ به الرَّاقِ: ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي، عن أحمد بن يزيد المهلي، عن أبي هفان قال: سألت ورّاقاً عن حاله فقال:

عِشِي أَضِيقُ مِنْ مَحْبَرَةٍ، وَجَسْمِي أَدْقُ مِنْ مَسْطَرَةٍ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنَ الزَّجَاجِ، وَخَطِي أَخْفَى مِنْ شَقِّ الْقَلَمِ، وَيَدِي أَوْعَفُ مِنْ قَصْبَةٍ، وَطَعَامِي أَمَرُّ مِنَ الْعَفْصِ، وَشَرَابِي أَسْوَدُ مِنَ الْحَبْرِ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ مِنَ الصَّمْغِ. فقلت: عبرت عن بلاءٍ ببلاءٍ فحسبك.

وقلت في المحبرة والأقلام:

مَنْهَلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْمَنَاهِلِ تَضُمُّ رِيَّ الصَّفَرِ الذَّوَابِلِ^(٢)
 مَرَكِبُهَا ذَوَائِبُ الْأَنَامِلِ إِذَا مَشَتْ عَالِيَةَ الْأَسَافِلِ^(٣)
 بَكَتْ عَلَى الطَّرْسِ بِدَمْعٍ هَامِلٍ فَارْتَبَطَتْ شَوَارِدُ الْمَسَائِلِ
 وَكَشَفَتْ عَنْ غَرَرِ الدَّلَائِلِ بِيضَاءَ تَبْدُو فِي لِبَاسِ الثَّائِلِ^(٤)
 لَكِنَّهَا تَلْبِسُهُ مِنْ دَاخِلٍ

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب:

لَا أَحِبُّ الدَّوَاةَ تَحْشَى يَرَاعاً هِيَ عِنْدِي مِنَ الدُّوَيِّ مَعِيبِهِ
 قَلَمٌ وَاحِدٌ وَجُودَةٌ خَطٍ فَإِذَا زِدْتَ فَاسْتَزِدَّ أَنْبُوبِهِ
 هَذِهِ قَعْدَةُ الشَّجَاعِ عَلَيْهَا أَبْدَأُ سِيرُهُ وَتِلْكَ جَنِيْبِهِ

(١) نَمَقَّتُهُ: زينتته.

(٢) المناهل: جمع المنهل: المورد.

(٣) الأنامل: الأصابع.

(٤) الثاكل: الذي فقد عزيزاً.

ومن البديع الظريف قول أحمد بن إسماعيل:

كأنما النقش إذا استمدّه غالية مذوقةً بِنده^(١)
وتن الكرسف^(٢) مما يُعابُ به .

ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو أحمد، عن الصولي، عن أحمد بن إسماعيل،
للحسن بن وهب:

مِدادٌ مثلُ خافية الغراب وأقلامٌ كمرْهفة الحرابِ
وقرطاسٌ كرقراقٍ السرابِ وألفاظٌ كأيام الشبابِ
وقلت:

أكثرُ ما تُثبتهُ الأقلامُ لم تسع في زواله الأيامُ
يالكَ من خُرسٍ لها كلامُ موتى إليها النقض والإبرامُ
قوامٌ مجد ما لَهُ قِوامُ نظامٌ ملكٍ خانه النظامُ
أصاغرُ شؤونها العظامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر:

إنما الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدويّ عطرُ الرجالِ
وقلت في سكين:

انجاز وعدك في السكين مكرمةً غراء فضلك فيها غيرُ مجحودِ
أحسنُ به أزرقاً في أبيض يققُ له مناطق من بيضٍ ومن سودٍ^(٣)
خلف الوعيد حميدٌ لا يذمُّ به ولم يكن خلف موعودٍ بمحمودِ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع:

وليس العجب إلا من قلم منيت به، لا يستقر إذا تأنيت، ولا يستمر إذا جريت، طوله
عرض، وإبرامه نقض، تستغيث الحروف من التوائه، وتستأنس السطور من استوائه، إن قلت سر
وقف، وإن حشته بالأنامل قطف، ألفاظي في سنيه مأسورة، ومعاني في شقيه محصورة، وقد
صبرت عليه، ألبسه مع سوء عشرته، واستمنحه مع فضل عسرتة، وأقول لعله يصلح بطول
المداراة، وعساه ينجح بكثرة المناواة، وهو يزداد نفاراً، ويتضاعف زللاً وعثاراً.

ومما يدخل في هذا الباب، قول كشاجم في غلام، رآه يكتب ويخطيء، فيمحو ما يخطه

بريقه وهو:

ورأيتُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوهُ برُضابِهِ^(٤)

(١) مذوقة: مختلطة. والنقش: العيب والسخرية. والند: البخور.

(٢) الكرسف: القطن.

(٣) أبيض يقق: شديد البياض.

(٤) الطرس: الورق. الرُضاب: الريق.

فوددتُ أني في يديه صحيفةٌ وودتهُ لا يهتدي لصوابه
وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا مهدي
ابن سابق قال: رأى المأمون في يد جارية له قلماً، وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال^(١):
أراني منحتُ الودَّ من ليس يعرف فما أنصفتني في المحبة مُنصفٌ
وزادتُ لديَّ حظوةً يومَ أعرضت وفي أصبعها أسمرُ اللونِ أهيف
أصمَّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينالُ جسمياتِ المدى وهو أعجفُ
عجبتُ له أني ودهركُ معجبٌ يُقوِّمُ تحريفَ العبادِ مُحَرَّفُ
وكتبَ الصاحبُ أبو القاسم في وصف كتاب:

ومن هذا الذي لا يحبُّ أن يواصل علم الفضل، وواسطة الدهر، وقرارة الأدب، والعلم
ومجمع الدراية والفهم، أم من لا يرغب في مكاثرة من ينتسب الربيعُ إلى خلقه، ويكتسبُ
محاسنه من طبعه، ويتوشح بأنوار لفظه، ويتوضح بآثار لسانه ويده، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه
قبل عيانه، حتى إذا فضضتُ^(٢) ختامه، أقبلت الفكرة تنكاثراً، والذُررُ تناثراً، والغررُ تترامى،
والنكتُ تتزاحم، فإذا حكمتُ للفظه بالسبق أتت أختها تنافس، وأقبلت لدتها تفاخر، حتى
استعفيتُ من الحكومة، ونفضتُ يدي من غبار الخصومة، وأخذتُ أقول كلِّكُنَّ صوادِرَ عن
أصولٍ، بل أصلٍ واحدٍ فتسالمن، ونواقذُ عن معدنٍ فاردٍ فتصالحن، وقد وليتُ النظر بينها من
كمل لنسج بُرودها، ووفي بنظم عُقودها.

ومثل ما تقدَّم من قوله في ذم القلم قوله أيضاً:

على أني يا مولاي أنشأت هذه الأحرف، وحولي أعمالٌ وأشغالٌ، لا يَسْلَمُ معها فكرٌ، ولا
يسمح بينها طبعٌ، وتناولت قلماً كالابن العاق، بل العدو المشاق، فإذا أدركته استطال، وإذا قومته
مال، وإذا حشنته وقف، وإذا أوقفته انحدر، أجدل الشق، مضطرب الشق، مُتفاوتُ البري،
معدوم الجري، مُحَرَّفُ القط^(٣) مبيح الخط، ثم رأيت العدوَّ عن ضرباً من الانقياد لأمره،
والانخراط في سلكه فجهدته على رغمه، وكددته على صغره، لا جرم أن جنابة اللجاج بادية على
صفحات الحروف لا تخفى، وعادية المحك لاثحة على وجوه تتجلى.

وكتبتُ في وصف كتاب:

الله أعلم أني أخبرت بورود كتابه فاستفزني الفرحُ قبل رؤيته، وهزَّ عطفِي المرحُ قبل
مشاهدته، فما أدري أسمعت بورود كتاب، أم ظفرتُ برجوع شباب، ثم وصل بعد انتظارٍ له
شديد، وتطلع إلى ورودهِ طويل عريض، فتأملته فلم أدرك ما تأملتُ أخطأً مسطوراً، أم روضاً
ممطوراً، أم كلاماً منشوراً، أم شيئاً منشوراً، ولم أدرك ما أبصرتُ في أثناءه، أبيات شعر أم عُقودُ دُرٍّ،

(١). العقد الفريد: ١٩٨/٤.

(٢). فضضت ختامه: فتحته.

(٣). القط: القطع.

ولم أدر ما حملته، أغيث حل بواد ظمآن، أم غوث سيق إلى لهفان. وكتب صاحب:
 ووصل كتاب القاضي، فأعظمت قدر النعمة في مطلعته، وأجللت محل الموهبة بموقعه
 وفضضته عن السحر الحلال، والماء الزلال، وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها،
 وحلل تأنيق واشيها، فلم أتجاوز فصلاً إلا إلى أخضر مه فضلاً، ولم أخط سطرًا إلا إلى أحسن منه
 نظمًا ونثرا.

ورفع رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتذر فيها، فرأى خطه رديئًا، فوقع:
 قد أردنا قبُول عذرك، فاقتطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك، ولو كنت صادقًا في
 اعتذارك، لساعدتك حركة يدك، أو علمت أن حسن الخط يُناضل عن صاحبه بوضوح الحجّة،
 ويمكن له درك البغية.

وقال علي رضي الله عنه:
 الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً.
 وقيل:

حسن الخط إحدى البلاغتين.

ووصف الجاحظ^(١) الكتاب فقال:

«الكتاب وعاء مليء علماً وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مُراحاً وجداً، إن شئت كان أبين
 من سحبان^(٢) وائل، وإن شئت كان أعيان باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت
 شجتك مواعظه، ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغرٍ، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس، وبباردٍ
 حار، ومن لك بطبيب أعرابي، وبرومي هندي، وفارسي يوناني، وبقديم مولد، وبميت مُمتع،
 ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع،
 والغث والسمين، والشكل والمثل وخلافه، والجنس وضده».

ودخل المأمون على بعض بنيهِ، فوجده ينظر في كتاب. فقال:
 يا بُني ما في كتابك؟ قال بعض ما يشحد الذهن ويؤنس الوحدة. فقال: الحمد لله الذي
 رزقني ولداً يرى بعين عقله، أكثر مما يرى بعين جسده، وظل مفكراً في قول ولده الطفل.

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب، الأديب الكبير، رأس المعتزلة، صاحب التصانيف. مات سنة ٢٥٥ هـ.

هـ. من مؤلفاته: «الحيوان»، «البيان والتبيين».

(٢) سحبان بن زُفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل لفصاحته مخضرم بين الجاهلية والإسلام. مات سنة

الفصل الثاني من الباب التاسع في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء:

البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه.

قال الشيخ أبو هلال: يعني قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى.

وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ قال: من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول. وليس يصلح الإيجاز في كل مكان، كما لا تصلح الإطالة في كل أوان، بل لكل واحد منهما حين يحسن فيه ومقام يليق به إن أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه. وقال محمد الأمين: عليكم بالإيجاز فإن للإيجاز إفهاماً وللإطالة استبهاماً. أي عليكم بالإيجاز فيما كان الإيجاز فيه أحسن وأنجع، فأما إذا كانت الإطالة أرد وأنفع، فليس للإيجاز موقع يحمد ولا حال تعتمد.

والإيجاز بجميع الشعر أليق، وبجميع الرسائل والخُطب، وقد يكون من الرسائل والخُطب، ما يكون الإيجاز فيه عيباً، ولا أعرفه إلا بلاغة في جميع الشعر، لأن سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي، ومعانيه كالسحر، مع قربها من الفهم. والذي لا بد منه حسن المعرض ووضوح الغرض.

كقول^(١) النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وقال^(٢) الفرزدق:

والشيبُ ينهض بالشبابِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقال أعرابي:

أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً، وأحسنهم بديهةً.

(١) ديوان النابغة: ٨٤.

(٢) ديوان الفرزدق: ٣٢٣.

وهذا حسنٌ جداً، لأنَّ سهولة اللفظ، وحُسنَ البديهة، يدلان على جودة القريحة، والبلاغة الغريزية، ووعورة اللفظ، تدل على تكلف وتعسف، ولا شيء أذهب بماء الكلام، وطلاوته ورونقه منهما، ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وإن كان لطيف المعنى نبيل الصنعة.

وقد أجاد ابن الرومي في قوله:

البلاغةُ حسنُ الاقتضاب عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.

فجعل البلاغة في الغزارة، كما جعلها غيره في الإيجاز.

وقيل لهندي: ما البلاغة؟ فقال:

وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ فقال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقال الحسن بن سهل^(١): البلاغة ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة.

وقال عبيد الله بن عتبة:

البلاغة دنو المتأخر، وقرع الحجة، وقليل من كثير. وروي هذا عن أكثم بن صيفي^(٢) أيضاً.

قال ابن المقفع^(٣):

البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوهٍ فمنها: ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامه ما يكون من هذه الأحوال فالوحي فيها، والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز البلاغة.

وتأويل هذا ما قدمناه.

وقال غيره:

البلاغة قولٌ يسير، يشتمل على معنى خطير.

وقال الآخر:

البلاغة علمٌ كثير، في قول يسير.

وقال جعفر بن يحيى: البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك، ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل.

(١) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، وزير المأمون العباسي، قائد والٍ، من مشاهير عصره في الذكاء والأدب والكرم. مات سنة ١٦٦ هـ. (الأعلام: ١٩٢/٢).

(٢) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث، التميمي: حكيم العرب في الجاهلية أدرك الإسلام، توجه إلى المدينة المنورة فلم يضلها ومات في الطريق سنة ٩ هـ.

(٣) ابن المقفع: عبد الله، من كبار الكتاب، أول من ترجم كتب المنطق تولى كتابة الديوان للمنصور العباسي، ترجم كتباً كثيرة منها «كلية ودمنة».

وقال أعرابي :

البلاغة التقرب من معنى البغية، والتبعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة. وقال محمد بن الحنفية :

البلاغة قولٌ مفقهُ في لطف.

وقال عليُّ رضي الله عنه :

البلاغة إيضاحُ الملتبسات، وكشف عوار الجهالات، بأحسن ما يُمكن من العبارات.

ومثله قول الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما :

البلاغةُ الإفصاحُ عن حكمةٍ مستغلقة، وإبانة علمٍ مشكل.

ومثله قول محمد بن عليٍّ رضي الله عنه :

البلاغةُ تيسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ.

وقال ابن المقفع :

البلاغة كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة

الحق.

والذي قاله صحيح، لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد، من أهل التمييز، وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح، الثابت المكشوف، ينادي على نفسه بالصحة، ولا يحوج إلى التكلف لتصحيحه، حتى يوجد العي في خطياً، وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضرب من الاحتيال والتخييل، ونوع من العلل والمعاريف، ليخفى موضع الإساءة ويغمض موضع التقصير فيه. وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام، مواضع الاشكال من هذه الفصول، فتركت إعادتها ههنا، فإذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك، تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى.

وقد أحب قومُ الإيجاز في بعض المواضع، منهم جعفر بن يحيى قال لكتابه :

إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا.

وقال بعضهم في المذهب الأول: إذا كان الإيجاز كافياً، كان التطويل عيًّا، وإذا كان

التطويل واجباً كان التقصيرُ عجزاً.

وقيل لأعرابي ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والاطناب من غير خطل.

فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ.

جمل من بلاغات العجم

العجمُ والعربُ في البلاغة سواء، فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغةٍ أخرى، أمكنه فيها من صنعة الكلام، ما أمكنه في الأولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، ويدل ذلك على هذا أيضاً، أن تراجم خطب الفرس، ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها، وللفرس أمثال، مثل أمثال العرب معنى وصنعة، وربما كان اللفظ الفارسي، في بعضها، أفصح من اللفظ العربي.

من ذلك قول العرب: «ولذلك من دَمَى عَقَبِيكَ»^(١).

وقول الفرس: «هرك نزاد نرود».

واللفظ الفارسي في هذا، أفصح من اللفظ العربي وأحسن.

وقولهم: «كشند ميد» مثل قول العربي: «من يسمع يخل»^(٢) سواء في المعنى، والفارسي أقل حروفاً.

وقولهم: «أصيد بركة خورده». وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء.

ومعناه: «المأمول خير من المأكول».

ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفه بالفارسية، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل: «انتظار الحاجة خير لك من قضائها».

وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم:

«به شاه أشناه ونرود همدوره» والعرب تقول: «جاور بحرأ أو ملكأ»^(٣).

(١) جمهرة الأمثال: ٣٧/١.

(٢) جمهرة الأمثال: ٢١٢/٢.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢٤٣/١.

وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيلُ فيه، ولكن لإيراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام:

فمن ذلك قول ابرويز:

إذا نزل الخمولُ استكثف النقص.

يحثُ على طالب النباهة، والتماس جلائل الأمور.

وقال بهرام جور: الحاكم ميزان الله في الأرض.

فوافق الله تعالى في قوله:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(١).

يعني العدل في الحكم:

ونحوه قال علي رضي الله عنه: السفرُ ميزان القوم.

وقول الآخر:

العروضُ ميزان الشعر.

وقال الآخر منهم: أغلق أبواب الشهوات تنفتح لك أبواب المحاسن.

وقال آخرُ منهم:

الصوابُ قرينُ الثبوت والخطأُ شريك العجلة.

وقال بزرجمهر^(٢):

عاملوا أحرار الناس بمحض المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرغبة، وسوسوا السفلة بالمخافة والهيبة.

وقريبٌ من ذلك قول بعضهم:

الكريم يلين إذا استعطف، واللئيمُ يقسو إذا ألطف.

وقال بعضهم:

ينبغي للوالي أن يتفقد أمور رعيته، فيسد فاقة أحرارها، ويقمع طغيان سفلتها، فإنما يصولُ

الكريمُ إذا جاع، واللئيمُ إذا شبع.

وقال بعضُ حكماء الفرس: أحزم الملوك، من غلب جَدَه هزله، وقهر رأيه هواه، وعبر عن

ضميره فعله، ولم يخذله رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

وقال أنوشروان^(٣):

القصْدُ غاية المنافع. وقال لابنه هرمز:

لا يكن عندك لعمل البرِّ غاية في الكثرة، ولا لعمل الإثم غاية في القلة.

(١). سورة الرحمن: آية ٧.

(٢) بزرجمهر: من حكماء فارس ومن ملوكها.

(٣) أنوشروان: من حكماء فارس وكان ملكاً.

ووافق هذا من العربي قول الأفوه الأودي^(١):
والخيرُ تزدادُ منه ما لقيت بهِ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زادُ
وقالوا أيضاً:

يوم العدل على الظالم، أشدّ من يوم الظلم على المظلوم.
وقال ابرويز:

لا تغشوا قليلاً فتنغصوا به كثيراً. وقال يوماً لجنده: لا يشحذ امرؤ منكم سيفه، حتى يشحذ عقله.

وأظن المتنبي^(٢) ألم بهذا فقال:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
وقال لكتابه:

إذا فكرت فلا تعجل، وإذا كتبت فلا تستعن بالفضول، فإنها علاوة على الكفاية، ولا تقصرن عن التحقيق، فإنها هُجّة في المقالة، ولا تلبس كلاماً بكلام، ولا تباعدن معنى من معنى، واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول. ووافق هذا قول العربي:
ما رأيت بليغاً، إلا رأيت له في المعاني إطالةً، وفي الألفاظ تقصيراً. يحث على الإيجاز.
وقال له:

إذا أمرت فاحكم، وإذا كتبت فأوضح، وإذا ملكت فأسجع، وإذا سألت فأبلغ.
ووافق هذا النمط قول^(٣) أبي تمام:

يقولُ فيسمع ويمشي فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجعُ
وقال أزدشير بن بابك:

من لم يرض بما قسم الله له، طالت معتبته، وفحش جرضه، ومن فحش جرضه ذلت نفسه، وغلب عليه الحسد، ومن غلب عليه الحسد، لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه، حزيناً على ما لا يناله. وهذا معنى قول الشاعر:

ليس للحاسد إلا ما حسد

وقال:

من شغل نفسه بالُمْنى لم يخل قلبه من الأسى.

وقال بعضهم:

الحقوقُ أربعة: حقُّ الله تعالى، وقضاؤه ارضاً بقضائه، والعمل بطاعته، وإكرام أوليائه، وحق نفسك، وقضاؤه تعهداً، بما يصلحها ويصححها، ويحسم مواد الادواء عنها، وحق الناس،

(١) الأفوه الأودي: هو صلاة بن عمرو من مذج مات سنة ٥٠ ق هـ.

(٢) ديوان المتنبي: ١٧٤/٤.

(٣) ديوان أبي تمام: ١٦٨.

وقضاؤه عُمومهم بالموّدة، ثم تخصيص كل واحد منهم بالتوقيير والتفضيل والصلة، وحقّ السلطان، وقضاؤه تعريفه ما خفي عليه من منفعة رعية، وجهاد عَدُوّ، وعمارة بلدٍ وسدّ ثغْرِ.

وقال بزرجمهر:

لا ينبغي للعاقل أن يجزع من حطّ السلطان إياه، عن منزلة رفع إليها حاملاً، فإن الأقدار لم تجر على قدر الأخطار.

وقال بزرجمهر:

إلزام الجهول الحجة يسير، وإقراره بها عسير.

وقال بزرجمهر:

ثمرة القناعة الراحة، وثمره التواضع المحبة، من قلوب الخلق.

ومن كلام الفلاسفة

قال ارسطاطاليس:

ليس الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال. وقيل له: ما أشدّ الأشياء على الأحق؟ قال السُّكُوت. وقيل له: ما أحسن الأشياء؟ قال: الانسان المزين بالأدب.

وقال: العقل سبب تنغيص العيش.

وإلى هذا المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله:

الصُّعُو يَصْفِرُ دَائِباً ولأجله حُسِ الهزارُ لأنه يترنّم
لو كنتُ أَجْهَلُ ما علمتُ لسرّي جهلي كما قد ساءني ما أعلمُ

وقال^(١) المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
وقلت:

أواصلُ الهمَّ في ضيقٍ وفي سعةٍ كأن بيني وبين الهمِّ أرحاماً
إن إمرأاً عظمت في الناس همته رأى السرورَ جوى والوفرَ إعداماً

وقلت:

وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمني وليس لغمِّ العارفينَ مفرج

ورؤي الحسنُ البصري حزيناً، فقيل له في ذلك فقال:

غمي مكتسبٌ من عقلي، ولو كنت جاهلاً، لكنت في راحة من عيشي.

وافترق قومٌ بالمال عند فيثاغورس^(٢) فقال:

وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم، ويهلكه السخاء. وقيل له ما

(١) ديوان المتنبي: ١٥٤/٤.

(٢) فيثاغورس: عالم رياضي يوناني وفيلسوف.

أصعب الأشياء على الإنسان؟ قال :

أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .

وقال بعض أهل الهند :

ليس شيء أعرفُ بنفسه من الإنسان ولا أجهلُ بها منه . وقيل لسقراط أي السباع أجمل؟ قال المرأة .

ومن التشبيه المصيب ، قول سقراط^(١) لرجل استشاره في التزويج :

إن المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف ، فما حصل فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً ينبغي الدخول فيها .

وقيل لرجل منهم ما سبب موت أخيك؟ قال كونه .

ومثل ذلك أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد أظنه عن أبيه قال : ورد البريد إلى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد ، فاستدعاه وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة ، فقال المؤيد : لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال : مات ابنك ، قال قد عرفت ذلك ، قال : ومتى عرفته وما سبق البريد خبر؟ قال : عرفت ذلك يوم وُلد . فعجب المأمون من فهمه ، وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفرعها فيما ينوبها .

وقال بعضهم :

حب المال وتد البلايا .

وقال سقراط :

اللذة خناق من غسل .

وقيل لجاوس : توفي مانيدس^(٢) . فقال : الويح لي قد ضاع مسنٌ عقلي . وقيل له ما أحلى

الأشياء؟ قال : الذي تشتهي .

وقريب منه قول الأعرابي :

وقلة ما قرت به العين صالح .

وقال سقراط :

الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء .

ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين :

التبذير للمال ذمة ، كحب التقدير فاجتنب التقدير ، وإياك والتبذير .

وقريب منه قول العربي ، وقد قيل له : إن فيك إمساكا ، فقال : لا أجمد في حق ولا أزور في

باطل .

(١) سقراط : فيلسوف يوناني كبير .

(٢) جاوس ومانيدس : من مفكري اليونان .

ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر .
ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما أن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أمثال البراذين^(١)
وقلت وقد رأيت غلاماً طريراً يخدم لثيماً دميماً :

إن كنت تتراد منظرأ عجباً فانظر إلى البدر في يد القرد
وانظر إلى الضب كيف يفترس الطيبي على مرقد من الورد^(٢)
وذم دهرأ يفيض أنعمه على اللثيم المذمم الوغد
وانظر إلى حمرة وأنته فوق متون السوابح الجرد
فأسخن الله عينه زمنأ ماذا رأى في تجنب القصدي
وقال بعض اليونانيين للاسكندر^(٣) : أخلاقك تجعل العدو صديقاً ، وأحكامك تجعل
الصديق عدواً ، ويشهد عدم مثلك فيما كان ، بعدم مثلك فيما يكون .

وقال بعض حكمائهم لمتكبر : وددت أني مثلك في نفسك ، وأن أعدائي مثلك في
الحقيقة . وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه : أنا دون ما
تظهر بلسانك ، وفوق ما تضرمر في جنانك .
وقيل لبطليموس : ما أحسن أن يصبر الانسان عما يشتهي ؟ قال : أحسن منه أن لا يشتهي إلا
ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس^(٤) :

إنك إن لم تصبر على تعب التعليم ، صبرت على شقاء الجهل ما بقيت - يخاطب جاهلاً .

محاسن كلام العرب والأعراب والخطباء والكتاب

قال بعض حكمائهم :

الصبر يناضل الحدثان .

وقال آخر :

الحلم فدام^(٥) السفه .

وقال آخر :

خاطر من استغنى برأيه .

وقال غيره :

(١) البراذين : جمع البرذون : الحمار .

(٢) الضب : حيوان صحراوي صغير .

(٣) الاسكندر : قائد يوناني تعلّم فلسفة افلاطون وأرسطو .

(٤) ارسطاطاليس : فيلسوف اليونان .

(٥) الفدام : شيء يُشد على الفم .

الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مُستفادة .
وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال :
القرابة مُحتاجة إلى المودة ، والمودة مُستغنية عن القرابة .
وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ .
وقالوا :

عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن موجز الكلام قول بعضهم :
من نال استطال والفاحشة كاسمها .

وقولهم :
أصاب مُتأملٌ أو كاد .

وقولهم :
العفو زكاة الجاه .

وقولهم :
راجي البخيل مُكد .

وقول بعضهم :
قلما تصدق الأمانة .

وقيل :
الصيانة مآلف المروءة .

وقال بعض الحكماء :
البلاء رديف الرخاء .

وقيل :
خمول الذكر ، أسنى من الذكر الذميم .

وهذا خلاف ما سمعناه ، سمعت رجلاً يقول : لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إليّ من أن
أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب الإيجاز ، فخطب محمد بن
الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز^(١) ابنة أخيه ، فتكلم بكلام جاز الحفظ . فقال عمر :
الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خير الأنبياء ، أما بعد فإن
الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة فيك اجابتك منا ، وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته ،
واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوجناك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .

(١) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الأموي الصالح ، خامس الخلفاء الراشدين توفي سنة ١٠١ هـ . وكان مولده
بمصر سنة ٦٣ هـ .

ومن موجز كلامهم :
ليس مع الخلاف ائتلاف .
وقولهم :

رضا الناس غاية لا تبلغ .
وقولهم :
لا ينفعك من جار سوء توقّ .

وقولهم :
سرك من دمك .
وقيل :
من لم يمت لم يفت .

وقولهم :
عقل الكاتب على قلمه .

ومن الصدق الذي لا ارتياب فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه .
ومن الموجز المليح ما روي أن بني أمية وفدوا على عبد الملك بن مروان ، فقال أهل الشام : ما عسى أن يقول خطيبهم ؟ فقام رجلٌ منهم فقال :
يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ ، وحقنا ما لا تنكر ، وجئناك من بعد ونمتُ من قرب ، فمهما
تفعل بنا من خير فنحنُ أهلُه ، فتناول عبد الملك وقال : يا أهل الشام هذا كلام قومي .

ومن جيد الاستعارة قول بعضهم :
كانوا في ظل رقيق الحواشي ، فطواه الدهرُ عنهم .
وقيل : القلم أنف الضمير ، والخط لسان اليد .
وقال النبي ﷺ : «جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيَّرَةِ»

وقالوا : الفكرة مُخُ العمل .
وقيل :

الشيْبُ خطام المنية .
وقالوا : المذاكرةُ حياة العلم .

وقيل :
الخمُولُ دفن الحي .
وقلت :

السخاء سُلم المجد .
وقلت :

المراء ينقض مرر المودة، والتواني يُثمر الندامة، والكسل يُنتج الفقر.
وقيل:

البياض علم الجمال.

وقلت:

الحياء عنوان الكرم.

وقلت:

العتاب مُقدِّمة السخط.

وقال ابن المعتز:

المعروف: غل^(١) لا يُفكّه إلا شكر أو مكافأة.

وقلت:

العين رائد القلب.

وقلت:

الذل رسيل الدين، والشكر ضامن المزيد، والغنى مظنة البطر.

وقال آخر:

اللحظ طرف الضمير.

وقلت:

الشكر مرتبط النعم.

وقال آخر:

من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

وقال:

الأعمال ثمار النيات.

وقيل: التواضع سلّم الشرف.

وقلت:

المال عدوّ الوفاء.

وقيل:

التجني رسول القطيعة.

وقال الأحنف:

الأدب عروة العزّ.

ومن أصدق كلمة أعرفها قول ابن المعتز:

(١) الغل: القيد.

من قوي عقله، كثر حلمه، وقل غيظه.

وقال:

الفرصة سريعة الفوت، وبطيئة العود.

وقال:

نرقع خرق الدنيا ويتسع، ونشبعها وتنصدع، ونجمع منها ما لا يجتمع.

ووقع جعفر بن يحيى إلى بعض إخوانه:

إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجني.

وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال: «عُثَيْثَةُ تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسًا»^(١).

وقال بعض الحكماء.

حصاؤ المني الأسف وعاقبتها الندامة، وليس لذي لب بها مستمتع.

ومن فصيح أمثال العرب قولهم: «الفرارُ بقرابٍ أكيسُ»^(٢).

وعزى أعرابي رجلاً فقال:

لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها.

وعزى شبيب بن شيبة ذمياً فقال: أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك.

وقال عبد العزيز بن زرارة:

أول المعرفة الاختبار.

وقال رجل للأحنف ممن أنت؟ قال: ممن ودني. وقال البلاغة البلوغ عند الكفاية.

وقيل للأحنف ما أحسن المجالس؟ قال: ما سافر فيه البصر، واتدع فيه البدن، وأمن فيه

الثقل، وكثرت فيه الفائدة.

وكتب المهلب^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الأزارقة:

أما بعد فإننا لقينا المارقة، ببلاد الأهواز، وكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الدين
والمروءة، ونصرنا الله عليهم، فنزل القضاء بأمر، جاوزت النعمة فيه الأمل، فصاروا دريئة
رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل رئيسهم في جماعة من حماتهم، وذوي الثبات منهم، وأجلى
الباقون ليلاً عن معسكراتهم، وأرجو أن يكون آخر النعمة كأولها إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى الحجاج:

الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع مواد نعمه، حتى تنقطع من خلقه مواد
الشكر عليها، وإنا كنا وعدونا على حالتين: يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما
يسرهم، فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم، ويمحضنا ويمحقهم، حتى بلغ الكتاب أجله،

(١) جمهرة الأمثال: ٤٨/٢. العُثَيْثَةُ: تصغير العُتَّة: دوية، تَقْرِمُ: تحز.

(٢) جمهرة الأمثال: ٨٣/٢.

(٣) هو المهلب بن أبي صفرة. وفي الأصل: «ابن عبد الملك». والأزارقة فرقة دينية من الخوارج.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وكتب ابن المعتز:

قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمي اليأس منك إلى الصبر عنك .

وقال أعرابي لمعاوية:

هزرت ذوائب الرجال إليك، إذ لم أجدُ معولاً إلا عليك، وأمتطي الليل بعد النهار، واسم المجاهر بالآثار، يقودني نحوك الرجاء، وتسوقني إليك البلوى والنفسُ مستبظّة، والاجتهاد عاذر، وإذ بلغتكَ فقط .

فقال معاوية:

أحطط رحلك يا أعرابي .

وقال سفيان الثوري:

رأيتُ أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا رب عندي لك حُقوقٌ فهبها لي وللناس عندي حقوقٌ فتحملها عني، ولي عندهم حقوقٌ فقيضها لي، وأنا ضيفك اليوم فاجعل قراري الجنة .
وذكر بعضهم رجلاً فقال: كان قريب مدى الوثبة، لين العطفة، يُرضيه القليل ولا يُسخطه الكثير .

أمثلة في البلاغة الكتابية

أولها التحميدُ، ومن عادة العارفين أن يبتدئوا في الأمور، بالحمد لله رب العالمين يُقدمونه أمام طلابها، كما بُدئَ بالنعمة فيها قبل استيجابها .

كتب حمدُ بن مهران^(١): الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الإحصاء، وجلّت نعمه عن الجزاء .

وكتب أيضاً:

الحمد لله ذي البلاء الجميل، والعطاء الجزيل، الذي جعل للأمير سنى الرتبة، وعز الدعوة، ووصل له حسن الولاية، بشكر النعمة، وقرن لأوليائه قوة الحجة، بفضل الإدالة حمداً يؤدي إلى الحق، ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه، وإلى الله أرغبُ في زيادة الأمير والزيادة به وعلى يديه، والأيدي الصائلة على عدوّه بمنّه ولطفه .

فأخذ ابنُ دُرَيْدٍ قوله: «ويستمد المزيد ويمتريه» فقال:

تحرص نعم الله عزّ وجلّ عندنا بالحمد عليها ويمتري المزيد منها بالشكر عليها، وترغب الأيادي إليه في التوفيق لما يُدني من رضاه، ويجير من سخطه، إنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء .

(١) حمد بن مهران: في الفهرست «حميد». أصله من اصفهان، كتب البرامكة مدة حياتهم، له كتاب رسائل. (الفهرست ١٧٩).

وكتب الصابي^(١):

الحمد لله ذي المنن والطول، والقوة والحول، والغاية والصول، رافع الحق ومُعليه، وقامع الباطل ومُرديه، ومُعز الدين ومُذيله، ومُذل الكفر ومُذيله^(٢) المنزل رحمته على من جاهد في طاعته، والمحل عُقوبته بمن جاهر بمعصيته، المتكفل بتأييد حربه حتى يظفر، وبخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب، ولا ينجو منه الموارب، ولا يعيبه المُعضل، ولا يعجزه المشكل، ولا تبهظه الأشغال، ولا تؤوده الأثقال، الغنيُّ المفتقر إليه، القويُّ المعتمد عليه، بالغ أمره بلا مؤازر، وممضي حكمه بلا مظاهر، ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين.

وروي عن النبي ﷺ إنه قال لما هزم الأحزاب:

«الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»^(٣).

وكتبت:

الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن، واكتنفها بالميامن، وبسط بالخير أيديها، وأفاض بالاحسان واديها، وعلمها البر بالأبرار، والعطف على الأحرار، واختيار الخير للأخيار، فعادت وقد زكت شجرتها، وحلت ثمرتها، وتشت أغصانها، وتهللت أفنانها، ولانت أعطافها، وتناهت لطافها، فكانما هي أيام أبي تمام التي وصفها، فقال^(٤):

أيا منّا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

بما منح من حسن رأيك، أطل الله في كنف السلامة بقاءك، وحجب عن عيون الغير نعماءك، وخولك من العز أوفره، ومن الظفر أخضره، وأعطاك من النعم أصفها من الشوائب، وأبعدها من ملاحظة النوائب، ومنحك من الخير برؤيته، كما قاد إليك الفضل بأزمته، ولا زال بك الزمان جديد الحلتين، مُطرز الطرتين، مُتوج المفرق بمآثره، حال الجيد بمفاخره، ولا سلبك نعمة البسك جمالها، ولا نزع عنك عارفة وفر عليك كمالها:

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدِّداً فكن باقياً حتى تَرى الدهرَ فانيا
وكتب بعضهم:

الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما ألزم بصنائه.

وكتبت:

الحمد لله على ما تطول به من البر، وما أوزع^(٥) على ذلك من الشكر، حمداً يتخطى به

(١) الصابي: أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال، مترسل بليغ شاعر عالم بالهندسة. مات قبل سنة ٣٨٠ هـ.

(الفهرست ١٩٣).

(٢) مذيل الكفر: محقره.

(٣) البخاري: عمرة ١٢. مسلم: حج ٤٢٨.

(٤) ديوانه: ١٣١.

(٥) أوزع: ألهم.

إلى غاية رضوانه، ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه.
وكتبت:

الحمد لله الذي قيض لك السبق إلى البرِّ، والفوز بالمكرمة البكر والاستيلاء على قصبات
الحمد والشكر.

وكتب آخر:

الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته، ومعارف ترشدنا إلى الاقرار
بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته.

ومن جيد الأدعية

ما كتب الصاحب أبو القاسم بن عباد:

أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد، والنيروز الحميد، سعادة مُتصلة المادة، حافظةً لجميل
العادة، مُؤذنة بظاهر العزِّ والبسطة، وتزايد السرور والغبطة، مؤمنة من عوادي الأيام، وبوادر
الزمان، وأراه سادتي الفتيان، قد اقتفى كلُّ منهما مجده، وحكى في طلب المعالي أباه وجَدَّه،
وجعل سيدنا أخذاً من كلِّ ما دعي به ويدعى به في الأعياد، بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد.
وكتب الصابي إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف:

أطال الله بقاء مولاي الأستاذ، وأسعده بفيروزه^(١) الوارد عليه، وأعاده ألف عام إليه، وجعله
فيه وفي أيامه كلها معافى سالماً، فائزاً غانماً، مسروراً محبوراً، محروساً موفوراً، مختمواً له ببلوغ
الآمال، مطروفاً عليه^(٢) عين الكمال، محظور الافنية عن^(٣) النوائب، محمى الشرائع عن
الشوائب، مُبلغاً غاية ما تسمو همته العالية المشتتة، وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته.
والفصل الأخير من هذا يُشير إلى قول ابن المعتز: أصحب الله بقاءك عزاً يسط يدك لوليك،
وعلى عدوك وكلاءة^(٤) تذب عن ودائع مننه عندك، وزاد في نعمك وإن عظمت، وبلغك آمالك
وإن بُعدت.

وكتب بعضهم: عش ما شئت كما شئت.

وهو قول^(٥) أبي نواس:

دارت على فتية ذلَّ الزمان لهم
فما يُصيبهم إلا بما شاؤوا
وكتب بعضهم:

(١) النيروز: من أعياد الفرس.

(٢) في الأصل: «عنه».

(٣) في الأصل: «على».

(٤) الكلاءة: الحفظ.

(٥) ديوانه: ٧.

عش أطول الأعمار، مُوقى من سوء الأقدار، مرزوقاً نهاية الآمال، مغبوطاً على كل حال.
وكتب آخر:

بلغك الله نهاية من العمر لا نهاية لمستزيد وراءها.

وقريبٌ منه قول البحرى:

عمرت أبا إسحاق ما صلح العمرُ ولا زال معموراً بأيامك الدهر^(١)
وقول الآخر:

فلا زالت الأرض معمورةً بعُمرِكَ يا خيرَ عُمارها
ومما يجري مع ذلك وليس منه، قول^(٢) أبي تمام:

من يسأل الله أن يُبقى سراتكمُ فإنما رامَ أن يستبقى الكرم
وقول^(٣) المتنبي:

أعيذكُم من صروف دهركمُ فإنه بالكرام مُتهمُ
قلت:

فلا زالت الأقدارُ دونَ محلکم سواقطَ والمكروهُ عنكم^(٤) مقصراً
وقال بعضهم:

جعلك الله من كل محبوب على شرف، ومن كل محذور في كنف.
وكتب آخر:

لا زالت الأيام لك مساعدة، والليالي على هواك مُساعفة، تتلاقك بأوفر الجبور، وتطلع
عليك بعوائد السرور، وتجري مقاديرها لك بالمحجوب، وتتقاعس عنك بالمحذور المرهوب،
ويحكم لك بالرشد والسعادة، ويقضي على أعدائك بالذل والقماء^(٥).

وكتب ابن المعتز:

أخرتني العلة عن الوزير، أيدهُ الله، فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني، ويعمر ما
أخلته العوائق مني، أسأل الله أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة، بركة عليه ودون الأعياد
المستقبلية، فيما يحب ويحب له، ويتقبل ما نتوسل به إلى مرضاته، ويضاعفُ الاحسان إليه على
الاحسان منه، ويُمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية، ولا يريه في مسرةٍ نقيصةً، ولا يقطع عنه فيها
عادة جميلة.

وهذا مأخوذٌ من قول سعيد بن حميد:

(١) البيت في ديوان البحرى. ٢٠٨/١. أبو إسحاق: هو إبراهيم بن المدبر.

(٢) ديوانه: ١٦٩.

(٣) ديوانه: ٦٩/٤.

(٤) في النسخ: «منكم».

(٥) القماء: الذلل.

تابع الله لك صالح الأيام، ومحمود الأعوام، حتى يكون كل يوم منها موفياً على ما قبله،
مُقصرًا عما^(١) بعده.

وكتب ابن المعتز:

حفظ الله النعمة عليك وفيك، وولي إصلاحك والإصلاح لك، وأجزل من الخير حظك،
والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك.

وكتب إلى عليل:

مسحك الله بيد العافية، ووجه إليك وافد السلامة، وملاك ما أفادك وهنّاك ما قسم لك،
وأمتع بك وليك، وألان لك طاعة عدوك وجمل الدولة ببقائك، وزينها بدوام نعمائك.

وكتب صاحب أبو القاسم:

والله يديم لمولانا ولي النعم التمكين والبسطة، والعلو والقدرة، والعز والنصرة، ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته، ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته، ليزداد أولياؤه
بصيرة في مناصحته، ويضطر أعداؤه إلى استعطافه واستقالته، إنه قدير على ما يشاء وإليه أرغب
في زيادة مولانا من فضله، وصلته المناجح بسعيه وعزمه، وتعريفه الميامن في ارتحاله وحله،
وتوفيقه لما يحفظ رأي ولي نعمته، ويستديم المقسوم له من محمده.

وكتب أبو الحسن بن أبي البغل إلى علي بن عيسى:

وهنا الله الوزير ما أتاه، وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاتحةً، وأسلمه مالاّ
وعاقبةً، وأطوله أمداً ومدةً، وأدومه انتظاماً واستقامةً، وأوفره كفاية الله وجميل ولايته، وصادق
معاونته، حظاً وسُهمةً^(٢) ويسر لديه العسير، وقرب على يده البعيد والشطير^(٣)، إنه على كل شيء
قدير.

وقال أعرابي:

لرجل النعم ثلاث: نعمة في حال كونها، ونعمة ترجى مُستقبله، ونعمة تأتي غير مُحْتسبة،
فأدام الله لك ما أنت فيه، وحقق ظنك فيما ترتجيه، وتفضل عليك بما لم تحتسبه.

المديح

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء، وأنا أورد هنا صدرّاً على مذهب
الكتاب، ليشتمل به على الكمال إن شاء الله تعالى: ذكر رجل لبعض البلغاء فقال:

هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل وإدراك الأمانى وبلوغ الآمال.

وكتب بعض الكتاب:

وجرى لك من ذكر ما خصك الله به، وأفردك بفضيلته، من شرف النفس والقدر، وعلو

(١) في الأصل: «على ما بعده».

(٢) السُهمة: النصيب.

(٣) الشطير: الغريب والبعيد.

المنزلة والذكر، وبعد الهمة ومضاء العزيمة، وكمال الأداة والآلة، والتمهد في السياسة والأيلة، وحياطة الدين والأدب، وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب، وما لا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد لك، وحديث يؤثر عنك.

وكتب:

من حل محل سيدنا في شرف المنصب، وطهارة العنصر، وزكاء الأصل، ونماء الفرع، وسني الحساب، وسري النسب، مع الشيم الطاهرة، والمكارم المتظاهرة، كثرت الرغبة إليه، وخيمت الآمال بين يديه، وهو حقيق بتصديقها فيه، وتحقيقها^(١) عند مؤمليه، لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه.

وقال بعضهم لرجل:

رحم الله أباك فإنه كان يقري العين^(٢) جمالاً والأذن بياناً.

ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر، عي اللسان، فأمر بإسقاطه. وقال:

إن روح الحياة، وهي الإنسانية، إذا كان ظاهراً كان جمالاً، وإذا كان باطناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بإنسان.

وكتب صاحب:

وليس بدع أن يجود كلامه، وتعتدل أقسامه، ويتهدب بيانه، ويتسع جنانه، وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها، ومارس الآداب حتى ملكته خطامها، فإن عُد الفقه كان البازل الذي ذلل الفحول مُصاولة، وإن ذكر الكلام، كان الجبل الذي فرع الأطواد مطاولة، وإن تصرف في أيام الناس وأخبارهم، وفحص عن سيرهم وآثارهم، حاضر مُحاضرة الأفراد، وكاثر مُكاثرة الأحاد، وإن جُوري في سوائر الأمثال، وفقر الأشعار، ترك المجاري لا يدري أي طريق يركب، وأي مذهب يذهب، وأما الخطابة فهو جُذيلها المحكك^(٣)، وعذيقها المرجب، وقد سُلمت إليه اختياراً من مواليه، واضطراً من مُعاديهِ.

وقال رجل لخالد القسري:

إنك لتبذل ما جلّ، وتجبر ما اعتل، وتكثر ما قل.

وكتب إبراهيم بن العباس:

وإن أمير المؤمنين، لو استغنى بنظر ناظر من وُلّاته، واجتهاد مجتهد من كفاته، الذين لهم الأثرة عنده، والموضع الأخص عن الاستظهار عليه، بنظره وعنايته واهتمامه، كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه، واقتصر على عنايته وتدبيره، دون إرشاده وتسديده، فالله يُعزّه ويزيد في تأييده.

(١) في الأصل: «تحقيقاً».

(٢) يقري العين: يكرمها.

(٣) جذيلها المحكك: أي متمكن ومتفوق.

فأما الذم والتهجين

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلاً:
يقطع نهاره بالمنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى .
ودخل أعرابي بغداد فقال: فإذا ثياب أحرار على أجساد عبيد، إقبال حظهم إدبار، حظ
لكرم شجر، فروعه عند أصوله، شغلهم عن المعروف، رغبتهم في المنكر.
وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلاً:
نزلت بوادٍ غير ممطور، ورجل غير مسرور، فأقم بندمٍ وارحل بعدمٍ .
وقال أعرابي:
أولئك قومٌ سلخت أبقاؤهم بالهجاء، ودُبغت جلودهم باللؤم، فلبأسهم في الدنيا الملامة،
وزادهم في الآخرة الندامة .
وقال أعرابي:
لا تُدنس شعرك بعرض فلان، فإنه سمينُ المال، مهزول المعروف، من المرزوقين فجأة،
قصير عمر الغنى، طويل حياة الفقر، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله^(١):
بما أهجوك؟ لا أدري! لسانِي فيكَ لا يجري
إذا فكَرت في عَرْضِكَ أَشَفقتُ على شعري
واستشارت امرأةً امرأةً في رجل تزوجه . فقالت: لا تفعلِي فإنه وُكَلَّةٌ تَكَلَّةٌ يأكل خلله^(٢).
وُكَلَّةٌ وتُكَلَّةٌ: بمعنى واحدٍ، وهو الذي يتكلُّ في الأمور على غيره، ولا يقومُ فيها بنفسه،
والتاء في تَكَلَّةٌ واو كما قيل ثراث وهو من ورث . والخلل ما يخرجُ من بين الأسنان عند التخلل،
وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا .
وقريبٌ منه قولهم فلان يُثيرُ الكلاب عن مرابضها، يريدون أنه من طمعه وشربه يُثيرها
يطلبُ تحتها شيئاً قد فضل منها .
ومن ذلك قول الشاعر:
أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً لقد حدثتَ نفسك بالمحال
في الشكر

وكتب ابنُ المعتز في الشكر:
قد جلت نعمتك عن شكري، فتولى الله مكافأتك عن عجزِي، بعد جُهدي، بما هو أرفع
له وأقدر عليه بمنه ورأفته، وهذا من قول طريح بن إسماعيل:

(١) ديوانه: ٣٤٢ .

(٢) الخلل: ما يبقى بين الأسنان من الفضلات وفي القول كناية عن بخل الرجل ولؤمه .

فقصرت مغلوباً وإنني لشاكرُ

وكتب آخر:

إذا كان مجهودي في شكر النعمة، واعترافي بحق العارفة، يُبلغني أقصى نهاية الشاكرين، وأبعد غاية المعترفين، وكانت زيادة معروفك على قدر شكري، كزيادة قيمتك في نفسي، فقد أسقط الله تكلف ما جاوز الطاقة عني.

وكتب بعضهم:

قلبي نجى ذكرك، ولساني خادم شكرك.

ومما يجري مع ذلك ما كتب بعضهم:

أما بعد فإن أثقل الناس حملاً، من تحمل آمال المؤمنين، وأولاهم بالمكافأة، من أخدمك عِرْضَه فتذلل لك، ونفسه فتواضع دونك، وقلبه فكان في رجائك وتأميلك، ولسانه فكان في ذكر محاسنك ونشر مناقبك.

وقريب من هذا المعنى قول^(١) ابن الرومي:

إنَّ امرأَ رَفَضَ المكاسِبَ واغْتَدَى	يتعلم الأدابَ حتَّى أحكما
فكسا وحلَّى كلَّ أروع ماجدٍ	من حُرٍّ ما حاك الضميرُ ونظما ^(٢)
مُتَشاعِلًا عما يُمارسُ غيرُه	حتَّى لقد أثرى اللثامُ وأعدما ^(٣)
ثقةً برعي الأكرمينَ ذِمَامَه	لأحقُّ مُلتَمِسٍ بأن لا يُحرما ^(٤)

وكتب:

وتأملْتُ التوقيع في معنى المعيشة، فتصور لي الغنى بصورته، وقابلني بصدق مخيلته، وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه، ونامت عيونه، وتنحت عن ساحتي خطوبه، وهذه نعمُ أعيَا بذكرها، فكيف أطمع في إداء شكرها، بل عسى أن يكون الاعتراف، بقصور الشكر عنها، شكراً لها، ومقابلة بما خلص إليَّ منها، وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض، بحقوق الأنواء^(٥)، وقائل به كما أقول بفضل الوفاء.

وقال ابن المقفع:

الشكرُ نسيْمُ النعمة.

وقال علي بن عبيدة^(٦):

(١) ديوان: ١٦٨/٦.

(٢) في ديوانه: «من حُرٍّ».

(٣) أعدم: افتقر.

(٤) في الديوان: «الأكرمين حقوقه».

(٥) الأنواء: جمع النوء: النجم إذا مال إلى الغروب.

(٦) علي بن عبيدة الريحاني كاتب بليغ فصيح، كان يختص بالمأمون العباسي، له كتب في الحكمة. اتهم

بالزندقة، مات سنة ٢١٩ هـ. (الأعلام: ٤/٣١٠).

النعمة كالروضة والشكر كالزهرة.

وكتب ابن المعتز في معنى آخر:

سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها، إلا فقدك ونعمة لا مزيد فيها إلا بك.

وكتب أبو العباس بن ثوبة:

وأنا أسأل الله إذا منّ بنعمة أن يجعلك المقدم فيها، وإذا امتحن بمحنة أن يجعلني وقاءً لك

منها.

وكتب في فصل:

وإذا ضاق على أن أفعل، فليس يضيق عليك أن تتفضل، إذا كان كل واحد منا يجري إلى

غاية في البرّ والعقوق.

وكتب أبو علي الضرير:

تجاوز بي في ذكر فضلك، ووصف محاسنك، والاعخبار بما وهب الله للامام والأمة فيك،

إلى القول بحاجتي قبلك، ليس لأنني جهلتُ الحقّ عليّ لك، ولا لأنني أدخرتُ الشناء الجميل

لغيرك، ولكنني رأيتني فيما أتعاطى منه، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، الذي لا يخفى على

ناظر، وكالمنبه على الأمر الواضح، الذي يستوي فيه العالم والجاهل، فانصرفتُ عن الشناء

عليك، إلى الدعاء لك ووكلتُ الاعخبار عنك، إلى علم الناس بك.

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا، لعلمنا أنا إن أردنا استيعابه لم نقدر عليه لكثرتة،

ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دَلَّ على قدرته، وأبان عن حكمته، باختلاف ما خلق من الصور، وتباين ما أنشأ من الفطر، من ملك وإنسان وبهيمة، وجان وطائر، يمسح صفحات التراب، ويأخذ بإهاب السحاب، وحنش ينطوي على أدراجة، ويستوي مرة في اعوجاجه، إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُختلفة، وأجرام متباينة، حقيرها جليل، وصغيرها كبير، وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.

هذا كتاب المبالغة

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات

وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجري مع ذلك وهو:

الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول

الفصل الأول

في صفات الخيل

قد وصفها الناس، في قديم الدهر وحديثه، وصفاً كثيراً، واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا أجيء بالبديع الغريب من ذلك، وأضرب عن غيره لكثرته واستفاضة، ولا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه، ووقفوا عليه وتداولوه، إلا ما لا بُدَّ من إيراده، لفقد شبيهه وعدم نظيره: فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي دؤاد:

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب
وقول الأعرابي:

وأحمر كالديباج أما سماؤه فَرِيا وأما أرضه فمُحول
سماؤه: أعاليه، وأرضه: أسافله، يعني حوافره.

ومن أجود ما قيل في تأنيف أذن الفرس ما أنشده القتيبي :
كَأَن أَذَانَهَا أَطْرَافَ أَقْلَامٍ

وأحسن ما قيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر^(١) :
يُخْرِجُنْ مِنْ خِلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا كَأَنَامِلِ الْمَقْرُورِ أَقْعَى فَاصْطَلَى^(٢)
أَي كَلَهْنِ يُبَادِرُ الْغَارَةَ فَلَيْسَ يَفُوتُ بَعْضُهَا بَعْضًا .
أَخَذَهُ عَلِيٌّ بْنُ جَبَلَةَ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَثْنَاءِ غَمْرَتِهَا أَرْسَالُ قَطْرِ تَهَامَى فَوْقَ أَرْسَالِ^(٣)
يُخْرِجُنْ مِنْ غَمْرَاتِ النَّقْعِ سَامِيَةً نَشْرَ الْأَنَامِلِ مِنْ ذِي الْقِرَةِ الصَّالِي
وَالأَوَّلُ أَجُود .
ومثل ذلك قول الراجز .

مستويات كضلوع الجنب

وفي وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمداني^(٤) :
وَتَهْدِي بِي الْخَيْلَ الْمَغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا صَبَرْتَ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
ومن أحسن الاستعارة قوله :

وإن عثرت إحدى يديه بثبيرة تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا^(٥)
وكان الأحسن أن لا يصفها بالعثار إلا أن قوله :

تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا
مستعار حسن ، يعنى على إساءته في وصفه إياه بالعثار ، ودعدع مثل قولهم «لعا» وهو دعاء
للعاثر بالحياة .

وأهدى بعضهم شهرياً^(٦) وكتب :
بعثت بشهري حسن المجموع ، لين الموضوع ، وطىء المرفوع ، همه أمامه وسوطه
لجامه .

وقد أحسن ابن المعتز في قوله :
وخيّل طواها القود حتى كأنها أنابيب سمر من قنا الخط زبل^(٧)

(١) في الأصل : «الأشعر» .

(٢) المقرور : من أصابه البرد . اصطلى : التمس الدفء .

(٣) تهامى المطر : انهمر .

(٤) هو مالك بن حريم بن مالك الهمداني ، شاعر فارس جاهلي .

(٥) الثيرة : الكوم من التراب : دع دع : صوت لزجر الخيل .

(٦) الشهري : ضرب من البراذين .

(٧) في ديوانه : ٣٢١ . «القور حتى» «ذبل» .

صَبِينَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطُنَا فطارت بها أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ^(١)
فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها.
وقد أجاد في قوله أيضاً:

أَضِيعَ شَيْءٌ سَوَطَهُ إِذْ تَرَكَبَهُ
وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول^(٢) جرير:
وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطَوْنَهَا طَيَّ التَّجَارِ بِحُضْرَمَوْتَ بُرُودَا
وقد أحسن الأعرابي القول في سرعة الفرس حيث يقول:
غَايَةً مُجَدِّ رُفَعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَوِينَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لو ترسلُ الريحُ لجئنا قبلها
وقول الآخر:

جَاءَ كَمَثَلِ الْبَرَقِ جَاشَ مَاطِرُهُ يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ
وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله:

يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
رديء لأنه جعله مضطرب المقادير والمآخيز.

وقول عبدة بن الطبيب^(٣) في الثور:
يَخْفِي التَّرَابَ بِأَظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسَّهِنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ
يقول أن مواصلة هذا الثور، بين خطواته، كمواصلة الحالف يمينه بالتحلة لا تراخي
بينهما، والتحلة قول إن شاء الله.

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول^(٤) ابن المعتز:
كَأَنَّ جَنَانَ الْفَلَاحَةِ تَضْرِبُهُ كَأَنَّ مَا يَهْرُبُ مِنْهُ يَطْلُبُهُ
وقد أجاد القائل في صفة كلاب:

كَأَنَّمَا يَرْفَعُنْ مَا لَا يُوضَعُ
ومن عجيب ما قيل في إدامة الجري قول العرب:
يُبَارِي ظِلَّهُ وَيُبَارِي عَنَانَهُ، وَيُبَارِي شِبَابَةَ الرُّمَحِ.
ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره، فمن أجود مل قيل في ذلك قول علي بن
جللة:

(١). في الديوان: «صَبِينَا عَلَيْهِم».

(٢). ديوان جرير: ١٣٤.

(٣). عبدة بن الطبيب: شاعر من عبشمس بن كعب.

(٤). ليس في ديوانه.

تحسبه أقعد في استقبالة حتى إذا استدبرته قلت أكب
وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله^(٣):
إن أدبرت قلت لا تليل لها أو أقبلت قلت مالها كفل
وقلت:

طُرف إذا استقبلته قلت حبا حتى إذا استدبرته قلت كبا
ذو أربع يلقي الصفا بمثلها وللحصي من خلفها وثب دبا^(٢)
إذا ترامين به في سيره تحسبه منها على أنف الصبا
ووصف النبي ﷺ إناث الخيل، بأعجب وصف في قوله:

«ظهورها جرر وبطونها كنز».
وقال الأسعر الجعفي في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز:
ولقد علمت على توقّي الردى أن الحصون الخيل لا مَدَر القري
ومن أجود ما وصف به حُضر^(٣) الفرس، قول الأعرابي في فرسه:
«يحضر ما وجد أرضاً».

وقد بالغ امرؤ القيس في قوله^(٤):
على هيكل يعطيك قبل سُؤاله أفانين جري غير كز ولا وان^(٥)
قوله: «قبل سُؤاله» عجيب الموقع، وقوله: «أفانين جري» أعجب وأبلغ.
وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله^(٦):

وقد أغتدي والطيّر في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(٧)
فجعل الأوابد وهي الوحش مقيدة له ينالها كيف يريد.
وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول:
إذا ما ولدنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحط
وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى:
وأرى السوحش في يميني إذا ما كان يوماً عنائه في شمالي
ونقله الشماخ بن ضرار إلى وصف رام فأحسن حيث يقول:

(١) ديوان المتنبي: ٢١٤/٣، والقليل: العنق. الكفل: الرُدف.

(٢) الصفا: الحجارة.

(٣) حُضر الفرس: ارتفاعه في العدو.

(٤) ديوانه: ١٧٤.

(٥) 'كز': منقبض. وان: ضعيف.

(٦) ديوان امرؤ القيس: ٥١.

(٧) وكنات الطير: مواقعها. المنجرد: الماضي في البر. الأوابد: الوحوش.

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم
كأن الذي يرمي من الوحش تارزاً^(١)
أي جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد.

وجعله أبو نواس في نعت كلاب فقال:
بأكلٍ تمرحُ في قاداتها
وهو من قول أبي النجم:

تعد غابات اللوى من مالها

وقوله:

يردى على حوافرٍ لا تخذله
صم الشوى يحملها وتحمله
حافٍ وما يحفى وما تنعله^(٢)
نار عجاج مستطيل قسطه^(٢)
تنفّس منه الخيل ما لا تعزله
في جنبه الطائر ديث عجله
كأن تُربّ القاع وهو يسحله
ضيّق شياطين زفته شماله
أو خلّق ينشق عنه سمله
ترى الغلام ساجياً لا يركله
يعطيه ما شاء وليس يسأله
فوافت الخيل ونحن نشكله
ويستحب في الخيل سعة المنخرين. فمن أبلغ ما قيل في ذلك.
قول مزاحم بن طفيل العقيلي:

من منخرٍ كوجار الثعلب الخرب
فجعله خرباً ليكون أوسع
وقال العباس بن مرداس:

ملء الحزامين وملء العين
ينفّس عند الربو منخرين
كنفّس كيرين بكفي قين

ومن أبلغ ما قيل في طول عُقّ الفرس:
قول مُزاحم العُقيلي^(٣) أيضاً:

كأن هاديه جذعٌ على شرفٍ
فلم يرض أن جعلها جذعاً، حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء في قولها^(٤):
كأنه علمٌ في رأسه نار

وقلت:

بمعقود السراة على اندماج
ومزورٍ القميص على انشمارٍ
يُريك جبينه لمعانَ بَرْقٍ
وسائرُ جسمه لمعانَ قار

(١) التارز: الحشيش اليابس. والميت.

(٢) العجاج: الغبار.

(٣) هو مزاحم بن الحارث، أو ابن عمرو بن مرة من بني عقيل. شاعر غزل بدوي مات سنة ١٢٠ هـ.

(٤) ديوانها: ٤٩.

فيشبهه تحتَ جُنحِ الليلِ ليلاً ويحكي الخالَ في خدِّ النهارِ^(١)
ويقبلُ حينَ يُقبلُ في سموٍّ ويُدبرُ حينَ يُدبرُ في انحدار
ويُمسكُ وهو كالقدنِ المعلى ويحضرُ وهو كالمسدِ المغار
يلوحُ البدرُ منه في جبينِ وتتضحُ الثريا في عذارِ

وقد أبدعَ القائلُ في وصفِ فرسٍ أبلقٍ أغر فقال:

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينه فاقتصرَ منه فخاضَ في أحشائه

إلا أنه أساءَ في العبارة، وذلك أن اللطمَ لا يكونُ إلا على الخد، وضربَ الجبين لا يسمى لطمًا، والقصاصُ يكونُ بمثل الفعل، فالقصاصُ باللطمِ اللطم، لا الخوضُ في الأحشاء.

وقال ابن دريد وأحسن في وصفِ الغرة والتحجيل:

كأنما الجوزاءُ في أرساغِه والنجمُ في جبهته إذا بدا

ونحوه قول كشاجم:

قد راحَ تحتَ الصبحِ ليلٌ مُظلم لوراحَ في السرجِ الأدهم^(٢)
ضحكُ اللجينِ على سوادِ أديمه وكذا الظلامُ تنيرُ فيه الأنجمُ
فكانه ببساتِ نَعشٍ مُلبَّب وكأنما هو بالثريا مُلجَمُ^(٣)

وقلت:

عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهم يهوى لطيفه هُويَّ الأعقبِ
ذاوي العسيبِ قصيره ضافي السيبِ بـ طويله صافي الأديمِ محبب^(٤)
كالنورِ بينَ العشبِ يهـرُ حسنه بينَ الجيادِ إذا بدا في موكبِ
وتطيرُ أربعه به في أبطح فكانه من طولها في مرقبِ
صمَّ الحوافِرِ شربِ صمَّ الصفا منها الأهلةُ في الصفا والصلبِ
وكانَ غرتُه تفضضُ وجهه والنقعُ يذهبُه وإن لم يُذهب^(٥)
وكانَ في أكفاله وتليله غسقَ النجومِ فتستطيلُ وترتي
وكانما الأرساغُ ماءً لم يسَل والجسمُ كأسٌ مُدامة لم يقطبِ
لم يُطبِ إلا يفوتُ ويُطلب إلا يفوزُ فلم يخبِ في مطلبِ
والعاصفاتُ حسيرةً والبارقا تـ أسيرةً في شدة المتلهبِ

(١) الخال: ما كان على الخد كالنقطة السوداء.

(٢) الأدهم: الأسود.

(٣) بنات نَعش: مجموعة نجوم كالثريا اللب المنحر. ملَبَّب: مثقل.

(٤) ذاوي: ذابل العسيب: جريد النخل السيب: الخصلة من الشعر.

(٥) تفضض: تجعل عليه قُضه.

وكأنما يحوي مدار حزامه أحناء بيتٍ بالعراءِ مطنّبٍ
وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله:
يرمي الجلاميد بأمثالها
ثم قال رؤية:

يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدق
وأبلغ ما وصف به شدة قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد، عن ابن دريد، عن الأشناداني
عن الجرمي:

سيانٌ تحت طموه وطموره أكمُ الفلا ومقايِلُ الولدان^(١)
يطأُ الخَبَارُ فلا يطيرُ غبارُهُ ويرضُ حافرهُ حصَى الحَزَانِ^(٢)

يقول: سواء عنده إذا طما في سيره، أي ارتفع، وإذا طمر أي وثب، الأكم: وهي
المرتفعات من الأرض، فيها حجارة وطين، والمقايِل: وهي ملاعب الصبيان، إذا لعبوا بالتراب،
فمدّوا منه طريقين، بينهما كالجدول، ثم خبأوا خبيئاً فمن أخرجه فقد غلب. والخبار: الأرض
السهلة، إذا مشى فيه خفف وطأه، فلم يثر غباراً، وإذا جرى في الحزان وهي الغليظ من الأرض،
مكن حافره فرض الحصى.

ونحو قول جرير:

ضزم الرقاق مناقل الأجرال
يقول: إذا صار في الرقاق من الأرض، اضطرم من جريه، وإذا صار في الأجرال، وهي
مواضع الحجارة، ناقل فيها لتطمئن مواقع حوافره.
وقول الآخر:

شادخة تشدخ من أدلاها

يقول تبعد عن الطريق ولا تبالي سهلاً أخذت أم حزناً.

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول^(٣) ابن المعتز:

ولقد غدوتُ على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل^(٤)
ومُحجِّل غر اليمين، كأنه مُتبخترٌ يمشي بِكُمٍ مُسَبِّلٍ^(٥)
وقد أحسن القائل في قوله:

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأولُّه في منعه الخطو آخره

(١) طما الماء: علا أكم الفلا: مرتفعات الصحراء.

(٢) الخبار: ما انبسط من الأرض. الحَزَان: الأرض ذات الحجارة.

(٣) ديوانه: ٣٤٣.

(٤) غمامة قسطل: غبار الحرب.

(٥) مُحجِّل: فيه سواد وبياض.

وقد قطعت من لونها الشمسُ غُرَّةً
وقال ابن المعتز^(١):

تَمَّتْ لَهُ غُرَّةٌ كَالشَّمْسِ مُشْرِقَةً
إِذَا تَقَرَّرَ يَوْمًا بِالْعَذَارِ وَغَدَا
وَقُلْتُ:

إِذَا تَحَلَّى بِالْعَذَارِ وَمَشَى
كَأَنَّهُ تَحْتَ الْحَلِيِّ رَوْضَةٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ الْفَرَسِ فِي الْهَوَاءِ قَوْلُ أَبِي دَوَاد:

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عَطْفُهُ
كَأَنِّي إِذَا عَالَيْتُ حَوْزَةَ مَتْنِهِ
وَبَيْضُ الْأُنُوقِ فِي أَعْلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْجِبَلِ، فَلَا تَرَى أَشَدَّ مَبَالِغَةً مِنْ هَذَا الْبَيْتِ.
وَقُلْتُ:

مُضْطَرُمُّ الْغَدُوِّ وَالرَّوَّاحِ
تَخَالَهُ يَمْشِي عَلَى أَرْمَاحِ
وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، عَنِ الْعُقَدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ
الدَّهَاقِينِ^(٣) إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بَرْدُونَا وَقَعْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا؟ فَقَالَ:

أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنْ تَرَكْتَهُ نَعْسٍ وَإِنْ حَرَكْتَهُ طَارَ. فَقَالَ^(٤): صَفْتُهُ خَيْرٌ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:
أَسْرَعَ مِنْ لِحْظَتِهِ، إِذَا عَدَا
وَيَشْبُهُ الْفَرَسَ فِي عُدُوهِ بِالنَّارِ فَأَجْمَعُ مَا جَاءَ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ:

رَبِّمَا أَغْدُو وَتَحْتِي طِرْفُ
طَوِي الشَّحْمُ عَلَى مَتْنِيهِ
فَهُوَ نَارٌ وَالتَّرَابُ دُخَانٌ
وَقَالَ:

وَكَمْ غَدَوْتُ بِفَتْيَانٍ تَسِيلُ بِهِمْ
مَكْنَفَاتٍ بِأَذَانٍ نَوَاصِيهَا
سَوَابِقُ أَحْكَمْتَهُنَّ الْمَضَامِيرُ
كَمَا يَشُقُّ عَنِ الطَّلَعِ الْكَوَاوِيرُ^(٨)

(١) ليس في ديوانه.

(٢) الشَّو: السِّيق. جذع سَحُوق: جذع غلة طويلة.

(٣) الدهاقين: جمع الدهقان وهو الإقطاعي في بلاد فارس.

(٤) ديوانه: ٤٢.

(٥) العنان: الحبل.

(٦) طرف: حصان كريم. وفي نسخة: «لاحق بالمعاديات». الطمر: الجواد.

(٧) القباطي: نسبة إلى القبط: الثياب.

(٨) الكوافير: جمع الكافور: نبت طيب.

تنزرو كراتهم في كل مُعترك كما يطيرُ من الذعرِ العصافيرُ
وقوله: «تسيل بهم سوابق» من أجود ما وصف به الجري السهل. ويُستحب في الفرس
الشدق، وهو سعة الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب:

وان يُلقِ كلبٌ بينَ لحيةِ يذهب

ومن مليح ما قيل فيه قول^(١) ابن المعتز:

ناظر في غرة	شمها واسترطا ^(٢)
وإذا سار رمى	يدَه والتقطا
وكان ملجمه	يفتحان سفتا ^(٣)

وقال:

وغدونا بأعنة خيل	تأخذُ الأرض بأيدي عجال
زينتها غررٌ ضاحكات	كبدورٍ في وجوه الليالي

ومن غريب التشبيه، تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير، بجراء كلاب بيض.
قال الراجز:

كان أجراء كلابٍ بيض	دون صافيه إلى التعريض
---------------------	-----------------------

وقال العُماني الراجز^(٤):

كان تحت البطن منه أكلباً	بيضاً صغاراً يتنهش المنقباً ^(٥)
--------------------------	--

وتبعه الحُماني فقال:

وليلٍ مثل خافية الأراب	عييٌ مذهبٍ وخفي باب
دلفتُ له بأسود مستمر	كما نظر الغضابُ إلى الغضاب
أجشُ كأنما قابلتُ منه	تبَعقُ لُجّةٌ وحريقٌ غاب
ترأه كأن عينك لا ترأه	إذا وصل الوثاب إلى الوثاب
كان لدى مغابنه التماعاً	تهارش عنده بقُع الكلاب ^(٦)

وليس نظم هذا البيت بمختار، وذكر قوائمه ثم قال:

يخالس بينها رفعاً ووضعاً	كما خفت بنائك بالحساب
--------------------------	-----------------------

(١) ديوانه: ٢٦٤.

(٢) استرط: ابتلع.

(٣) السفت: وعاء.

(٤) العُماني: هو محمد بن ذؤيب الفُقيمي. ليس من أهل عمان، إنما قيل له عُمانى لأنه كان مصفراً الوجه كأهل عُمان. والبيت مع الترجمة في: (الشعر والشعراء: ٦٤١/٢).

(٥) المنقب: قدام السرة من البطن.

(٦) المغابن: جمع المغين وهو الإبط.

ومن أحسن ما قيل في الحصى الذي يترامي بسنك الفرس إذا جرى قول^(١) امرئ القيس :
 كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذفت أعسرا^(٢)
 وجعله أعسر لذهابه على غير استواء، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :
 يقذف بالرجل حصى الطريق كأنه رام بلا تحقيق
 وقال^(٣) :

ينفي خفاف الحصى والنقع منتشر كأنها خلف رجله الزنابير
 وقد أجاد الكمي^(٤) في قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروعها نوى الرضخ يلقي المصعد المتصوب
 فجعلها لكثرتها تتلاقى في الهواء، وزاد في ذلك على الممزق ومنه أخذه وهو قوله :
 كأن حصى المعزاء بين فروعها نوادي نوى رضاخة لم تدقق
 وقد أجاد الراجز في قوله :

يرضخ ما يرضخ ما لا يرضخ^(٥)

يقول، إذا وطأ الحصى، نبت من تحت سنبكه، فأصاب ما لم يطأه فدفعه من موضعه،
 وكان رضخه أي رمحه والرضخ الرمح. ويشبه الحافر بالقعب، فمن قديم الشعر في ذلك قول
 امرئ القيس :

لها حافر مثل قعب الوليد

أخذه ابن المعتز فقال :

قد اغتدي بقادح مُسوم يعبوب^(٦)
 ينفي الحصى بحافر كالقذح المكبوب
 قد ضحكت غرته، عن موضع التقطيب^(٧)

وقد أحسن أبو تمام في قوله^(٨) :

بحوافر حفر وُصِّلَ صلب وأشاعر شعر وحلق أحلق^(٩)

(١) ديوانه : ٩٤ .

(٢) النجل : الرمي والظعن .

(٣) البيتان لیسا في ديوانه .

(٤) الكمي بن زيد الأسدي الكوفي، مقدّم شعراء وقته، كان معلماً للصبيان رافضياً مات سنة ١٢٦ هـ .

(الأعلام : ٤٨٥/٢) .

(٥) في الأصل : «يصرخ» .

(٦) الأبيات في الديوان : ٧٦ . واليعبوب : الفرس الطويل السريع .

(٧) في الديوان : «وضحكت غرته، في موضع» .

(٨) ديوانه : ١٨٧ .

(٩) حفر : جمع أحفر : مستدير . أشاعر شعر : كثرة الشعر حول الحافر .

فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ما سبق إلى ذلك. وقد عاب الأملدي قوله: «وصلب صلب»، وقوله «وحوافر حفر»، وقال: إن الحوافر لا تحفر الأرض، وأكثر ما ذكر في ذلك، أنها تثير الغبار قال: وهو استقصاء المعنى، قلنا: وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه. ومن المذكور في صفة الفرس، قول^(١) البحري، وهو أوصف المحدثين للخيل، وأكثرهم إجادة في نعتها:

أما الجوادُ فقد بلونا يومه
جاري الجيادَ فطارَ عن أوها مها
جدلانَ تلطمه جوانبُ غرة
واسودَّ ثم صفت لعيني ناظر
مالت نواحي عُرفه فكانها
ومقدّم الأذنين تحسب أنه
وكان فارسه، وراء قداله
لانت معاطفه، فخيّل أنه
وكان صهلتَه إذا استعلي، بها
مثل الغرابِ بدا يباري صحبه
والطرف أجلب زائر لمؤونة
وقوله أيضاً^(٢):

وأغرّ في الزمن البهيم مُحجّل
كالهيكل المبني إلا أنه
ذنبٌ كما سحب الرداء يذب عن
جدلانَ ينفض عُذرةً في غرة
تروهم الجوزاء في أرساغه
قد رحت منه على أغر مُحجّل
في الحُسْنِ جاء كصورة في هيكل
عُرفٍ وعُرف كالقناع المسيل^(٣)
يقيّ تسيلُ حُجولها في جندل^(٤)
والبدْرُ غرة وجهه المتهلل^(٥)

(١) ديوان البحري: ٣٢٢/٢ ع.

(٢) في الأصل: «ثم صفا». في الأصل: «جلبابه فأضاء».

(٣) في الديوان: «مالت جوانب وكأنها»، العذبات: جمع العذبة: الذؤابة. والأثل: ضرب من الشجر.

(٤) القدال: مؤخر الرأس.

(٥) في الديوان: «رعد تققع».

(٦) في الديوان: «بدا يباري صحبه».

(٧) ديوان البحري: ٣١٦/٢.

(٨) البيت ليس في ديوانه.

(٩) جدلان: مسرور. الحُجول: البياض. الجندل: الصخر: يقق: أبيض.

(١٠) روايته في الديوان:

وتراه يسطع في الغبار لهيبه
هزج الصهيل كأن في نغماته
ملك العيون فإن بدا أعطينه
وقد أحسن ابن طباطبا في قوله:

لوناً وشداً كالحريق المشعل
نبرات معبد في الثقيل الأول^(١)
نظر المحب إلى الحبيب المقبل

عجباً لشمس أشرقت في وجهه
وإذا تمطر في الرهان رأيت
وقال^(٢) ابن المعتز:

لم تمح منه دجى الظلام المطبق
يجري أمام الريح مثل مطرق

تحملني طرفة
ترضيك في يومها
ورجلها تقتضي
وهي غداً زائده
صادرة
ويدها جاحده
وارده

وبإسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة^(٣):

لما رأيت الدين ديناً يؤفك
تفتق من أعراضها وتهتك
منها الدجوجي ومنها الأرمك
فقال: لعنك الله، إن كنت أنشدتها، وأنت على غير وضوء، قوله:

كالليل إلا إنها تحرك

استثناء عجيب.

وقال^(٤) ابن المعتز:

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه
وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه
ومما يجري مع ذلك قول بعضهم:

كعنفود كرم بين غصنين نوراً
عسيباً كعيص الطود لما تحدرا^(٥)

والبدر فوق جبينه المتهلل

= يتوهّم الجوزاء في أرساغه

الأرساغ: جمع رُسغ: مفصل بين الساق والقدم.

(١) معبد: أحد المغنين في العصر الأموي.

(٢) ليست في ديوانه.

(٣) أبو نخيلة بن حزن بن زائدة من بني جَمَان. كنيته أبو الجنيد: شاعر. راجز، مدح العباسيين وهجا الأمويين. قتل سنة ١٤٥ هـ.

(٤) كذلك: أرض فيها غلظة أو ما استوى من الرمل.

(٥) دجوجي: مظلم. الرامك: شيء أسود.

(٦) ديوانه: ١٧٨.

(٧) في الديوان: «عسيب كفيض الطود» العسيب: عظم الذنب. العيص: الشجر الكثيف الملفت: الطود: الجبل.

قد أشهدُ الليلَ بفتيانٍ غرر على جِدادِ كتماثيلِ الصور^(١)
كأنما خيطوا عليها بالإبر أو سَمَرُ الفارسُ فيها فانسمر

وبإسنادٍ لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر، أرق ذات ليلة فقال لكتابه: أناثم أنت؟ قال: لا وأيد الله الأمير، قال: ما أطيب الطعام؟ قال: طعام شهوة في إبان جوعة، قال: فما لذّ الشراب؟ قال شربة ماء بارد تطفئ بها غليلك، أو كأسٌ تعاطي بها نديمك، قال: فما أشهى النساء؟ قال التي تدخلُ إليها والهأ وتخرج عنها هارباً، قال: فما أجود الخيل؟ قال: الأسوق الأعنق^(٢)، الذي إذا طلب لحق وإذا طلب سبق وإذا سهل أطربك، وإذا بدا أعجبك. قال: صدقت لله درك، اعطه يا غلام ألف دينار، قال أصلح الله الأمير وابن تقع مني ألفا دينار؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أو ليس كذا؟ قال لا ولكن حقق ظنه يا غلام. فأعطاه ألفي دينار.

وقيل لأعرابي: أتعرف الجواد المبرز، من البطيء المقرف، قال: نعم، أما الجواد المبرز، فهو الذي لهز لهز^(٣) العير، وأنف تأنيف السير، إذا عدا اسلهب^(٤)، وإذا انتضب اتلاب^(٥)، والبطيء المقرف، هو المدلوك الحجة، القحم الأرنبة^(٥) الغليظ الرقة، الكثير الجلبة، الذي إذا قلت: أمسكه، قال: أرسلني، وإذا قلت: أرسله قال: أمسكني.

وقال المهدي لمطر بن درّاج: أي الخيل أفضل؟ قال: الذي إذا استقبلته قلت: نافر، وإذا استدبرته قلت: زاجر، وإذا استعرضته قلت: زافر، قال: فأَي البراذين خير؟ قال: ما طرفه أمامه، وسوطه عنانه، قال: فأَي البراذين شر؟ قال: الغليظ الرقة، الكثير الجلبة، إذا أرسلته قال: أمسكني وإذا أمسكته قال: أرسلني.

ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال:

إنها لخليقة للجودة، وآية ذلك إنها سامية العيون، لاحقة البطون، مصغية الأذان، افتاء الأسنان ضخام الركبات، مشرفات الحجبات، رحاب المناخر، صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل، وإن طلبت فانت، وإن طلبت نالت.

واستوصف الحجاج^(٦) ابن القرية فرساً، فقال: طويل الثلاث، قصير الثلاث، حديد الثلاث، رحيب الثلاث، صليب^(٧) الثلاث، عريض الثلاث، منيف الثلاث، أسود الثلاث.

(١) في نسخة: «قد أسهد الله».

(٢) الأسوق: طويل الساقين. الأعنق: طويل العنق.

(٣) الملهوز: المضبر الخلق.

(٤) التأنيف: طلب الكلا. اسلهب: استقام. واتلاب: استقام.

(٥) المقرف: الفرس الذي يداني الهجنة الحجتان: العظمان المشرفان على الخاصرة. القحم الأرنبة: عظيم الأنف.

(٦) الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق لبني أمية.

(٧) صليب: صلب.

فاستفسره، فقال: طويل العنق والسبيب والساق، قصير الظهر والعسيب والشعر، حديد القلب والسمع والمنكب، رحيب المنخرين والشدقين والجوف، صليب الدخيس^(١) والكاهل والعجب، عريض اللباب والحجبة^(٢) والخذ، مُنيف الجوانح والقذال والقوائم، أسود الذكر والحافر والعين.

وقال محمد بن مُناذر في وصف فرس:
وإذا أَعْرَضَ قَطْرِهِ لَنَا وفيا واستوفيا قَدًّا بَقَدَّ
فهو كالقَدْحِ أَقامتِ درَاهُ كَفُّ بَارِيهِ فَمَا فِيهِ أَوْدُ
ووصف النظام فرساً فقال:

هو صافي القميص، جيد الفصوص، ووثيق القصب، نقي العصب، يبيع بيديه ويندس برجليه، ويشير بأذنيه، ويبعد مدى بصر عينيه، يلحق الأرناب في الصعداء، ويجاوزُ الظباء في الاستواء، إن حركته طار، وإن زجرته حار، وإن طرحت عَنَانَهُ سار كموج في لجة، أو سيل في فجوة، وإن وجد علفاً أمعن وإن فقدَه ضغن.

وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب له: قد بعثت إليك برذون لين المرفوع، وطيء الموضوع، حسن المجموع طويل العذار، أمين العثار.

ومما يجري مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد، عن أبيه قال: حدثني أحمد ابن طاهر أنه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره:

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ أَمْسَى حِمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ لَجَامُ
كَيْثَلُ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَلِيٌّ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامُ
ثم قال:

وأنت لكل ناقصة تمام

(١) الدخيس: اللحم المكتنز.

(٢) اللباب: الصدر. الحجبة: حرف الورك.

الفصل الثاني من الباب العاشر

في ذكر الابل وسيرها وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ما قيل في صفة الإبل قول القطامي :
يمشِينَ رَهْوَاً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ علي الأعجاز تتكلُ
فهنَّ معترضاتٌ والحصى رَمِضٌ والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ
قالت العلماء : لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا من تمام
حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ما قيل في صفة هاجرة .

ومن مليح ما قيل في ضمير الناقة قول ابن الخطيم :
وقد ضمرتُ حتى كأنَّ وضيئها وشاحُ عروس جالَ منها على خصر^(١)
ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ما قيل في ذلك قول الشاعر :
يعالجُ مثنيَ حضرمي كأنه حباب نقا يتلوه مرتجلُ يرمي^(٢)
وقال ذو الرمة :

رجيعة أسفار كأنَّ زمامها شجاع على يسرى الذراعين مطرق^(٣)
وأخذه المتنبي فقال :

كأنَّ على الأعناق منها الأناعيا

ومن أجود ما قيل في ضمير الابل قول^(٤) الفرزدق :
إذا ما أنيختُ قابلتُ عن ظهورها حراجيج أمثال الأهلة شُف^(٥)
شبهها بالأهلة لضمورها واحديدا بها .

(١) الوضين : بطن عريض منسوج . كالحزام .

(٢) النقا : الرمل .

(٣) الشجاع : الحية .

(٤) ديوانه : ٢٨٦ .

(٥) حراجيج : جمع حرجوج : الناقة السمينة . الشُف : قرص يابس من خبز .

وَتَشَبَّهُ بِالْقَسِيِّ، فَمَنْ أَجُودُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحِدَانِ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ^(١)
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خَضْنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي^(٢)
كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْهَمِ مَبْرِيَّةً بِلِ الْاَوْتَادِ
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةً بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النِّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَارِ الْفَلَاحِ^(٣)
خَوْصَ كَأَشْبَاحِ الْحَنَائِ ضَمَّرَ يَرْعُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبَرِي
يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَفِي الضَّحَى يَطْفُونَ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا

وَمَنْ غَرِيبٌ مَا قِيلَ فِي عَيْنِ النَّاقَةِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهَا مِنْهَا وَقَدْ ضَمَرْتُ وَضَمَّهَا السَّيْرُ فِي بَعْضِ الْأَضَى مِيمُ
فَشَبَّهَهَا بِالْمِيمِ لِاسْتِدَارَتِهَا وَغُورِهَا، وَالْأَضَى : الْوَاحِدَةُ أَضَاةٌ وَهِيَ الْقَدِيرُ، وَقَدْ قَصَرَ بِذِي
الرِّمَّةِ عِلْمَهُ بِالْكِتَابَةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ، عَنِ الصَّوْلِيِّ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِي
قَالَ :

قَرَأَ حَمَادُ الرَّائِيَةِ عَلَى ذِي الرِّمَّةِ شَعْرَهُ، فَرَأَاهُ تَرَكَ فِي الْخَطِّ لَامًا، فَقَالَ لَهُ ذُو الرِّمَّةِ : أَكْتُبْ
لَامًا فَقَالَ حَمَادُ : وَإِنَّكَ لَتَكْتُبُ، قَالَ : لَا أَكْتُمُ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْتِي بِأَدِيَّتِنَا خَطَاطُ فَعَلَمْنَا الْحُرُوفَ
تَخْطِيطًا فِي الرَّمْلِ فِي اللَّيَالِي الْمَقْمَرَةِ فَاسْتَحْسَنَتْهَا فُثِّبَتْ فِي قَلْبِي وَلَمْ تَخْطُهَا يَدِي . وَدَخَلَ
أَبُو تَمَامٍ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي زِيٍّ أَعْرَابِيٍّ فَأَنْشَدَهُ^(٥) :

دَمِينُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامُ كَمْ حَلَّ عُقْدَةً صَبْرَهُ الْاَلَمَامُ
فَجَعَلَ الْمَأْمُونُ يَتَعَجَّبُ مِنْ غَرِيبٍ مَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَيَقُولُ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَعَانِي
الْأَعْرَابِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ جِمَامُ^(٦)
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : اللَّهُ أَكْبَرُ كُنْتُ يَا هَذَا قَدْ خَلَطْتَ عَلَيَّ الْأَمْرَ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَكُنْتُ حَسْبُكَ بَدْوِيَا،
ثُمَّ تَأَمَّلْتُ مَعَانِي شَعْرَكَ فَإِذَا هِيَ مَعَانِي الْحَضَرِيِّينَ وَإِذَا أَنْتَ مِنْهُمْ فَقَصَرَ بِهِ ذَلِكَ عَنْده .

(١) الْقِلَاصُ : النَّوْقُ . وَفِي الْأَصْلِ : «وَحِذَاقُ الْقِلَاصِ» .

(٢) «يَتَرَقَّرْنَ بِالسَّرَابِ» كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٣) الْيَعْمَلَاتُ : النَّوْقُ النَّجِيَّةُ .

(٤) أَمْشَاجُ : مَا اجْتَمَعَ فِي السَّرَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : «وَالضَّحَى ، بِالْآلِ» .

(٥) دِيوَانُ أَبِي تَمَامٍ : ٢٤٦ .

(٦) الْعِيَاةُ : زَجَرُ الطَّيْرِ .

وقال^(١) أبو نواس في وصف الناقة :

ولقد نجوبُ في الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالت العُفْرُ^(٢)
شدنيّة رعت الحمى فأتت ملء الجبال كأنها قَصْرُ^(٣)

أخذه من قول^(٤) عنترة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدَنُّ لأقضي حاجة المُتَلَوِّمِ
إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً .

وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامدةً فتقول : رنق فوقها نَسْرُ^(٥)
أما إذا وضعته عارضةً فتقول : أسبل خلفها سِتْرُ^(٦)
أخذه من قول أبي دواد :

قوادم من نسور مضر حيات

وليس بيت أبي دواد شيئاً مع بيت أبي نواس .

ثم قال :^(٧)

وتسفُ أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثرُ
فإذا قصرت لها الزمامَ سما فوق المقادِمِ ملطمٌ حُرُ^(٨)
وكانها مُصغٍ لتسمعه بعض الحديث بأذنه وقرُ
ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألمعن يقصرن من بخت مخيسة ومن عرابٍ بعيداتٍ من الحادي
أي يسبقن الحادي فيبعدن عنه .

ثم قال^(٩) أبو نواس وأحسن :

تَدْرُ المطيُّ وراءها، فكأنها صفٌ تقدّمهنَّ وهي إمامُ
وأحسن ابن المعتز في قوله^(١٠) :

(١) ديوان أبي نواس : ٣٢٥ .

(٢) العُفْر : الظباء .

(٣) شدنيّة : نسبة إلى شَدَن وهو موضع باليمن تُنسب إليه الإبل . وفي نهاية الأرب : «مثل الجبال» .

(٤) ديوان عنترة : ١٢ .

(٥) البيتان في ديوان أبي نواس : ٣٢٦ . والشامدة : الناقة التي تشيل ذنبها نشاطاً رنق : خفق بجناحيه .

(٦) في الديوان : «أرضي فوقها ستر» . وفي البيت وصف لعرض الذنب .

(٧) ديوانه : ٣٢٦ .

(٨) الملطم : الخند . الزمام : الحبل .

(٩) ديوانه : ٥٧٥ .

(١٠) ديوانه : ٣٩ .

وناقة في مهمه رمى بها هم إذا نام الورى سرى بها
فهي أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها
ومن مُصِيب التشبيه في موطن الناقة قوله (١) أيضاً:
تلقى الفلاة بخفٍ لا يقرُّ لها كأن مسقطه في ثربها طبق
وقوله (٢) في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمها:
كأن عند نهضته رفعنا خباء فوق أطراف الرماح
ومثله قوله (٣) أيضاً:
ترنو بناظرة كأن ججاجها وقب أناف شاهق لم يحل (٤)
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مبتل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأسود في دهاس أهيل (٥)
ويشد حاديها بجبل كامل كعيب نخل خوصه لم ينجل
وقال أيضاً (٦):
كأن المطايا، إذ غدون بسحرة، تركن أفاحيص القطا في المبارك (٧)
ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الإبل:
لنا إبل ملء الفضاء، كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك (٨)
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهم حيث يقول:
خوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قدام أيديها
وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً سواه وكان يقول
الشعر ستين سنة.

وأخذه ابن المعتز فقال (٩):
تخال آخره في الشد أوله وفيه عدو وراء السبق مذخور
وقد أحسن مسلم في قوله:
إلى الأمام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان

(١) ديوانه: ٢٩٢. وفيه: «يلقى... يقرّبها» و«كان تنقيطه».

(٢) ديوان ابن المعتز: ١٢٢.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٣٢٣.

(٤) يشبه عظم الحاجب بنقرة في الصخر.

(٥) يشبه آثار سيور الرجال بمسرى الحيات في الرمال. في الديوان: «هيام أهيل».

(٦) ديوان ابن المعتز: ٣٠٧. وفيه: «إن غدون».

(٧) أفا حيص: جمع أفاحوص: موضع تفحص فيه القطا لتبيض.

(٨) الحوارك: الكواهل.

(٩) الأبيات ليست في ديوانه.

كَأَنَّ أَفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا أَفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حَسْبَانَ
وَقَالَ آخِرُ:

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ بَجَرِي ضَفُورَهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ
وَمَنْ بَلِيغٌ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ:

زَجَرْتُ بِهَا سَبَاحَ قَفَرٍ كَأَنَّهُ يَخَافُ لِحَاقًا أَوْ يَبَادِرُ أَوْ لَا
تَوَارِثُهُ الْإِيْجَافُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَسْضِئْ أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَعْدَلَا
وَمَنْ بَدِيعٌ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ رُؤْبَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ^(١):

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقُ أَيْدِي الْعِذَارَى يَتَعَاطِينَ الْوَرَقَ
وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الشَّيْصِ فِي قَوْلِهِ:

وَلَيْلٌ يَرْكُبُ الرِّكْبَا نٌ فِي أُمُوجِهِ الْخَضِرِ
تَوَكَّلْتُ عَلَى أَهْوَا لَهَا بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ
وَأَعْمَالُ بَنَاتِ الرِّيحِ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
شَمَالِيلُ يَصَافِحْنَ مُتَوْنِ الصَّخْرِ بِالصَّخْرِ
بِإِيْجَافٍ يَقْدُ الْبَلَدِ لَ عَنْ نَاصِيَةِ الْفَجْرِ

وَقُلْتُ:

لَنَا هَجْمَاتٌ تَنْشِي سُرُوتَهَا بِأَسْنَمَةٍ مِثْلَ الْأَكَامِ سَوَامِقٍ^(٢)
خَبَطْنَ الرِّبِيْعَ وَانْتَسَفْنَ نَبَاتَهُ كَمَا مَرَّتِ الْأَجْلَامُ فَوْقَ الْمَفَارِقِ^(٣)
بَنَاهَا بِنَاءَ الْبَيْتِ جَوْنٌ رَوَاعِدُ تَجِيءُ عَلَى آثَارِ جَوْنٍ بِوَارِقٍ
تَدَوَّرُ بِأَحْقِيهَا الْبُرُوقُ وَتَنْشِي كَأَنَّ عَلَيْهَا مَذَهَبَاتٍ مَنَاطِقٍ
وَقَالَ^(٤) ابْنُ الْمَعْتَزِ:

وَلَيْلٌ كَكَحْلِ الْعَيْنِ خُضْتُ ظُلَامَهُ بِأَزْرَقٍ لِمَاعٍ وَأَخْضَرَ صَارِمٍ^(٥)
وَطَيَّارَةٌ بِالرَّحْلِ صَرَفٍ كَأَنَّمَا تَصَافِحُ رَضْرَاضَ الْحَصَى بِجَمَاجِمٍ^(٦)
وَقُلْتُ:

وَلَيْلَةٌ خَبَطَتْ مِنْ ظُلُمَائِهَا بِنَازِحِ الْخَطْوِ إِذَا الْخَطْوُ دَنَا
قَدْ انْبَرَى يَعْتَرِفُ السَّيْرَ بِنَا فِي طَرَقٍ يَخْبِطُ فِيهِنَّ الْهَدَى

(١) هُوَ رُؤْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَجَّاجِ. كَانَ عَارِفًا بِاللُّغَةِ. مَاتَ سَنَةَ ١٤٥ هـ.

(٢) سَوَامِقٌ: مَرْتَفَعَاتٌ. وَالْأَكَامُ: الْقِمَمُ.

(٣) الْأَجْلَامُ: غَنَمٌ طَوَالَ الْأَرْجُلِ، لَا شَعْرَ عَلَيْهَا.

(٤) دِيْوَانُ ابْنِ الْمَعْتَزِ: ٣٦٥.

(٥) فِي الدِّيْوَانِ: «وَأَخْضَرَ صَارِمًا».

(٦) فِي الدِّيْوَانِ: «بِالرَّحْلِ حَرْفٍ كَأَنَّمَا». رَضْرَاضٌ: حَصَى دَقِيقٌ صَغِيرٌ.

ينهى الوجي أمثاله عن السرى
ومن مصيب التشبيه قول الراعي (٢):
في مهمه قلقت بها هاماتها
وقول الآخر:
حمراء من نسل المهاري نسلها
حسبتها غيري استفز عقلها
إذا ترامت يدها ورجلها
أتى التي كانت تخاف بعلمها
أي كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيري تخاصم وتشير بيديها لا
تفتقر:

وقلت:
ومهمه قلقت فيها ركائبنا
ركبته فكأن الصبح راكبه
بكل ذي ميعه جد الوجيف به
وبات يذهب جنح الليل في عجل
حتى بدا الصبح مبيضاً ترائبه
وإنما النجح في ليل ترادفه
وساهر الليل في الحاجات نائمه
وقال (٣) أبو تمام:

على كل رواد الملائم تهدمت
رغته الفيافي بعد ما كان حقة
وقلت:

واستهضتكم إلى المائر والعللا
أردفهن عزائماً فكأنما
همم تخال زهاؤهن جبالا
أردفت مرفهة النصال نصالا

- (١) الوجي: الحفا. ميعه الشباب أو النهار: أوله.
(٢) الراعي: حصين بن معاوية، من بني نمير، قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، كنيته أبو جندل. والبيت في ديوانه: ٢٢٢. وفي الأعلام: ١٨٨/٤ هو عبيد بن حصين. وفاته سنة ٩٠ هـ.
(٣) مهمه: صحراء. هاما: جمع هامة: قامة أو رأس.
(٤) المهمه: المفازة.
(٥) الوجيف: ضرب من سير الإبل.
(٦) ديوانه: ٤٤.
(٧) في الديوان: «كل مؤاره أي مضطرب. الملاط: عضد البعير.
(٨) القيافي: الصحاري.

حملتها قلصُ الركابِ كأنها
مهريةٌ أودى السفارُ بنحضرها
وقال مسلم:

إليك أمين الله رامت بنا السرى
أخذن السرى أخذَ العنيفةِ وأسرعَتْ
لبسن الدجى حتى نضتْ وتصوبت
وهذه استعارةٌ بديعةٌ حسنةٌ عجيبةٌ الموقعُ جداً.

وقال أبو نواس:

يكتسي عُشْنُونُهُ زبدًا
ثم يعتَمُ الحَجَّاجُ به،
ثم تذرّوه الرياحُ كما

ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى:
نَفَحْنَ اللِّغَامَ الجَعْدَ ثم ضَرَبَنَّهُ
وقال الشماخ بن ضرار:

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا فَإِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ
بِهَا شَرْقٌ مِّنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبِرٍ
تَقُولُ وَقَدْ بَلَ الدَّمُوعُ خِمَارَهَا:
كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ
وقال الراجز:

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تُرْجَعُ
وهو نحو قول الراجز:

حسبتها غيري استفزَّ عقلها

(١) قلص جمع قلوص: الشابة من النوق. ومن النعام والرثال: صغار النعام.

(٢) النحض: اللحم المكتنز.

(٣) الفدقد: المفازة.

(٤) العشنون: اللحية. نصيلاه جنكاه. والأبيات في ديوان: ٣٠٩.

(٥) الحجاج: عظم الحاجب. جَمَلُ نَيَاف: طويل مرتفع وفي الديوان: «الفوف» أي القشر.

(٦) اللغام الزبد: المخطم: أنف البعير. وفي الديوان: ٥٧٩. «نبيل المخطم». ونفحن: حركن. الخطام: الحبل يُقاد به البعير.

(٧) فراس بن غنم ولقيط بن يعمر: شاعران فارسان.

ومثله قول الآخر:

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ مَفْجَعَةٌ لَاقَتْ حَلَائِلَ مِنْ عُفْرِ
سَمِعْنَ لَهَا اسْتَفْزَعَتْ مِنْ حَدِيثِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي
فَوْصَفُهَا بِأَنَّهَا بَذِيَّةٌ قَدْ أَوْجَعَتْ. نِيلَ مِنْهَا، وَلَقِيتْ حَلَائِلَهَا عَنْ عُفْرِ، أَيُّ بَعْدَ زَمَانٍ، وَتِلْكَ
الشُّكُوى فِي نَفْسِهَا فَجَعَلَتْ تَحْدِثُ وَتَحْرُكُ يَدَيْهَا فِي حَدِيثِهَا، فَلَا تَكَادُ تَسْكُنُهُمَا.
قَالَ أَبُو تَمَامٍ:

فَمَا صَلَاتِي إِذَا كَانَ الصَّلَاةُ بِهَا جَمْرُ الْغَضَا الْجَزَلِ إِلَّا السَّيْرُ وَالْإِبْلُ^(١)
الْمَرْضِيَّاتُكَ مَا أَرَعَمَتْ أَنْفَهَا وَالْهَادِيَاتُكَ هِيَ الشَّرْدُ الضَّلُّ^(٢)
قَالَ^(٣) الْبَحْثَرِيُّ:

وَالْعَيْسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا انْجَلَى صَبَغُ الشَّبَابِ عَلَى الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ
قَالَ^(٤) ابْنُ الْمَعْتَزِ:

لَمْ تَزَلْ نَخِيطُ الْفَلَاةَ بِأَخٍ — فَافِ الْمَطَايَا، وَالظِّلُّ مُعْتَدِلُ^(٥)
كَأَنَّمَا طَارَ تَحْتَنَا قَزَعٌ عَلَى أَكْفِ الرِّيحِ يَنْتَقِلُ^(٦)
يَفْرِي بَطُونُ النِّقَا النَّقِي، كَمَا يَطْعُنُ بِيضَ الْجَوَانِحِ الْأَسْلُ^(٧)
وَقَالَ^(٨) فِي النَّاقَةِ:

تُصْنَعِي إِلَى أَمْرِ الزَّمَامِ كَمَا عَطَفْتُ يَدُ الْجَانِي ذُرَى الْغُصَنِ
وَقَالَ^(٩) فِي لِقَاحٍ:

حَوَامِلُ شَحْمٍ جَامِدٍ فَوْقَ أَظْهَرِ وَإِنْ تَسْتَعِثْ ضِرَاتِهِنَّ بِهِ ذَابَا
إِذَا مَا مَكَاءُ الدَّرِّ جَاءَتْ بِمُثْعَبِ كَمَا سُلَّ خَيْطٌ مِنْ سَدَى الثُّوبِ فَانْسَابَا^(١٠)
وَهَذَا فِي دَقَّةِ الشَّخْبِ^(١١) حَسَنٌ جَدًّا:

(١) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ: ٣٧٧. وَالصَّلَاةُ: النَّارُ. الْغَضَا: شَجَرٌ عَظِيمٌ.

(٢) فِي الدِّيْوَانِ: «وَهِيَ الرُّشْدُ وَالضَّلَلُ». الْأَنْفُ: جَمْعُ أَنْفٍ.

(٣) دِيْوَانُهُ: ١٩١/٢ ع. وَفِيهِ: «وَالْعَيْنُ لِنَصْلِ». وَالْقَذَالُ: مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ.

(٤) دِيْوَانُهُ: ٣١٤.

(٥) اخْفَافٌ: حَوَافِرُ. وَفِي الدِّيْوَانِ: «نَخِيطُ الْبَلَادِ».

(٦) الْقَزَعُ: قَطْعُ السَّحَابِ.

(٧) الْأَسْلُ: نَبَاتٌ.

(٨) دِيْوَانُ ابْنِ الْمَعْتَزِ: ٣٦٨.

(٩) دِيْوَانُهُ: ٣٢. وَفِيهِ: «بِكَاةُ الدَّرِّ جَادَتْ بِمُبْعَثٍ».

(١٠) يَشْبَهُ سَيْلَانَ اللَّبَنِ مِنَ النَّاقَةِ الَّتِي قَلَّ لَبَنُهَا بِانْسِيَابِ خَيْطٍ مِنَ الثُّوبِ. وَالتَّعَبُ: الْمَسِيلُ.

(١١) الشَّخْبُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَرْعِ مِنْ لَبَنٍ.

رَأَيْتُ انْهَمَارَ الدَّرِّ فَوْقَ فُرُوجِهَا كَمَا عَصَرْتَ أَيْدِي الْغَوَاسِلِ أَثْوَابَا
خَوَازِنْ نَحْضٍ فِي الْجُلُودِ، كَأَنَّهَا تُحْمَلُ كُثْبَانًا مِنَ الرَّمْلِ أَصْلَابَا ^(١)
وَقَدْ أَحْسَنَ فِي النَّاقَةِ وَالزَّمَامِ:
وَسَلَ الْبَيْدَاءَ عَنْ رَجُلٍ يَخْطُمُ الرِّيحَ بِشُعْبَانٍ ^(٢)
وَقَالَ:
وَقَفْتُ بِهَا عَيْسِي تَطِيرُ بِزَجْرِهَا وَيَأْمُرُهَا وَحْيُ الزَّمَامِ فَتُرْقِلُ ^(٣)
طَلُوبًا بِرَجْلَيْهَا يَدِيهَا، كَمَا اقْتَضَتْ يَدُ الْخَصْمِ حَقًّا عِنْدَ آخِرِ يُمَظَلُ
وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ:
تَطِيرُ مَنَاسِمُهَا بِالْحَصَى كَمَا نَقَدَ الدَّرْهَمَ الصَّيْرَفُ
وَمَنْ غَرِيبٌ مَا قِيلَ فِي تَقْدِمِ النَّاقَةِ صَوَاحِبِهَا ^(٤) فِي السَّيْرِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ:
جَاءَ وَقَدْ مَلَّ ثَوَاءَ الْبَحْرَيْنِ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانَيْنِ
مِثْلُ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ الْعَيْنِ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي غَزْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ أَبِي حَيَّةَ ^(٥):
تَدِرُ لِلْعَصْفُورِ لَوْمَرَاهَا يَمْلَأُ مَسْكَ الْفِيلِ لَوَاتَاهَا
وَمَنْ جَيِّدٌ مَا وَصَفَ بِهِ سَعَةَ الْإِخْلَافِ قَوْلُ ابْنِ لَجْجٍ ^(٦):
كَأَنَّمَا نَصَّتْ إِلَى ضَرَاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلَحِ مُجَوِّفَاتِهَا
وَقَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى:
أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطْيَةِ عَلَيْهَا فَتَى كَالنَّصْلِ يُونُسُهُ النَّصْلُ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ:
أَيَا حَبِذَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجْعَةُ إِلَى دُفِّ مِقْلَاقِ الْوُضَيْنِ سَعُومٍ ^(٧)
تَرَامِي بِهَا الْإِيْجَافُ حَتَّى كَأَنَّهَا تَحْيَفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومٍ ^(٨)
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ:

(١) فِي دِيَوَانِهِ: «كَأَنَّمَا تُحْمَلُ».

(٢) الْبَيْتُ فِي دِيَوَانِهِ: ٣٧١. يَخْطُمُ: يُسَكِّتُ.

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيَوَانِ ابْنِ الْمَعْتَزِ: ٣٢١. الْعَيْسِ: النَّاقَةُ. الْإِرْقَالُ: ضَرْبٌ مِنَ الْمَشْيِ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «حَوَاجِبِهَا».

(٥) هُوَ الْهَيْثَمُ بْنُ الرَّيِّعِ، أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيِّ. رَوَى عَنِ الْفَرَزْدَقِ وَكَانَ كَذَّابًا. أَخْبَارُهُ فِي (الْأَغَانِي: ٢٣٦/١٦).

(٦) هُوَ عَمْرُو بْنُ لَجْجٍ، مِنْ تَيْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ مِنْ بَطْنِ يُقَالَ لَهُمْ «بَنُو أَيْسَرٍ». كَانَ شَاعِرًا رَاجِزًا. هَاجَى جَرِيرًا، مَاتَ بِالْأَهْوَازِ. (الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ: ٥٧٠/٢).

(٧) دِيَوَانُ أَبِي نَوَاسٍ: ٥٧٧. الدُّفُّ: جَنْبُ النَّاقَةِ. الْمِقْلَاقُ: النَّاقَةُ. الْوُضَيْنِ: الْحِزَامِ. وَالسَّعُومُ: ضَرْبٌ مِنَ سَيْرِ الْإِبِلِ. الْوَجَادُ: جَمْعٌ وَجْدٍ.

(٨) فِي الدِّيَوَانِ: «تَرَامَتْ بِهَا الْأَهْوَالُ» وَالْإِيْجَافُ: الْاضْطِرَابُ.

سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بُردة^(١):

نعوسُ إذا دَرَّتْ جرورُ إذا غدت بُويزلُ عام أو سديسُ كبازل^(٢)
قال: فكاد صدري ينفرجُ من جودتها حتى كتبها. ودرةُ الإبل مع النعاس، والغنمُ تدرمع
الاحتراس، فمن أجود ما قيل في ذلك:

قول جبيها الأشجعي:

رقودُ لو أنَّ الدُّفَّ يُضربُ تحتها لتنحاشُ من قاذورة لم تناكر
أي من قاذورة فيها، يقال: رجل قاذورة، إذا كان يتجنب النساء ويتقي مجامعتهن. ومن
الوصف الحسن قول القطامي في نوق:

جفارُ إذا صافتْ هضابُ إذا شتتْ وفي الصيفِ يرُدَّدنَ المياه إلى العشر^(٣)
يشبهها بالأبار، من كثرة ألبانها، في أيام الربيع والقيظ، وهي في الشتاء كالهضاب سمنًا،
وإذا شربت في اليوم العاشر، التقت في مثله وفي كروشها بقية من الماء.
وعرض شريح ناقة للبيع، فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال احلب في أي إناء شئت،
قال فكيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال فكيف قوتها؟ قال احمل على الحائط ما شئت، قال
فكيف نجارها؟ قال علق سوطك وسر. فاشتراها فلم ير شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد إليه
فقال: لم أر شيئاً مما وصفت. قال: ما كذبتك قال فأقلني قال نعم فأقاله.
وأنشد أبو أحمد رحمه الله:

جاءت تهادي مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
مشي العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعانُ من رغاها
واتخذتنا كلنا طلاها

يقول: إنها كبيرة غزيرة، إذا مشت سالت ألبانها، فايضت القيعان منها. والرغا: جمعُ
رغوة، واتخذتنا كلنا طلاها أي لشربنا ألبانها كأننا أولادها.

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الإبل وارتفاع اسنمتها قول أبي دؤاد:

فإذا أقبلت تقولُ أكامَ مشرفات فوقَ الأكام أكامَ
وإذا أعرضت تقولُ قصورَ من سما هيح فوقها آطام^(٤)
وإذا ما فجيتها بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حان منه صرامُ
الغيب ما وارك من الشجر، وسما هيح أرض بالبحرين.

(١) هو بلال بن أبي بُردة عامر بن أبي موسى الأشعري بن أمير البصرة وقاضيهما، كان راوية فصيحاً أديباً مات سنة ١٢٦ هـ. لأعلام: ٧٢/٢.

(٢) بزل البعير: إذا طلع نابه فهو بازل.

(٣) الجفار: جمع الجفر. البثر. والجفر من أولاد الشاء إذا استكرش.

(٤) سماهيح: موضع بين عُمان والبحرين الاطام: جمع الاطم: القصر.

الفصل الثالث

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخي ذي الرمة :
وَمَهْمِهِ فِيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ يَدَابُّ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا^(١)
ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَن لَّمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا
وقال رؤبة بن العجاج :

يَكَلُّ وَفَدَ الرِّيحُ مِنْ حَيْثُ انْخَرَقَ
ذَكَرَ أَنَّ الرِّيحَ تَكُلُ فِيهِ لِبَعْدِهِ ، وَوَفَدَ الرِّيحَ مَأْخُذَ مَنْ قَوْلَ تَأْبِطُ شَرًّا :
وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي
وقال مُسلم بن الوليد :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا مَرْضَى مَوْلَهٗ خَسَرَى تَلَوْدُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
قوله : «بأطراف الجلاميد» ، زيادة ليست في بيت رؤبة .
ويشبهون استواء الفلاة باستواء ظهر الترس ، قال الشاعر :
وَمَهْمِهِ كَمَثَلِ ظَهْرِ التَّرْسِ

وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :
وَدَوَّ كَكْفُ الْمُشْتَرِي غَيْرَ أَنَّهُ بَسَاطُ لَأَخْمَاسِ الْمَرَاثِيلِ وَاسِعُ^(٢)
شبهه بكف المشتري ، لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري ييسط كفه للصفق .
وقلت في نحوه :

وَبِحَرِّ كَكْفِ الْأَكْرَمِينَ يَحْفَهُ صَعِيدُ كَأَيْدِي السَّائِلِينَ مَدِيدُ
وقال بعضُ المحدثين :

(١) مهمه : صحراء . السراب : ما تراه على الطريق كالماء وهو ليس بشيء .

(٢) المراثيل : جمع مرسال : ناقة سهلة السير .

ودَوِيَّةٍ مثلِ السماءِ قطعَتْها مطوْقَةٌ آفاقُها بِسمائِها

ومن عَجِيبِ التشبِيهِ في وصفِ الآلِ قولُ بعضِ الأعرابِ:

كفى حَزَنًا أَنِي تَطالَلْتُ كَيْ أَرَى ذَرَى عِلْمِي دَمَخَ فَمَا يُرِيانُ^(١)
كَأَنَّهُما والآلُ يَنْجَابُ عَنْهُما مِنَ البَعْدِ عَيْنًا بُرْقِعَ خَلْقَانِ

وهذا أَغربُ ما رُوي من تشبِيهاتِ القدماءِ.

وقال جميل بن معمر في السرابِ:

أَلاتِيكُما أَعْلَامُ بَشَنَةٍ قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذِراها عِمَمَتُهُ سَبِيبُ
طَوامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وِراءِ الطامِساتِ حِيبُ^(٢)
بَعِيدٌ عَلَى كَسَلانٍ أَوْ ذِي مَلالَةٍ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

والسبِيبُ الشِّقَّةُ البِضاءُ.

وقال ابنُ المَعْتَزِ:

والآلُ يَنْزَوُ بِالصَّوْى أَمْواجِهِ نَزَوَ القِطَا الكَدْرِيَّ فِي الأَشْراكِ^(٣)
وَالظِّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مَطِيَّةٍ مَشَى المِهارِ الدُّهْمَ بَيْنَ رِمالِكِ^(٤)
وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا المَعْنَى تَشْبِيهًا أَحْسَنَ وَلَا أَصُوبُ مِنْ هَذَا.

ومن عَجِيبِ التشبِيهِ في وصفِ اعتدالِ الظلِّ عندِ الظهيرةِ قولُ الراجزِ:

وَانتَعَلَ الظِّلُّ فَصارَ جَوْرِيًا

وقال آخَرُ:

إِذا شَتَّ أَذْنايَ صَرومٌ مُشِيعٌ مَعِيَ وَعِقامٌ تَتَقَيُّ الفَحْلُ مُقْلَتُ
يَطُوفُ بِها مِنْ جَانبِها وَيَتَقَيُّ بِها الشَّمْسُ حَيٌّ فِي الأَكَارِ مِيتُ

أَدانِي: أَعانِي، صَرومٌ: أَي صارمٌ، مُشِيعٌ: شِجاعٌ كَأَنَّ مَعَهُ أَصْحابًا يُشِيعُونَهُ فَهُوَ جَريءٌ
يَعْنِي قَلْبُهُ. وَالْعِقامُ: الَّتِي لَا تَلِدُ فَذاكَ أَشَدُّ لَها يَعاي نَاقَةٌ، وَالْمُقْلَتُ: الَّتِي لَا يَبْقَى لَها وَلَدٌ، وَحَيٌّ
فِي الأَكَارِ مِيتٌ: يَعاي ظِلًّا قَدْ ضارَعَ عِندَ انْتِصافِ النَهارِ.

وَمِنْ بَدِيعِ ما قِيلَ فِي السَرابِ قولُ^(٥) ابنِ المَعْتَزِ:

وَمَا راعِني بِالْبَينِ إِلَّا ظِعاثُنُ دَعَوْنَ بِكَائِي فَاسْتِجابَتِ سَواكِه

(١) دَمَخٌ: اسمُ جَبَلٍ.

(٢) طَوامِسُ: جَمْعُ طامِسٍ: بَعِيدٌ. وَفِي دِيوانِ جَمِيلٍ: ١٧ البَيْتُ الثالِثُ فَقَطْ وَلَفْظُهُ: «بَعِيدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حَاجَةً».

(٣) الآلُ: السَنامُ. الصَّوْى: ما غَلِظَ مِنَ الأَرْضِ.

(٤) رِمالِكِ: جَمْعُ رَمَكَةٍ: فَرَسٌ وَالْمِهارُ جَمْعُ المِهرِ.

(٥) لَيْسا فِي دِيوانِهِ.

بَدَتْ فِي بِيَاضِ الْآلِ وَالْبَعْدُ دُونَهُ كَأَسْطَرِ رَقِيٍّ أَمْرَضَ الْخَطَّ كَاتِبَهُ
وَلَهُمْ فِي وَصْفِ الْأَسْفَارِ فِي الْبَحَارِ شَعْرٌ قَلِيلٌ، فَمَنْ أَجُودَ مَا وَصَفَ بِهِ الْمَوْجُ قَوْلَ الْهَذَلِيِّ :

نَعَاجٌ يَرْتَمِينَ إِلَى نَعَاجٍ
وَلَا أَعْرِفُ فِي السَّيْرِ وَالنَّعَاسِ أَجُودَ لَفْظًا وَاسْتِعَارَةً مِمَّا أُنْشَدْنَاهُ^(١) أَبُو تَمَامٍ :
يَقُولُ وَقَدْ مَالَتْ بِنَا نَشْوَةَ الْكَرَى نَعَاسًا وَمَنْ يَعْلُقُ سُرَى اللَّيْلِ يَكْسِلُ
أَنْخَ نُعْطِ أَنْضَاءَ النَّعَاسِ دَوَاءَهَا قَلِيلًا وَرَقَةً عَنِ قَلَانِصٍ ذَبِيلِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ الْإِنَاخَةُ بَعْدَ مَا حَذَا اللَّيْلُ عَرِيَانَ الظَّرِيفَةِ مُنْجَلِي
وَمِمَّا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَوْدٌ خَلَقَ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ يَرْمِي بِالْغَسَقِ
مَشَاجِبُ وَفَلَقُ سَقَبٍ وَطَلَقُ
عَوْدٌ : يَرِيدُ شَيْخًا كَبِيرًا. عَلَى عَوْدٍ أَيِ عَلَى بَعِيرٍ مُسَيَّنٍ، عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ أَيِ طَرِيقٍ قَدِيمٍ
دَارِسٌ فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ كَأَنَّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ رُؤْبَةُ :

فِيهَا خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقَ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ
أَيِ كَأَنَّ ذَلِكَ شَبَهَ الْبَعِيرِ بِالْمَشَاجِبِ، وَالطَّرِيقِ بِالسَّقَبِ وَهُوَ عَمُودٌ، مِنْ عَمَدِ الْخَبَاءِ، وَشَبَهَ
الشَّيْخَ بِالطَّلُقِ وَهُوَ الْقَيْدُ لَانْحِنَائِهِ. وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ قَوُودٌ لِلْإِبِلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ
عَوْدٌ : بَعِيرٌ، عَلَى عَوْدٍ يَعْنِي طَرِيقًا، يَمُوتُ بِالْتَرَكِ : يَعْنِي الطَّرِيقَ يَدْرُسُ إِذَا لَمْ يَسْلُكْ،
وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ : إِذَا سَلَكَ اسْتَبَانَ.

وَمِنْ الْمَخْتَارِ فِي صِفَةِ النَّعَاسِ قَوْلُ الْآخَرِ :
فَأَصْبَحَنَ بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فَتِيَةً نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلُ الْعِمَائِمِ^(٣)
كَأَنَّ الْكَرَى سَقَاهُمْ صَرَّ خَدِيَّةٍ عُقَارًا تَمْشِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ^(٤)
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ابْنَ الْعَلَاءِ
كَانَ يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ بَشَامَةَ بْنِ غَدِيرٍ وَيَعْجَبُ مِنْهُ غَايَةَ الْعَجَبِ :

كَأَنَّ يَدَيْهَا وَقَدْ أَرْقَلْتُ وَقَدْ حَرَنْتُ ثُمَّ اهْتَدَيْتُ السَّيْلَا
يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلَا
وَمِمَّا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ :
بَدَأْنَا بِنَا وَابْنَ اللَّيَالِي كَأَنَّهُ حُسَامٌ جَلَا عَنْهُ الْقَيُونَ صَقِيلُ
فَمَا زِلْتُ أَفْنِي كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ إِلَى أَنْ أَتَتْكَ الْعَيْسُ وَهُوَ ضَيْلُ

(١) الْآيَاتُ لَيْسَتْ فِي دِيْوَانِهِ .

(٢) الْقَلَانِصُ : جَعَجَ الْقُلُوصُ : النَّاقَةُ .

(٣) الْإِدْلَاجُ : الْمَشْيُ لَيْلًا .

(٤) صَرَّخَدِيَّةٌ : خَمْرَةٌ، الْمَطَا : الظَّهْرُ .

الفصل الرابع

في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك

فمن أجود ما قيل، في وصف الثور إذا عدا فيخفى تارة، ويظهر أخرى، قول^(١) الطرماح، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه:

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف على شرف يسئل ويغمد

وقد أحسن عدي بن الرقاع^(٢) في وصف ثورين وما يثيران في عدوهما من الغبار وهو:

يتعاوران من الغبار ملاء بيضاء مخملة هما نسجاها

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها^(٣)

لا أعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا. وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس له شبيه وهو من المشهور:

يرجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها^(٤)

وقد أحسن الراعي في وصف الوعل:

برود بها ذب الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راح^(٥)

(١) الشعر والشعراء: ٤٩٢/٢.

(٢) عدي بن الرقاع: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي من أهل دمشق، شاعر عاصر جريراً وهاجاء. ومدح بني أمية. مات سنة ٩٥ هـ.

(٣) البيت والذي سبقه في ديوانه عدي: ٥٠. يتعاوران: يتداولان فيما بينهما. الملاء: الملحفة. المكان الجاسي: اليابس.

(٤) ديوانه: ٣٥. وفيه: «تُزجي أغن». وزجى الشيء: ساقه ودفعه. الأغن: الظبي الذي في صوته غنة. المداد: الجير. الروق: القرن.

(٥) البيت ليس في ديوان الراعي.

ذَبَّ الرِّيَادُ: أَي (١) الوَعْلُ، وَيُرُودُ: يَجِيءُ وَيَذْهَبُ، شَبَّهَ مَا عَلَى قِوَامِهِ مِنَ الشَّعْرِ
بِالسَّرَاوِيلِ وَشَبَّهَ قَرْنَهُ بِالرَّمَحِ.

وَقَالَ (٢) ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

كَأَنِّي عَلَى طَاوٍ مِنَ الْوَحْشِ نَاشِطٌ، تَخَالُ قُرُونُ الْأَجْلِ مِنْ خَلْفِهِ غَابَا (٣)
الْأَجْلُ: الْقَطِيعُ مِنَ بَقَرِ الْوَحْشِ، وَالْغَابُ: الْأَجْمَةُ.
وَقَالَ أَيْضاً (٤):

وَجَرَّتْ لَنَا سُنْحاً جَاذُرُ رَمْلَةٍ، تَتْلُو الْمَهَا، كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَبَدِّدِ (٥)
قَدْ أَطْلَعْتُ لِإِسْرِ الْقُرُونِ كَأَنَّهَا أَخَذَ الْمَرَاوِدُ مِنْ سَحِيْقِ الْإِثْمِدِ (٦)
وَقَالَ (٧) ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

شَغَلَتْهُ لِنَوَاقِحْ مَلَاتِهِ غَيْرَةً، فَهُوَ خَلَفَهُنَّ كَمِيٍّ (٨)
قَابِضٌ جَمَعَهَا إِلَيْهِ كَمَا يَجْمَعُ أَيْتَامَهُ إِلَيْهِ الْوَصِيُّ (٩)
كَلِمَا شَمُّ لَاقِحَاسِيٍّ مِنْهَا رَأْسُ فَحْلٍ بِرَجْلِهَا مَعْلِيٍّ (١٠)
خَارِجٌ مِنْ ظِلَالٍ نَقَعَ كَمَا مَرَّقَ جَلْبَابُهُ الْخَلِيعُ الْغَوِيَّ
قَدْ طَوَاهَا التَّسْوِيقُ وَالشَّدُّ حَتَّى هَرَبَتْ فِي رُؤُوسِهِنَّ عَيُونُ
هِيَ قُبُّ كَأَنَّهِنَّ الْقَسِيُّ (١١)
غَائِرَاتُ كَأَنَّهِنَّ الرُّكْبِيَّ (١٢)
وَقَالَ (١٣) أَيْضاً:

(١) فِي الْأَصْلِ: «عَلَى الْوَعْلِ».

(٢) دِيَوَانُهُ: ٣٥.

(٣) الطَّائِي: الْجَائِعُ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «الْوَحْشُ نَاهِضٌ».

(٤) دِيَوَانُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ: ١٤١.

(٥) الْجَاذُرُ: الْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ. الْمَهَا: الْغَزْلَانُ. وَالسُّنْحُ: الْيُمْنُ.

(٦) الْمَرَاوِدُ: مَفْرَدُهَا مَرُودٌ: الْيَمِيلُ يُكْتَحَلُ بِهِ. الْإِثْمِدُ: الْكُحْلُ.

(٧) دِيَوَانُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ: ٤١٥.

(٨) اللَّوَاغِ: النِّيَاقُ الْإِنَاثُ الَّتِي فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا.

(٩) فِي الدِّيَوَانِ:

• «قَابِلُنْ جَمَعَهَا إِلَيْهِ كَمَا جَمَعَ اتِّبَاعَهُ إِلَيْهِ الْوَحْيُ

وَالْوَحْيُ: الْأَنْسَرِيقُ الْمَعْلُ.

(١٠) فِي الدِّيَوَانِ: «سِيٍّ مِنْهَا»

(١١) فِي الدِّيَوَانِ: «هِيَ قُبُّ كَأَنَّهِنَّ الرُّكْبِيَّ»، وَالرُّكْبِيَّ مَفْرَدُهَا الرُّكْبِيَّةُ: الْبَيْتَرُ.

(١٢) لَيْسَ فِي الدِّيَوَانِ.

(١٣) فِي دِيَوَانِهِ: ٢٩٢.

كَانَ آثَارُ وَحْشِي الطَّبَاءِ بِهَا دِرْعٌ تُخَلِّفُهُ أَظْلَافُهُ نَسَقُ

كَأَنَّ آثَارَ أَظْلَافِ الظُّبَاءِ بِهِ وَدَعَّ يَخْلِفُهُ أَظْلَافُهُ نَسَقُ
وَمِنْ فَصِيحٍ مَا قِيلَ فِي الْكَلْبِ وَبَلِيغُهُ قَوْلُ (١) أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنَّ لَحْيِيهِ عَلَى افْتِرَارِهِ شَكَّ مَسَامِيرٍ عَلَى طَوَارِهِ
طَوَارِهِ : نَوَاحِيهِ .

سَمِعُ ، إِذَا اسْتَرَوْحَ لَمْ يَمَارِهِ إِلَّا بِأَنْ يَطْلُقَ مِنْ عِذَارِهِ (٢)
فَانْصَاعَ كَالْكُوكِبِ فِي انْحِدَارِهِ ، لَفَتَ الْمَشِيرَ مُوهِنًا بِنَارِهِ
شَدَا إِذَا أَحْصَفَ فِي جِدَارِهِ خَرَّقَ أَذْنِيَهُ شِبَا أَظْفَارِهِ (٣)
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ (٤) :

مَنْ كُلَّ أَخْدَى مَيْسَانِ الْمَنْكِبِ يَشُبُّ فِي الْقَوْدِ شُبُوبَ الْمُقَرَّبِ
يَلْحَقُ أَذْنِيَهُ بِحَدِّ الْمَخْلَبِ

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أي من سعة جلده
يميس منكبه .

وَمِنْ بَدِيعِ الْوَصْفِ قَوْلُهُ (٥) :
كَأَنَّمَا الْأَظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعَ رُدٍّ فِي نَصَابِهِ (٦)
تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ إِذَا مَا هَابَهُ ، يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ (٧)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ (٨) ذِي الرِّمَةِ :

لَا يَذْخِرَانِ مِنَ الْإِيغَالِ بَاقِيَةً حَتَّى تَكَادَ تَفْرِي عَنْهُمَا الْأَهَبُ
وَالْقَنَابُ : الْغُلَافُ .

وَقَدْ أَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ وَأَجَادَ :
فَجَاءَ يُزْجِيهَا عَلَى شِيَاتِهَا شَمَّ الْعِرَاقِيْبِ مُؤْنَفَاتُهَا (٩)
مَفْرُوشَةَ الْأَيْدِي شَرَنْبَاتِهَا مَشْرِفَةَ الْأَكْتِافِ مَوْفِدَاتِهَا
قُودَ الْخِرَاطِيمِ مَخْرُطَمَاتِهَا غَرَّ الْوُجُوهِ وَمَحْجَلَاتِهَا (١٠)

(١) ديوانه : ٣٥٠ . وفيه : «لدى افتزاره» والطوار : النواحي .

(٢) السَّمْعُ : وَلَدُ الذَّنْبِ .

(٣) فِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ : «حَتَّى إِذَا أَحْصَفَ فِي إِحْضَارِهِ» .

(٤) دِيْوَانُهُ : ١٠٣ . وفيه : «مَنْ كُلَّ أَدْفَى» وَالْأَدْفَى الْمَنْجِي .

(٥) دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ : ١٠١ .

(٦) الْقَنَابُ : مَوْضِعُ الظَّفَرِ . الصَّنَاعُ : الْمَاهِرُ . النَّصَابُ : الْمُقْبِضُ وَالْقِرَابُ .

(٧) الْحُضْرُ : الرِّكْضُ السَّرِيعُ ، هَا هَا بِهِ : زَجَرَهُ الْكَلَابُ . الْإِهَابُ : الْجِلْدُ .

(٨) الْبَيْتُ لَيْسَ فِي دِيْوَانِهِ . وَهُوَ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ : ٩٨ .

(٩) الْأَبْيَاتُ لَيْسَتْ فِي دِيْوَانِهِ . زَجَا : سَاقَ . الْعِرَاقِيْبُ : قِمَمُ الْجِبَالِ .

(١٠) الْخِرْطُومُ : وَاحِدُ الْخِرَاطِيمِ : وَهُوَ الْأَنْفُ .

الموفدات: المشرفات، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :
 كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها^(١)
 لتفشأ الأرنب عن حياتها إن حياة الكلب في وفاتها
 وقال (٢) ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :
 كأنها في حلقِ الأطواقِ ضواحك من سعة الأشداقِ
 وقال في شدة عدو الكلب :

كأنها تعجل شيئاً تحسبه

من قول (٣) أبي نواس :

كأنما يُعجلن شيئاً لقطاً

ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحمر^(٤) في الثور :
 وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرض أربعة^(٥)
 ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادر الناظر وهو يبدره كأن من يبصره لا يبصره

وقال الأصمعي : وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول (٦) حميد بن ثور :

ترى طرفيه ينسلان كلاهما كما اهتز عود النبعة المتابع
 ينأى بإحدى مقتلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصه غباره في فمه شفرته وناره

هو الخبيث عينه فراؤه^(٧)

ومما يجري مع ذلك، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبي بكر بن دريد، عن عبد الرحمن

عن عمه، عن أبي عمرو قال :

رأيت باليمن غلاماً من جرم، ينشدُ عنراً فقلت له : صفها يا غلام فقال :

حسراء مقبلة، شعراء مدبرة، بين غثرة الدهسة، وقنو الدبسة، سجعاء الخدين، خطلاء

الأذنين، قعساء الصورين، كأن زنمتها تتوا قلنسوة، يا لهاأم عيال، وثمال مال.

الحسراء: التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد كثر شعرها، والغثرة: غثرة كدرة،

(١) لبّات: جمع لبة: صدر. في الأصل: زل المساخير معكساتها.

(٢) البيت ليس في ديوانه.

(٣) ديوان أبي نواس: ٤٠٩.

(٤) الأحمر: شيخ العربية، علي بن المبارك، وقيل هو علي بن الحسن تلميذ. الكسائي. مات سنة ١٩٤ هـ.

(٥) البيت في الصناعتين: ٤٨.

(٦) البيتان في الشعر والشعراء: ٣٠٧/١.

(٧) في الأصل غير منقوطة، والتصليح من اللسان والخبيث عينه فراؤه.

والدهسة: لون الأرض، والقنو: شدة الحمرة، والدبسة، حمرة كدرة، والسجحاء: السهلة الخدين، والخطلاء: الطويلة الأذنين المضطربتهما، والقعساء: المتباعدة بين طرفي القرنين، والصور: القرن والزنمتان: اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة، والتوذابة القلنسة. ولأعرابي في الذئب:

وأطلس ملء العين يحمل زوره	وأضلاعه من جانبيه شوى النهْد ^(١)
له ذنبٌ مثل الشراع يمدّه	ومتنّ كمتن القوس أعوجُ مُنأدُ
طواه الطوى حتى استمرّ مريّره	فما فيه إلا الروح والعظم والجلدُ
يقضّضُ عضلاً في أسرتها الردى	كقضضة المقبرور أرعده البرد ^(٢)
عوى ثم ألقى فارتجزتْ فهجته	فأقبل مثل البرق يتبعه الرعدُ
وأتبعته أخرى وأضللت نصله	بحيث تلوى اللب والرعب والحقدُ

وقال غيره في الفيل:

أجرّد كالعود طويل النابين	بعيد ما بين محطّ الرجلين
ينفض أذنين	كفضلى بردين

وقال ابن الرومي فيه:

ولا أعضل النابين حامل مخطم	به حجنّ طوراً وطوراً به فَعَم ^(٣)
يقلب جثماناً عظيماً موثقاً	يهْدُ بركنيه الجبال إذا رَحَمَ
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره	ومشبهات ما أصاب بها عَثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه	إذا أعمل النابين في الناس أو صدم

(١) الأطلس: الذئب.

(٢) يقضض: تصطك أسنانه. الزور: الصدر. المقرور: من أصابه البرد.

(٣) المخطم: الأنف الطويل، الحجن: الاعوجاج. الفعم: الامتلاء.

الفصل الخامس من الباب العاشر

في ذكر الطيور

مما جاء في منشور الكلام، في وصف الحمام، قول بعضهم:
بهرماني العينين عاجي المنقار، أصهب القرطمتين^(١) سبجي الجناحين، كأنما خطا
بقلمين، دري الدفتين، فضي الحقيبة والبطن والكشحين، أرجواني الساقين والقدمين، مُعتدل
الهامة، جاحظ الحدقتين، رحب الأذنين والمنخرين، واسع الحوصلة والشدقين، محدد
المنكبين والركبتين، سبط الذنب والكفين، طويلُ العنق والقوادم والفخذين، قصير الخوافي
والساقين، عريض الصدر والدفتين والوظيفتين، غليظ القصب أجش الهدرة، منتصب الهامة،
ذكي الحركة، بعيد الذرقة.

ووصف ابن المعتر حماماً طلبه من إنسان:

أريد حرمي الطرق، عاجي المنقار، أغنُ الهدير^(٢)، ذا ذنبٍ قصير، يسحبُ حوصلته إذا
هدر، وتروح صفقته إذا صفق، قرطاسي الدفتين، سبجي الجناحين^(٣)، كأن رجله خاضتاً دماً،
أو شربتاً عندهماً، وكان عينيه جمرة، ورأسه زُبدة.

وقلت في حمام أبلق:

لبسنَ ظلاماً بالصباح مرقعاً	وُمُتَفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ
وَحَضْبِينَ بِالْحَنَاءِ كَفّاً وَإِصْبَعاً	أَخَذَنْ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفَاءً وَمِنْسِراً
جَلَوْنَ عَقِيقاً لِلْعَيُونِ مَرْصَعاً	وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا
جَنَادُلٌ تَدَحُّوهُمَا ثَلَاثاً وَأَرْبَعاً	تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجُلَامِ كَأَنَّهُمَا

(١) القرطمتان: نقطتان على منقار الحمام.

(٢) أغن: في صوته غنة.

(٣) سبجي الجناحين: عريضهما.

تبوع بها في الجوّ من غير فترة كأن مجاذيفاً تبوعُ بها معا (١)
 إذا هي عبّت في الغدير حسبها تزقُّ فراخاً في المغادر جُوعاً
 وقال بعضهم في عين العقق: يُقلِّبُ عينين في رأسه
 ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ:

كأن الديك ديكُ بني نمير أمير المؤمنين على السرير
 والناس يستحسنون قول (٢) ابن المعتز في الديك:

صفق إما ارتياحةً لسنى الصبح وإما على الدجى أسفا
 وقال ديك الجن:

أوفى بصبع أبي قابوس مفرقه كدرة التاج لما علّيت شرفا (٣)

وقوله «صبع أبي قابوس» يعني شقائق النعمان، وهذا كلامٌ بعيدُ المتناول ظاهر التكلف.
 وقلت فيه:

مُتَوَجِّعٌ بعقيقٍ مُقَرَّطٌ بلجين (٤) فقد زينَ النحر منه ثنان كالوردتين
 دعا دُعَاءَ طروبٍ مُصَفَّقِ الكفين عليه قُرْطُقٌ وشيٍ مُشْمَرُ الكفين (٥)
 حتى إذا الصبح يبدو مُطَرَّزُ الطرّتين يزهى بتاجٍ وطوقٍ كأنه ذو رعين
 وقال السري الرفاء:

كشفَ الصباحُ قناعَهُ فتألّفا وسطا على الليل البهيم فأطرقا
 وعلا فبشرَ بالصبحِ مُدرِّعٌ بالوشي تَوَجَّعٌ بالعقيق وطُوفَا
 مُرخى فضولِ التاجِ في لَبّاته ومُشْمَرُ ثوباً عليه مغمقا

وقال ابن المعتز:

وقامَ فوقَ الجدارِ مُشترِفٌ كمثلِ طَرفِ أعلاه أسوار (٦)
 رافعُ رأسٍ طوراً وخافضُهُ

(١) تبوع: تسرع

(٢) ديوانه: ٢٨٤.

(٣) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر.

(٤) مقرّط بلجين: اقراطه فضة.

(٥) قرطُق: لبس.

(٦) وطرف: حصان.

ومن أجود ما قيل في وصف النعام قول عدي بن زيد^(١).
ومكان زعل ظلمانه كرجال الحبش تمشي بالعمد
فقال شبه أعناقها إذا مدت بالعمد.

ومن أحسن تشبيه أخذه العماني :
كأنها حين مدت عنقها حرقاً سُود الرجال تعادي بالمزاريق^(٢)
وكان ينبغي أن يقول : « مدت أعناقها » الذي قال رديء ، وقد جاء مثله .
وقال ابن أبي عيينة :

يا جنة فأت الجنان فما ألفتها فاتخذتها وطناً
أنظر وفكر فيما طيف به من سفن كالنعام مقبلة
تبلغها قيمة ولا ثمن إن فؤادي لحبها وطن
إن الأريب المفكر الفطن ومن نعام كأنها سفن
ومثله قوله :

زروادي القصر نعم القصر والوادي ترقى قراقيره والعيس واقفة
وحبذا أهله من حاضر بادي والضب والنون والملأ والحادي^(٣)

وقول الآخر :
كان بالسهب على خربائه يضحك جن الأرض من نحائه
عرشاً يخرّ الريح في قصبائه^(٤) كأن قوس الغيم من ورائه
يعني الغبار المنعرج خلفه .

وقلت في فاختة :
مررت بمطراب الغداة كأنها ويروي : « تل رحيقاً في الغصون مُفلّلاً »
تعلّ مع الاشراق راحاً مُفلّلاً

منمرة كدراء تحسب أنها بدت تجتلي للعين طوقاً ممسكاً
تجلل من جلد السحابة مفصلاً وطرفاً كما ترنو الخريدة أكحلاً
لها ذنب وفي الجوانب مثل ما تُقشّر طلعاً أو تجرد منصلاً
إذا حلقت في الجو حلت جناحها يرد صغيراً أو يحرك جلجلاً
وقال أبو نواس في حباريات :

(١) عدي بن زيد بن الحمار العبدي ، شاعر جاهلي فحل . مات في الفترة .

(٢) المزاريق : السهام .

(٣) النون : الحوت . الضب حيوان صحراوي . العيس : الناقة . القراقير : الحادي .

(٤) السهب : الفرس .

يَخْطُرْنَ مِنْ بَرَانِسٍ قُشُوبٍ مِنْ حَبْرِ عُولَيْنَ بِالتَّذْهِيبِ
فَهِنْ أَمْثَالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ

وَقُلْتُ فِي قُبْجَةٍ (١):

أَهْدَيْتَهَا كَالْهَدْيِ آنَسَةٍ	وَهِيَ سَلِيلُ النَّوَاشِزِ النَّفْرِ (٢)
تَلْبَسُ سُمُورَةً مُشْمَرَةً	تَصُونُ أَطْرَافَهَا مِنَ الْعَفْرِ (٣)
وَقَدْ جَرَى الْمَسْكُ مِنْ مُحَاجِرِهَا	فَضَمَّ لِبَاتِهَا مَعَ الشَّغْرِ
تَخْطُرُ فِي حَلَةٍ مُصْدَرَةٍ	كَأَنَّ أَكْمَامَهَا مِنَ الْحَبْرِ
وَاحْمَرَّ مَنْقَارُهَا وَرَأَى خَرَهَا	تَفْتَحُ الْوَرْدَ فِي نَدَى السَّحْرِ
كَأَنَّهَا حِينَ نَقَطَ قَرَطْمَهَا	تَضْرِبُ يَاقُوتَةً عَلَى دُرِّ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ:

كَأَنَّمَا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَاغِقٍ صَرَصَرَةُ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ (٤)
وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا:

يَصْفَرُّ أَحْيَانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجْ مِنْ مِثْلِ حَرْفِ الْمَجْدَحِ الْمَنْجَحِ

الْمَجْدَحُ: مَا يَجْدَحُ بِهِ السُّوَيْقُ، وَالْمَنْجَحُ: الْمَعْطَفُ.

وَأَحْسَنُ مَا شَبَّهَ بِهِ ذَلِكَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعْرَابِ يَصِفُ طَيْرًا أَنَشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ:

يَضْبِرِينَ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لَبِيقُ كَمْفَرُوجِ الْمَنَاقِيشِ أَسْجَحِ (٥)

لَبِيقُ: أَيُّ رَفِيقٍ بِذَلِكَ حَازِقٍ بِهِ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكَ (٦) لَبِيقَةً بِالشَّرْبِ، وَالْمَفْرُوجُ: الْمَفْتُوحُ

مَا بَيْنَهُ.

وَقُلْتُ فِي الْخَطَافِ:

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ تَزُورُنَا	فَيُخْبِرُنَا عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارَهَا
تَخْبِرُنَا أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَمِيصُهُ	وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى إِزَارَهَا
وَأَنَّ وَجْهَ الْغُدْرِ رَاقٍ بِنِْيَاضِهَا	وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ اخْضَرَارَهَا
تَحْنُ إِلَيْنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا	فَتَدْنُو عَلَيَّ بُعْدٍ مِنَ الشَّكْلِ دَارَهَا

(١) الْقُبْجَةُ: الْحِجْلَةُ.

(٢) النَّوَاشِزُ: جَمْعُ النَّشْرِ: الْمَرْتَفِعِ.

(٣) الْعَفْرُ: التَّرَابُ.

(٤) الْمَهَارِقُ: جَمْعُ الْمُهْرِقِ: الصَّحِيفَةِ.

(٥) الْمَجْدَحُ: مَا يُخْلَطُ بِهِ الطَّيْبُ.

(٦) أَحْنَاكَ: جَمْعُ حَنْكَ. لَبِيقُ: يَلِيقُ بِهِ. أَسْجَحُ: سَهْلٌ مُعْتَدِلٌ. الْمَنَاقِيشُ: جَمْعُ مَنَاقِشَ: مَا تَقْتَلَعُ بِهِ الشُّوكَ

وغيره.

فيعجبنا، وسط العراص، وقرونها
أغارَ على ضوء الصباح قميصها
تصيحُ كما صرّت نعال عرائس
تجاوزنا حتى تشبَّ صغارها
ويؤنسنا، بين الديار، مطارها
وفازَ بألوانِ الليالي خمارها
تمشت إليها هندها ونوارها
وتقضي لباناتِ النفوس كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين:
وغريبة حنت إلى أوطانها
فرشت جناح الأبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها:

أيا عجباً من آنس لك نافر
يزور على بُعد المكان لم يُنرد
له في الدرى شذرٌ يمرُّ ويتني
وهذا معنى لم أسبق إليه.

وقال أبو نواس في أصوات الخطاف:
فكانَ أصواتها في الجو طائفة
صوتُ الجلام إذا ما قصت الشعر^(١)

وقال ابن^(٢) المعتز في البازي:
فارسٌ كفَّ مائل كالأسوار
أو مصحفٍ منمنمٍ بأسطار
ذو جُوجٍ مثل الرُخام المرمار
ومثلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفناً مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة.
ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول^(٤) أبي نواس:

ومنسرٍ أكلف فيه شنج
وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه:

ومقلة تصدقه إذا رمق
وقال^(٥) أبو نواس:

كانها نرجسة بلا ورق

(١) الأبنوس والصندل: ضربان من الأشجار، حبشهما جيد.
(٢) الجلام: جمع الجلم: الغنم الطوال الأرجل لا شعر عليها.
(٣) ليست في ديوان ابن المعتز.
(٤) ديوان أبي نواس: ٦٦٧.
(٥) ديوانه: ٣٥٣.

في هامةٍ عليها تهدي منسراً
وقال^(١) ابن المعتز في بزاة:

وفتيان غدوا ووالليل داج
كأن بُزاتهم أمراء جيش
وقال في عين البازي:

كأنها في الرأس مسمار ذهب

وقال^(٢) أيضاً:

ومنسر غضب الشباه دام
وخافق للصيّد ذي اصطلام
كعقدك الخمسين بالإبهام
ينشره للنهض والإقدام
كنشرك البرد على المستام

وقال^(٣) أيضاً:

ذي جُوجُؤ محبر موشي
كأنها دينار صيرفي
ومقلّة تلحق بالقصي
واتصلت براته القوهي^(٤)
صاف كغصن الذهب المحلي

وقال أيضاً:

أقمر من ضرب بزاة قمر
كأنه مكتحل متبر
يريح إن راح لامر بهر
وقلت في الصقر:

وصلّتان فلتان أنمر
مُعبرٌ يهوي إلى مزعفر
بأبيض من البزاة أقمر
بمثل أهّاب جفون الأحور
منمنم الصدر كصدر الدفتر

وقلت:

بصلتان سلط جسور
ضم جناحيه على سمور
تخاله في مفصل مزرور
معوج المنسر والأظفور

(١) ليسا في ديوانه.

(٢) الأبيات ليست في ديوانه.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٤١٩. وفيه: «صَبَحْتَهُ بِأَجَلٍ وَجِي، ومقلّة...».

(٤) في الديوان: «واتصلت برأيه القوي».

(٥) حملاق العين: باطن جفنها. طحرت: العين قذاها: رمت به والأبيات ليس في ديوانه.

(٦) متبر: ذو تبر أي ذهب.

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوان بيض وجوهها ونمر تراقبها وصفراً جنوبها
كأن درارياً عليها قصيرة مرقعة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغاني عريبها
تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها
وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح في صفة الظليم^(١) مجتاب.

وقلت في بلابل:

مررت بذكر القمص سود العمام زهين بأصداغ تروق كأنها
تغني على أعراف غيد نواعم^(٢) ترى ذهباً ألقته تحت مآخر
نجوم على أعضاء أسود فاحم لها ولجيناً بطنه بالمقدام^(٣)
فيا حسن خلقي من نضار وفضة وخز وديباج أحمر وقاتم
وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن أبي ذكوان، وأبي خليفة عن التوزي، قال: قال
عمرو بن الحارث الجمحي: ما رأى الأصمعي مثل نفسه، قال الرشيد يوماً: أنشدونا أحسن ما
قيل في وصف العقاب، فعذر القوم ولم يأتوا بشيء.

فقال الأصمعي أحسن ما قيل فيها:

باتت يورقها في وكرها سغب وناهض يخلص الأقوات من فيها^(٤)
وقال^(٥) امرؤ القيس: كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٦) فقال الرشيد ما بعل^(٧) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً.
وقال آخر في الغراب:

وجرى بينهم غداة تحملوا من ذي الأبارق شاجح يتفید
شنج النسا جرق الجناح تخاله في الدار إثر الظاعنين مُقَيَّد^(٨)

(١) الظليم: ذكر النعام.

(٢) غيد: جمع غيداء: شابة حسناء.

(٣) لجين: فضة.

(٤) السغب: العطش.

(٥) ديوان امرئ القيس: ١٤٥.

(٦) يشبه القلب اليابس بالحشف، وقوله رطب ويابس كناية عن كثرة صيد العقاب. والحشف: الرديء من التمر.

(٧) بعل: دهش.

(٨) النسا: عرق في القدم.

وقال آخر في عقق:

فلا بارك الله في عقق
ح متى ما يجد غفلة يسرق
كأنهما قطرتا زئبق

إذا بارك الله في طائر
طويل الذنابي قصير الجنا
يُقلب عينين في رأسه

وقال آخر في الزناير:

تظهر مسودة وتستتر
إذ فضضت في جياننا الغرر

لها حماة كأنها شعر
قد أذهبت في الجبين غرته
وقلت في ظبية داجنة وقمارى:

تومي بناظرها إلى ظمياء^(١)
تبرا أضرب فضة بيضاء^(٢)
رياً تمرمر في متون ظماء
مشقوقة الأوساط والأحناء
وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
سود تبدل ظلمة بضياء

فيها مؤانسة لنا وحشية
تختال في متصنل متكفر
ودقيقة الأطراف هي جسيمة
ومغنيات من وراء ستائر
غنت فلم تحوج إلى مشهورة
تبدو على أعناقهن أهلة

(١) ظمياء: عطشى.

(٢) متصنل: من الصندل، شجر عطري، متكفر: من الكافور: نبت عطري.

الفصل السادس من الباب العاشر

في ذكر بقية الحيوان من النسر والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك

كتب الصاحب أبو القاسم في وصف قنفذ:

قد أتحتك يا سيدي بعلق نفيس، يتعجب المتأمل من أحواله، ويحار الناظر في أوصافه،
ويتبدل المعتبر في آياته، فما تعرف بديهه النظر، أمن الحيوان هو، أم من الجماد، أم هو من
الشجر، أم من النبات، ومن الناطق هو، أم من الصامت، أم من الحار، أم من البارد، أم من
الرطب، أم من اليابس، حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه، والفحص أكمل شروطه، علم
أنه حي سلاحه في حصنه، ورام سهامه في ضمنه، ومقاتل رماحه على ظهره، ومخاتل سره
خلاف جهره، ومحارب حصنه من نفسه، يلقات بأخشن من حد السيف، ويستتر بالين من مسه،
حتى إذا جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد، أو كرة حرشف، ومتى أمن بسط أكتافه، وهي أمضى من
الأجل، وأرمى من ثعل، إن رآته الأراقم رأت حينها، أو عاينته الأسود عاينت حتفها، صعلوك ليل
يحجم عن دامسه، وحارس ظلام لا يجبن في حنادسه - شعر:

كمغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل^(١)

لجرمه من الضب شبه، ومن الفأر شكل، ومن الورل نسبة، ومن الدلدل سبب، ولم أعمه
عليك هو أنقد، ولذلك قيل: من لم يذق غماضا، ولم يرقد حثا بات بليلة الأنقد، وذكره
الشهيم: وهو الشيطم، وأثاء: عيمة معرفة لا يدخل الألف واللام عليها كتحوط ودجلة وكحل،
ولا أعنيك هو القنفذ، ومن أحواله أن العرب تسليخ جلده، فتخرجه كالشحمة البيضاء، وتجعله
من أنفاس مآكلها، وأفخر مطاعمها، حتى تراه أرفع من الأفاعي، وأنفع من الجرذان، وتدعي
جهلة الأعراب أنه من مراكب الشيطان، وهو الطف من الفرس حساً، وأصدق سمعاً، وقد جاء في

(١) المهبل: من فقدته أمه. الهوجل: المفازة.

المثل: «أسمع من قنفذ». ومن أوابده أنه يَسْوَدُّ إذا هَرِمَ، ويصير كَأَبْر ما يكون من الكلاب وأعظم، ويُشَبَّه به رَكْبُ المرأة عقب التنف والنورة، ولذلك قال ابن طارق في أرجوزة له:

يصيرُ بعدَ حَلَقِهِ ونورَتِهِ كقنفذِ القَفِّ اختبى في فَرَوْتِهِ
ويشَبُّ الساعي والنام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم^(١):

كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُهُ خَبٌّ إذا نامَ ليلَ الناسِ لم ينم
وقال^(٢) عبدة بن الطبيب:

قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حُدجوا قنافذَ بالنميمة تمرُّ
وقال جرير:

يَدَبُون حَوْلَ رَكِيَاتِهِمْ دَبِيبَ القنَافِذِ في العِرفِجِ^(٣)
فخذهُ يا سيدي ممتعاً، وأقبله شاكراً بَرِّي فيه، فاحتط عليه احتياط الشحيح على ماله،
والجبان على روحه، وارغب إلى الله تعالى في حفظه، واسأله إطالة عمره، وهو حسبي ونعم
الوكيل.

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوي الاصفهاني قال فيها:
أَرِقْتُ مُقْلَتِي لِحَبِّ عَرُوسٍ طفلةٌ في الملاحِ غيرِ شُمُوسٍ
فَتَنَنَنْتَنِي بِظِلْمَةٍ وَضِيَاءٍ إذ بَدَت لي كالعَجاجِ في الأَبْنُوسِ
تَتَلَقَّى الظَّلامَ من مُقْلَتِيهَا شِعَاعٌ يحكي شِعَاعَ الشُّمُوسِ
ذات دَلَّ قَصِيرَةً كَلَمًا قَا مت تهادى طويلاً في الجلوسِ
لم تزل تَسْبِغُ الوُضوءَ وتَنقَى كُلُّ عَضْوِهَا مَسَ التَّنْجِيسِ
دأبها ساعة الطهارة دَفَنُ العَنبرِ الرُّطْبِ في الحَنُوطِ اليبسِ
ومن أجود ما قيل في الحية قول^(٤) النابغة:

صِلْ صفا لا ينطوي من القَصْرِ طويلاً الأطرافِ من غيرِ خَفَرٍ^(٥)
مهروته الشدقين حولاءَ النظرِ تَفْتَرُ عن عُوجِ حَدَادِ كالأَبَرِ^(٦)
داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر:

خَلِقْتُ لَهَا زُمَةً عَرِينٍ ورأسُهُ كالقِرْصِ فُلُطَحٍ من دَقِيقِ شَعِيرِ

(١) أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد شاعر إسلامي.

(٢) البيت في الشعر والشعراء: ٦١٣/٢.

(٣) العرفج: شجر سهلي.

(٤) ديوان النابغة: ٢٠٣.

(٥) صِل: حية صفراء. الصفا: الحجر الأملس.

(٦) مهروته الشدقين: واسعتهما. عوج حداد: كناية عن الأنياب الحادة.

فكأن شديقه إذا استعرضته شدقا عجوز مضمضت لطور
وأجاد خلف في قوله:

ثم أتى بحية ما تنجي أتر مثل يذق الشطرنج^(١)
وليس من شعر المحدثين في الحية أحسن من قول^(٢) ابن المعتز:

كأنني ساورتني يومَ بينهم رقشاً مجدولة في لونها بلق^(٣)
كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة الغرق
وقوله أيضاً:

أنعت رقشاً لا يحيى لديغتها لوقدها السيف لم يعلق به بلل^(٤)
تلقى إذا انسلخت في الأرض جلدها كأنها كم درع قد بطل
وقلت:

وخفيفة الحركات تقترع الرئي كالبرق يلمع في الغمام الرائح
منقوطة تحكي بطون صحائف إيان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظل صخيرة ومن المعاش باشتمام روائح
وهذا من قولهم: إن الحية إذا هرمت لم تحتج إلى الطعم واكتفت بالنسيم. وقال أعرابي:

وحنش كحلقة السوار غايته شبر من الأشبار
كأنه قضيب ماءٍ جاري يفتّر عن مثل تلطي النار
وقال آخر:

يرقونه فكأنما يعنى برقوته سواء
وقال أبو العباس ثعلب: يُقال إنه لم يُسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:
كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه
وقال عبد الصمد بن المعذل في العقب:

يا ربّ ذي إلفك كثير خدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه^(٥)
في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنع الرقشاً ما لا تصنعه

(١) البيدق: من حجارة الشطرنج.

(٢) ديوانه: ٢٩٢.

(٣) رقشاً: حية.

(٤) لديغة: ملدوغ.

(٥) الإلفك: الكذب.

وقلت فيها أيضاً:

وإذا شتوتُ أمنتُ لسعةً عقربٍ كالنارِ طارتُ من زنادِ القادحِ
قد خلّتها تمشي بسبحة عابدٍ كلا لقد تمشي بصعدة رامح
وقال آخر:

يحملُ رُمحاً ذا كعوبٍ مُشتهر فيه سنانٌ كالحرّيقِ يستعرُ
أنفٌ تأنيفاً على حسنٍ قدر تأنيف أنفِ القوسِ شدّت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء، وهي دويبة شبيهة بالعظاء تأتي شجرة التنضبة، فتمسكُ يديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها، فكلما زالت عين الشمس عن ساق، منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر، حتى تغيب الشمس فتسبح في الأرض وترتفع قال أبو داود:

أني أتيحُ بها حرباء تنضبة لا يرسلُ الساقُ إلا ممسكاً ساقا
والعرب تقول: أحزمُ من الحرباء، لأنها لا ترسل غصنا إلا أمسكت بآخر، ويشبه به الرجلُ الحصيف^(١) الذي لا يترك سبباً إلا أخذ بسبب أمتن منه.

قال^(٢) ابن الرومي في امرأة ورقبها:

ما بالها قد حُسنت ورقبها أبداً قبيحٌ، قُبِحَ الرقباءُ
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبداً يكون رقبها الحرباءُ
وقال بعض العلماء:

الحرباء: فارسيّة معربة وأصلها خورباء، أي حافظ الشمس، وخور: اسم للشمس بالفارسية.

وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال^(٣):

ودويّة جرداء جداء خيِّمت بها صبوات الصيفِ من كل جانبٍ
كأن يدي حربائها متمسكاً يدا مُذنب يستغفرُ الله تائبٍ
وقال^(٤) أيضاً:

وقد جعل الحرباء يصفراً لونه ويخضرُ من حرِّ الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه أخو فجرة أوفى به الجذعُ صالبه
وقال^(٥) أيضاً:

يصلّي بها الحرباء للشمس مائلاً على الجذلِ إلا أنه لا يُكبرُ

(١) الحصيف: الذكي.

(٢) ديوانه: ٣٨.

(٣) ليسا في ديوانه.

(٤) البيتان ليسا في ديوانه.

(٥) ليسا في ديوانه.

إذا حوّل الظلّ العشيّ رأيته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصّر
وهذه تشبيهات مصيبةٌ عجيبةٌ الإصابة دالةٌ على شدة الحزن وثقوب الذهن، وقد أجمعت
العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات.
وقال^(١) ابن المعتز:

ومهمه فيه بيضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القوارير
كأن حرباءها والشمس تصهره صال لنا من لهيب النار مقرر
وهذا تشبيه مصيب أيضاً أن للأول ماءً وطلاوة ليس لذا.
ومن أحسن ما قيل في الضب قول الحماني:

ترى ضبها متسعاً رأسه كما مدّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردٍ الوشي وبطنٌ كما حسر الأصلع
هو الضب ما مدّ مكانه فإذا ضمّه فهو الضفدع
ومن أجود ما قيل في البعوض، وأجمعه قول بعضهم أنشد أبو عثمان:

إذا البعوض زجلت أصواتها وأخذ اللحن مغنياتها
لم تطرب السامع خافضاتها وأرقّ العينين رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها يقصر عن بُغيتها بُغاتها
ولا يصيب أبداً رُماتها راحمة خرطومها قناتها
وقال آخر:

حنانة أعظمها أذاها

وقال^(٢) ابن المعتز:

بِتْ بليل كلّه لم أطرف قرقسه كالزير المنتف
يثقبُ الجلد وراء المطرف، حتى ترى فيه كشكل المصحف^(٣)
أو مثل روس العصفر المندف

وقلت:

غناء يسخن العين وينفي فَرَحَ القلبِ
ولا يأتي على الزمر ولا يجري مع الضرب
غناء البق بالليل ينافي طرب الشرب
إذا ما طرّق المرء جرى في طلق الكرب

(١) البيت والذي يليه ليسا في ديوان ابن المعتز. وأفاحيص: جمع افحوص: المكان الرملي تفحص في القطة لتصنع بيضها.

(٢) ديوان ابن المعتز: ٢٩٠. والقرقس: البعوض.

(٣) في الديوان: «ويثقب». المطرف: الرداء.

(٤) لعل الصواب: روس العصفر.

نحيفُ راح كالشَّنِّ ولكنْ بات كالوْطَبِ
إذا ما نَقَبَ الجِلْدَ ةٌ أخفى مَوْضِعَ النُّقَبِ
سوى حُمْرِ خَفِيَّاتٍ تحاكي نَقْطَ الكَتَبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول عنتره في الذباب فإنه لم يتعرض له ولورامه لافتضاح وهو قوله:

وترى الذبابَ بها يُغني وحدهُ زجلاً كفعل الشاربِ المترنمِ^(١)
هزجاً يحكُ ذراعَه بذراعِهِ فعلُ المكبِّ على الزنادِ الأجذمِ^(٢)
وقلت:

وبدا فغناني البعوضُ مُطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غناني
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطُ المعلمِ مُشكلُ القرآنِ
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعَه قرأتُ لي الذُّبانُ بالألحانِ
وكتب أبو القاسم الأمدى:

وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط وحسبك، أيدك الله، أن كاتب الديوان، في هذا الوقت، شيخٌ كان يخلفني ويخلف من كان يلي الديوان قبلي، يُعرفُ بابن نوح، حسن الشيبة عظيم الهامة، كثير الصمت، لو رأيته لقلت: هذا نوح النبي ﷺ سمناً ووقاراً، وليس له عملٌ خلف سلته، إلا صيد الذبان، فهو أعلم خلق الله بأجناسها، إذا مرَّ به ذبانٌ يطيرُ عرفه بطيرانه، قبل أن يسقط، فيقول: هذا ذكرٌ وهذا أنثى، وهذا ربيعيٌ وهذا صيفي، وهذا مُلِحٌ وهذا لجوجٌ، يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود، وهذا يلسع وهذا ليس بلساع، وهذا يقع على الأقدار وهذا نَزْءٌ عيوف، لا يقع إلا على المآكل الحلوة، والأشياء العذبة، وهذا من صيد الليث، وهو جنس من العناكب، وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرتق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد^(٣) وهو يطير، وهذا لا يسفد إلا واقعاً، وهذا مما يُدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة، التي تقع في الأكحال، لأنه أقرح، وهذا إن وقع رأسه في كحل عمي من يكتحل به، لأنه أحمر الجبهة، وهذا يقبل بدنه على خرطومه، وهذا لا يقبل، وهذا هَزَجٌ مغن، وهذا صموتٌ، وهذا يُنْذِرُ، وهذا يُبْشِرُ بطنينه وزمزمته، فيصدق فيما يَعدُّ ويُوْعدُّ، ويكون ذلك أخذاً بالكف.

وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر.

وظننته قد نظر في باب الذباب والبعوض، من كتاب الحيوان، واستقى من هناك ففاتهته

(١) في ديوان عنتره: ١٣:

وخلا الذبابُ بها فليس ببارج غرداً كفعل الشاربِ المترنمِ

(٢) في الديوان: «قدحُ المكبِّ»، والإجذم: الأقطع.

(٣) يسفد: ينزو.

فإذا هو لا يعرفُ الجاحظ، ولا سمع بكتاب الحيوان قط، ونظرت فإذا أبو عثمان لم ينته في معرفة الذُّباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه.

ومن أجود ما قيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك:
فيا لعبادِ الله ما لقبيلةٌ إذا ظهرت في الأرضِ شدَّ مُغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهي ولا ذو سلاح من معدٍّ يضيرها
وقال آخر:

هنيئاً لأهل الرِّيِّ طيبُ بلادهم
بلادٌ إذا جنَّ الظلام تفاقرت
ديازجةٌ سودُ الجلود كأنها
وقلت:

ومن براغيث تنفي النوم عن بصري
يطلبن مني ثأراً لست أعرفه
وقد مكاهن الرماح الأسدي فأحسن في قوله:

تطاولُ بالفسطاط ليلي ولم يكن
يؤرقني حُذبٌ صغارٌ أذلةٌ
إذا ما قتلناهنَّ أضعفنَّ كثرةً
ألا ليت شعري هل ابیتنَّ ليلةً
وقال ابن المعتز:

وبراغيث إن ظفرنَ بجسمي
وأما القملُ فأعجبُ ما قيل فيه قول بعضهم:
للقملِ حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ
وكانهنَّ إذا علونَ قميصه
وقد أبدع جرير في قوله^(٤):

ترى الصيبانَ عاكفةً عليه
وقلت في النمل:

وحَيٍّ أناخوا بالمنازل باللوى
إذا اختلفوا في الدَّارِ ظلت كأنها
فصاروا بها بعدَ القطارِ طينا
تبدَّدَ فيها الريحُ بزرَ قطونا

(١) الايازج: من الخيل. (معرب ديزه).

(٢) الفسطاط: المدينة. مجتمع أهل الكورة.

(٣) ليس في ديوانه. الخال: نقطة سوداء على الجلد.

(٤) ليس في ديوانه. جون: سود.

إذا طرَقوا قَدري مع الليلِ أَصْبَحْتُ
لهم نَظرةٌ يُمنى وَيُسرى إذا مشوا
وَيَمْشُونَ صفّاً في الدِّيارِ كأنّما
ففي كلّ بيتٍ من بيوتِي قَريّةٌ
فيا مَنْ رأى بيتاً يضيّقُ بخمسةِ

قالوا ومن الأبيات الجامعة للشَّرِّ قول بعض القدماء:

به البَقُّ والحَمَى وأَسَدٌ خَفِيّةٌ
وبالمصرِ برغوثٌ وبقٌ وحَصْبَةٌ
وبالبدو جُوعٌ لا يَزَالُ كأنّه
ألا إنّما الدنيا كما قالَ رَبُّنا
وقلت في الجراد:

أجنحة كأنها أَرديّةٌ من قصبٍ
وأرجل كأنها

وقلت:

وأعرابية تَرْتادُ زاداً
غدت تمشي بمنشارٍ كليلٍ
وتنشرف في الهواءِ رداءً شرب
وتلبس تحت ذاك عَطافٍ لا ذِ

ومن عجيب ما قيل في الفأر: ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن سعيد، عن الرياشي، قال دخل أعرابي البصرة، فاشتري خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك:

عَجَلُ رَبِّ الناسٍ بالعقابِ
كحل العيون وقصّ الرقابِ
مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ
مُنْهَرَتِ الشدقِ حديدِ الثابِ

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
مجردات أحبل الأذنانِ
كيف لها بأنمرٍ وثابِ
كأنما يكشرُ عن حرابِ (٤)

يفرسها كالأسد الوثاب

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده
وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين

(١) الأكام: المرتفعات. يمور: يضطرب.

(٢) منهرت: واسع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله، ومؤتفه وراهنه، فجعل لنا في أنفسنا مواعظ، وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُردينا من مرضٍ بعد صحة، وشيبة بعد شبية، لنعتبر بتغير الأحوال علينا، وتغير الحدثان إيانا، حمداً تتألف أشتاته وتتصلُ مواده، وصلى الله على محمد وآله.

هذا كتاب المبالغة

في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائي
والزهد وما يجري مع ذلك وهو:
الباب الحادي عشر من كتاب ديوان المعاني

الفصل الأول

في الشباب والشيب والخضاب وما يتصل بهما

فأول ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي قال: سمعتُ ابن الأعرابي يقول: لا أعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلي على قُرب عهده:

لا تكذبَنَّ فما الدُّنيا بأجمعها	من الشبابِ بيومٍ واحدٍ بَسْدُ
شَرِّخَ الشبابِ لقد أبقيتَ لي أسفاً	ما جدُّ ذكركَ إلا جدُّ لي نُكْلُ ^(١)
كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ	وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ ^(٢)

وأحسن منه عندي قول منصور النمري:

ما تنقضي حسرةٌ ولا جَزَعُ	إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجَعُ
بأنَّ الشبابَ ففاتتني بشرتهِ	صروفُ دهرٍ وأيامٌ لنا خُدَعُ ^(٣)

(١) شَرِّخَ الشباب: أرله. الشكل: فقدان عزيز.

(٢) الغانية: الشابة الحسناء. وفي نسخة: «بالشيب عيباً».

(٣) شيرة الشباب: نشاطه.

ما كنتُ أوفي شبابي كُنهَ غِرَّتِه حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
قوله: «فإذا الدنيا له تبع» من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه، وسمعه الرشيد فقال:
نعم، لا خير في دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب.

وقال محمود الوراق^(١):

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالات والخضاب
كل نعيم وكل عيش قبل الثلاثين يُستطاب
وقال غيره:

فقلت وهل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
وأخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي قال: حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي، قال:
حدثنا محمد بن سلام قال: من كلام يونس بن حبيب:

الكبر وكل عيب، والعزل وكل ذم، والولاية وكل مدح، والشباب وكل صحة، واليسار وكل
فضيلة، والفقر وكل ذلة.

وقال^(٢) ابن المعتز:

لهفي على دهر الصبا القصير وغصنه ذي الورق النضير
وسكره وذنبه المغفور ومَرَحِ القلوب في الصدور
وطول حبل الأمل المجرور في ظل عيش غافل غرير
أغدو وجنى الصبا أميري ملء العيون الغانيات الحور
وقال الحماني:

وأيامه الغرُّ مثل الخطوط في المسك فوق خُدود الحسان
ليالي أنت جُذيل الصبا وأيامه وعُذيق الغواني^(٣)
وقال أيضاً:

أيام كنتُ من الغواني كالسواد من القلوب
فإذا استطعن خبأني بين المخانق والجيوب
وقال^(٤) أبو عبد الله بن المعتز:

يا قلب ليس إلى الصبا من مرجع فاحزن، فلست بمثلِه مفعوجا
وقال^(٥) يصف نفسه في شببته:

(١) هو محمود بن الحسن الوراق: بغدادي خير شاعر له نظم من المواعظ: مات سنة ٢٢٥ هـ.

(٢) ليست في ديوانه.

(٣) جُذيل الصبا: أوائله.

(٤) ديوانه: ٢٦٧. وفيه: «أفنى العزاء هموم قلب مُوجع».

(٥) ديوانه: ٣٠.

من بعد ما قد كنتُ أيّ فتى،
فإذا رأتنِي عَيْنُ غَابِيَةٍ،
ونحوه قوله (٢):

إذا ما تمشت في عَيْنِ خريدةٍ
وقال أعرابي:

سقى الله أياماً لنا وليالياً
إذ العيشُ غَضٌّ والشبابُ بَغَرَةٌ

لهنَّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ
وشاهدُ آفاتِ المحيينَ غائبُ

وإنما آتني بالبيت والبيتين، لأنني أعتمد الفقرة فأوردها، وأقصد النادرة فأكتبها، وأتوخى المعنى الشريف، واللفظ الطريف، فأزفهما إليك، وأجلوهما عليك، ولو تحذقت في المعاني، وأضفت إلى كل شيء منها شكله، وقرنت إليه مثله، أو أكثرت من عدد ما أورده من الأبيات. لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً، وكل باب منه كتاباً كبيراً، حتى يكون جديراً بالإملال والإضجار وداخلاً في حدّ الإكثار والإهذار، ونعوذ بالله منهما.

قلتُ في معنى ابن المعتز:

تذكرُ إذ أنتَ قضيْبُ رطيب
خالطَ ماءَ الحسنِ في وجهه
إذا مشى يخطر في برده
كنتَ قضيْبُ البانِ لم يقتضب
فالهو مُغبرٌ مقاديمه
خذ بنصيب من سرور النسا

عليه للحسن رداءً قشيبُ
ماءُ شبابٍ لم يرقه المشيبُ
غايَرُ فيه الشكلُ حسنُ رطيبُ
وأنتَ من بعدُ قضيْبُ قضيْبُ
مُعَفَّرُ الوجهِ حريبُ سليبُ (٣)

وأول من بكى الشباب، وذمَّ المشيب عبيد بن الأبرص في قوله (٤):

والشيبُ شينٌ لمن أَمسى بساحتهِ
وقال مُزاحم العقيلي:

عزاء على ما فات من وصلِ خلّةٍ
ومثل ليالينا بخطمة فاللوى

وريق شبابٍ سلّةُ الشيبِ منجلي (٥)
بلينَ وأيامَ قصارِ بمأسل (٦)

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله (٧):

(١) في الديوان: «قلت لرائد لحظها: حسي».

(٢) ديوانه: ٤١٧.

(٣) معَفَّر: عليه تراب. الحريب: ماله الذي سلبه.

(٤) ديوانه: ١١١. اللمة: اللحية. الخالي: السابق.

(٥) ريق الشباب: أوله. الخلّة: الصاحبة.

(٦) خطمة، واللوى، ومأسل: من دارات العرب.

(٧) ديوان أبي العتاهية: ٢٣.

كما يعرى من الورق القضيْبُ
فأخبره بما فعل المشيبُ

عريت من الشباب وكان غضاً
ألا ليت الشباب يعود يوماً
وقلت:

ووجه كما لا تشهيه مُشْنَجُ (١)
تغشاه معروف من الصبح أبلجُ
تجلله عُرف من الليل أدعجُ (٢)
تروق وتصبي أو تضرع وتأرجُ (٣)
تخيظ لها كف الغمام وتنسج
لها نكهة كالمسك إيان يُمزجُ

قوام كما شاء المشيب معوجُ
وفرع جلاه الشيب حتى كأنما
وعهدي به بالأمس جونا كأنما
ليالي جاءتك الليالي عرائساً
حسان الوجوه كالرياض أنيقة
رقاق جلابيب النسيم أريجةُ
وقال رؤبة وأحسن في ذلك:

ولا يجدان إذا ما أخلقا (٤)
والشيب لا سوق له إن سُوقاً

كرَّ الجديدان بنا وانطلقا
ولو يبيعان الشباب أنفقا
وقال المقنع (٥) أظنه:

لها في مفرق الرأس انتشارُ
وأحرى أن ينافسهُ التجارُ (٦)

وذات عن هواه البيض بيضُ
جديد واللبيس أعز منه
وقد أحسن الفرزدق في قوله (٧):

ومن قبله عيش تعلل جادبه (٨)

وفي الشيب لذات لخادع نفسه

ومن الشعر الجذل السهل، المطيع الممتع، القريب البعيد، الممكن المتعذر قول
النمري:

وبها الخليط نزولُ
وسرورهنَّ طويلُ
ونحوسهنَّ أفولُ

ومنازل لك بالحمي
أيامهنَّ قصيرةُ
وسعودهنَّ طوالع

(١) مشنَج: متقبض.

(٢) جون: سُود. أدعج: أسود.

(٣) تصبي: تشوق. تأرج: يتضوع ربحها.

(٤) الجديدان: الليل والنهار.

(٥) المقنع الكندي: هو محمد بن عميرة بن أبي عميرة بن أبي شمر: شاعر من أهل حضر موت مولده بها. اشتهر في العصر الأموي، وكان مقنعا كل حياته مات سنة ٧٠ هـ. (الأعلام: ٦/٣٢٠).

(٦) اللبيس: الثوب الخلق.

(٧) ديوانه: ٤٥.

(٨) تعلل: أبدى حجة. جادبه: عائبه.

والمالكية والشبا ب وقينة وشمول^(١)

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول^(٢) البحرى :

وددت بياض السيف يوم لقيني مكان بياض الشيب حل بمفرقي
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله^(٣):

فأصغري أن شيباً لاح بي حدثاً وأكبري أنني في المهد لم أشب
لا تنكري منه تجديداً تجلله فالسيف لا يُدري إن كان ذا شطب^(٤)
ولا يروعنك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب^(٥)
ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم مشيب في ظلام شبية وما حسن ليل ليس فيه نجوم
وقال أبو عبد الله الأسباطي :

لا يرعك المشيب يابنة عبد الله إنما تحسن الرياض إذا ما
وقال الخوارزمي - متأخر :

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجاءك عجب
فقلت لهم : كفوا الملام وأقصروا فإن الكرى عند الصباح يطيب
وهذا معنى ملح أظنه ما سبق إليه .

وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله^(٦) :

يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب يمنعني مراحي
وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً^(٧) فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاح شيبى فرحت أمرح فيه مَرَح الطرف في العذار المحلى
وتولى الشباب فازددت غياً في ميادين باطلاي إذ تولى
إن من ساءه الزمان بشيء لأحق امرئ بأن يتسلى
وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حل بياضه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا
ولو خلت أني إن كففت تحيتي تنكب عني رمت أن يتنكبا

(١) القينة : المغنية الشمول : الخمرة .

(٢) ديوان البحرى : ٢١٣/٢ ع .

(٣) ديوان أبي تمام : ٢٠ .

(٤) في الديوان : « منه تخديداً تخلله » . التخديد : هزل وتشنج . والشطب : خطوط تلمع في السيف .

(٥) في الديوان : « فلا يؤرقك إيماض » . القتير : الشيب أو أوله .

(٦) ديوان جرير : ٧٦ .

(٧) ديوان ابن الرومي : ٨١/٥ .

ولكنْ إذا ما الكرهُ حلَّ تسامحتْ به النفس يوماً كان للكره أذهباً
وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ والمعنى مع
إصابة تشبيهه في قوله:

مرح الطرف في العذار المحلى

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال^(١):

دقة في الحياة تدعى جمالاً مثل ما سمي اللديغ سليماً^(٢)
غرة مرة ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهيماً^(٣)
وقال^(٤) ابن المعتز:

لقد أبغضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخوذ الكعاب^(٥)
وقلت:

فلا تعجبا أن يعبن المشيب فما عبن من ذاك إلا معيباً
إذا كان شيبى بغيضاً إليّ فكيف يكون إليها حبيباً
وقد كنت أرفل برد الشباب قشيباً وأرفل وشياً قشيباً
إذا ملت ملت قضيماً رطيباً وإن صلت صلت قضيماً قضيماً
ومن مليح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه.

قول كشاجم:

ضحكت من شيبة ضحكت في سواد اللمة الرجل^(٦)
ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بالعجله
قلت: من حبيك لا كبر شاب رأسي فانشئت خجله
وثنت جفنأ على كحل هي منه الدهر مكتحله
أكثر منه تعجبها وهي تجنيه وتضحك له
ومن مليح ما قيل في ذلك وغريه قول الآخر:

فظللت أطلب وصلها بتعطف والشيب يغمزها بان لا تفعلني
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب، وكراهة مفارقتها، إذا جاء فأحسن حيث يقول^(٧):
الشيب كره وكره أن يفارقني أحب بشيء على البغضاء مودود

(١) ديوان أبي تمام: ٢٥٧.

(٢) في الديوان: «تدعى جلالاً».

(٣) في الديوان: «غرة بهمة».

(٤) ديوانه: ٨٢.

(٥) الخوذ الكعاب: الفتاة الشابة.

(٦) اللمة: الشعر ما يلي شحمة الأذن.

(٧) الشعر والشعراء: ٧١٤/٢.

فتبعه علي بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيب ثم بكى عليه فكان أعزَّ فقداً من شباب
فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شبأبك بالذهاب
ونقله إلى موضع آخر فقال :

لعمرك للمشيب عليّ مما فقدت من الشباب أشدَّ قوتاً
هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليت الشباب فكان شيباً وأبليت المشيب فصار موتاً
وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشدَّ فقداً» لقوله «فقدت من الشباب» .

وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربه لا يرتضى وفقده لا يُشتهى
قد يشتهي كل امرئ بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
كأنما الشباب كان فرقةً له من الأنفس حبٌ وقلي

وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب :

أكره ضيف، وأبغض طيف، أحب غائب، وأفجع آيب .

وقلت :

تكلف مدح الشيب عندي مُعَمَّرٌ وهل يمدحُ الشيب إلا تكلفاً
فقلت : انظرني أولاً منه مؤلماً لقلب فتى أو آخراً منه مُتلفاً
تصرُّم من عمري ثلاثون حجةً لبست بها ثوب الشباب مُطرفاً
شباب أطار الوجد عني غيابهُ وصرف زمانٍ لم أجد عنه مصيرفاً
أقمت به صدر السرور فلم يزل به الشيب حتى رده مُتحنفاً
فطر بجناح اللهو في زمن الصبا فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناول وخط الشيب أطراف عارضي فأصبح ليلاً بالصباح مُشفاً
ومن المشهور قول^(١) دعبيل الخزاعي :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتج به للمشيب على الشباب، أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش
المرء في الشيب التسعين والمائة، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إن بعد الفقر للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمرٍ وملبساً^(٢)
وقال أعرابي :

(١) الشعر والشعراء : ٧٢٨/٢ .

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس : ١١٨ . وفيه : «بعد الفقر» . ومعناه : بعد الشدة رجاء . والقنوة : ما اقتنته من المال .

ما بال شيخ قد تخذد لحمه
سوداء داجية وسحق مفوف
قصر الليالي خطوه فتداني
والموت يأتي بعد ذلك كله
لا أعرف في وصف الشيب، من أول ما يتبدى إلى أن ينتهي، أحسن من هذا، وقوله
«وكانما يعني بذاك سوانا» من أبلغ ما يكون من الموعظة.
وقلت:

وشباب خف نازله
ومشيب آب نازله
خانني دهر وثقت به
وأشدنا أبو أحمد:

وأنكرت شمس الشيب في ليل لمتي
كأن الصبا، والسمت بطمس نوره،
ومن بديع الاستعارة في الشيب قول^(٢) البحري:
في الشيب زجر له لو كان ينزجر
إبيض ما اسود من فوديه وارتجعت
وللفتى مهلة في الحب واسعة
ولا أعرف في الشيب أجمع من قول^(٤) أبي تمام:
غدا الشيب مختطاً بفودي خطة
هو الزور يجفى، والمعاشر يجتوى
له منظر في العين أبيض ناصع
ونحن نرجيه على الكره والرضا
ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم:
عجبت لما رأتني
غادة ما بين غيد
سبيل الردى منها إلى النفس مهيع^(٥)
وذو الالف يقلى والجديد يرقع^(٦)
ولكنه في القلب أسود أسفع
وأنف الفتى في وجهه وهو أجدع^(٧)

(١) في الأصل: «فتدانا... فتحانا».

(٢) ديوان البحري: ٢٦١/٢ ع.

(٣) في الأصل: «ارتجست». القود: شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٤) ديوان أبي تمام: ١٦٨.

(٥) في الديوان: «طريق الردى». طريق مهيع: واسع. وفي الديوان: «غدا لهم».

(٦) يجتوي: يكره. يقلى: يكره.

(٧) في الديوان: «من وجهه وهو». أجدع: اقطع.

ضحكت إذ أبصرتني قد تزينت لعيد
ثم ناديت جميعاً يا عتيقاً في جديد
غرنا منك خضاب قد تراءى من بعيد
لا تغالطنا فما تصلح إلا للصدود

وقال^(١) ابن الرومي :

فدعته إلى الخضاب وقالت إن دفن المعيب غير معيب
وقال :

عذار كمثل الأتحمي مطرر وفرع كلون العبقير محبر^(٢)
وقد كان من صبغ الشباب ممسكاً فأصبح في كف المشيب مكفر^(٣)
فقل للعدول أقصر الآن إنني على الرغم من أنف الصباة مقصر
كفأك تكاليف الملام كواكب من الشيب في ليل الشبية تزهـر
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح في وجه الدجنة يكشر^(٤)
وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل في قوله :

ما شئت من كبر ولكني أمرؤ عالجت قرع نوائب الدهر
فرايتها عضلاً موقحة عزت فما تسطاع بالكسر
فلذاك صرت مع الشبية نازلاً في غير منزلتي من العمر
ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمحان :

حتتني حادثات الدهر حتى كأنني خاتل أدنولصيد ولست مقيداً أني بقيد
قريب الخطو يحسب من رأيي وقد أحسن الآخر في قوله أيضاً :
الدهر أبلاني وما أبلينته والدهر غيرني وما يتغير
والدهر قيدي بقيد مبـرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر
وقوله : « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة ، عن ازدياد الضعف ، وتقاصر الخطو في كل

يوم .

ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الأعرابي :

قد ترك الدهر عصاتي صفصفاً فصار رأسي جبهة إلى القفا
كأنما قد كان ربعاً فعفاً يمسي ويضحى للمنايا هدفاً

(١) ديوان ابن الرومي : ١٢٥/٢ . والخضاب : صباغ للشعر وغيره .

(٢) الأتحمي : الأسود .

(٣) ممسكاً : ممزوج بالمسك . ومكفر : ممزوج بالكافور وهو طيب .

(٤) الدجنة : الظلام .

ومثله قول الآخر:

ثم حسرت عن صفاء تلمع فأقبلت قائلة تسترجع
ما رأس ذا إلا جبيناً أجمع

ومثله أيضاً:

جلاه عن أهل الهوى قبح انجلا جبين وجهه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي^(١) في معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قفاه إلى وجهه:
يجذب من نقرته طرة إلى مدى تقصر عن نيله
فوجهه يأخذ من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله
وأنشدنا أبو أحمد، عن الصولي لخلف بن خليفة:

وقام إلى رأسه حاذق فصير من رأسه قرعة
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطلعه
فما شوق عيني إلى قرة كشوق يميني للصلعه
يكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفعه
فملنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه
قال مالك^(٢) بن أسماء:

أواري بذّيال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلائس^(٣)
تودّ النساء المبصراتي أنه يعار فيستأجرنه للعرائس
وقلت في مدح الحلق:

قتل الشعر من خفيف ثقيل كثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الحلق راحة وجمال فاشدد الكف بالمريح الجميل
ما أرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل^(٤)

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة، أخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد، عن عبد الرحمن، عن عمه قال: كان يزيد بن الطثيرة زير نساء، يتحدث إليهن فتحدث إلى امرأة من بني أسد فهويها وهويته، فخطبها إلى أبيها فردّه، وخطبها ابن عم له فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول:

لم يبق إلا شبحاً وعظماً وأدمعاً تنهل منها سجماً

(١) البيتان ليس في ديوان ابن الرومي.

(٢) هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري: من فحول الشعراء في العصر الأموي.

(٣) القلائس: جمع القأنوسة: غطاء الرأس، ذئال: ذو ذئيل طويل. الهام: الرؤوس.

(٤) الحسام الصقيل: السيف.

علمت ما بي فجفوت علماً
 منها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول:
 تمثلت بيتاً ثم أذريت دمعاً
 فما أشرف الايفاع إلا صبايةً
 من سَمَّ الوصل تجني الجرماً
 فأتى الزوج أباه فأخبره، فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك وبطنك، فدخل عليها زوجها وهي تقول:

فإن تضربوا ظهري وبطني كلاهما
 فاشدد ذلك على زوجها، وهم بطلاقتها، وخرج مغضباً وإذا يزيد بفنائها وهو يقول:
 تراءت وأستار من البيت دونها
 بعيني مهابة تحدر الدمع منهما
 إلينا وحانت غفلة المتفقد
 بريمين شتى من دموعٍ واثمد
 فجمع أهل بيته وإخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه.
 فقال^(٢) وهو يحلق:

أقول لثورٍ وهو يحلق لمتي
 ترفق بها يا ثورٍ ليس ثوابها
 بعقفاء مردودٍ عليها نصابها
 فيا رب يوم قد تغلل وسطها
 تولى بها ثورٌ تزف كأنها
 وأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت
 وقد أحسن الفرزدق الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله^(٤):

والشيب ينهض بالشباب كأنه
 ولأبي إسحاق الصابي^(٥) أبيات في الصلح لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون:
 لما رمانى الزمان بالصلح
 حاسبت عن لمتي مزينها
 وقل مالي وضاق مُتسعي
 حاسبت عن لمتي مزينها
 بالثلث مما به عملت معي
 قلت له: اقنع من أصل واجبها
 شكوت فيها شكاة مُتضع
 واعمل على أنها مُزارعة
 واستوف مني خراج مُزدرع
 فاحطط خراج الذي أصبت به

(١) الايفاع: الشباب.

(٢) الأبيات في الأغاني: ١٧٨/٢.

(٣) في الأغاني: فراح بها ثور. و«درع خبؤها».

(٤) ديوان الفرزدق: ٣٢٣. وفيه: «في السودا كأنه».

(٥) الصابي: أبو إسحاق: إبراهيم بن هلال الصابي الحراني. ادب ببلغ كاتب مترسل، له نظم رائع. مات سنة

ومما جاء في مدح الصلح، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن ابن الأنباري، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له: إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن منده، وهامة صلعاء، فقال عليه السلام: أما البطن فأسفله طعم، وأعله علم، وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بنى لنا المجد آباء لهم شرف
وقال آخر:

كفى حزناً أني أدب على العصا
ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة
أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا
وقال محمود الوراق في ذم الخضاب:

يشيب الناس في زمن طويل
وأخفي الشيب جهدي وهو يبدو
وقلت:

جريت لعارض غيث الليالي
وصرت تقص ما يبيض منه
تعز عن الشبية واله عنها
وخل الشيب يضحك ناجذاه
وإن حلت غرى اللذات فيه

تحالك لونه فابيض جله
أتحلقه إذا ما ابيض كله
فإن الليل ليس يدوم ظله
فإن الصبح لا يخفى مطله^(١)
فلست بعاقب ما جذ حبله^(٢)

(١) التواجد: واحداً ناجذ. وهي أقصى الأضراس.

(٢) جذ: قطع.

الفصل الثاني من الباب الحادي عشر في ذكر العلل والأمراض والمراثي والتعازي والزهد

أحسن ما قيل في الرمد: قول الوراق، أنشدناه أبو أحمد، عن الصولي قال: وجدتُ مع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، من شعر الوراق بالله في خادم له قد اشتكت عينه:

لي حبيبٌ قد طال شوقي إليه لا أسميه من حذاري عليه
لم تكن عينه لتجحد قتلي ودمي شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال^(١) ابن الرومي أو الناجم:
قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل مسها الوصب^(٢)
حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد، عن الصولي أيضاً:
يكسر لي طرفاً به حمرة قد خلط النرجس في ورده
ما احمرت العين ولكنه يكحلها من وردتي خدّه
أخذه من بعض أهل زمانه:

قالوا بدت في عينه حمرة قد حازها من وردة الخد
فقلت لم يرمذ ولكنه يصافح النرجس بالورد
ومن مليح ما قيل في شكاية الحبيب قول العباس بن الأحف:

زعموا لي أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكمل ما كانت كما يكشف البدر إذا ما قيل تم
ومما قيل في اصفرار اللون من العلة قول^(٣) أبي تمام:

(١) ديوان ابن الرومي: ٤٠٢/١.

(٢) الوصب: التعب.

(٣) ديوانه: ٣٩٣.

معدنُ الحسنِ والملاحِ قد أصـ
لم تشنْ وجههُ الجميلَ ولكنْ
بح للسقَمِ معدِناً وقراراً
جَعَلْتُ وَرْدَ وجنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحاق الطالقاني:

لقد حَلَّتِ الحمى بساحةِ خَدِهِ
فأبدلتِ التَّفَاحَ بالسوسنِ الغَضَّ

والأصل في ذلك، قول عبد بني الحسحاس، أخبرنا أبو أحمد، قال أخبرنا أبو أسحاق الشطبي، قال حدثنا ابن أبي سعيد، قال: حدثنا الخزامي، قال: حدثنا عبد الملك الماجشون، عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون، قال: كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان: إني اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً.

فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي فيه، فإن قصارى الشاعر منهم، أن يهجو أعراضهم، ويشبب بكريماتهم. فاشتراه بنو الحسحاس، وكان يكسرُ في كلامه، فقال يوسف: فحدثني من رآه في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسب ويقول^(١):

ماذا يُريدُ السقامُ من قمرٍ
ما يبتغي خابَ من محاسنها
كلُّ جمالٍ لوجههِ تبعُ
أمالهُ في القباحِ متسعُ
لو كان يبغى الفداءَ قلتُ له
ها أنا دون الحبيبِ يا وجعُ

ثم يقول لنفسه: «أحسبك الله» يريدُ أحسنت. وكان كما حدث عثمان رضي الله عنه. فإنه ما زال يهجو مواليه، ويشبب بفتياتهم، حتى قتلوه فضحكت منه امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها:

فإن تضحكي مني فيا ربَّ ليلةٍ
جعلتك فيها كالقباءِ المفرجِ
وقال أيضاً^(٢):

ولقد تحدَّرَ من جبين فتاتكم
ومن عجب ما يروى له قوله يمدح نفسه:

إن كنتُ عبداً فنفسي حُرَّةٌ كرمأ
وهذا أحسن ما مدح به أسود.

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل، قول أبي نواس الحسن بن هانيء:

يا قمرأً للنصفِ من شهره
أبدى ضياءً لثمان بقين

ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب:

قالوا محمدُ المحمَّدُ مُوجعُ
والشمسُ تُكسِفُ ساعةً وتعودُ

فلئن حِمِمتُ فلا حِمِمتُ فإنها
دأءُ الأسودِ وفي الرجالِ أسودُ

(١) الأغاني: ٣٠٧/٢٢.

(٢) الشعر والشعراء: ٣٢١/١.

(٣) الأغاني: ٣١٤/٢٢.

وهذا عندي أحسن من قول^(١) البحتري :
وما الكلبُ محموماً وإن طال عُمرُهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الوردِ
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته .
وقلت :

وقد سرّني أني رأيتُكَ واطئاً على عقبي داءٍ تراخى فأدبراً
وقد ظلُّ يبغي رائدَ البرءِ مورداً لديك ويغي فارطَ السقمِ مصدراً
ولا غرو أن يغشاك غارضُ علّةٍ فإني رأيتَ الوردَ يغشى الغضنفر^(٢)
ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما كسوفُك إن أمسيتَ بدرأً مُنوراً

ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي^(٣) :
لئن تخطتُ إليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلأً من الألمِ
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٍ طبعاً في صفحتي كلِّ صارمٍ خَدمِ^(٤)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال أيضاً في رجل اعتل :
طال فكري تعجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الأقذاء^(٥)
والحسامُ الهذاذ يزدادُ حسناً كلما زاده الصَّقَالُ جلاءً^(٦)
والرغبة من هذين البيتين في معناهما ، وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه ، والبيت الثاني أصلح ، والبيت الأول متكلف جداً .

وقال عبد الصمد بن المعذل يذكر الحمى :
فطوراً ألقِيها سُخْنَةً وطوراً ألقِيها فِتْرَةً
وقد أعقبتُ خلفي جِدَّةً وأورثني إلفها ضَجْرَةً
فللعبدِ إن غاظني لطمَةٌ وللحرِّ إن ساءني زَجْرَةً
ويربو الطحالُ إذا ما شَبَعَتْ فتعلو الترائب والصدرة
وأمسي كأنني من معدتي لبستُ ثيابي على ذُكْرَةٍ
أسائلُ أهلي عن سحنتي وأمنحهم نظرةً نظره
وأجزعُ إن قيل بي صفرةً وأشفقُ إن قيل بي حُمْرَةً

(١) ديوانه : ٣٤٠/٢ ع .

(٢) لا غرو : لا ضرر . الغضنفر : الأسد .

(٣) النوبختي : علي بن العباس : شاعر محسن اخباري مات سنة ٣٢٤ هـ .

(٤) الصارم الخدم : السيف القاطع .

(٥) الأقذاء : جمع القذى : ما يسقط في العين .

(٦) الحسام الهذاذ : السيف القاطع .

ومن أجود ما قيل في الفصد قول^(١) ابن الرومي :

أيها البدرُ لم تَزَلْ في كمال الأمرِ وفي النماء هلالاً
كيف كانت عقبى افتصادك كانت صحةً مستفادَةً واندمالاً
واعتدالاً بينَ المزاجِ كما أو تيتَ في الخلقِ والخلقِ اعتدالاً
فعلَ الله ذاك أنك ما زل تَ المرضيَ ما ارتضى فعلاً
وفي الفصد، شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر ما مرَّ بي، مختارٌ إلا ما أنشدته لعلي بن عبد العزيز الجرجاني^(٢):

يا ليتَ عيني تحملتُ ألمك وليتَ نفسي تقسمتُ سقمك
أو ليتَ كفَ الطبيبِ إذ فصدتُ عرقك أجرى من ناظري دمك
أعرتُهُ حسنَ وجنتيك كما تعيره إن لثمتَ من لثمك
طرفك أمضى من حدٍّ مبضعه فالحظ به العرقَ واغتنم ألمك
ومن مליح ما قيل في الزكام، ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي، عن أبي ذكوان الجرمي، قال: دعا عيسى بن عليّ عبد الله المقفع إلى الغداء فقال:

أعزك الله لستُ يومي هذا للكرام باكيل. قال ولم؟ قال لأنني مزكومٌ، والزكمة قبيحة الجوار، مانعة من عشرة الأحرار. قال: وكانت عجوز من بني عجل تقول: حُقر من يحقر الزكام. ولم يمر بي في الصداع شيء مليح أثبتته لك غير أنني سمعت لبعضهم أبياتاً في صغر العمامة، حتى أشبهت عصابةً، يعصب بها الصداع وهي هذا الأبيات:

وقدّمتُ إلي وعداً بأنك مُلبسي ثياباً إليهنَّ المحاسنُ تُنسبُ
فلا تكسني منهنَّ إلا عمامةً بأمثالها الأمثالُ في النقصِ تضربُ
يقولُ أناسٌ لي إذا ما لبستها رأسك هذا من صداعٍ مُعصَّبُ
على أن رصفها ليس بمختار.

ولبشار بيت حسنٌ فيه ذكر الصداع وهو وقوله^(٣):

حلُّ من قلبه محلُّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صداعه
وقد قارب الآخر:

لطيرتني بالصداع نالتُ فوقَ منالِ الصداعِ مني
وجدتُ فيه اتِّفاقَ سوءٍ صدعني مثل صدعني

وقلت في المعنى الأول:

(١) ديوان ابن الرومي: ٩٨/٥.

(٢) الجرجاني: علي بن عبد العزيز، الفقيه الشافعي صاحب الديوان المشهور ولي القضاء وكان صاحب فنون توفي سنة ٣٦٦ وقيل ٣٩٦ هـ. (سير اعلام النبلاء: ١٩/١٧).

(٣) ديوانه: ٥٥٤.

يقومُ بقامةِ كنواةِ قسبٍ وينشرُ لحيةَ مثلِ الشراعِ
عليه عمامةٌ قصرتْ ودقتْ فتحسبهُ تعصبٌ من صُداغِ
وقال بعضهم في الجدري :

وجهه للحسنِ معدنٌ فتأملُ وتبينُ
نقطةً من جُدري كد باقي معيّن

وأما النقرس^(١)، فقد مرّ بي فيه أبياتٌ جيّادٌ، أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب، عن محمد بن الفضل بن إسماعيل بن علي عبد الله، أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه إسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يا بني؟ فقال:

أشكو إلى الله ما أصبتُ به من ألمٍ في أناملِ القدمِ
كأنني لم أطأ بها كِبِداً من حاسِدٍ سرَّ قلبه أَلَمي
والحمد لله لا شريكَ له لحمي للأرضِ بعدها ودمي
ما مِنْ صحيحٍ إلا ستنقله الأيامُ من صحةٍ إلى سقمِ

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن المبرد وأبي العيّن، قال: كان أبو علي الحرمازي ناحية عمرو بن مسعدة، وكان يجري عليه فخرج عمرو إلى الشام مع المأمون وتخلف الحرمازي ببغداد لنقرس ناله فقال:

أقامَ بأرضِ الشامِ فاختلَّ جانبي ومطلبهُ بالشامِ غيرُ قريبِ
ولا سيما من مفلسٍ حلفَ نقرسٍ أما نقرسٌ في مفلسٍ بعجيبِ
وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن زكريا، قال: ذكر أعرابي رجلاً قد أثرى فقال: قد تنقرس، وذلك لقول الناس: إن النقرس يعرض لذوي النعمة والترفة، ومنه قول الأعرابي:

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيسِ يخشى عليّ القومُ داءَ النقرسِ

ويقال للرجل العالمِ نقرس، وللداهية نقرس قال المثلّمس:

ويخشى عليك من الحباءِ النقرس.

ومن مליح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي، عن يموت بن المزرع، قال: حضر الجماز عند أبي يوماً، ودخل رجلٌ فقال له: ما أخرجك عنا؟ فقال: أصابني خلفه أما تري وجهي؟! فقال الجماز: ما أبين الاختلاف على وجهك.

وقال المتنبي في الحمى:

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزورُ إلا في الظلامِ

(١)، النقرس: ورم ووجع في المفاصل.

جعلتُ لها المطارفَ والحشايا
إذا ما فارقتنِي غسَّلتنِي
وهذا البيت معيب، لأن الغسل غير مقصور على الحرام وحده، بل هو من الحلال والحرام جميعاً، فليس لتخصيص الحرام به وجه.
وقلت في حمِّي نالتني:

وأخبر أني رحت في حلة الضني
تنفضني الحمي ضحي وعشية
تذر علي الورس في وضح الضحي
إذا انصرفت جاء الصداع مشمراً
وتجعل أعضائي عيوناً دوامعا
فتحسبه طلاً على أقحوانة
ولما تماردت عذت منها بحمية
وما منهما إلا بلاء وفتنة

من مرض لمرض الجفون:

أنشدني أبو أحمد، عن الصولي قال: أنشدني أبو عبيد الله ابن عبد الله لنفسه:
وقلت: شهيدي ما بطرفي من السقم
فقد كان ذاك السقم في صحة الجسم
وقال غيره:

أحببت من أجله من كان يشبهه
وقد جلبت بجسمي سقم مقلته
وقال الأخطل:

كيف يضي بعد ما كان
قال (٥) ابن الرومي وقد مرض فتخلف اخوانه عن عيادته:
عليكم لا يعاد من عللة
لا إن جفوت دنا الممات ولا
ما ضرر مجفوكم جفاؤكم
ن الضني عوناً لعينه
وضيفكم لا يسد من خللة
إن زرتم تنسون في أجله (٦)
بالأمس في جسمه ولا أمله

(١) الدجن: الظلام. قادمة النسر: الريشات الأمامية في جناحه.

(٢) السجم والهمر بمعنى السكب.

(٣) الطل: الندى. الحجاب: الفقايع.

(٤) الرمضاء: شدة الحر.

(٥) ديوانه: ١٣٦/٥.

(٦) تنسون: تؤجلون.

وأنشدني أبو أحمد، عن الصولي، لمحمد بن محمد بن إبراهيم اليزيدي:

ما لي مرضتُ فلم تعدُ ورغبتُ فيك فلم تعدُ
الحبُّ يذهبُه الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعرٌ مطبوعٌ مختار، والبيت الأخير مأخوذٌ من قول الأعرابي:
فإنني رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى إذا اجتمعَا لم يلبث الحبُّ يذهبُ
وقلت:

وقد عادني الإخوانُ من كلِّ جانبٍ وما قصروا في العرفِ والفضل والبرِّ
فلَمْ لم تكنْ فيهم فيكمل حسنهم أيا ظالماً أخلَى النجوم من البدرِ
وإذ كنتُ لم تنهض إليَّ ولم تكد فلم لم تسلْ عني فتخبر عن أمري
ومالك لم تبعث إليَّ بأسطُرٍ تمجمجها إحدى يمينك في ظهرِ
تضنُّ بتسليم وزرة ساعةٍ فكيف يُرجى جودُ كفيك بالوفرِ
فإن كنتُ لا تبقى على الحالِ بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعرِ
إذا لم تكونوا للحقوقِ فمن لها وأنتم كرامُ الناسِ في البدو والحضرِ
وأنت إذا أنحيَتْ تفري أديمها فما ذنبُ ذي جهلٍ فرى مثلَ ما تفري
وما لعداةِ العلمِ تذكرُ عيهم وأنت على أمثالِ غايرهم تجري

ومن الغريب البديع مدحُ الموت وهو قول^(١) ابن الرومي:
قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا للموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
فيها أمانٌ لقائه بلاقائه وفراقُ كلِّ مُعاشِرٍ لا يُنصفُ
ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله^(٢) أيضاً:

بات الأميرُ وبان بدرُ سمائنا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ
ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأول:

ألم يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهلها صروفُ
صريعٌ لم يُوسِّدْه قريب ولم يشركه في الشكوى أليفُ
يظل كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجولُ على محاسنهِ كسوفُ
ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة.

ومن عجيب ما جاء في وصف المصيبة قول حذيفة بن اليمان:
إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر.
وهذا قول مصيبٌ لا يُتَمَارَى به ومنه أخذ قوله:

وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزنُ

(١) ديوانه: ٢٦٤/٤.

(٢) ديوان ابن الرومي: ٢٢٤/٤.

ولا أعرف في التعزي عن المصيبة، كلاماً أحسن تقسيماً، من قوله الأعرابي ومات له ثلاثة بنين، في يوم واحد، فدفنهم وعاد إلى مجلسه، فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً فليمن على ذلك فقال:

ليسوا في الموت ببدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد، ولا جدوى للجزع فعلام تلوموني.

فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها.

وعزى رجل رجلاً، وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها، فقال أعظم الله أجرك فيما أباد وأجزل فيما أفاد:

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى، كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب: أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي قال: قيل للرشيد إن عبد الملك بن صالح، يُعد كلامه، ويفكر فيه، فلذلك بانت بلاغته، فأنكر ذلك الرشيد، وقال: هو طبع فيه، ثم أمسك حتى جاء يوماً، ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع: إذا قرب من سريري، فقل له ولد لأمر المؤمنين في هذه الليلة ابن، ومات له ابن فقال له الفضل في ذلك، فدنا عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، سرك الله فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكرين، وأجر الصابرين. فلما خرج، قال الرشيد: هذا الذي زعموا أنه يتصنع للكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط. وعزى أعرابي رجلاً فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها.

وأحسن ما قيل في مدفون، قول^(٢) ابن الرومي في بستان جارية أم علي بنت الراس:

لله ما ضمنت حفيرتها من حسن مرأى وطهر مختبر
أضحت من الساكني حفايرهم سكنى الغوالي مدهن السرير
لو علم القبر من أتيح له لانخفض القبر غير محتفر
وهذا البيت مأخوذ من قول الأول:

لو علم القبر من يوارى تاء على كل من يليه
وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداء قول^(٣) أوس بن حجر:

أيتها النفس أجمل جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا
وأحسن مرثية لمحدث ابتداء قول^(٤) أبي تمام الطائي:

أصم بك الداعي وإن كان اسمعا وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا^(٥)

(١) في الأصل: «بديع».

(٢) ديوانه: ٢٢٣/٣.

(٣) ديوان أوس: ٥٣.

(٤) في ديوان أبي تمام: «الناعي». مغنى: منزل. بلقع: خال.

(٥) ديوانه: ٣٣٤.

فقال فيها:

فَنِي كَانَ شَرِباً لِلْعُقَاةِ وَمَرْتَعِي فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَةِ الْبَيْضِ مَرْتَعاً^(١)
إِذَا سَاءَ يَوْماً فِي الْكَرْيَةِ مَنْظَراً تَصَلَاةُ عِلْماً أَنْ سِيحْسُنُ مَسْمَعاً
فَإِنْ تَرَمَ عَنْ عُمَرٍ تَدَانِي بِهِ الْمَدَى فَخَانِكَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَنْزَعاً
فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَأَقَى ضَرْبَةً فَقَطَعَهَا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَعَا

وقالوا: أرثي بيت قالته العرب، قول متمم بن نويرة^(٢)، في أخيه مالك، قتل في الردة، قتله خالد بن الوليد:

أخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، قال: كان متمم^(١) بن نويرة، قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده، فقيل له: يموت أخوك بالملا وتبكي على قبره بالعراق! فقال:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذاري الدموع السوافك

وهذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي الفاظه زيادة على معناه:
أمن أجل قبرٍ بالملا أنت نائحٌ على كلِّ قبرٍ أو على كلِّ هالكٍ
فقلت له: إن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبرُ مالك^(٣)
يقول: قد ملأ الأرض مصابه عظماً، فكأنه مدفون بكل مكان. وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت.

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد، عن ابن الأنباري، عن ثعلب عن الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز، وهو عندي من أرثي ما قيل:

لهني عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجيرُ
عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجورُ
فالناس ماتهم عليه واجدٌ في كلِّ وادٍ رنةٌ وزفيرُ
يشني عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جديرُ
ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشورُ

والصحيح أن يقول «منشور» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم.

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث:

على قبره بين القبور مهابةٌ كما قبلها كانت على صاحبِ القبرِ
وقالوا بل قول الآخر:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيبُ ترابِ القبرِ ذلٌّ على القبرِ

(١) العفاة: طالبو المساعدة. المرتع: موضع الاستجمام.

(٢) متمم بن نويرة: من ثعلبة بن يربوع له أخبار مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) الشجي: الحزين. ومالك أخو متمم قُتل في حرب الردة.

وقالوا أرثاه قول^(١) ابن مُنَازِر:

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مصّ الثرى بعده بقية الماء من العود

وأخبرنا أبو أحمد، قال: سمعت محمد بن يحيى، قال: سمعت محمد بن يزيد يقول:
لو سُئِلْتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم اختر على أبيات الخريمي:

ألم ترني أبني على الليث بنية وأحني عليه الترب لا أتخشع
وأعدته ذخراً لكل مُلِمة وسهم المنايا بالذخائر مُولع
وأني وإن أظهرت مني جلادة وصانعت أعدائي عليه لموجع
ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتُه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثي بيت قول عبدة:

فما كانَ قيسٌ هُلكهُ هُلك واحد ولكنهُ بُنيانُ قوم تَهْدُما
وقال خلف الأحمر أرثي بيت:

الآن لما كنت أكمل من مشى وتكاملت فيك المروءة كلها
وقال الأصمعي أرثي بيت للعرب:

ومن عجب أن بتّ مستشعر الثرى وزدت بما زودتني مُتمتعاً
ولو أنني أنصفتك الودّ لم أبت خلافاً حتى ننطوي في الثرى معنا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين^(٢) بن مطير:

فتى عيشٍ معروفه بعد مَوْتِه كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعاً
وفي هذه القصيدة:

أيا قبرَ معن كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتُ للسماحة مضجعا
ويا قبرَ معن كيفَ وارتيت شخصه ولو كان حياً ضقتُ حتى تصدعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى وأصبحَ عرنيين المكارم أجدها^(٤)

وأنا أقول: إن هذه الأبيات أرثي ما قيل في الجاهلية والاسلام.

وقالوا: أرثي بيت قيل قول مهلهل في كليب:

(١) ابن مُنَازِر: محمد بن مُنَازِر البربوعي . أبو جعفر، شارع كثير الأخبار مدح البرامكة والرشيد . مات سنة ١٩٨ هـ .

(٢) القارح: من ذوي الحافر الذي ظهرت أنيابه .

(٣) في الأصل: «الحسن» .

(٤) الأجدع: الأقطع .

نَبْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ إِذَا لَمْ يَنْبَسُوا
وَكَانَ كَلِيبُ إِذَا أَوْقَدَ نَاراً، لَمْ يَوْقِدْ أَحَدٌ نَاراً، وَلَمْ يَنْزِلْ ضَيْفٌ إِلَّا عَلَيْهِ، وَإِذَا جَلَسَ
مَجْلِساً، لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا هُوَ.

وقالوا: أحسن ما قيل في المراثي قول^(١) متمم بن نويرة في أخيه مالك:
وَكُنَّا كُنْدُمَانِي جُذِيمَةً حَقَبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ تَتَّصِدَعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَانِي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
وَلَيْسَ فِي الْمَحْدَثِينَ أَحْسَنُ مَرَاثِي مِنْ أَبِي تَمَامٍ فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٢):

غَدَا غَدَوَةٌ وَالْمَجْدُ نَسَجُ رَدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ^(٣)
فَأَبْتُ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجُلُهُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَيَّةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ
فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ لَهَا جَمِي وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ
كَأَنَّ نَبِيَّ نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
مَضَى طَاهِرُ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلْسَحَابِ صَنِيعَةً بِإِسْقَائِهِ قَبْرًا وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ^(٤)

ولولا كراهة الإطالة، لأوردت القصيدة كلها، إذ ليس فيها إلا مختار.

وقوله^(٥) في إدريس بن بدر السامي^(٦):

إِدْرِيسُ ضَاعَ الْمَجْدُ بَعْدَكَ كُلُّهُ وَرَأَى الَّذِي يَرْجُوهُ بَعْدَكَ أَضْيَعُ
وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضُرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَتَبْسُطُ كَفَاً فِي الْخُطُوبِ كَأَنَّمَا أَنَامَلُهَا فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ أَذْرُعُ^(٧)
وَلَمْ أُنْسَ سَعْيَ الْجُودِ حَوْلَ سَرِيرِهِ بَاكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ وَيُظْلَعُ^(٨)
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَابِسَ الصَّبْرِ حَازِماً فَقَدْ صَارَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ^(٩)

(١) الشعر والشعراء: ٢٥٤/١.

(٢) ديوان أبي تمام: ٣٢٨.

(٣) ديوان أبي تمام: «والحمد نسج». وفي الأصل: «أكفانته أجر».

(٤) في الديوان: «احتمالي للغيوث».

(٥) ديوان أبي تمام: ٣٣٢.

(٦) هو إدريس بن بدر من ولد سامة بن لؤي.

(٧) في ديوان أبي تمام: «في الحقوق».

(٨) يظلم: يغمز في مشيته.

(٩) في ديوانه: فأصبح يُدعى.

وقوله في بني حميد^(١):

عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيما الشماتة إعلاناً بأسد وغى
وقوله أيضاً:

إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلي من بعد الأسى والجوى قفا
ألماً فهذا مصرع البأس والندى
ألم تريا الأيام كيف فجعننا
خطون إليه من نداءه وبأسه
وقد كثرت علي محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك.
وقد أحسن القائل:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الفأل حين رزقته
وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام:
وجفن سلاح من معد رزته

والبيت:

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أنسأته لياليا
وكان وجه الكلام أن يقول: «وفي جوفه ذو حفيظة من دارم». فقال أبو تمام وزاده زيادة
أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله^(٢) في ابنين لعبد الله بن طاهر قد
ماتا صغيرين في يوم واحد:

نجمان شاء الله أن لا يطلعا
إن الفجعة بالرياض نواضراً
لو ينسيان لكان هذا غارباً
لهفي على تلك الشواهد فيهما
لغدا سكونهما ججاً وصباهما
إلا ارتداد الطرف حتى يافلاً
لأجل منها بالرياض ذوابلاً
للمكرمات وكان هذا كاهلاً^(٤)
لو أمهلت حتى تكون شمائل^(٥)
جلماً وتلك الأريحية نائل^(٦)

(١) ديوان أبي تمام: ٣٣٢.

(٢) في الديوان: ٣٤٣. «وحسب البكا إن قلت». والأبيات كلها في الديوان.

(٣) ديوان أبي تمام: ٣٣٩.

(٤) لو ينسيان: لو يؤخر الله أجلهما.

(٥) في الأصل: «قد أمهلت».

(٦) الجحجا: العقل. الأريحية: سعة الصدر. النائل: العطاء.

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ
ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ (١):

إِنْ تَرَزَّ فِي طَرْفِي نَهَارٍ وَاحِدٍ
فَالثَّقَلُ لَيْسَ مَضَاعُفًا لِمَطْيَةِ
ثُمَّ قَالَ أَيْضًا:

شَمَخْتُ خِلَالَكَ أَنْ يُوسِيكَ أَمْرُؤُ
إِلَّا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمْحَةٌ
هَلْ تَكْلُفُ الْأَيْدِي بِهِزَ مُهْنِدٍ
وَقَالُوا: لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَرْتَبَةٌ أَجُودُ مِنْ قَصِيدَةِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ، الَّتِي يَرْتِي فِيهَا أَخَاهُ
أَبَا الْمَغْوَارِ وَيَقُولُ فِيهَا (٢):

أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أُمْرَةٌ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلُمُ رَيْنَ أَهْلَهُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضْمَنَ رَحْلُهُ
فَتَى أُرِيحِي كَيْفَ يَهْتَزُّ لِلْنَدَى
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيَجِيبُهُ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
وَحَدَّثْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ بِالْفَرَى
وَقَالَ فِيهَا:

وَدَاعَ دَعَانَا مِنْ يَجِيبِ إِلَى النَّدَى
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفُضِ الصَّوْتِ مَسْمَعَا

وَمِنْ عَجِيبِ الْمَرَاثِي قَوْلُ الرَّقَاشِيِّ فِي الْبِرَامِكَةِ (٣):
الْآنَ اسْتَرَحْنَا وَاسْتَرَاخَتْ رَكَابُنَا
وَقُلُّ الَّذِي يَجْدِي وَمَنْ كَانَ يَجْتَدِي

(١) ديوان أبي تمام: ٣٣٩.

(٢) في الأصل: «سَمَخْتُ خِلَالَكَ». و«أَوْ كَانَ يَذْكُرُهُ».

(٣) الأصمعيات: ٩٥.

(٤) يُوُوبُ: يعود.

(٥) الكَثِيبُ: المرتفع من الرمل.

(٦) الرقاشي: الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي. شاعر مجيد من أهل البصرة مدح الخلفاء ثم انقطع إلى البرامكة مات سنة ٢٠٠ هـ.

والبرامكة: أسرة فارسية الأصل تولى الوزارة عدد كبير منهم. كجعفر بن يحيى.

فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي
ودونك سيفاً برمكياً مُهنّداً

ومن جيد المراثي قول الآخر:

سأبكيك للديناء وللدين أنني
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
رأيت يد المعروف بعدك شلت
وليث إذا ما المشرفة سلّت^(١)

وقد أحسن أبو الحسن الأنباري القول في ابن بقية^(٢) حين صلب:

علو في الحياة وفي الممات
كأن الناس بعدك حين قاموا
بحق أنت إحدى المعجزات^(٣)
وفود نذاك أيام الصلات

وهذا البيت مأخوذ من وقول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي:

وصلوا عليه خاشعين كأنهم
كأنك قائم فيهم خطيباً
قيام خضوع للسلام عليه
وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم جميعاً
ولما ضاق بطن الأرض عن أن
أصاروا الجو قبرك واستنابوا
فلم أر قبل جذعك قط جذعاً
عن الأكفان ثوب السافيات^(٤)
تمكن من عناق المكرمات

ومن جيد ما قيل في عظم شأن الميت قول^(٥) ابن المعتز:

هذا أبو القاسم في نعشه
وقول^(٦) أبي تمام:

بني مالك قد نبّهت حامل الثرى
رواكد قيد الكف من تناول
قبور لكم مستشرفات المعالم^(٧)
وفيها علا لا يرتقى بالسالل^(٨)

وقلت:

(١) المشرفة: صفة السيوف.

(٢) هو محمد بن محمد بن بقية. أبو الطاهر. والبيتان في وفيات الأعيان: ١٢٠/٥.

(٣) وفي رواية: «لحق تلك».

(٤) السافيات: التراب. انظر الأبيات في وفيات الأعيان: ١٢٠/٥. وفي رواية: «واستعاضوا عن».

(٥) ديوان ابن المعتز: ٣٤٤. وفيه: «كيف تسير».

(٦) ديوان أبي تمام: ٣٤٤. وفيه: «نبّهت حامل».

(٧) مستشرفات: مرتفعات.

(٨) في الأصل: «رواكد قيس».

سائل القبرَ كيف أضمرتَ قدساً
من رأى البدرَ بالترابِ توارى
وقال ابن المعتز وأحسن^(١):

تعالوا نَزُرْ قبرَ السّماحةِ والرّفدِ
لقد عشتَ لم يعلُقْ بفعليكَ ذمّةً
وقال أيضاً:

ألسَ ترى موتَ العليّ والمحامدِ
وللدّهريّ أيامٌ يُسَنَّنُ عوامداً
وقال دعل بن علي الخزاعي:

حَنَطَتُهُ يا نَصْرُ بالكافور
هَلّا ببعضِ خلالهِ حَنَطَتُهُ
وقلت:

على الرغم من أنف المكارم والعلی
ألم ترَ أن البأسَ أصبحَ بعدهُ
فمرا على قبرِ المسودِ وانظرا
فإن يكُ واره الترابُ فكبرا
ولا تسأما نوحاً عليه مُكرراً
فما كان قيسُ هلكهُ هلكُ واحدٍ
ولا تحسبا أني أورايهِ وحدهُ

ومن بارعٍ المراثي قول ديك الجن الحمصي:

ماتَ حبيبٌ فمات ليثٌ وغازٍ بحرٌ وبأخِ نجمٌ
سَمَتَ عيونُ الرّدى إليه وهي إلى المكرماتِ تسمو
ما أمك اجتاحتِ المنايا كل فؤاد عليك أمٌ
ومما جاء في صفة القبر قول الشاعر:

وَرَسَمُ دارٍ مُقفَرُ الجنابِ يزدادُ عُمراناً على الخرابِ
وقالوا أصدق ما قيل في صفة الدنيا قول^(٥) أبي نواس:

(١) أبان ويذبل وحراء: أسماء لجبال.

(٢) ديوانه: ١٦٥.

(٣) ديوان ابن المعتز: ١٦٥. ويسن عوامد: تسيء وتحسن.

(٤) الفقر والبلقع: الخلاء. المغنى: المنزل.

(٥) ديوان أبي نواس: ٤٦٥.

وأباناً وَيَذْبُلًا وحراء^(٦)
أو على ذروة النعوشِ تراءى

ولا نعتذرُ مع دمعِ عينٍ على خدٍ
ومُتَّ على رغمِ المحامدِ والمجدِ

وكيفَ دَفَنّا الخلقَ في قبرٍ واحدٍ
ويحسنُ، إن أحسنُ، غيرِ عوامدِ^(٧)

ورفعتُهُ للمنزلِ المهجورِ
فيضوعُ أفقِ منازلٍ وقبورِ

غدثُ دارهِ قفراً ومغناه بلقعا^(٨)
أشَلُّ وأنَّ الجودَ أصبحَ أجدها
إلى المجدِ والعلياءِ كيف تخشعا
على الجودِ والمعروفِ والفضلِ أربعا
ونوحاً لفقدِ العارفاتِ مُرجعا
ولكنّه ببيانُ قومٍ تضعضعا
ولكنني واريتهُ والنّدى معا

إذا امتحن الدنيا ليبُّ تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وهو مأخوذ من قول^(١) جرير في وصف النساء:

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق
وقال بل أصدق ما قيل في صفة الدنيا قول الأول:

خُتوفها رَصْدٌ وعيشها نَكْدٌ وصفوها رَتَقٌ وملُكها دُولٌ^(٢)
وقلت:

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها فأنت في عَرْضِ الدنيا ترغبها
دارٌ إذا أتت الآمالُ تعمُرُها جاءت مقدمة الآجالِ تخربها
أصبحت تطلبُ دنيا لست تدركها فكيف تُدركُ أخرى لست تطلبها؟!

ومن جيد ما قيل^(٣) في الزهد قول ابن المعتز:

نسِيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ وأيامنا تطوى وهنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانِيُّ باطل
وقلت:

الست ترى موتَ العلا والفضائل فكيف غروبَ النجم بين الجنادل^(٤)
فما للمنايا أغفلت كلَّ ناقصٍ ونقبت في الآفاق عن كلِّ فاضل
على الرغم من أنفِ العلا سبق الردى بكلِّ كريمِ الفعلِ حرَّ الشمائل^(٥)
علي أن من أبقتُه ليس بخالدٍ وليس امرؤ يرجو الخلود بعاقِل
رأيت المنايا بين غادٍ ورائحٍ فما للبرايا بين ساهٍ وغافل^(٦)
ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرةً ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كباطل

وقال ابن المعتز: ^(٧)

كم بدارِ الموتِ من ذي إزبةٍ عجزت منه على الموتِ الحيلُ
ومُلوكٌ بليت أيديهم ولقد كانت مطايا للقبل
وقلت:

فتعجبت كيف لا نحذرُ الموتِ تَ وأنفاسنا خُطانا إليه

(١) ديوان جرير: ٣٠٥.

(٢) الحتوف: المصائر والآجال. والرتق: ضد العتق.

(٣) الجنادل: الحجارة.

(٤) الردى: الموت.

(٥) الغدو والرواح: الذهاب صباحاً ومساءً.

(٦) ليسا في ديوانه.

(٧) ليسا في ديوانه.

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير، معدوم الشبيه، لا أعرف لأحد مثله، وهو:
أيها المستدل على أمور الدنيا، كفاك بها على نفسها دليلاً، ويومها لك من غدها تشبيهاً
وتمثيلاً، تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها، وأثبتت لك الصانع بآثار صنعه فيها،
ووقفتك على معرفة كمالها، بما توافى فيك من أجزائها، ودلتك بتحليل المركبات فيها، على
انحلال تركيبها، ووقفتك بقطع الشمس والقمر قطرها على إدبارها وانقطاعها، فكشف لك انتهاء
حدودها عن تناهي أمدها، وأبان لك دُؤوبُ اطراد نهارها وليلها، وتتابع دوران بروجها ونجومها،
وتعاقب أزمنة بردها وحرها واعتدالها، وحرركات نيرانها ورياحها ومياهها، أنها مسوقة محثوثة إلى
أمدها، كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال:

وتحدث ما تخوفك به طوارق أحداثها، وتوطنك على إيطان جثمانها، حدثاً من أحداثها،
لا تمسك منها بعروة إلا شهدت على أشكالها، فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها، أو عظة
أشفى وأبلغ من عظتها، أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها، بالفناء على نفسها، ألم تر أجزاءها
مؤتلفة بالاجتماع، مختلفة بالطباع، يهلك بعضها بعضاً ويعود إبرامها نقضاً، فيا ناسياً للصخر
وتهدمه، وللحديد وتسلمه، واثقاً ببقاء لحمه ودمه، ومساعفاً لشبقه وقرمه^(١) اذكر أن جسدك وشيكاً
مفارقك، وأنه وإن جدته مخلقتك، وأنت تطلقه في شهواته ويوثقك، وتبقى عليه من التعب
ويوبقك، فقيم تشتغل به عن مصلحتك، وعلام تتكل في عقيبك، إلى أن قال:

وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته، وبغناته ووضوح آياته،
وغموض ميقاته، وانخزال المحالة عن دفعه، ويأس النفوس من منعه، عند غوصه عليها في
الأبدان، وتخليله لها من الأعظم والأعصاب، والعروق واللحم والإهاب^(٢)، حتى يسوقها من
الأعماض والأوصال، سياق مضيق للحناق، محقق للفراق مؤيس من التلاق، عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً، وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة، وفي
الجوانح رجرة، وفي اللهوات غرغرة، وفي الحلقوم خرخرة، بالنزع الجاذب، والعلن
الكاذب، والفواق الدائب، الانفاس الذواهب، فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء، وفي سمعه
وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى، ونساء أياض^(٣) وأمواله نهى، وجموعه شتى، ووجوه الشامتين
به مشرقة، والدموع من أحبته مستبقة، والجيوب عليه مشققة، والشعور مقطعة، والخدود باللطم
مبقعة، وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل.

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول^(٤) النمر بن تولب:
تدارك ما قبل الشباب وبعبده حوادث أيام تمر وأغفل

(١) الشبق: شهوة الجماع، القرم: شهوة اللحم.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) أياض: جمع أيم: المرأة لا زوج لها.

(٤) البيت الثاني في كتاب المعاني الكبير: ٢١٧/٣.

يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة يفعل
يُردُّ الفتى بعد اعتدالِ وصْحَةٍ ينوءُ إذا رام القيامَ ويحملُ
وقيل لرجل من الأوائِل: ما كان سبب موت أخيك؟ قال: كونه.

فأحسن ما شاء. وقال بعضهم في معناه:
ما بال من آفته بقاؤه نغص عيشي كله فناؤه
وقال آخر في نحوه:

فإنَّ الداء أكثر ما تراه من الأشياء تحلو في الحلوق
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول^(١) ابن الرومي:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيرُ كما عندي
توفى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد^(٢)
طواه الردى عني فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعد
عجبت لقلبي كيف لم ينفرط له ولو أنه أقسى من الحجر الصلبد
وما سرّني أن بعتته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد
ولا بعتته طوعاً ولكن غصبتَه وليس على ظلم الحوادث من مُعدي
وأما موت الأخ، فقد روي فيه خبراً مليحاً، أخبرنا به أبو طاهر، محمد بن يوسف، قال:
أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر، قال: حدثنا أيوب بن سليمان، قال حدثني يوسف
قال: حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل بن عياش، عن
عبد الله بن دينار، قال: قدم لقمان من سفر، فلقى غلاماً له فقال له: ما فعل أبي؟ قال: مات.
قال: ملكت أمري. فما فعلت أمي؟ قال: ماتت قال: ذهب همي قال: فما فعلت أختي؟ قال:
ماتت. قال: سرت عورتي قال: فما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت قال: جدد فراشي قال: فما فعل
أخي؟ قال: مات. قال: أوه انقطع ظهري. انتهى.

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع كيف قال
مطيع بن إياس^(٣) فأنشده:

يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدُموع الذوارف السُّفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأ قدار لم تبتكر ولم ترح
يا خير من يحسن البكاء له ال يوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح
فبكى المنصور ثم قال: صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر، ثم أذن للناس فدخلوا ونصبت

(١) ديوان ابن الرومي: ١٤٥/٢.

(٢) في الديوان: «توخى حمام».

(٣) هو مطيع بن إياس الكنانى، أبو سلمى، شاعر مخضرم بين الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً، ماجناً اتهم بالزندقة. مات سنة ١٦٦ هـ. والأبيات في الأغاني مع ترجمته: ٢٨٩/١٣.

الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذي كان خامره فقام شبيب بن شيبه فأنشده قول الثقيفي في ابنه علي ، وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله بسر بن أرطأة^(١) فقال يرثيه :
 لعمرى لقد أودى ابنُ أرطأةَ فارساً بصنعاء والليث الهزبر أبي الأجر
 تأمل فإن كانَ البكا رَدَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
 فسرى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثي قول^(٢) الأشجع :
 مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشْرِقُ ولا مغربٌ إلا له فيه مادحُ
 وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناس حتى غيبتهُ الصفائحُ
 فأصبحَ في لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيّقُ الأباطحُ
 سأبكيك ما فاضتْ دُموعي وإن تغض فحسبك مني ما تحنُّ الجوانحُ
 كأنَّ لم يمتْ حيٌّ سِوَاكَ ولم تقم على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
 لئن حسنتُ فيك المراثي وقلها لقد حسنتُ من قبل فيك المدائحُ
 وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعُ ولا بسرورٍ بعد موتك فارحُ^(٣)
 وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال : أنشدنا العقدي ، قال : أنشدنا أبو جعفر
 عن المدائني لعرفجة بن شريك يرثي أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفِي سَروَاتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخِره
 فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير أنه حمى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
 وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخم وقد ضاقَ بالنكس اللثيم مصادره
 فصادفَ رق الموتِ حرّاً سميدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
 حمى أنفه أوس ولم يشن وجهه ويفني الحياء المرءَ والرمح شاجره
 ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله^(٤) :

وقد كانَ فوت الموتِ سهلاً فردّه عليه الحفاظ المرءُ والخلق الوعرُ

وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال :
 أما بعد فإن استطعت أن يكون شركك لله حين أخذه ، أكثر من شركك لله حين وهبه فافعل ،
 فإنه حين قبضه أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه ، وتلهفك
 على فراقه ، أراضيت الدار لنفسك ، فترضاها لولدك ، أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت معلقاً
 بالخطر . والسلام .

(١) بسر بن أرطأة العامري القرشي ، أبو عبد الرحمن ، فتاك من الجبارين تولى على البصرة لمعاوية سنة ٤١ هـ .
 وغزا بالبحر مات سنة ٨٦ هـ . (الأعلام : ٥١/٢) .

(٢) الأبيات في وفيات الأعيان : ٨٩/٤ .

(٤) البيت في ديوان أبي تمام : ٣٢٨ .

(٣) الرزء : المصيبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمدّه، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المختارين وسلم.

هذا كتاب المبالغة

في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو:

الباب الثاني عشر منه فأول ذلك

القول في الحنين إلى الأوطان

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال: قال أبو سرح: سمعني أبودلف أنشد:

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيرانا بجيران
فقال: هذا الأم بيت قالته العرب.

قال أبو هلال رحمه الله: النزوع ههنا رديء والجيد النزاع، وإنما جعل أبودلف هذا البيت الأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية، وشدة قساوة، وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة، من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل.

وقالت الحكماء:

حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد.

وقال بزرجمهر:

من أمارت العاقل بره بإخوانه وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.

وقال أعرابي: لا تشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيها قوايلك.

وقالت العرب:

أكرم الخيل أشدها خوفاً^(١) من السوط، وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب، وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها، وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها، وأكرم الناس آفهم للناس.

وقد بين الله تعالى فضل الوطن، وكلف النفوس به في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾^(٢) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾^(٤). فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم. وقال بعض الحكماء:

الخروج من الوطن أحد السبايين والجلأ أحد القتلين.

وقال يحيى^(٥) بن طالب:

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقةً دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى وما ازددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثيرٌ من العرب ممن يُعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش.

وقال الحارث بن ظالم:

رفعت الرُمح إذ قالوا قُريشُ وشبهت الشمائل والقبابا^(٦)
ولو أني أطاوعُ كنتُ فيهم وما سirtُ أتبع السحابا
وقال الحويدرة^(٧):

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع
والأمرع: جمع لا واحد له من لفظه، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف، وإعطاء الفقير، وصلة المسكين وابن السبيل.
وقال^(٨) أبو تمام:

(١) «خوفا» ليست في الأصل.

(٢) سورة النساء: آية ٦٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٨٤.

(٤) سورة الحشر: آية ٣.

(٥) هو يحيى بن طالب الحنفي، من بني ذهل شاعر غزل مات سنة ١٨٠ هـ. (الأعلام: ١٥١/٨).

(٦) في الأغاني: «رفعت السيوف» و«بينت الشمائل والعتابا».

(٧) في الأصل «الخويدرة» وهو غلط. والحويدرة أو الحادرة شعر جاهلي مقل واسمه قُطبة الثعلبي.

(٨) ديوان أبي تمام: ٤٠٧.

كم منزل في الأرض يألّفه الفتى وحينئذ أبدأ لأول منزل
وقد قالت الهند:

حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبوك، لأنّ غذاءك منهما وغذاءهما منك.
وقال آخر:

أرض الرجل ظئره^(١) ودار مهده.

وقال آخر:

الحنين إلى الوطن ورقة القلب من رقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة من كرم
الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشد، وطهارة الرشد من كرم المحتد.
وقال الشاعر:

لقرب الدار في الاقتار خير من العيش الموسّع في اغتراب
وقال جالينوس^(٢):

يتروح العليل بنسيم أهله، كما تتقوت الحبة ببل المطر إذا أصاب الأرض.
وقال أفلاطون^(٣):

غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها. وقال: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلع
إلى هوائها وتنزع إلى غذائها.

وقلنا: ليس الإنسان أفنع بشيء منه بوطنه، لأنه يتبرم بكل شيء رديء ويتذمّم من كل
شيء، كربه، إلا من وطنه وإن كان رديء التربة، كربه الغذاء، ولولا حبّ الناس للأوطان،
لخرب أخابث الأرض والبلدان.

وقال الشاعر:

ألا ليت شعري هل تحنّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جعد
وهل تنفضّ الريح أفنان لمتي على لاحق الأطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسمي مزاحم وقد ضربته نفحة من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لأجلها وليس له في ذلك امام إلا أحمد بن إسحاق

الموصلّي فإنه قال:

أحبّ الأرض تسكنها سليمي وإن كانت بواديهما الجدوب
وما دهري يحب تراب أرض ولكن من يحلّ بها حبيب
وقال^(٤) ابن الرومي:

(١) الظئر: الركن الشديد والمأوى.

(٢) جالينوس: من علماء اليونان.

(٣) أفلاطون: فيلسوف يوناني كبير.

(٤) ديوان ابن الرومي: ١٩/٦.

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمةً
فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنهُ
وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وقد ضامني فيها اللثيم وغرّني
فإن أخطأتني من يمينك نعمة
وقلت في نحو ذلك :

ثوى في حفرة العانات يمينُ تغلغل في المنازل والرّباع^(١)
وإن تهو البقاع فليس غرواً هوى أهل البقاع هوى البقاع
وقال^(٢) ابن الرومي :

فإذا تصوّر في الضمير وجدتهُ وعليه أفنانُ الشبابِ تميّد
وقل لأعرابي : كيف تصنع بالبادية ، إذا اشتدّ القيظ ، وانتعل كل شيء ظلّه؟ فقال : وهل
العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلاً ويرفض عرقاً ، ثم ينصبّ عصاه ويلقي عليها كساءه ، ويجلس
يكتال الريح ، فكأنه في إيوان كسرى . وذكر أعرابيُّ بلدهُ فقال : رملَةٌ كنت جنين ركامها ، ورضيع
غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت في غير أهلِكَ ، فلا تنس نصيبك من الدّل . وقال الشاعر في
معناه :

نصيبك من دَلٍّ إذا كنت خالياً

وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر في التناثي فكانَ الخيرُ أكثر في التداني
ذكرتُ مقامنا بسراة حُزوى فسرت مع الوسواس في عنان^(٣)
ألا لله حُزْمٌ واصطبارٌ تقاسمه بنياتُ الزّمان
عزيزُ أضمّرتهُ نوى شطون عزيزُ إلى العزيز إذا تبوّى
فظلُّ من المهانة في ضمان^(٤) بمنزل غربةٍ طرف الهوان

وقال آخر

يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنُّ النجيبُ إلى عطنه .
وقلت :

(١) ثوى : أقام .

(٢) ديوانه : ٢٧٠ / ٢ . وفيه : « فإذا تمثّل في الضمير رأيتُهُ » .

(٣) حُزوى : موضع .

(٤) شطون : بعيد .

فليس مكاني في النهي بمكين
غنيتُ بخفضٍ في ذراهٍ ولين
وغصن ثناه بالغداة يميني^(١)

كما سُرَّ المسافر بالإياب
غنياً عن مطالعة السحاب

فسرَّ أن جمع الأوطان والمطرا

وفضَّل بعضهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى:
﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال: فقسم الحاجات فجعل أكثرها في البعد.
وقال تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال: فاخرج الكلام مخرج العموم، ولم يخص أرضاً دون أرضٍ، ولا قريباً دون بعد،
ويُشَدُّ في هذا المعنى قول^(٤) أبي تمام:

وطولُ مُقام المرء في الحيِّ مُخلِقٌ لِدِباجَتِهِ فاغترِبْ تتجدَّدِ
فإنِّي رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ حُبَّةً إلى الناسِ إذ ليستَ عليهم بسرمدِ
وقال في الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة: الراحة عقله، والبركات
في الحركات، ومن غلى دماغه في الصيف، غلت قدره في الشتاء. وقال عبد الله بن وهب: حبُّ
الهوينا يكسب الضنى.

وقال أبو المعافى^(٥):

وإنَّ التواني أنكحَ العجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرا
فراشاً وطياً ثم قال لها اتكي

(١) الأصائل: جمع الأصل. بعد العصر.

(٢) ابن المولى: محمد بن عبد الله بن مسلم، شاعر متقدم مجيد، مخضرم بين الدولتين الأموية والعباسية.
الأغاني ٢٨٦/٣٣.

(٣) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٤) سورة الجمعة: آية ١٠.

(٥) ديوانه: ٩٠.

(٦) أبو المعافى: هو يعقوب بن إسماعيل بن رافع. شاعر من أبناء العصر العباسي مات سنة ١٨٠ هـ.

وقال نُهيك بن أساف:

أُمُّ نُهَيْكٍ إِرْفَعِي الطَّرْفَ صَادِقاً ولا تِيأَسِي أن يَثْرِي الدَّهْرُ بَائِساً^(١)
سِيغْنِيكَ سَعِي فِي الْبِلَادِ وَغَرِبَتِي وبَعْلُ التِّي لَمْ تَحْظَ فِي الْبَيْتِ جَالِساً^(٢)
وأخبرنا أبو أحمد، عن ابن دُرَيْد، عن أَبِي حَاتِمٍ عن الْأَصْمَعِيِّ قال: قال أَكْثَمُ بن صَيْفِي:
ما يودني أَنِي مَكْفِي، وَأَنِي أَسْمَنْتُ وَأَلَيْنْتُ، قِيلَ وَلَمْ ذَاكَ قَالَ مَخَافَةَ عَادَةِ الْعَجْزِ. وفي الْحَدِيثِ
المَرْفُوعِ «سَافِرُوا تَغْنَمُوا». (٣)

وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة:

فإن تَأْتِيَانِي بِالشِّتَاءِ وتَلْمَسَا مكان فَرَاشِي فَهُوَ بِاللَّيْلِ بَارِدُ
وقال آخر:
أَبْيَضُ بَسَامٍ بَرُودٌ مُضْجَعُهُ واللقمَةُ الْفَرْدُ مَرَاراً تُشْبِعُهُ
وقال الحطيثة يهجو القعود والراحة^(٤):
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيَّتِهَا واقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
وقال أبو عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ^(٥):
وقَدْ سَأَلْتُ فَمَا أُعْطِيتُ مَرْغَبَةً وَكَانَ حَقِّي أَنْ أُعْطِيَ وَلَمْ أُسَلِّ
أَرْمِي بَظَنِي وَلَا أَعْدُو الْخَطَاءَ بِهِ فاعْجَبْ لِأَخْطَاءِ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ^(٦)
أَسِيرٌ إِذْ كُنْتُ فِي طَوْلِ الْمَقَامِ بِهَا أَكْدِي لِعَلِّي أَجْدَى عِنْدَ مُرْتَحِلِي
شَرْقٌ وَغَرْبٌ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ بِمَا طَالِبْتُ فِي ذَمَّانِ الْأَيْتِقِ الذَّمِّلِ^(٧)
وَلَا تَقُلْ أُمِّمٌ شَتَّى وَلَا فَرْقٌ فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ^(٨)
وقال بشار بن بُرْد:
تَخَافُ الْمَنَايَا إِذْ تَرْحَلُ صَاحِبِي كَأَنَّ الْمَنَايَا فِي الْمَقَامِ يَنَاسِبُهُ^(٩)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى:

(١) في الأغاني: «الطرف صاعداً».

(٢) في الأغاني:

سِيغْنِيكَ سِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وبَعْلُ التِّي لَمْ تَحْظَ فِي الْحَيِّ جَالِسِ

(٣) رواه الإمام أحمد بلفظ: «سافروا تصحوا: ٣٨٠/٢».

(٤) ديوان الحطيثة: ١٠٥.

(٥) ديوانه: ٣٠٤/٢ ع.

(٦) في الديوان: «فما أعدو».

(٧) الذملان: السير اللين.

(٨) في الأصل: «ولا شقق».

(٩) ديوان بشار: ١٤٤. وفيه: «يخاف المنايا إن ترجلت... تناسبه».

وكم من ردٍ أهله لم يرم
والأول أجود سبكاً وأفصح لفظاً.

وأخبرنا أبو أحمد، عن الجوهرى، عن أبي زيد، قال: قال أبو الحسن: كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمه أصابتهم، في كل يوم يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً فليل لأعرابي: لو أتيت خالداً فإنه يطعم الأعراب فقال:

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت	هزلاً بحرّان تعاوى كلابها
فقد خبر الركبان أن جديده	تباح ورغفانا شباعاً رغابها
وماء فراتٍ ما اشتهت وقرية	تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاع رُغفان خالد	بأرواح نجدٍ ما أقام تُرابها
إذا باحت بالعرمتين وصارة	رياح الخزامى حين تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد، قال: حدثنا أبو بكر بن دريد، قال: حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال: لما قدم بغايني^١ نمير، كنت كثيراً ما آتيهم، فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح، فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فإذا شاب جميل، قد نهكه المرض فليس به حراك وإذا هو ينشد:

ألا يا سنى برقي على قلل الحمى	ليهنك من برقي على كريم
لمعت اقتداء الطوف والقوم هُجِع	فهيجت أسقاماً وأنت سقيم ^(١)
فهل من مُعير طرف عين خلية	فإنسان طرف العامري كريم
رمى قلبه البرق اليماني رمية	بذكر الحمى وهناً فبات يهيم

قال: إن فيما بك لشغلاً عن الشعر. قال: صدقت ولكن البرق أنطقني.

وقال عبد الله بن محمد الفقعي:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة	بسلع ولم تغلق علي دروب
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه	حصان أمام المقربات جنيب
يحول السراب الطلح بيني وبينه	فيبدو لعيني تارةً ويغيب ^(٢)
فلإني لأرعى النجم حتى كأنني	على كل نجم في السماء رقيب
وأشاق للبرق اليماني إذا بدا	وأزاد شوقاً إن تهب جنوب

وله أيضاً:

ومن حاجتي لولا الحياء وأنني
مسيرى مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك اللذات عندهم
وقال أعرابي:

(١) سقيم: مريض.

(٢) يحول في الأصل «يجب».

أُمُتْ رِبَاً أَصْبَحْتَ فِي رَامَهُرْمَزِ
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مَصْعِداً إِنَّ قَلْبَهُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمَى
تَفُوقَتْ ذَرَاتُ الصَّبَا فِي ظِلَالِهِ
إِذَا هَبَّ عُلُوِّي الرِّيحِ اسْتَمَالَنِي
وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ قَوْلَ الْآخِرِ:

إِذَا عَقَدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا
فَمَا لَكَ قَدْ أَقَمْتَ بِدَارِ دُلٍّ
تَبْلُغُ بِالْكَفَافِ فَكُلُّ شَيْءٍ
وَقَالَ (١) امْرُؤُ الْقَيْسِ:

وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى
وَقَالَ (٢) الْبَحْتَرِي:

وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ مُمْلِكًا

أَلَا كُلَّ كَعْبِي هُنَاكَ غَرِيبُ
مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُصْعِدِينَ جَنِيبُ
لِيَحْلُو بِسَمْعِي ذِكْرُهُ وَيَطِيبُ
إِلَى أَنْ أَتَانِي بِالْفِطَامِ مَشِيبُ
كَأَنِّي لَعُلُوِّي الرِّيحِ نَسِيبُ

فَلَيْسَ يَحْلُهُ غَيْرُ الْقَضَاءِ
وَدَارُ الْعَزِّ وَاسِعَةُ الْفَضَاءِ
مَنْ الدُّنْيَا يُؤُولُ إِلَى انْقِضَاءِ

رَضِيتُ، مِنْ السَّلَامَةِ، بِالْإِيَابِ

فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ سَلِيمًا

(١) ديوانه: ٧٣.

(٢) ديوان البحتري: ١/٢٧٠ ع. وفيه:

وَمِنْ الصَّبَابَةِ أَنْ يَبِيتَ سَلِيمًا

رَاضٍ مِنَ الْهَجَرِ الْمُبْرَحِ بِالنَّوَى

فصل في مدح الاخوان

من أحسن التشبيه في مدح الأخ ما (١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد:

أخ لي كأيام الحياة إخواؤه
إذا عبت منه خلة فهجرته
تلون ألواناً عليّ خطوبها
دعني إليه خلة لا أعيبها
وقال (٢) البحتري:

قدمت فأقدمت الندى يحمل الرضا
وجئت كما جاء السحاب محرّكاً
فعدت بك الأيام وهي كواكب
وما أنس لا أنس اجتذابك همّتي
فيا خير مصحوب إذا أنا لم أقم
وكتب بعضهم: لست أدم من أيا مني إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها.

وقريب من المعنى الأول وقول الآخر:
خليل إذا ما جئت أبغيه حاجة
بلوت رجالاً بعده في إخوانهم
وقال دعل بن علي:

أخ لي عاداه الزمان فأصبحت
متى ما تذوقه التجارب صاحباً
وقال إبراهيم ابن العباس:

ومؤمل للنائبات إذا

رجعت بما أبغي ووجهي بمائه
فما ازددت إلا رغبة في إخوانه
مذممة فيما لديه المطالب
من الناس رده إليك التجارب

هبّ الزمان باذره هبّا

(١) «ما» ليست في الأصل.

(٢) ديوانه: ٢٥٦/٢.

(٣) في الديوان: «جاء الربيع».

(٤) في الديوان: «الأيام زهراً كأنما». الكواعب: الفتيات الحسنات.

(٥) في الديوان: «وترتبي أخص المراتب».

لما رأني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا
وقال^(١) أيضاً:

ولكنَّ الجوادَ أباهشام وفيَّ العهدِ مأمونُ المغيبِ
بطيُّ العهدِ ما استغنيت عنه وظلَّاعٌ عليك مع الخطوبِ
والبيتُ الأخيرُ يشيرُ إلى قول جرير:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى

ونحوه قول^(٢) إبراهيم أيضاً:

أسدٌ صارَ إذا هيجتهُ وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا
وقال أيضاً:

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين إخوانه مالٌ
رأى خلَّةً منهم تُسدُّ بماله فسامهمُ حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضاً:

بدا حينَ أثرى بإخوانه ففلل عنهمُ شباه العدمِ
وذكره الحزمُ غبَّ الأمور فبادرَ قبلَ انتقال النعمِ

ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم: ما شخصتُ حتى شخص عقلي فصار عدليك،
واستقل ودي فأضحى زميلك، ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر النوى بك وتحقق الأمانى
فيك ولك.

وقال^(٣) أبو تمام:

ليالي نحنُ في غفلاتٍ عيش كأنَّ الدَّهرَ منها في وثاقٍ^(٤)
وأياماً لنا وله لدانا عرينا في حواشيها الرِّقاقِ^(٥)
وفي هذا الموضع أيضاً قوله:

أأيامنا ما كنتِ إلا مواهباً وكنتِ بإسعافِ الحبيبِ حبائباً^(٦)
سنغربُ تجديداً لعهدك في البكا فما كنتِ في الأيام إلا غرائباً
وقلت في فضل الصديق على القريب:

(١) الأغاني: ٤٤/١٠.

(٢) الأغاني: ٦٥/١٠.

(٣) ديوان أبي تمام: ١٨٩.

(٤) في ديوانه: «سنبكي بعده غفلات عيش».

(٥) في الأصل: «لنا ولهم»، و«عريباً في».

(٦) البيتان في ديوان أبي تمام: ٢١.

وليسَ بالقربى عن الود غنى
يزينُ في السلم ويكفي في الوغى^(١)

من أخ ذي كفاية وغناء
يعتريه وزينة في الرخاء

بأرض الأعادي بعض ألوانها الربد
ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول^(٣) النابغة:

على شعثٍ إيُّ الرجال المهذبُ

صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
مُقارِفُ ذنبِ مَرَّةٍ ومجانِبُه
ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشارِبُه

فلربَّ مُفتضح على النص
إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معائبه

رأيتُ بالودَّ عن القربى غنى
وصاحب الودَّ حُسامٌ منتضى
وقلت أيضاً في قوله:

ليسَ حَدُّ الحسامِ أكفى وأغنى
وأخ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ
وقال شبيب بن البرصاء^(٢):

إذا المرءُ أغراه الصديقُ بدا له
ولستَ بمستبيحٍ أخاً لا تلمَّه
وقال^(٤) بشار بن برد:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً
فَعشْ واحداً أو صلِّ أخاك فإنَّه
إذا أنتَ لم تَشربْ مراراً على القذى
وقال آخر:

ألبسَ أخاك على تصنُّعه
ما ظلتُ أفحص عن أخي ثقةً
وقال آخر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
وكتب الصاحب في فصل:

وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس الماء، ولم يرق الهواء، ولم ترع الحقوق والذمم
ولم يعرف المجد والكرم، أخلاقٌ جدُّ غير أخلاق، لا تأخذ الأيام جدَّتْها، ولا تهجُّ الليالي
بردَّتْها.

ومن جيد ما قيل في إظهار الرغبة في الإخوان قول^(٥) أبي فراس بن حمدان:
قل لإخواننا الجفافة: رويداً! إذ رجونا إلى احتمال الملال!^(٦)

(١) في بعض النسخ: «وصاحب الصدق».

(٢) هو شبيب بن يزيد، ابن البرصاء: شاعر إسلامي بدوي، كان هجاءً، مات سنة ١٠٠ هـ. (الأعلام: ١٥٧/٣)

(٣) ديوانه: ٤٧.

(٤) ديوانه: ١٤١.

(٥) ديوانه: ٢٣٠.

(٦) في الديوان: «قل لأحبابنا» وفيه: «درجونا على».

إن ذاك الصدودَ من غير جُرمٍ
أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا!
وقلت في معناه:

كم قد منحتك حسناً
ترى يضرك أن لو
لا تبلىنا بصدودٍ
بل ما لنا منك بُدٍ

وأنشد أبو أحمد:

أذكر أخانا تولى الله صحبته
الله يعلم أني لست أذكره
وقال الخريمي:

أخ لي كذوبُ الشهدِ طعمُ إخائه
كأمنية الملهوفِ حزماً ونائلاً
له نعمٌ عندي ضعفتُ بشكرها
تحمل عني شكرها فأراحني

وأنشدنا أبو أحمد، قال: أنشدني أبو إسحاق الشطبي قال أنشدنا حماد الرواية:

تصفحني إخواني بعين عناية
وأرضاك عفو الشكر دون اجتهاده
ومن مليح ما قيل في مدح الزمان:

رَقَ الزَّمانُ لفاقتي
فأنالني ما أشتهي
ورثي لطول تحرُّقي
وأراحَ مما أتقي
فلأغفرن له الكثير من الذنوبِ السُّبقي
حتى جنايته بما
فعل المشيب بمفرقي

(٦) في الديوان: «مطمعاً بالوصال».

(٢) في الديوان: «وفي فعالكم أو أسيئوا».

(٣) كزود: شاق.

في ذم الاخوان والرفقاء وما يجري مع ذلك

من قديم ما يروى في ذلك قول^(١) لبيد بن ربيعة:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
وضمَّنه جحظة البرمكي فقال^(٢):

قومٌ أحاولُ نيلهمُ فكأنني
قمٌ فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّني
وأُنشدنا أبو القاسم عن العُقدي عن أبي جعفر لأبي الشيص^(٤):

صاحبُ كان لي وكنتُ له
كنا كساقٍ يمشي بها قدمُ
حتى إذا دانتِ الحوادثُ منْ
أحوَلْ عني وكان ينظرُ منْ
وكانَ لي مؤنساً وكنتُ له
حتى إذا استرفدتُ يدي يدهُ

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين:

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصحٌ
لسانك لي شهدٌ وقلبك علقمٌ
أراك إذا لم أهو شيئاً هويتهُ
عدوك يخشى صولتي إن لقيتهُ
وكم موطن لولاي طحت كما هوى

(١) ديوان لبيد: ٣٦.

(٢) الأكناف: جمع الكنيف وهو المأوى.

(٣) الأبيات مع ترجمته في وفيات الأعيان: ١٣٣/١.

(٤) الأبيات في العقد الفريد، ونسبتها إلى ابن أبي حازم العقد: ٣٤٧/٢.

كَأَنَّكَ إِنْ قِيلَ ابْنُ عَمِّكَ غَانِمٌ شَجَّ أَوْ عَمِيدٌ أَوْ أَخُو مَغْلَةٍ جَوِي
بَدَا مِنْكَ غَشٌّ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أَمْ مُدَوِّي
وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ، قَالَ: أَخْبَرْنَا الصُّوْلِيَّ، قَالَ: أَخْبَرْنَا أَبُو ذَكْوَانَ عَنْ
الرِّيَاشِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ، يَقُولُ دَخَلَ رَجُلٌ الْكُوفَةَ، فَزَلَّ بِأَلِ عُطَارِدٍ فَلَمْ يَضِيفُوهُ وَرَأَى لَهُمْ
أَبْنِيَّةً عَالِيَةً فَقَالَ ارْتَجَالًا:

تَنَاهَوْا بَرَفِ الدُّورِ حَتَّى كَأَنَّهَا جِبَالٌ وَمَا شَدَى بِخَيْرِ شَعَابِهَا
فَلَيْسُوا بِفَتَيَانَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنْ فَتَيَانَا تَسْوَى ثِيَابِهَا
فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَضْيَافُ آلِ عُطَارِدٍ خِمَاصًا مَطَايَاهَا خَفَافًا عِبَابِهَا^(١)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لِعَمْرِي لَقَدْ أَعْطَيْتُ بُرْدًا وَحُلَّةً وَعِرَاكٌ مِنْ ثَوْبِ السَّمَاحَةِ سَالِبُهُ
فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ فَمَا تَسْتَطِيعُهُ وَمَا يَكُ مِنْ شَرٍّ فَإِنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ يَزِيدُ الْمَهْلَبِيُّ^(٢):

فَإِذَا غَنَيْتُ فَكُلْهُمْ لِي خَاتِلٌ وَإِذَا افْتَقَرْتُ فَكُلْهُمْ لِي جَافِي
وَمَا أَكْثَرَ أَحَدٌ فِي ذِمِّ الزَّمَانِ إِكْثَارَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ فَمَنْ جَيِّدُ قَوْلِهِ:

كَمْ أَخٌ كَانَ مِنْي فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ جَفَانِي جَفَانِي^(٣)
مُسْتَعْدٌّ لِي بِسَهْمٍ فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ رَمَانِي رَمَانِي

وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِحْذَرْ مَوْدَّةَ مَا ذِيقِ شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ^(٢)
يُحْصِي الْعَيُوبَ عَلَيْكَ أَيْدِيَّ سَامَ الصَّدَاقَةِ لِلْعِدَاوَةِ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:

بَلَوْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانِ وَكُلُّ بُلُومٍ وَذِمٌّ حَقِيقٌ
فَأَوْحَشَنِي مِنْ صَدِيقِي الزَّمَانِ وَأَنْسَنِي بِالْعَدُوِّ الصَّدِي
وَقَوْلُهُ:

أَخُ كُنْتُ آوِي مِنْهُ عِنْدَ أَذْكَارِهِ إِلَى ظِلِّ آبَاءٍ مِنَ الْعَزِيزِ بَاذِخٍ
سَعَتْ نَوْبُ الْأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَقْلَعَنْ مِنَّا عَنْ ظُلُومٍ وَصَارِخٍ
وَلِإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا كَمَلْتِمَسٍ إِطْفَاءً نَارٍ بِنَسَافِخٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْجَعْفَرِيِّينَ:

(١) المطايا الخصاص: الضامرة. كناية عن بخلهم.

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير قائد، تولى خراسان بعد أبيه. وعزله عبد الملك، توفي سنة ١٠٢ هـ.

(الأعلام: ١٨٩/٨).

(٣) الأغاني: ٦٧/١٠.

(٤) شاب: مزج.

إِنَّ الجديدين في طولِ اختلافهما
لا يفسدان ولكن أفسد الناس^(١)
قد يُركبُ الدبر الدامي بأحلاس^(٢)
قالوا هو من قول زفر بن الحارث^(٣):

وقد ينبت المرعى على دَمَن من الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا^(٤)

قالوا: يعني الرجل يظهر لك الود، ويضمّر خلافه كالنبات الحسن، ينبت على القدر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن، وقال آخرون: الدمنة حيث تنزل الأبل فتدمن بالأبوال والأبعار، فلا تنبت شيئاً فإذا طال عليه العهد، وسفته الرياح، وأصابته السماء، نبت بعد حين، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت، ويتغير بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير، وهذا التفسير هو الصحيح، لأن ألفاظ البيت تقتضيه الأول فاسدٌ لأنه ليس على مقتضاها.

وقال^(٥): أبو فراس بن حمدان في ذم الإخوان فأجاد:

تناساني الأصحاب، إلا عُصِيَّةٌ
فمن قبل كان الغدر في الناس سُبَّةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه
ومن ذا الذي يبقى على الدهر؟ إنهم
وصرنا نرى أن المتارك مُحسنٌ
أقلّب طرفي لا أرى غير صاحبٍ
وقلت:

إلى كم تسمترُ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثل فعلي
ألا أني لأعرف كل شيءٍ
عريت من الوفاء وليس بدعاً
فإن ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كان التقارب ليس يُجدي
ولا ترعى حقوق الأصدقاء
فنصبح في الوداد على استواء
سوى خلق الرعاية والوفاء
لأنك قد عريت من الحياء
فخير سبيلنا ترك اللقاء
فما الاجدء إلا في التنائي

(١) الجديدان: الليل والنهار.

(٢) أحلاس: جمع جلس: كساء يوضع على ظهر البعير.

(٣) هو زفر بن الحارث الكلابي، من التابعين، وكبير قيس في زمانه. مات سنة ٧٥ هـ. والبيت في العقد الفريد: ٤٩٩/٥.

(٤) دمن: جمع دمنة: أثر الذر والناس.

(٥) ديوان أبي فراس: ٢٣٢.

(٦) في ديوان أبي فراس: «خليله... وخلي».

(٧) في الديوان: «وإن الذي يبقى».

وأنشدنا أبو أحمد، قال^(١) أنشدني ابن لنكك البصري لنفسه بدم الزمان:

يا زماناً ألبس الأحـ رارَ ذلاً ومهانـ
لست عندى بزمان إنما أنت زُمانـ

وقلت:

زمانٌ كثوب الغول فيه تلونُ فأولهُ صفو وآخرهُ كدرُ
وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حُللاً تصان على رجال وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ
يقولون الزمان به فسادُ وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبّ الأعالي بارتفاع الأسافل

وقال أبو الشعر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزمان وأهله تـقل لـاعبُ هذا وليس بلاعبِ
وأنشدنا الآخر أيضاً:

تبدل هذا الدهر فيما رجوتـه على أنه فيما أحاذره نـدب

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود:

لا تعجبـنك عماـمتي فالـفقرُ من تحـتِ العـمامـة
والـفقرُ في زمـنِ اللـثـا مـ لكل ذي كرم علامـه

وقلت في قريب منه:

وليس ينـفـك كـشـخـانُ يجاذبنا علامة الحرّ أن يبلى بكشخان^(٢)

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه:

ربّ قد ضاقت النفـو سـُ وقد قلّت الحـيـلُ
فلـك لا يدورُ إلا بما تشـهـي السـفـلُ

وقال أبو تمام^(٣):

على أنها الأيام قد صرّـن كلـها عجائب حتى ليس فيها عجائبُ

ومن عادة الأيام أن صـروـفـها إذا سرّ منها جانبٌ ساء جانبُ^(٤)

وقال قابوس بن وشمكير:

(١) البيتان في الأعجاز الإيجاز: ٢٧٠.

(٢) الكشخان: الديوث.

(٣) ديوان أبي تمام: ٣١٤.

(٤) صروف الدهر: نوائبه.

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرْنَا هل عاندَ الدَّهْرُ إلا من له خطُرُ
فإن تَكُنْ نَشِيتُ أيدي الزمانِ بنا ومَسْنَا من تمادي بُؤْسِه ضَرُرُ
ففي السماءِ نجومٌ غير ذي عدد وليس يُكسَفُ إلا الشَّمْسُ والقَمَرُ^(١)
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرُرُ
وقريب من هذا ما قلته :

إن كنت تسلم من شغبِ الزمانِ ولا أعطى السلامة منه كلما شغبَا
فالعاصفاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ حطمنه وتركَنَ البقلَ والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال : أنشدنا جحظةُ البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتُ حالي حقوقهمُ عني
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم مني
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوي^(٢) :

لِي خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأميرٍ^(٣)
لبسوا الوفرَ فلم أخلعَ بهم ثوبَ الفقيرِ
كلهم كالِ لِي الحر مانَ بالصَّاعِ الكبيرِ
ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله^(٤) :

سألتُ قفيزين من حنطة فجدتَ بِكَرٍّ من المنعِ وافي^(٥)
وقد تقدم .

وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالك بُدُّ من مداراته
أصبحت في دارِ إسأته أعداد أنفاسي وساعاته
وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري^(٦) :
ليتكَ أدبتني بواحدة تقنعني منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لي لا تبرئني أبداً فإن فيها برداً على كيدي^(٧)

(١) وفي رواية : « لا عداد لها » .

(٢) العطوي : محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، كان معتزلياً من المتكلمين له شعر في النيذ وفي الفتوحات .
مات سنة ٢٥٠ هـ .

(٣) البيتان الأولان في خاص الخاص : ١٢٧ .

(٤) ديوانه : ٢٣٥ / ٤ .

(٦) أبو الأسد : هو نباتة بن عبد الله بن الحمانى الشيباني ، شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من أهل الدينور ، وكان
هجاءً مزاحاً . والأبيات مع ترجمته في الأغاني : ١٣١ / ١٤ .

(٧) في الأغاني : « تحلف أن لا تبرئني » .

اشفِ فؤادي مِنِّي فإنَّ به
إن كانَ رزقي إليك فارمِ به
فكيفَ أخطأتَ لا أصبتَ ولا
لو كنتُ حُرّاً كما زعمتَ وقد
لكنني عُدتُ ثم عُدتَ فإن
قد صرتُ من سوءِ ما بليتُ به
وقلتُ:

العين تذرِف والفؤاد يذوبُ
ولقلة الكرماء أنت مُضَيِّعُ
تالله لم تخطئك أسباب الغنى
فاصبر فقد عزَّاكَ عن دركِ الغنى
عابوا قطوبي ان تعذّر مطلبي
وشحوب جسمي من مواصلة السرى
ولقد يدُلُّ على كمال كرامتي
ولقد جلا حزني وفرّج كربتي
لا تلعبنُ فمن ورائك طالبُ
وقال أبو تمام:

هَبْ من له شيءٌ يُريدُ حجابَهُ
ما زالَ وسواسي لقلبي خادعاً
ما إن سمعتُ ولا أراني سامعاً
ما كنت أدري لا دريت بأنه

عليّ قرحاً نكأته بيدي^(١)
في ناظري حيةً على رصدٍ
نهضت من عشرة إلى سدِّدٍ
كددتني بالمطالِ لم أعد^(٢)
عدتُ إلى مثلِ هذه فعد
أكني أبا الكلْبِ لا أبا الأسدِ

والوجد يحضر والعزاء يغيبُ
ولكثرة الجهال أنت غريبُ
إلا لأنك عاقلٌ وأديبُ
أن ليس يدركه أغرٌ نجيبُ
أرايتَ بدرّاً ليس فيه قطوب^(٣)
هل من هلالٍ ليس فيه شحوبُ
أنني إلى قلبِ الكريم حبيبُ
أن اللثيم لرؤيتي مكروبُ
ومن العجائبِ لأعبُ مطلوبُ

ما بال لا شيءٌ عليه حجابُ
حتى رجا مطراً وليس سحابُ
يوماً بصحراءٍ عليها بابُ
يجري بأفنية البيوتِ سرابُ^(٤)

(١) في الأغاني: «مني جرحاً نكأته». ونكا: قشر.

(٢) المطال: المماطلة.

(٣) القطوب: العبوس.

(٤) السراب: ما يتوهمه الرائي عن بعد.

فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الإنجاز

أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا الصولي قال: حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال: حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال: كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك في حاجة لرجل فقال عده عني قضاءها فقال: وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة؟ فقال له يحيى: هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب، إن الحاجة إذا لم يتقدمها موعد ينتظر به نجاحها، لم تتجاذب الأنفس بسرورها، ولم تتلذذ بتناولها، وإن الوعد تطعم والإنجاز طعام. وليس من فاجأه طعام، كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه، ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع، ولطف محل، وحلاوة ذوق.

وأخبرنا أبو أحمد قال: حدثنا الصولي قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلي قال: أخبرنا البحري عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال: سألت الفضل بن سهل^(١) حاجة فقال: أسوفك اليوم بالوعد، وأحبوك غداً بالإنجاز، فإني سمعت يحيى بن خالد يقول: المواعيد شباك الكرام، يضطادون بها محامد الإخوان، وإن كان المعطي لا يعدد لارتفعت مفاخر إنجاز المواعيد، وبطل فضل صدق القول. وقال عيسى بن ماهان لجلسائه: إني أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالإنجاز من جملة المخلفين، وأدخل في عداد الوافين، ويؤثر عني كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكرت.

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي. قال: أخبرني عون بن محمد قال: ذكر العتابي المأمون فقال: إن ألقح معروفه عندي بالوعد ونتجه بالنجح، وأرضعه بالزيادة، وشيبه بالتعهد، وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به.

ومن عجيب ما جاء في الحث على الإنجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال: حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال: شكا رجل جعفر بن يحيى إلى أبيه بأنه وعده ومطله به. فوقع: يا بني أنتم معاقل الأحرار، ومظان المطالب، ومعادن الشكوى، فكونوا سواء في الأقوال والأفعال، فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقه وينفقه، قبل ملكته، فإن

(١) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون، وصاحب تدبيره، وكان اسلم على يده سنة ١٩٠ هـ، وأسند له فيما بعد الوزارة مع قيادة الجيش. توفي سنة ٢٠٢ هـ. (الأعلام: ١٤٩/٥).

أخفق أمله، كان سبباً لذمه واتهامه، وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك، وحسن تقيته فأنجز الوعد وإلا فقصر القول فإنه أعذر والسلام.

وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن يونس، عن الحميدي عن سفيان، قال: سمعت الزهري يقول: حقيق على من أזהر بالوعد أن يثمر بالفعل.

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام:

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمار موعدة قصار
تحنُّ عِداته أثر التقاضي وتتنحُّ مثل ما تُنحُّ العشار^(١)
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
بن الضحاك الخليع أن يرده عليه رزقه فقال المأمون: أليس هو القاتل في الأمين.
فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده:

ابن لي فإني قد ظمئت إلى الوعد متى تُنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيزك من صدّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
فما لي شفيع عند حُسنك غيره ولا سبب إلا التمسك بالوُد
أيخل فرد الحسن فرد صفاته عليّ وقد أفردته بهوى فرد
فاستحسن الناس هذا التشبيب فلما قال:
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد
قال هذه بتلك وقد عفونا عنك.

فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبع عفوك بإحسانك فأمر برد أرزاقه عليه، وكانت في كل شهر خمسمائة دينار، فقال المأمون: لولا أنني نويت العفو عنه، وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته، وإنما ذكر العهد في تشبيهه فذكرنيه.
وما أحسن ما قاله بعض ملوك العجم: البخل بعد وعد يُضعف قبحه على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل.

(١) البيتان في ديوان أبي تمام: ١٢٥. العِدات: المواعيد. العشار: الحوامل.

ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال

أول من أتى بذلك زهير في قوله^(١):

تراه إذا ما جئته مُتهللاً
ولو قال مكان «إذا جئته» إذا ما سألته» لكان أجود.

ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس:

بشرهم قبل النوالِ اللاحقِ
والغيث يخفي وقعه المرامقِ
وأخذه أبو تمام هذا فقال^(٢):

يستنزِلُ الأملَ البعيدَ ببشره
وكذا السحابُ قلما تدعو إلى
وتبعه البحترى فقال^(٣).

كانت بشاشتكَ الأولى التي بدأت
كالمزنة استؤنفت أولى مخيلتها
وقال أبو عبد الله القطريلي: قلت للبحترى: وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى فقال
لعمري ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر^(٤):

يُوليك صدرَ اليوم قاصية الغنى
بفوائد قد كنَّ أمسِ مواعدا^(٥)

(١) ديوان زهير: ٦٨.

(٢) البيتان ليسا في ديوان أبي نواس. والنوال: العطاء.

(٣) ديوان أبي تمام: ١٨٨.

(٤) في الديوان: «بالربيع المغدق».

(٥) ديوانه: ١٢٨/٢ ع.

(٦) المزنة: الدفعة من المطر. الديمة: المطر الدائم.

(٧) أبو الصقر: اسماعيل بن بلبل الوزير.

(٨) في ديوان البحترى: ٢٣٦/٢ ع: «بفوائد قد كنَّ».

سُوم السحائب ما بدأن بوارقا في عارضٍ إلا ثنينَ رواعدا^(١)
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكأنه قال إلا ثنين مواطرأ ثم رده فقال:
إنما البشرُ روضةٌ فإذا أع قب بذلاً فروضةٌ وغديرُ
وقال البحرى^(٢):

ملكٌ عنده على كلِّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأننا من وعده ونده أبداً بين روضة وغدير
وقال^(٣):

ضحكات في إثرهن العطايا وبروق السحاب قبل رعوده
وله أيضاً:

مُتهلّلٌ طلق إذا وعد الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل^(٤)
كالمزن إن سطعت لوامعُ برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل^(٥)
وأنشدنا أبو أحمد قال: أنشدنا الصولي لنفسه:

لست تلاقى سائلاً برء تعيد بشر سؤود وتبدي
كالبرق يأتيك أمام الرعد بشرى الغيوث بحباب رغد
يلقى بك الطالبُ نجم السعد بلغت في الأعمار أقصى العد

(١) سوم السحائب: علامات الغيوم.

(٢) ليسا في ديوانه.

(٣) ديوان البحرى: ١٦٨/٢ ع.

(٤) النائل: الهدية.

(٥) الديمة: المطر الدائم. والابل: المطر الغزير.

فصل في تسمية الأشعار

عمى عبد كان للأحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه:

نظيف خفيف نظيف فايق	نظيف مقيل بعلب نظيف
طريف مدل فايق نظيف	فايق مقبل نظيف فايق
رشيقي بدر مقلب لمن	نظيف مهذب معشوق نظيف
مهذب ملاحظ رشيقي مغاضب نظيف. فأخرجه وكان البيت:	
إذا قلت أسلو دامت العين. بالكا	دماء وحفتها مدامع حقل
وكان الجواب الصادر:	

ألا أيها الشخص الذي كان نزهة	يحصنه ستر من الله مسبل
لماذا هتكت الستر تعمداً	ولست بحمد الله ممن يُجهل
رأيتك قد عميت بيتاً رسمته	بكل خطأ فهو مثلك أحول
وكان لمتبول الفؤاد معذب	أخي حسرة بالهجر والصد يُقتل
فقال: وقد رام السلو فلم يجد	وبات كئيباً بالياً يتململ
إذا قلت أسلو، دامت العين بالكا	دماء، وحفتها مدامع حقل
وعمى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه:	

نرجس خيرى بنفسج حماحم	شاهسفرم اقحوان نسرين ^(١)
نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش	ورد ياسمين نسرين
زعفران نمام سوسن أفرنجمشك	أس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش	نسرين نمام منشور
خيرى منشور اقحوان زعفران سيسنبر خزامى بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:	
كفى حزناً أن الجواد مقتّر	عليه ولا معروف عند بخيل
فكان الجواب الصادر:	

(١) شاهسفرم: (معرب): ضرب من النبات. ومثله المرزنجوش وافرنجمشك.

فِداكَ أبا يغلى أخ لك لم يَزَلْ
إلى أن قال :

فقال وقد جابَّ البلادَ فلم يجد
كفى حزنًا أن الجوادَ مُقْتَرٌ
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي
الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السَّحْبُ بالوبلِ جادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ
وثج فما شكَّ ذو ناظرٍ
فعمَّ بشؤبويه سادتي
زياد بن جعفر المستجار
فداؤك نفسي وإن سمتني
أتني الطيورُ فساترنني
إلى أن تمكنتُ من صيدها
وقلتُ لها: غردي بالذي
وأنشدتُ بيتاً مُعَاذَ الفصول
ومن ذلَّ قلٌّ ومن قلَّ ذلٌّ
أردتُ سقاطي فما نلتُهُ
وأبقاك ربي بقاء النعيم

وأنزل غيثاً أغاثَ البلاداً^(٢)
مصاييحَ تزهَرُ منه اتقادا
رأى سيلُهُ أن فيه مزا^(٣)
وخصَّ بأغزر سقى زيادا
لصرفِ الزَّمانِ إذا ما تمادى
غناءً طويلاً حماني الرُّقادا
ببيت تعمقت فيه عنادا
وقد صدتها إذ عرفتُ المصادا
كتمتِ فأسرعنَ نحوي انقيادا
ولستَ ترى فيه معنى مُعادا
ومن سادَ جادٌ ومن جاد سادا
فنلتُ المني وبلغتُ المرادا
عليك وملاك منه وزادا

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعَمَّى :

دمعي على الخدِّ سكَبُ
وليس يبقَى على ما
لله عهد الليالي
وإذ شبابي لَدُنْ
يا جعفر القوم يامن
فداك عبداً مشوقٌ
أبعدتني وسواء

ونارُ شوقي تشبُّ
يلقاه قلبي قلبُ
إذ مورد العيش عذبُ
وغصنُ قَدِّي شطب^(٤)
يدعي إذا جلَّ خطبُ
إلى لقائك صبُّ
بعدُ لديَّ وقربُ

(١) مقتر: بخيل.

(٢) العارض: المطر. والوبل: المطر الغزير.

(٣) ثج: بمعنى سح أي سال.

(٤) لدن: طري.

أخلأ طيب أتني	منها يبس ورطب
قربتها نار طبع	يدوم والنار تخبو
عود ومسك ذكي	وعنبر مستحب
أوردتها نار فكري	ففاح شرق وغرب
وهب لفهم منها	روائح لا تهب
فنلت بالشم ما لم	ينله عجم وغرب
بيتا كما اهتز روض	أو أكمل الوشي عصب
شيب وسن وجهل	هذا لعمر ك صعب
بجعفر وأخيه	نال الوري ما أحبوا
نفسي فداكم وما قد	أهل بالحج ركب
ذنبى انقطاعي إليكم	إن عد للناس ذنب
فذاك للخلق كهف	وذاك للمجد قطب
ليث إذا عض دهر	غيث إذا اشتد جدب
لي منهما اليوم رأي	يرى غداً وهو كسب

والتعمية : أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا مضت الكلمة تدبر دائرة على ذلك، حتى تأتي على آخر البيت. ووجه استخراج المعنى أن تنظر إلى الأسماء التي جعلت مكان الحرف، فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن، ولكنه الأمر الأكثر، فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً، وانظر إلى ما طال في البيت من الكلمات، فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان، على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل وفي قولك : الله وما أشبه ذلك، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع في البيت كلمة على حرفين، وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام، رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها : «ما» أو «ذا» أو «يا» لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من «ما» ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها «من»، فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف، فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت، فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع، فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثر، ثم تعمد إلى الحروف التي يقل تكرارها في البيت، فننظر إلى الكلمة الرباعية أو الخماسية فظن أنها أبداً أن فيها أحد الحروف الستة : اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم، لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين. ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفتنة ومع النشاط وصدق الشهوة.

وذكر بعض أهل العلم، وأظنه أبا الحسن العروضي، أنه عُمي له قول الشاعر:
وكن ذاكرًا بيت النوبيغ إنه سيحللو على سمع اللبيب ويعذب
فكانت تعميته:

زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد شهر عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو
حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد
صقر فخر سعد سهل صقر.

قال: فأول ما استخرجت منه الألف، لأنها أكثر ما فيه من الحروف، ثم عرفت بعدها
اللام، لأنهما واقعتان في قوله «النوبيغ» وفي قوله: «اللبيب» فلما صحت الألف واللام، رأيت
اللام قد تكرر، فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل اللبيب واللطيف، وكان أقربها في ظني اللبيب،
عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء والياء فيهما وبقي الحرف الثالث، فعرضته على
الحروف فخرج لي بيت وبید وبیش وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركها موقوفة ثم
قصدت إلى الكلمة السابعة فرأيت فيها اللام والباء، فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
«على» ثم قصدت الكلمة الثامنة، فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال ما آخره عين
فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع، فتركها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة الأخيرة، فرأيت فيها ما
تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين، فوضعتهما مع سائر الحروف فخرج
لي:

يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة
الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع إدخال اللبيب بينهما فصح لي أن الثامنة «سمع» وأن الأخيرة
يعذب وعلمت أن زيدا في أول الكلمة الأخيرة واو، فلما صح «على سمع اللبيب» لم أشك أن
الكلمة السادسة «سيحللو» قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف، لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو، فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط البيت وأولها ألف
والنون تليها كثيراً. فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وأن الكلمة «إنه»، فلما ظهرت النون، وكنت قد
عرفت الواو من الكلمة الأخيرة، علمت أن أول كلمة في البيت «وكن» بغير شك وأن الثانية
«ذاكرًا» لأن الذال ظهرت في يعذب، والألف معروفة والكاف قد بانت من الكلمة الأولى، والألف
الثانية معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت إلى
الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا الغين فقط فلم أدر ما هو فلولا أن الوزن
أدى إليه بعد طول تعب، لم يكن يظهر فلما علمت أنها «النوبيغ» لم أشك أن الثالثة «بيت» وظهر
البيت كله.

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا:

إن رحت ما في يديه ملتمساً وكنت أشكو إليه ضيق يدي

أحصت ألفوا يسراه أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفي هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك .
وقلت في ضرب من المعمي :

وأصفرُ تحمرُّ أطرافه يا حُسْنَه من مطرف مُعلم
صدَّره الإنسانُ في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدِّين لم يَأثم
وهو على ما كان من ذلَّة سُمِّيَ باسم الملك الأعظم
أعني حصيراً والملك يُسمَّى حصيراً .
قال الشاعر :

ومقامه غلب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيامُ
وقلت :

وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميت غيوا في الأرض جثته عمداً لكي يجعلوا الأحياء أمواتا
الأول الذكر والثاني الفخ .

ومن مליح المعمي ما أخبرنا به أحمد ، قال : حدثنا ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل
قال : حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال : حدثني أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة إسماعيل بن
جعفر بن سليمان بشعر مُورَى فلم يقهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ
فأقرأه إياه وهو قوله :

إني أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٌ من أبيك منبتها حتى إذا أينعت قطفناها
تخبرنا ما هما وما سُبُلُ تشعبت منك قد سلكناهما
لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
فإن تصبها فأنت ذو فطن وحاجتي أن تصيب معناها

فقال : أيها الأميرُ إنه كلامٌ رديءٌ أكره أن أستقبلك به فقال : هاته قال : أما اللؤلؤة فالبنت ،
وأما الكرمة من أبيك فالأخت ، وأما السُّبُلُ التي تشعبت فالأم لم نطأها بالأقدام ، ووطئناها
بالفعل .

وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل :

وسارية لم تسر في الأرض تبغني محلاً ولم يقطع بها اليد قاطعُ
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكرّ وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهنّ قارعُ
إذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راءٍ وسامعُ
وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظنّ ما الله صانعُ

أحسن ما قيل في تقبيل اليد

أخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن محمد بن خالد، عن أبي بكر بن محمد بن خلاد الباهلي، عن محمد بن الفضل، عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن، عن ابن أبي ليلى، عن عبد الله بن عمر، قال:

كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ، فتلقانا العدو فحاص الناس حيصة، فكنت فيمن حاص، ثم قلنا، حين رجعنا، إلى أنفسنا: كيف ننظر في وجوه القوم وقد يؤنا بغضب من الله؟ ثم قلنا: نأتي المدينة فنبيت بها ثم نخرج، فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة، قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال: «بل أنتم الكرَّار»^(١)، فقبلنا يده، قال: ثم قلنا: يا رسول الله، إنا هممنا بكذا، فقال: إنا فئة المسلمين. ثم قرأ: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢). وبإسناد لنا، أن ابن أبي ليلى، قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبي مسلم؟ قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلني مثل أبي عبيدة. وحدثنا أبو أحمد عن الصولي، عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي، قال: قبل رجل يد المهدي، فقال: يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل، نعلوها في المكارم، وطهارتها من المآثم، وإنك ليوسف العفو، إسماعيلي الصدق شعبي الرفق، فمن أرادك بريدة خوف أو سوء، فجعله الله طريد خوفك، وحصيد سيفك.

ومن أجود ما قيل في ذلك، من الشعر، ما أنشدنا أبو أحمد، عن الصولي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال: أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان:

لفضل بن سهل يد	تقاصر عنها المثل
فبسطتها للبنى	وسطوتها للأجل
وباطنها للندي	وظاهرها للقبل

(١) في سيرة ابن هشام عن عروة.

(٢) سورة الأنفال: آية ١٦.

فأخذه ابن الرومي فقال^(١) للقاسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصةٍ وتجمّل والمرء بينهما يموت هزبلا
فأمدد إليّ يداً تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقيبلا
وقال أيضاً:

له راحةٌ فيها الحطيم وزمزم

وقلت:

فظاهرها للناس ركنٌ مُقبّل وباطنها عينٌ من الجود عيلم^(٢)
هو البحر لا عينٌ من الجود عيلم عفاء على عين من الجود عيلم
يجل عن تقبيلٍ ظاهرٍ كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك: ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الصولي عن الغلابي عن العتيبي، قال: أستاذن رجل مروان الجعدي في تقبيل يده، فأبى وقال: إنها لمن العربي ذلة، ومن العجمي خدعة، فلا حاجة لي في أن تذلل لي، أو تخذع فاعفني من ذلك .

الحض على السلام

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن إبراهيم بن عبد الله النمري، عن الضحاك بن مخلد، عن ابن عجلان، عن المقبري عن أبي هريرة، قال: قال^(٣) رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم، فإن قام والقوم جلوس فليسلم، فإن الأولى ليست بأحق من الآخرة». وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن إبراهيم بن فهد، عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر، عن نافع عن ابن عمر: أن لاجلاً مرّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء، فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال: «إنه ما حملني على الرد عليك إلا أنني خشيت أن تقول سلمت عليه فلم يرد عليّ فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليّ فإنك إن تفعل لا أرد عليك السلام^(٤)». وعنه عليه السلام: «تمام التحية أخذ باليد^(٥)». وحدثننا أبو أحمد عن الصولي، عن الغلابي، عن العباس بن بكار، عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعت الأسدي، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت:

يقول أبو مكعت صادقاً عليك السلام أبا القاسم
سلام الإله وريحانه وروح المصلين والصائم

(١) ديوان ابن الرومي: ٨٨/٥.

(٢) عيلم: بحر.

(٣) رواه الترمذي: استئذان ١٥ ولفظه: «إذا انتهى أحدكم» ورواه أبو داود: الادب ١٢٩ والإمام أحمد ٣/٢٢٠.

(٤) رواه الترمذي: ٢٨٧٥ بلفظ «وهو يبول فلم يرد».

(٥) رواه الترمذي: استئذان ٢١. ورواه الإمام أحمد: ٥/٢٦٠.

فقال رسول الله ﷺ «عليك السلام تحية الموتى»^(١).
قال المصنف تقول العرب للميت «عليك السلام».
قال الشاعر:

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنتَ منا كلنا لك حمامدُ
فلا يُبعدنك الله ميتاً فإنما حياةُ الفتى سيراً إلى الموتِ قاصدُ
وقال^(٢) عبدة بن الطبيب:

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمنا
وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن الغلابي، عن ابن عائشة، قال: دخل الحسن بن
الكتاني على عبد الله بن جعفر^(٣) ذي الجناحين فأنشده قوله فيه:
عليك السلامُ أبا جعفر وسيد فهر لدى المحضر
فأنت المهذبُ من هاشم وخير قريشٍ إذا تذكر
فقال له عبد الله: أخطأت مرتين: «عليك السلام» أكثر ما تستعمل هذه للأموات وقد
أمكنك أن تقول:

سلامٌ عليك أبا جعفر
ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتني بصفته، قال فاستمع البيت الذي سقت له ما
سقت قال: هاته فقال:
فهذي ثيابي قد أخلقتُ وقد عَضْنِي زَمَنٌ منكراً^(٤)
فقال عبد الله: هذي ثيابي لك بها، ودعا بغيرها ودفعها إليه.

السلام على الكفار

حدثنا أبو أحمد، عن الصولي، عن الغلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي
قال سلم نصراني على الشعبي، فقال له الشعبي: وعليك السلام ورحمة الله، فقال له رجل
سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله! فقال الشعبي أليس في رحمة الله يعيش؟ قال بلى
قال: فما وجه الإنكار علي عافاك الله تعالى وإيانا برحمته.

رد السلام بالإشارة

حدثنا أبو أحمد، عن الصولي، عن العباس بن الفضل الأسفاطي عن ثابت عن عبد
العزيز، عن هشام بن سعيد، عن نافع عن عبد الله، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى البقيع فقام

(١) رواه الدارمي: ٢٤، أدب: ١٤٠. ورواه الترمذي: استثنى ٢٨ والإمام أحمد: ٤٨٢/٢.

(٢) البيت في الشعر والشعراء: ٦١٤/٢.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب ولقبه النبي ﷺ «بذي الجناحين» بعد استشهاده في معركة مؤتة، وقد قُطعت يده.

(٤) أخلقت: بليت. عَضْنِي زمن: أصابني مكروه.

فصلى، فجاءت الأنصارُ تسلم عليه، قال: فسألت بلالاً كيف كان يرُدُّ عليهم؟ قال: كان يشير إليهم بيده. وأنشدنا عنه، عن محمد الأسدي، عن أبي هفان، عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري:

مررنا فقلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيور
وما كنت أدري أن في الخير ريبة ولا أن رجعاً بالسلام يضير^(١)

ما جاء في المصافحة

وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي، عن الأسفاطي، عن يعقوب بن حميد، عن إسحاق بن إبراهيم بن سعيد، عن صفوان بن سليم، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاهة، عن ابن أبي ليلي، عن حذيفة، قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنَ فَصَافِحْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ تَنَاضَرَتِ الْخَطَايَا بَيْنَهُمَا كَمَا يَتَنَاضَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ»^(٢).

وقال الحسن: المصافحة تزيد المودة. وحدثنا عنه، عن الغلابي عن ابن عائشة قال: دخل سوار العنبري على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين، على ما أحدث الناس اليوم أم على ما كان عليه الأوائل؟ قال بل على ما كان عليه فدنا فصافحه.

وأخبرنا عنه قال: سمعت إبراهيم بن المنذر يقول: دخل الفقهاء على المتوكل، ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قَبْلُ يده إلا إسحاق بن إسرائيل، فإنه قال: يا أمير المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يُقبل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل بن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال: المصافحة تزيد في المودة، وتتقي بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه.

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام:

تصافحت الأكفُ وكان أشهى إلينا لو تصافحت الخدودُ
نموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر:

فصافحتُ من لاقيتُ في البيتِ غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافحْ
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة:

أختُ بني الشيبان مرَّت بنا ممسوطَةً كوراً على بغلٍ^(٣)
قد نقطتُ في كفِّها نقطةً مخافةَ العينِ من الكحلِ
لقيته يوماً فصافحته فقال دع كفي وخذ رجلي

(١) يضير: يضر.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن حذيفة.

(٣) مَسَطَ: أخرج الماء من السقاء.

حياك الله وبياك

معنى حياك الله سلام عليك، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملكك الله، والتحية البقاء، وهو على هذا التأويل أبقاك الله، قال الأصمعي بياك أضحكك، وقال علي الأحمرى: أرادوا بؤأك منزلاً، فقال: بياك للاتباع، كما قالوا الغدايا والعشايا، وقال ابن الأعرابي: معناه قصدك بالتحية، وبَيَّت الشيء قصده واعتمدته. وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن محمد بن سقفة قال: أتاننا ميمون بن مهر أن فقلت له: حياك الله فقال: مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام.

وحدثنا عنه، عن المغيرة بن محمد، عن إسحاق الموصلي، قال نزل الطماح العقيلي بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال:

حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مُنْقَلَبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجبُ
وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغب وإن رهبُ
لا يرعوي لمبغض ولا مُحِبٌ أكثر ما يأتي على فيه الكذبُ
وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة:

حَيَّا آلَهُ خِيَالَهَا مِنْ دَانٍ لو كَانَ زَارَ زِيَارَةَ الْيَقْظَانِ
لو كَانَ عَرَجٌ أَوْ تَعْلَلٌ سَاعَةً حتى نَسَائِلُهُ عَنِ الْأَوْطَانِ
كَفَانِ شِيدَتَا بِنَاءِ مُحَامِدٍ لمَهْذَبٍ هَشٍّ أَخِي إِخْوَانِ
تَلْقَى لَهُ دَعَا الْكُهُولِ وَحَلْمِهِمْ وَتَقَاهُمْ وَحَلَاوَةَ الْفَتَيَانِ
وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم:

حَيَّاكَ مِنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لولا الدراهمُ ما حَيَّاكَ إِنْسَانُ

قولهم مرحباً

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي، عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني^(١) فأنشده:

هَارُونَ يَا بْنَ الْأَكْرَمِينَ حَسْباً، لما تَرَحَّلْتَ وَكُنْتَ كَثْباً
مَنْ أَرْضُ بَغْدَادَ تَوْمُ الْمَغْرِبَا طَابَتْ لِنَارِيحِ الْجَنُوبِ وَالصُّبَا
وَنَزَلَ الْغَيْثُ لَنَا حَتَّى رِبَا مَا كَانَ مِنْ نَشْرِ وَمَا تَصَوَّبَا
فَمَرْحَباً وَمَرْحَباً وَمَرْحَباً فَمَرْحَباً وَمَرْحَباً وَمَرْحَباً
فقال الرشيد وبك مرحباً وأهلاً، ووصله بصلة سنيه.

(١) العماني: محمد بن ذؤيب بن محمد، الدارمي، أبو العباس، راجز، شاعر من شعراء الدولة العباسية، مات سنة ٢٢٨ هـ. والأبيات مع ترجمته في الأغاني: (٣١١/١٨).

وحدثنا عنه عن عبيد الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر، أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين:

يا بن ذي الجود طاهر بن الحسين ^(١)	مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً
بابن ذي العرتين في الدولتين	مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً
بابن ذي المحتدين في المصرين ^(٢)	مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً
رُ إذا فاض مُزبد العبرين	مرحباً مرحباً بمن كُفهُ البحد

فوصله وقدمه.

وقديماً ما استعملوا مرحباً في كلامهم ومنه قول طفيل الغنوي^(٣):
وبالسهل ميمون النقية قوله لملتس المعروف أهل ومرحب
وأخبرنا عنه، عن محمد بن العباس اليزيدي، عن محمد بن الحسن الزرقى عن
الحسين بن علي العلوي المدني، عن بعض أصحابه عن المازني، قال كان أعرابي يلزمنا وكان
فصيحاً، فقال له علي بن جعفر بن سليمان: وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً فقال فيه
الأعرابي:

وما مرحباً إلا كريح تنسمت إذا أنت لم تخط نوالاً بمرحب
ومثل هذا قول جحظة البرمكي:

قائل إن شدوت أحسنت زدني وبأحسننت لا يباع دقيق
وأخبرنا عنه عن أبي العيناء، قال استأذن رجل على الحسن بن سهل، فقيل له من أنت؟
قال: رجل أمر له الأمير يوم كذا بشعرة آلاف درهم، فأمر بإدخاله فلما رآه، قال: مرحباً بمن توسل
إلينا بنا وشكر إحساننا إلينا، وأكرمه.

وأخبرنا عنه، قال: سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي، يثني على ابن الجهم في
صداقته ومروءته فقال في ذلك، كنت واقفاً بين يدي المتوكل، وقد جيء برأس إسحاق بن
إسماعيل وجه به بغا، فارتجل علي بن الجهم شعراً وقال^(٤):

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل، ووصله بصلية سنية، قال:
وأنشدني ثعلب:

فما لك نعمة سلفت إلينا وكيف وأنت تبخل بالسلام

(١) طاهر بن الحسين الخزاعي، أمير والٍ تولى خراسان وتوفي فيها سنة ٢٤٨ هـ.

(٢) المحتد: الأصل.

(٣) هو طفيل بن عوف بن كعب من قيس، شاعر جاهلي فحل مات سنة ١٣ ق هـ.

(٤) ديوان علي بن الجهم: ١٧٤.

سَوَى أَنْ قَلْتُ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَكَانَتْ رَمِيَّةً مِنْ غَيْرِ رَامٍ
وَقُلْتُ:

تَضُنُّ بِتَسْلِيمٍ وَزَوْرَةٍ سَاعَةٍ فَكَيْفَ يُرْجَى جُودُ كَفِيكَ بِالْوَفْرِ
وَأَنشَدْنَا عَنْهُ، عَنْ أَبِي مُوسَى مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: أَنشَدَنِي عَبْدُ السَّلَامِ
ابْنَ رَغْبَانَ الْحَمَصِيَّ الْمَعْرُوفَ بِدِيكَ الْجَنِّ لِنَفْسِهِ:

بِأَبِي وَإِنْ قُلْتُ لَهُ بِأَبِي مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ غَيْرَهُ أَرَبِي^(١)
قَرُطُسْتُ عَشْرًا فِي مَوَدَّتِهِ لِبُلُوغِ مَا أَمَلْتُ مِنْ طَلْبِي
وَلَقَدْ أَرَانِي لَوْ مَدَدْتُ يَدِي شَهْرِينَ أَرْمِي الْأَرْضَ لَمْ أَصِبْ
أَنشَدْنَا عَنْهُ قَالَ أَنشَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ لِنَفْسِهِ:

قُلْتُ يَوْمًا لَهَا وَحَرَكْتَ الْعَوْرَ دَ بِمُضْرَابِهَا فَغَنَنْتُ وَغَنِي
لَيْتَنِي كُنْتُ ظَهَرَ عَوْدِكَ يَوْمًا فَإِذَا مَا أَخَذْتَهُ صِرْتُ بَطْنًا
فَبِكْتُ ثُمَّ أَعْرَضْتُ ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ بِهَذَا أَنْبَاكَ فِي النَّوْمِ عَنَّا
قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهَا: بِأَبِي مَا عَلَيْكَ أَنْ أَتَمْنَى

قَالَ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْوَزِيرَ يَقُولُ: دَخَلَ أَبُو الْعِينَاءِ إِلَى أَبِي فَقَالَ
لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ فَقَالَ أَبُو الْعِينَاءِ: أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ الْحَالُ فَاَنْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ لِي. فَوَصَلَهُ وَوَقَعَ لَهُ
بَأَرْزَاقِهِ. وَحَدَّثَنَا عَنْهُ عَنْ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَنْدِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
كَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ حَالٌ مِنْ يَهْلِكُ بِيَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصَحَّتِهِ، وَيَوْتِي مِنْ مَأْمَنِهِ؟
وَمِثْلُهُ:

مَا حَالٌ مِنْ آفَتِهِ بِقَاؤِهِ نَغَصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ:

لَكَ عَبْدٌ فَلَوْ سَأَلْتَهُ بِهَ كَيْفَ حَالُهُ
يَا قَرِيبًا مَزَارُهُ وَبَعِيدًا نَوَالُهُ^(٢)
حَاضِرًا لِي صَدُودُهُ حِينَ يَرْجَى وَصَالُهُ
مُسَعَّدًا لِي مَقَالُهُ فَاتَكَ لِي مَطَالُهُ
مُحَسِّنًا فِي كَلَامِهِ وَمُسَيِّئًا فَعَالُهُ

مَا جَاءَ فِي أَطَالِ اللَّهِ بِقَاكَ

أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَوَى عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: شَهِدْتُ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ عَمْرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ يَذْكُرُونَ الْمَوءُودَةَ، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا،

(١) أَرَبِي: حَاجَتِي.

(٢) النَوَالُ: الْعَطَاءُ.

فقال عمر: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون، فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام: إنها لا تكون موءودة^(١) حتى يأتي عليها الحالات السبع فقال له عمر: صدقت أطل الله بقاءك. وقال ابن لهيعة: المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة، ثم علقه ثم مضغه ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل، فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس: إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت.

وأخبرنا أبو أحمد، عن الصولي عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال: كتب إلي بعض إخواني من البصرة إلى المدينة: أطل الله بقاءك، كما أطل جفاك، وجعلني فداك، إن كان في فداؤك.

شعر:

كتبته ولو قدرت هوى وشوقاً إليك لكنك سطرأ في الكتاب^(٢)
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى: والبيت لأبي تمام.

جعلت فداك

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل، فقال ما يعمدك جعلني الله فداك. فقال النبي ﷺ: «يا زبير أما تركت أعرايتك بعد» وحدثنا عنه، عن يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن إسحاق قال: حجني خادم لجعفر بن يحيى، يُقال له نافذ، فانقطعت عنه فسأل عني، فعرفه سبب انقطاعي فقال: قل له إن حجبك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فجئت فحججني فكتبت إليه ارتجالاً في الحال:

جعلت فداك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو أناساً
يحولون بيني وبين الدخول فما أن أسلم إلا اختلاساً
وأنفذت أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماساً
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال: أفعلت يا أبا إسحاق فقلت بعض ذلك، وتقدم إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت.

دعاء المكاتب

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما أظن قول الكتاب: وقدمني الله قبلك، مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر في أخيه صقر:
أخي أنت في ديني ودنيا كلاهما أسر بأن تبقى سليماً وأفخر
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذي يتأخر

(١) الموءودة: البنت التي كانت تُدفن حية.

(٢) ديوان أبي تمام: ٥٤.

فَقِيلَ لَهُ هَذَا يُرَوَّى لِحَاتِمٍ، فَقَالَ: وَمَا عَلَيَّ مِنْ لَا يَدْرِي أَنْ يَنْسَبَ شَيْئاً إِلَى غَيْرِ قَائِلِهِ .
فَأَمَّا قَوْلُهُمْ «وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ» فَهُوَ مِنْ قَوْلِ (١) عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ:
صَلَّى الْآلَهُ عَلَى امْرِئٍ وَدَعَتْهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
وَقَالُوا وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ: «وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ» إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ . وَأَنْشَدَ
لِلسَّرِيِّ فِي ضِدِّ قَوْلِهِمْ مَتَّ قَبْلَكَ، وَإِنْ الْحِظُّ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَمَنْ يَحِبُّ يَمُوتَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ:
لَا مَتَّ قَبْلَكَ يَا أَخِي لَا بِأَخْلًا بِالنَّفْسِ عَنْكَ وَلَا تَمَتَّ قَبْلِي
وَبَقِيَتْ لِي وَبَقِيََتْ فَيْكَ مُمْتَعًا بِالْبِرِّ وَالنِّعْمَاءِ وَالْفَضْلِ
حَتَّى إِذَا قَصِدَ الْجِمَامُ لَنَا مِنْ بَعْدِ عُمَرَ وَارِدَ الْحَبْلِ (٢)
مُتًّا جَمِيعًا لَا يُؤَخَّرُ وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ لِمَرَارَةِ الشَّكْلِ (٣)
وَكِفَاكَ مِنْ نَفْسِي شَهِيدٌ نَاطِقٌ يَا صَاحِبَ أَنْكَ عِنْدَهَا مِثْلِي
وَفِي نَحْوِ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ:
إِنِّي لِأَشْفَقُ أَنْ أُؤَخِّرَهَا بَعْدِي وَأَكْرَهُ أَنْ أَقْدِمَهَا
وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ الرَّبِيعِ:
فَلَوْ أَنَّهَا إِذْ حَانَ وَقْتُ جِمَامِهَا أَحْكَمُ فِي أَمْرِي لِشَاطِرَتِهَا عَمْرِي

فَحَلَّ بِنَا الْمَقْدَارُ فِي سَاعَةٍ مَعًا فَمَاتَتْ وَلَا أَدْرِي وَمَتَّ وَلَا تَدْرِي
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ:
لَا مَتَّ مِنْ قَبْلِي وَلَا مَتَّ مِنْ قَبْلَكَ بَلْ عَشْنَا إِلَى الْحَشْرِ
حَتَّى نُوَافِيَ الْمَوْتَ فِي سَاعَةٍ لَا أَنْتَ تَدْرِي بِي وَلَا أَدْرِي

كَيْفَ أَصْبَحَتْ

حَدَّثَنَا عَنْهُ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمَهْلَبِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَادٍ، قَالَ: كَانَ جَرِيرُ
ابْنِ حَازِمٍ يَقُولُ:

الْعَرَبُ تَقُولُ: كَيْفَ أَصْبَحَتْ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ مِنْ نِصْفِ
الزَّوَالِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، وَتَقُولُ فِي يَوْمِكَ كَانَ اللَّيْلَةُ كَذَا إِلَى الزَّوَالِ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ قَلَّتِ
الْبَارِحَةُ، هَذَا مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ. وَحَدَّثَنَا عَنْهُ، عَنْ الْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنِ التَّنُوخِيِّ قَالَ: الْعَرَبُ
تَقُولُ: صَحْبَتُكَ الْأَنْعَمَةُ بِطَيِّبَاتِ الْأَطْعَمَةِ. وَحَدَّثَنَا عَنْهُ، عَنِ الْبُلْعِيِّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ

(١) دِيوَانُ عَدِيِّ: ٣٨. وَفِي الْأَعْجَازِ وَالْإِيجَازِ: ١٥٣.

(٢) الْجِمَامُ: الْمَوْتُ.

(٣) الشَّكْلُ: أَنْ يَفْقِدَ الْمَرْءُ عَزِيرًا.

الأصمعي، قال: قيل لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت؟ قال: أصبحت كما قال الربيع بن ضبع الفزاري:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرأ
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرأ
وحدثنا عنه، عن أبي ذكوان، عن التنوخي، عن الفراء، قال: كنت عند الكسائي فقال له
رجل: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري^(١):
أصبحت ما لي من عزّ الودّ به إلا التعزّز بعد السيف والبدن^(٢)
بعرضة جانب الأدنون جانبها والأهل بالشام والإخوان باليمن
وأنشدنا عنه قال: أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوي قال: أنشدني المازني عن أبي
زيد:

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يُثبت الودّ في فؤاد الكريم
وحدثنا عنه، عن محمد بن الفضل بن الأسود، عن عمر بن شبة، عن الحسين
ابن الضحاك الخليل، قال: كنت في المسجد الجامع بالبصرة، إذ دخل علينا أبو نواس وعليه
جبة خز جديد فقلت له: من أين لك هذا يا أبا علي؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه أخذها من
مويس بن عمران، لأنه دخل من باب بني تميم فقممت فأجد مؤيساً وقد لبس جبة أخرى فقلت:
كيف أصبحت يا أبا عمران يا كريم الإخوان والإخوان
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً.
فقلت:

إن لي حاجةً فرأيتك فيها إننا في قضائها سيان
فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت:
جبة من جبابك الخز حتى لا يراني الشتاء حيث يراني
قال خذها، ومد كمه فذرعتها، وجئت فقال أبو نواس: من أين لك هذه؟ قلت: من حيث
كانت لك تلك. وحدثنا عنه، عن وكيع، عن علي بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهي قال:
دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له كيف أصبحت فقال كما
قال الشاعر:

إن الليالي أسرع في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي
أقعدنني من بعد طول نهضي
وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:

(١) الصمة: شاعر إسلامي مقل، عاش في العصر الأموي.
(٢) الود: احتمي. التعرز: الاختفاء، كالتعريض في الخصومة.

يا خيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرفعُ من ثوبي ما كنتُ أُجرُ

وحدثنا عنه، عن الغلابي، عن محمد بن عبد الرحمن التيمي، عن أبيه قال: لقي بكر بن عبد الله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال: كيف أصبحت أبا تميمة؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله عليّ، ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنّب، وبين محبةٍ قد ألقاها الله في قلوب الناس، لستُ لها بأهل، وقد خفتُ أن أهلك بين هذين وأنا ضعيفُ الشكر.

قال وقيل لقريبة الدبيرة كيف أصبحت؟ فقالت:

بخيرٍ على أن النوى مطمئنة بليلي وإنّ العينَ يجري مَعيها^(١)

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة، ولا أحسب على نفسي بالسيئة. وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم.

وحدثنا عنه، عن الغلابي، عن إبراهيم، عن عمر، عن أبي عبيدة، قال: قيل للنمر بن تولب: كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فقال ارتجالاً على البديه:

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضاً أشكو العروقَ الناييات نبضاً
كما تشكى الأرحبي الغرضاً كأنما كان شبابي قرضاً

وحدثنا عنه، عن القاسم بن إسماعيل، عن محمد بن سلام عن ابن داب، قال: قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى^(٢):

أرقتُ وما هذا الشهادُ المؤرّقُ وما بي من سُقمٍ وما بي، مَعشِقُ
ولكنْ أراني ما أزال بحادثٍ أغادي بما لم يُمسِ عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه، عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال: قال الربيعُ الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال:

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريقِ
أفٍ لدنيا تلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالغريرِ
أصبتُ فيها دُرِيهماتٍ فبغضتني إلى الصديقِ

وحدثنا عنه، عن علي بن الصباح، عن بشر بن مسعود المازني، قال: كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله، فقال له سفيان: كيف أصبحت؟ وكيف حالك؟ لقد سررتُ بما صيرتُ إليه بعد غم بما كنتُ فيه فدعا الرجل له ومضى، فقال له بعض جلسائه: كيف تكلم هذا؟ قال: هو جارٌ. قال: إنه قد صار صراطاً لهؤلاء، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب

(١) المعين: مصدر الدموع.

(٢) ديوان الأعشى: ٢١٧.

الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ يَسْتَحِقُّ فَهَذَا.

وحدثنا عنه، عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال:

أَصْبَحْتُ بِالْبَصْرَةِ ذَا غُرْبَةٍ أَدْفَعُ مِنْ هَمٍّ إِلَى كَرْبِهِ
أَطْلُبُ عُتْبِي مِنْ حَبِيبِ نَأَى وَلَيْسَ لِي عُتْبَى وَلَا عُتْبَهُ^(١)

وحدثنا عنه، عن المبرد قال: قال الجماز لأبي العالية: كيف أصبحت؟ قال: على غير ما يحب الله، وغير ما أحب، وغير ما يحب إبليس، لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، وإبليس يحب أن أعصي الله ولا أطيعه ولست كذلك، وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك.

حدثنا عنه، عن الحسن بن الحسين الأزرق، عن العباس بن محمد، عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام، قال: قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ؟ قَالَ: كَمَا تَحِبُّ يَا أَبَا حُرَّائَةَ، قَالَ: لَوْ كُنْتَ كَذَا لَكُنْتَ قَائِماً مِثْلِي، وَكُنْتُ أَنَا قَاعِداً فِي مَقْعَدِكَ، وَكَانَ قَمِيصُ ابْنِي الْمَرْقُوعَ عَلَى ابْنِكَ، وَالتُّومَتَانِ^(٢) اللَّتَانِ فِي أُذُنِ ابْنِكَ عَلَى ابْنِي. قَالَ يَزِيدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ كَذَا وَجَعَلَنِي كَذَا، فَقَالَ إِلَّا أَنِّي فِي ضَيْقٍ أَنْتَظِرُ سَعَةً، وَأَنْتَ فِي سَعَةٍ تَنْتَظِرُ ضَيْقاً.

وحدثنا عنه، عن أبي العيْناء، عن العتيبي قال: قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أعثر بالبعرة، وأقيد بالشعرة، وأفزع من النُّعْرَةِ^(٣). وحدثنا عنه، عن الغلابي عن دماذ، عن الهيثم بن عدي، قال: كان هرم بن سنان المزني قد آلى على نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله، فأشفق عليه زهير من ذلك وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم، فيقول: أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت، ففخر عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله:

إِنِّي لِأَصْرَفُ نَفْسِي وَهِيَ صَادِيَةٌ عَنْ مَصْعَبٍ وَلَقَدْ بَانَ لِي الطَّرْقُ^(٤)
رَعْوِي عَلَيْهِ كَمَا أَرَعَى عَلَى هَرَمٍ قَبْلِي زَهَيْرٌ وَفِينَا ذَلِكَ الْخَلْقُ^(٥)
مَدْحُ الْكَرَامِ وَسَعَى فِي مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الْغَنَى وَيَدُ الْمَمْدُوحِ مَنْطَلِقُ
ومثله قول حازم الأزدی^(٦):

(١) العُتْبَى: الرضا.

(٢) تومتان: مفردا تومة: قُرْط فيه حبة كبيرة.

(٣) النُّعْرَةُ: صوت في الخيشوم.

(٤) صادية: عطشى.

(٥) هرم: هو هرم بن سنان: من أجواد الجاهلية.

(٦) حازم الأزدی: حازم بن عوف بن الحارث. شاعر جاهلي مقل.

وإني لأستبقي إذا العسرُ مسني
فأعفي ثرى قومي ولو شئت نولوا
مخافةً أن أقلي إذا جئت زائراً
ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقلُّ بذل
أريني منك في أمري نهوضاً
وأخبرنا عنه، عن محمد بن خلف بن المرزبان، قال : اجتمع عندي أحمد بن أبي طاهر،
والناشي ومحمد بن عروس، فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقية لم ير الناس أحسن منها قط
فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا
تردّين أعيننا عن سواك
ألا يقرؤوا ويحهم ما يرون
وقد جعلوك رقيباً علينا
لردُّوا النواظرَ عن ناظريك
وهل تنظرُ العينُ إلا إليك
من وحي حسنك في وجنتيك
فمن ذا يكون رقيباً عليك

قال : فشغفنا بالأبيات فقال ابن أبي طاهر : أحسنت والله وأجملت، قد والله حسدتك هذه
الأبيات، والله لا جلست، وقام وخرج من ساعته، ولم يعد إلى الشرب بقية يومه .

ما جاء في الدعاء للخارج إلى السفر

أخبرنا عنه، عن إبراهيم بن فهد الساجي، عن نصر بن علي، عن عبد الله بن داود، عن مسعر،
عن ميسرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : ودّع رسول الله ﷺ رجلاً أراد سفراً فقال :
«أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيمَ عملك»^(١).

وحدثنا عنه عن أبي علي العتابي قال : رأيت أبا شراعة القيسي أخذاً بسفينة إبراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة^(٢) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجذبوا
نَزَلَ الرَّحْبُ مِنَ اللَّهِ بِهِم
إنما أنتَ ربيعٌ باكرُ
يا أبا إسحاق سرِّ في دَعَةٍ
فأغيشوا بك من طولِ العجف^(٣)
وحُرمناك لذنبٍ قد سلف^(٤)
حيثما صرّفهُ الله انصرفُ
حيثما شئتَ فما منك خلفُ^(٥)

(١) أخرجه الترمذي : دعوات ٤٢ . وأبو داود : ٧٢ وابن ماجه : جهاد ٢٤ .

(٢) أبو شراعة : أحمد بن محمد، شاعر بصري جيد الشعر . والأبيات في الأغاني .

(٣) العجف : ذهاب السمن . وفي الأغاني :

ليت شعري أي أرض أجذبت
في الأغاني : «نزل الرحم» .

(٥) في الأغاني : «وامض مصحوباً فما» .

وأخبرنا عنه، عن الغلابي، عن الزبير، قال: ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفراً فأنشده عند وداعه:

خلفَ الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكرُ ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردَّك الله إلينا سالمًا بعدَ غنمٍ واغتيالٍ وظفر

الدعاء للقادم من السفر

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطل:

أقدمَ قدمتَ قدومَ عارضٍ مُزَنَةٍ يهتزُّ بينَ أهَابِها الفضفاضِ^(١)
من كلِّ مَثْعَبَةِ الرِّيحِ ثَقِيلَةٍ تمشي به مشيَ الوجي المنهاضِ^(٢)
مُسودَةٌ مُبِيضَةٌ فكأنَّها دُهمٌ مولوعةُ الشوى ببياضِ^(٣)

وقال^(٤) ابن الرومي:

قدومٌ سعادةٍ وقفولٌ يُمنِ وهي السراءُ تمحُّ كلَّ حُزنٍ^(٥)
أظلتك السلامة ما تغنَّتْ مُطَوِّقةً على فننٍ تغني^(٦)
قوله «أظلتك السلامة» في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله: تمحُّ كل حزن.

الدعاء للمهزوم

حدثنا عنه، عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال: لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بأسك^(٧) وكان في ألفي رجل، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً، وفيهم يقول شاعرهم:

أألفا مؤمن منكم زعمتم ويهزمكم بأسك أربعونا^(٨)
كذبتكم ليس ذاك كما زعمتم ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونا
همُ الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصروننا^(٩)

(١) المزة: السحابة الماطرة.

(٢) الوجي: الحوض.

(٣) الشوى: البدان والرجلان.

(٤) ديوان ابن الرومي: ٢٠٧/٦.

(٥) في الديوان: «تمحُّ كل حزن».

(٦) في الديوان: «أظلتك... مطوقة ترنم فوق غصن».

(٧) أسك: بلد في الأهواز.

(٨) في معجم البلدان مادة (أسك): «ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم».

(٩) في معجم البلدان: «هم الفئة القليلة غير شك».

فدخل أسلم البصرة، فقالت له امرأة من قومه: والله لأن تعيش حميداً خيراً من أن تموت شهيداً، ولأن تدوم عبادتك بحياتك، أزلف لك من أن تنقطع بمماتك، قال ودخل على ابن زياد فعنفه واستعجزه، فقال: أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي، وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد عليّ، ولأن يذمني الأمير حياً خيراً من أن يمدحني ميتاً. وحدثناه عنه، عن القاسم بن إسماعيل، عن رفيع بن سلمة، عن أبي عبيدة، قال: لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر، قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس، وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهمم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم، حتى قال صفوان: أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهداً، وطلبتها طاقتك ووسعك، فعلم الله فقرنا إليك، وقلة عوضنا منك، فاختار لنا عليك ببقائك، ولم يختار لك علينا باستشهادك، فالحمد لله الذي زين بك مصرنا، وأنس ببقائك وحشنا، وجلا بسلامتك غمنا. فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك.

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة^(١) بن مُسيك العطيبي وأجاد:
 فإن نهزم فهزّامون قدماً وإن نهزم فغير مهزّميننا
 وما إن طبنا جبنٌ ولكن منايانا ودولة آخرينا
 فقله «ودولة آخرين» من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم.

الدعاء للمعزول

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي:
 ليهنك إن أصبحت مجتمعَ الشملِ وراعي المعالي والمحامي عن المجدي
 وإنك صنتَ الأمرَ فما وليتهُ وفرقتَ ما بين الغواية والرُشدِ
 فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنماً فإن إلى الإصدارِ ما غاية الوردِ
 وما كنت إلا السيفُ جرّاً للوغى وأخمد فيه ثم ردّ إلى الغمدِ
 وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحاق قال عُزل هشام من إسماعيل
 المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة^(٢):

فإن تكن الأمانة عنك زالت فإنك للمغيرة والوليدِ
 وقد مرّ الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه، قال: دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله بن

(١) هو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة، صحابي من الولاة، له شعر. توفي سنة ٣٠ هـ. الأبيات في الأغاني: «فإن تلب فغلابون قدماً».

(٢) هو عروة بن يحيى بن مالك، شاعر غزل مقدّم من أهل المدينة وهو فقيه محدث. مات سنة ١٣٠ هـ. (الأعلام: ٢٢٧/٤).

الحسين القطريلي ، وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله^(١) أبو عبادة البحرني :
شَهِدَ الخُرْجُ إِذْ تَوَلَّيْتَهُ أَنْـكَ فِي جَمْعِهِ الأَمِينُ الأعْفُ
حيث لا عند مجتبي منه إلظا ظ ولا في سياق جاييه عُفُ^(٢)
سيرة القصد لا الخشونة عَفُ لتعدى المدى ولا اللين ضعفُ^(٣)
وعلى حالتك يستصلح النـا سُ إباءً من جانبك وعطفُ^(٤)
لن يُولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخرَ الدهر خلفُ^(٥)
إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صَرفُ
فقدِماً تداوَل العسر واليسر ر وكل قذى على الريح يطفو^(٦)
يفسد الأمر ثم يصلح عن قر ب وللماء كذرة ثم يصفو
ولما غزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشد أبو صفوان الثقفي :

أبا إسحاق إن تكن الليالي عطفن عليك بالعزل اللئيم
فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم
وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدري :
لا يهنأ الأعداء عزل ابن هاشم فكلُّ مولى قصره الصرف والعزل
لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
يروم رجال حطه وهو سابق أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو

دعاء الأعياد

أخبرنا عنه ، عن جبلة بن محمد الكوفي ، عن أبيه قال : قال ابن شبرمة لعيسى بن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة ، واستقبل منك الخير والنعمة وقرن بالإقبال يومك .

ما قيل في القيام للأجلاء

أخبرنا أبو أحمد ، عن الصولي قال : حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكبر قال : حضر بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلقيه من بعيد وقال :

لئن قمت ما في ذاك عندي غضاضةً علي وإني للشريف مُذلل^(٧)

(١) ديوان البحرني : ٣٠٢/١ ع .

(٢) إلظا : الحاح .

(٣) في الأصل : لتعدى الندى .

(٤) في ديوان البحرني : « الأرض إباء » .

(٥) الطساسيج : النواحي .

(٦) القذى : ما يسقط في العين .

(٧) غضاضة : تنقيص .

على أنه مني لغيرك ذلةٌ
ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى :
فلما بصرنَا به ماثلاً
فلا تنكرن قِيَامِي لَهُ
وأنشد أبو أحمد عن الصولي، عن يحيى
ولكنه بيني وبينك يَجْمَلُ
حللنا الحبي وأبتدَرْنَا القِيَامَا
فإن الكريمَ يَجْلُ الكرامَا
البحثري، لأبيه في عبيد الله بن عبد الله في
قصيدة طويلة :

ومُجِل وسطَ الرجالِ خُفوفهم
فَاللهُ يَكْلُوهُ لَنَا وَيَحْوَطُهُ
وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالي
فلا تعجبُ لإسراعي إليه
وقال البحثري (٢) :

يَقُومُونَ من بُعدٍ إذا بصروا به
ويبتدِرُ الراوُونَ منه إذا بدا
إذا سَارَ كُفُّ اللَّحْظِ عن كُلِّ مَنْظِرٍ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةً شَاخِصٍ
لأبْلِجَ موفورِ الكرامةِ أروع (٣)
سنى قمرٍ من سُدَّةِ المَلِكِ مَطْلَعٍ
سواه وَغُضُّ السَّمْعِ عن كُلِّ مَسْمَعٍ (٤)
إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :
إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت
وطارت رِقَاعُ بالمواعيدِ بيننا
فإن شالَ شَوَالٌ تُشَلُّ في أكفنا
أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمه (٥)
لكي يلتقي مظلومٌ قومَ وظالمه
كؤوسُ تُعادي العقلَ تسالمه (٦)

ومعاني هذه الأبيات كلها مُبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .
وأنشدنا أبو أحمد، عن الصولي، عن الرياشي، عن أبيه :
وقفنا فلولا أننا راضنا الهوى
ومن دون ما نلقاه من لوعة الهوى
لهتكنا عند الرقيب نحيبُ
تُشَقُّ جُيُوبٌ بل تُشَقُّ قُلُوبُ

(١) يَكْلُوهُ : يحفظه .

(٢) ديوان البحثري : ١ / ٨٨ ع .

(٣) في بعض النسخ : «موفور الجلالة» .

(٤) في ديوان البحثري : «وغيض الصوت» .

(٥) أراجيف : اضطرابات .

(٦) شال شوال : دخل شهر شوال .

على أن شوالاً أشال يوصلنا
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :
ومرتعه للعاشقين خصيب

سقى لشهر الصوم من شهر
كم من عزيز فيه فزنا به
ومن إمام كان لي وصله
لو كان يدري بالذي خلفه
وخلة زارتك مُشتاقة
فانصرف الناس بما أملوا
وأنشد المبرد للحارثي :

شهرُ الصيام وإن عظمت حرمة
يمشي الهوينا إذا ما رام فرقتنا
لا يستقر فاما حين يطلبنا
كانه طالب ثاراً على فرس
يا صدق من قال أيام مباركة
وقال آخر:

مضى رمضان محموداً وأوفى
وفي مرّ الشهور لنا فناء
وعلىنا الفطر يقدمه السرور
ونحن نحب أن تفتي الشهور

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي ، قال : حدثنا الحسين بن يحيى قال : كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الوائق :

هزرتك للصباح وقد نهانا
وعندي من قنان المصير عشر
فكن أنت الجواب فليس شيء
وقال غيره :

أقول لصاحبي وقد بدا لي
سنسكر سكرة شنعاء جهراً
وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفري :

هل لك في صهباء مشمولة
ليست من الدبس الذي ينبذ^(٤)

(١) الخلعة : الصاحبة .

(٢) السليك بن السليكة : شاعر جاهلي عداء من الصعاليك .

(٣) الرمكة : الفرس .

(٤) الصهباء المشمولة : الخمرة .

فإنَّ شعبانَ على طيبه دربٌ إذا فكرتَ لا ينفذُ
وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقياني من معتنقِ الخمرِ فلا عذرَ لي في الصبرِ أكثرَ من شهرِ
وإنَّ كتما لم تعلمَا فتعلما بأنَّ زمانَ الصومِ ليس من العمرِ
وحدثنا أبو أحمد، عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموج الرازي وقال :
حدثني أبي قال : كتب علي بن جبلة ، إلى أبي دلف يستسقيه نبذاً في يوم عيد الفطر فوجه إليه بما
كفاه وبمائتي دينار فقال علي بن جبلة :

وأبيض عجلي رأيتُ غمامه وأسيافه تقضي على الجذثان^(١)
مددتُ إليه ذمتي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
شربتُ ورؤيتُ النديمَ بماله وأدركتُ ثأرَ الراح من رمضان
وكانَ لشوالٍ عليَّ ضمانه فكانت عطايا جوده بضمنان^(٢)

وحدثنا عن الصولي قال : حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا التوزي عن أبي
عبدة قال أسلم أعرابي في أول الإسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الأعرابي يذكر
ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعه سوى شهرِ الصيامِ

فصل في معانٍ مختلفة

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد، عن عمه، قال : كانت عند رجل من بني أسد ابنة
عم له، ورآها فدخل إليها يوماً وهي متغضبة، فقال ما شأنك؟ قالت : إنك لا تشب بي كما يشب
الرجال بنسائهم، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمتُ عُبيدةً إلا في ملاحيتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
ما خالفَ الظبيَ منها حينَ تبصيرها إلا سوالفُ والجيدُ والنظرُ
قلُ للذي عابها من حاسدٍ خنق أقصرَ فرأسُ الذي قد عبَتَ والحجرُ
وأنشدنا للعديل^(٣) بن الفرخ العجلي :

هل تقضينَ لمستهامٍ حاجةً نيطتُ إليك بها جبالُ رجائه
أفنى تجلدهُ بقاءُ دُموعِهِ وأدامَ عبرتهُ فناءُ عزائه

(١) الأبيات في الأغاني : ٣٤/٢٠ . الجذثان : النواثب .

(٢) شوال : الشهر الذي يلي شهر الصيام .

(٣) هو العديل بن الفرخ العجلي ، ويلقب بالعباب شاعر فعل اشتهر في العصر المرواني وهجا الحجاج ثم هرب
إلى بلاد الروم فطلبه ثم عفا عنه فمدحه . مات سنة ١٠٠ هـ . (الأعلام : ٢٢٢/٤) .

وحدثنا أبو أحمد، عن الصولي، عن أحمد بن محمد الخراساني قال: كنت في مجلس ابن ثوبة فناظره رجلٌ عن ضيعة له، فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوبة: يا مابون فوثب الرجل وهو يقول:

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْل أن بدت ونجمُ الثريا والمزارُ بعيدُ
فتحدث الناس بها مدةً. قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيَّاء قال: خاصم يوماً
جیلان القمي المقبول الزیادي فقال المقبول يا دعي فأنشأ جیلان يقول:
بُئينة قالت: يا جميلُ أربتني فقلت: كلانا يا بثن مُريبٌ^(١)
فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال: جیلان في التمثل، بهذا البيت في هذا الموضع، أشعر
من جميل قائله.

أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين:

عَظِيرِ إِنَّا اخْتَلَفْنَا	فِي الْفَعْلِ مِنْ فَاعِلِينَ
فَقَالَ قَوْمٌ يَثْنِي	لَجَمْعِنَا الْهَمْزَتَيْنِ
وَقَالَ قَوْمٌ يَعْدِي	بِمَلْتَقَى السَّاكِنِينَ
وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا	بَذَا وَذَاكَ وَذِينَ
لَأَنَّكَ الْدَهْرُ فَعَلَ	يَعْتَلُّ مِنْ جِهَتَيْنِ

وأنشدني عم أبي رحمه الله:
صحبكم دهرًا طويلًا لعسرتي
فما نلت منكم طائلًا غير أنني
وأنشدني أيضًا في مسجون:

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما
رأينا جلايبَ السحابِ على الشمسِ
وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي^(٢):

خيرُ مالٍ موزونُهُ لذوي الحمى
كَمَا خَيْرُ حَمْدِهِمْ موزونُهُ
وأصحُّ الآراءِ ما ظنُّ ذُو الْأَقْسَنِ
بِذِي الرَّأْيِ أَنَّهُ مَأْفُونُهُ^(٣)

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله^(٤):
وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادةُ لي بأنِّي فاضلُ
والمحلُّ الخلاءِ من كلِّ ضيفٍ
ومضيفٍ مُعْطَلٌ مسكونُهُ

(١) البيت في ديوان جميل بئينة: ١٧.

(٢) ديوان ابن الرومي: ٢٨٥/٦.

(٣) في الأصل «وأظن الآراء».

(٤) ديوان المتنبي: ٣/٢٦٠.

وأخس الرجال من راحَ فيهمُ مُسلمَ العرضِ سالماً ما عونهُ
أنفقَ المالَ قبلَ انفاقك العمــــرَ ففي الدهرِ رَبُّهُ ومنونهُ
لا تظننَّ أنَّ مالكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرهُ محقونهُ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقَت في الثرى المهيلُ رهونهُ^(١)
كلُّ وأطعمَ فريماً راعِ ريعاً زاكياً من تعولهُ وتمونهُ^(٢)
وإذا ما ظننتَ شراً فخفه ربُّ شرٍ يقينهُ مظنونهُ
كم ركوبٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونهُ^(٣)

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأباري عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ ويلحقُ الجهلُ أحياءَ بأمواتِ
ونحوه قول دعلب^(٤) :

سأقضي ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرهُ ويكثرُ من أهلِ الرِّوايةِ حاملهُ
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبلِ رَبِّهِ وجيّدُهُ يبقى وإن ماتَ قائلهُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري^(٥) فقال له :

أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مُناهضاً بغيرِ غنى أسمو به وأبوعُ
وإنَّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيحُ
أُخترمي رَبِّبُ المنونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصى به وأطيعُ
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

التفاضل بين الإخوان

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ ببعض فإنَّ الغثَ يحملهُ السمينُ^(٦)
ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلاً وفيما أضمرُوا الفضلُ المبينُ

(١) الثرى المهيل : التراب المنهال .

(٢) في الأصل : «فكل ما راع ريعاً» .

(٣) الركون : السكون .

(٤) الشعر والشعراء : ٧٢٩/٢ .

(٥) هو خالد بن عبد الله القسري ، من بجيلة امير العراقيين وخطيب مشهور ، جواد . تولى مكة ثم العراق ، ثم عُزل وسجن وعذب ثم قتل ، ورُمي بالزندقة ، سنة ١٢٦ هـ .

(٦) الغث : المهزول .

كلون الماء مشتبهاً وليست تخير عن مذاقته العيون

الحث على موافقة الناس

من أحسن ما ورد في ذلك قول الشاعر:
الناس إن وافقتهم عذبوا أولاً فإن جناهم مُرٌ
كم من رياضٍ لا نظير لها تركت لأن طريقها وعراً
وقلت:

لما أدلّ أملني فسلوته من ذا يدلّ فلا يملّ محبّه
تالله ما اتبّع النبيّ محمّد لو كان فظاً أو غليظاً قلبه

إغباب الزيارة

قال مسلم بن الوليد:
إنني كثرت عليه في زيارته فملّ والشيء مملولٌ إذا كثرا
وطعام عمرو ابن أوفى مثله ما دام يسلك في البطون طعام
وقال الكميّ:

ولبو لم تغب شمس النهار لَمَلَّتْ

فأخذه أبو تمام فقال^(١):

فإنني رأيت الشمس زيدت محبةً إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمدٍ
ونقله آخر إلى ذكر الغيث:
عليك بإقلال الزيارة إنها تكون متى دامت إلى الهجر مسلّكا^(٢)
فإنني رأيت القطر يسأم دأبا ويُطلب بالأيدي إذا هو أمسكا^(٣)
وقال آخر:

وأغبيت الزيارة لاملالاً ولكن من محاذرة الملال
وهذا كله من قول النبي ﷺ:
«زُرْغَبًا تَزِدُّ حُبًّا»^(٤).

وقلت:

ما زلت تلقاه فضاّق صدره وعاد من بعد الوصال هجره
من أكثر الغشيان خس قدره لو كثر الياقوت هان أمره

(١) ديوانه: ٩٠.

(٢) ويروي: «إغباب الزيارة إذا كثرت كانت إلى...».

(٣) في رواية: «رأيت الغيث». وفي الأصل: «يسأم دائماً» وفي رواية «ويسأل بالأيدي» كما في هامش النسخة.

(٤) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب، وابن حبان في صحيحه.

ولم يعمز حُمْرُهُ وَصُفْرُهُ ولا علا بين الأنعام ذِكْرُهُ

في ذم العجائز قول الشاعر

رَأَيْتُ الْبَيْضَ قَدْ أَغْرَضَنِي عَنِي كَأَنَّ مُجَامِعَ اللَّحْيَيْنِ مِنْهَا
فَمَنْ لِي أَنْ تَسَاعِدَنِي عَجُوزُ وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ الْحَرَمَازِيِّ (١):
إِذَا حَسَرْتُ عَنِ اللَّحْيَيْنِ كُوزُ

لَا تَتَكَحَّنُ عَجُوزاً إِنْ دَعَيْتَ لَهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ عَنْهَا مَعْنَا هَرَبَا
فَلِنْ أَتُوكَ وَقَالُوا: إِنَّهَا نَصَفُ فَإِنْ أَطِيبَ نَصْفُهَا الَّذِي ذَهَبَا
وَقَالَ آخَرُ:

وَمَا غَرَنِي إِلَّا خَضَابُ بَكْفُهَا وَكَحَلُ بَعِينِهَا وَأَثْوَابِهَا الصَّفْرُ (٢)
وَجَاؤُوا بِهَا قَبْلَ الْمُحَاقِّ بَلِيلَةٍ فَكَانَ مُحَاقاً كُلَّهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ (٣)

ما ورد في فضل الحمام

قال السري بن عبد الله الرفاء:

أَسْعِيدُ هَلْ لَكَ فِي زِيَارَةِ مَنْزِلِ تَشْنِي عَلَيْهِ جَوَارِحُ الزُّوَارِ
رَحْبَ تَرَى الْجُدْرَانَ فِيهِ يَنَابِعاً وَتَرَى السَّمَاءَ كَثِيرَةَ الْأَقْمَارِ (٤)
يَنْضُوحِي الْوَجْهِ ثُوبَ حَيَاتِهِ فِيهِ فَيَخْطُرُ كَالْحَسَامِ الْعَارِي
وَتَرَى عَلَى غَدْرَانِهِ بِهِمُ الْوَعَى يَخْطُرْنَ مَا بَيْنَ الْقَنَا الْخَطَارِ (٥)
سَلْتُ سَيُوفَهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَتْ خِيُولُهُمْ بِغَيْرِ غِبَارٍ
مَعَ أَبْيَاتٍ أُخَرُ غَيْرِ مَخْتَارَةِ الرَّصَفِ.

وقلت:

قُمْ بِنَا نَنْزِلْ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلُ تَخْلُعِ دِينِكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعُ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُوسَ نَهَاراً وَتَرَى الْأَقْمَارَ نَصَفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدُ حَرْبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ مِهَارٍ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زُورٍ وَسَيُوفِ نَابِيَاتِ الشِّفَارِ

(١) الحرمازي: أبو علي الحسن بن علي، بدوي راوية، قدم البصرة ونزلها وينسب إلى حرماز بن مالك (الفهرست ٧٢).

(٢) في بعض النسخ: «وما راعني إلا».

(٣) المحاق: ذهاب نور القمر في آخر الشهر القمري.

(٤) في ديوانه: «رحب تلاقي الجدر منه ينابيع» و«عليه كالأقمار».

(٥) في ديوانه: «وترى على جدرانه».

ونرى الأبدان حين أتته
بينابيع كقضبان دُرّ
وقال^(١) عبد الله بن المعتز في ذم حمّام:

وحمامنا كالعجوز
فبيت له مُنتن،
يشقى بها الواردُ
وبيت له باردُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال:

وحمامنا هذه كالعجوز
فبيت لها مُنتن ضيقُ
تلد ويشقى بها الواردُ
وبيت لها واسع باردُ

ومن أجود ما قيل في صفة النّورة قول الآخر:

ومجرّد كالسيف أسلم نفسه
ثوباً تمزقه الأنامل رقةً
وكأنه لما التقى في خصره
نصفان ذا عاج وذا فيروزج^(٢)
لمجرّد يكسوه ما لا يُنسجُ
ويُذيه الماء القراح فيهج

الشطرنج - قلت فيه

إذا أعفيت الصهبا
وكان الكأس لا يُجدي
ء من قدح ومن شجّ
ومزجي الرّاح لا يزجي

وألغى اللهو من يلغى
لأيام أخاضتنا
فمنها الجسم في نقص
فما أنفك في حرّ
وما من شرّها ناجٍ
تمتعنا بمسموع
ونتلو ذكر من نهوى
كأننا منه في هرج
تمشّى الزّنج للروم
فما أحسنها بيضا
وأرجى الشرب من يرجي
من الأحزان في لج
ومنها القلب في وهج
وإن أصبحت في تلج
وما من كيدها مُنجي
مليح النّظم والنسج
على تردّ وشطرنج
ولسنا منه في هرج
وقام الروم للزّنج^(٣)
تمشين إلى دعج^(٤)

(١) ديوان ابن المعتز: ١٦٤.

(٢) الفيروزج: الفيروز من الأحجار الكريمة.

(٣) الزّنج: جيل من الناس السود.

(٤) الدعج: سواد العين واتساعها.

أَقْمَنَا بَيْنَنَا حَرْباً	بَلَا عَجْ وَلَا ثَجْ ^(١)
شَهْدَنَاهَا بَلَا طَبَل	وَلَا بَوَق وَلَا صَنْجْ ^(٢)
وَجَنَّاهَا بَلَا سَيْف	وَلَا رُمَح وَلَا زَجْ ^(٣)
تَرَى أَفْرَاسِنَا تَعْدُو	بَلَا لَجَم وَلَا سَرْج
مَشَى الْفَرَزَانُ مُعَوِجاً	لَأَمْرِ غَيْرِ مُعَوِجْ
وَرُخْ يَنْتَحِي نَهْجاً	فَلَا يَعْدُو عَنِ النَّهْجِ
وَفَيْلٌ لَيْسَ يَحْدُوهُ	يَدَا شَلَجٍ وَلَا عَلَجْ ^(٤)
وَعِنْدَ الشَّاهِ مَنْصُوبٌ	لَوَاءُ النَّصْرِ وَالْفَلَجِ ^(٥)
وَحَوْلِي أَوْجُهُ غُرٌّ	عَلَيْهَا سَيْمَةُ السَّرَجِ
إِذَا مَا دُونَ الْحَسَنِ	تَرَاهُمْ أَوَّلَ الدَّرَجِ

ما ورد في الرد

وقال السري بن عبد الله الرفاء:

ومحكماً على النفوس وربما
يلقاها المرزوق سعداً طالعاً
فإذا هما اصطحبا على كفّ الفتى
لم يحكماً فيهنّ حُكماً عادلاً
ويراهما المحروم سعداً آفلاً
ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلاً

وأما القدح

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل:

خُرُوجٌ مِنَ الْغَمِّ إِذَا صَكَ صَكَةً
غَدَا وَهُوَ مَجْدُولٌ وَرَاحَ كَأَنَّهُ
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعْدَ عَصَابَةٍ
بَدَا وَالْعَيُونُ الْمُسْتَكْفَةُ تَلْمَحُ
مِنَ الْمَسِّ وَالتَّقْلِيْبِ بِالْكَفِّ أَفْطَحَ^(٦)
غَدَا وَبِهِ قَبْلَ الْمَفِيزِينَ يَقْدَحُ

انتظار الفرج

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارَهُ وَاطْمَأْنَنْتِ
أَتَاكَ عَلَى قَنَوطٍ مِنْكَ غَوْثُ
وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَرَسَتْ فِي مَطَامِنِهَا الْخَطُوبُ
يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

(١) العج: الغبار. الثج: سيلان الماء.

(٢) الصنج: آلة معدنية تصدر الأصوات الموسيقية.

(٣) الرّج: النصل.

(٤) العلج: الكافر من كفّار العجم.

(٥) الفلج: الظفر والفوز.

(٦) أفطح: عريض.

وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ القريبُ
وقلتُ:

لكلِّ مُلمةٍ فرجٌ قريبٌ كمثِلُ الليلِ يتلوهُ الصُّباحُ
وإنَّ لكلِّ صالحَةٍ فساداً كذلكِ لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
وللأيامِ أيديٌ باسطاتُ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
وقد تأتي وأوجهها صباحُ كما تأتي وأوجهها قباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعُ وللدُّنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعِ لها واصبرِ عليها فإنَّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

معنى آخر

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثُ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ
إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلتْ ولا يَلينُ إذا قوَّمتها الخشبُ

وأجود ما قيل في ازدحامِ المنتجعين على أبوابِ المفضلين البيت المشهور:
مَنْ أَكثَرَ الإحسانَ من فعلِهِ وعَمَّ بالفضلِ جَميعَ الأنامِ
يَزِدُّهُمْ الناسَ على بابِهِ والمشرَّبُ العذبُ كثيرُ الرِّحامِ
وقال أبو الهول:

إذا السماء أبتُ إلا محاذرةً سَحَّتْ يدُ الفضلِ ياقوتاً وعقياناً^(١)
تَرى الرِّفاقَ إلى أبوابِهِ زمراً وردَ القطا أقبلتْ مثنى ووحداناً

معنى آخر

ليسَ جودٌ أعطيتُهُ بسؤالٍ قد يهزُّ السؤالُ غيرَ جوادٍ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تَنقُ فيه ذلَّةُ التردادِ

ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم

وخضراء لا من بناتِ الهديلِ يُلفَفُ بالسِّيرِ مِنقارها^(٢)
كأنَّ مشقَّ عيونِ القطا إذا هنَّ تؤمن آثارها
وقال أيضاً في الحجامة^(٣):

(١) الباقوت: حجر كريم.

(٢) بنات الهديل: كناية عن الحمام.

(٣) الحجامة: القصد.

أما وأبيك لا أنساهُ تدمي
وَبَرَقاً في أنامله إذا ما
إذا ظمئتُ فراحَ أبيك يوماً
وإن جرحَ الأخادعَ مطمئناً
ولم أرَ مثله يأتي عُقوقاً
وقال آخر:

أبوك أو هي النجاءُ عاتقه
يأخذن من ماله ومن دمه
كم من كميٍّ أدمى ومن بطلٍ
لم يمس من ثأره على وجلٍ

ومما ما قيل في خطل الرأي قول الآخر

عُذرك عندي بك مبسوطٌ
ليس بمسخوطٍ فعالٍ امرئٍ
والعتبُ عن مثلك محطوطٌ
كلُّ الذي يأتيه مسخوطٌ
وقال آخر:

يا مَنْ يقلقه طنينُ ذبابٍ
ضربَ السرادقِ في رواقِي بابِهِ
ويفلُّ عزمتهُ صَريزُ البابِ
والدَّارُ تعجزُ عن مَقلِ ذبابِ
وأقامَ للبوابِ حاجِبَ حاجِبِ
أرأيتَ حاجِبَ حاجِبِ البوابِ

إفساد المعروف بالمن

قال بعضهم:

ألبانُ إبلٍ تَعَلَّةُ بنِ مُساوِرٍ
وطعامُ عمرو بنِ أوفى مثله
ما دامَ يملكها عليّ حرامٌ
ما دامَ يسلكُ في البطونِ طعامُ
زادَ يَمَنُ عليهم للثامُ^(٣)
لَعنَ الإلهَ تَعَلَّةُ بنِ مُساوِرٍ

من يعيب غيره وهو معيب

من المشهور في ذلك قول الشاعر:

أرى كلَّ إنسانٍ يرى عيبَ غيره
وما خيرُ من تخفى عليه عيوبُهُ
ويعمى عن العيبِ الذي هو فيه
ويدولُه العيبُ الذي لأخيه
ولأبي دلالة^(٤) في معناه:

(١) الكمي: البطل المدجج بالسلاح.

(٢) الديباج: الحرير.

(٣) يسوغ: يلد.

(٤) أبو دلالة: هو زيد بن الجون الأسدي، شاعر مطبوع، ظريف، نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني

إذا الناس غطوني تغطيت عنهم وإن حفروا بشري حفرت بئارهم
وإن بحثوا عني ففيهم مباحث ليعلم قوم ما تضم النبأ^(١)

معنى آخر

صديقك حين تستغني كثير فلا تغضب على أحد إذا ما
ومالك عند فقرك من صديق طوى عنك الزيارة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة:

تكاد لو لم تك إنسيه لا تعصم الحساء من كيدها
تجري من الإنسان مجرى الدم ولو ثوت في منزل الأعصم^(٢)
وقول الآخر في ذلك:

تسهل كل ممتنع عسير فلو كلفتها تحصيل طيف ال
وتأتي بالمراد على اقتصاد خيال ضحى لزار بلا رقاد
وقرب من ذلك قول الآخر:

من ذم إدريس في قيادته من بمستصعب فجاء به
فإنني شاكر لإدريس أطوع من آدم لإبليس
وكان في سرعة المجيء به آصف في حمل عرش بلقيس^(٣)

معنى آخر

ما ازددت في أدبي حرفاً أسر به إلا تزيدت حرفاً تحته شوم
إن المقدم في حذق بصنعتة أنى توجه منها فهو محروم
وقرب منه:

ولربما رزق الفتى بسكوته ولربما حرم الفتى ببيانه
ومن الجيد في ذلك قول الآخر:

إذا اجتمعت في امرئين صناعةً وأحببت أن تدري الذي هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمال واسع وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

معنى آخر

إذا قل مال المرء لانت قنائه وهان على الأدنى فكيف الأبعد
ومثله قول الآخر:

= العباس. اتهم بالزندقة لتهتكه. مات سنة ١٦١ هـ. (الأعلام: ٤٩/٣).

(١) النبأ: جمع النبئة: تراب البئر. وفي الأغاني: «ليعلم يوماً كيف تلك النبأ».

(٢) ثوت: أقامت.

(٣) آصف: اسم الجني الذي حمل عرش بلقيس.

ويهان للعدم العديم

المرء يكرم للغنى

وقال آخر:

ما لم يسقه علم ولا أدب
فأكرم الناس من كانت له نشب

غضبان يعلم أن المال ساق له
فمن يكن عن كرام الناس يسألني
وقال آخر:

ومالي من مال أصون به عرضي
وذلك لا يغني الصديق ولا يرضي

كفي حزناً أني أروح وأغتدي
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحبا
وقال آخر في معناه:

وكل غني في القلوب جليل
عشية يُقري أو غداة ينيل

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى

ما ورد في حظ الجاهل

فمن جملة ذلك قول الشاعر:

بأغنى في المعيشة من فتيل
وهيهات الحظوظ من العقول

وما لبّ اللبيب بغير حظ
رأيت الحظ يستر كل عيب
والعرب تقول^(١): «إسع بجد أودع».

وقال الحارث بن حلزة^(٢):

ل النوك ممن عاش كدًا^(٣)

والعيش خير في ظلا
وقلت:

يعيش في حال نكد
أثبت من وصل وتد
تصدّر بحظ وترد
واصبر على ما لم ترد
بجد سعد دون جد

لكل حر مبتلى
والنحر في طالعه
فكن رقيعاً ساقطاً
وكن رقيعاً ماجداً
هيهات أن يحظى الفتى

وقال آخر:

فانهض بجد في الحوادث أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر
قدّر وأبعدها إذا لم يُقدر

الجد انهض بالفتى من عقله
وإذا تعسرت الأمور فارجها
ما أقرب الأشياء حين يسوقها

(١) جمهرة الأمثال: ١٠٧/١.

(٢) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري، شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق. وكان ابرص فخوراً
يعذه البعض من اصحاب المعلقات مات سنة ٥٠ ق هـ.

(٣) النوك: الحمق.

الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة

قال بعضهم:

ولن يلبث الجهال أن يتهضموا أخوا الحلم ما لم يستعن بجهول
وقال الأحنف بن قيس^(١):

وذي ضغن أمت القول منه بحلم واستمر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه يلاقي المعضلات من الرجال
وقال غيره:

لا بُدَّ للسيد من أرماع ومن عديد يتقى بالراح^(٢)
ومن سفيه دائم النباح

معنى آخر

وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم النفوس وخيرها^(٣)
ففسك أكرم عن أمور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها
وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها فقيراً ويغني بعد بؤس فقيرها
وكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه بشيرها^(٤)

الاقتداء بالقرين

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ «المرء على دين خليله»^(٥).
ومن أقدم ما قيل فيه قول عدي بن زيد العبادي:
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي
وليس رصفه بالجيد. وقال غيره:
ولا يسئل الإنسان إلا قرينه وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

المأخوذ بذنب غيره

ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة:
أحملتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع
وقال غيره:

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية، أبو بحر، سيد تميم، من الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم. اعتزل الفتنة يوم الجمل، وشهد صفين مع علي. تولى خراسان. مات سنة ٧٢ هـ.

(٢) الراح: الخمرة.

(٣) الخيم: السحبة والطبيعة.

(٤) آيس: يائس. وفي الأصل: «ومن آيس».

(٥) رواه الترمذي: زهد ٤٥. وأبو داود: أدب ١٦.

إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالشورِ يُضربُ لما عافَتِ البقرُ

في النهي عن الظلم قول الأول

البغيُّ يصرعُ أهله والظلم مرتعه وخيمُ
وقال النبي ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقال بعضهم:

ظَلَمْتُكَ مِنْ خُلُقِكَ مُسْتَخْرَجٌ وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ
وقلت في عاملٍ صودر:

لو أنصفَ الظالمُ من نفسه لأنصفَ الظالمُ في نفسه
إن كان لا يرحمُ في يومه لكان لا يرحمُ في أمسه

ما ورد في الجبن

وأفلتنا هجين بني سليم يُفدِّي المهر من حُبِّ الإياب
فلولا الله والمهرُ المُفدِّي لأبتِ وأنتَ غريبُ الإهاب^(٢)
وقال آخر:

باتت تُشجِّعني هندٌ وقد علمتُ أن الشجاعةَ مَقْرُونٌ بها العطبُ
يا هندُ لا والذي حجَّ الحجيحُ له ما يشتهي الموتُ عندي من له أدبُ
وقال آخر في المعنى:

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثله كأنِّي عُقابٌ عندَ تيمنٍ كاسِرُ
وقال آخر:

يقولُ لي الأميرُ بغيرِ شكٍّ تقدَّم حينَ جَدَّبنا المِرَاسُ
وما لي إنْ أطعْتَكَ من حياةٍ ومالي بعدَ هذا الرِّاسِ راسُ

ومن المضحكات قول الآخر

ألم ترني وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يُمْنِي يَدِيهِ وفيما بيننا رجلٌ ضريِرُ

ومن المضحكات قول الفاساني في الجبن والتطفيل:

أَرَى فِي النِّوَمِ رُمَحاً أَوْ سِنَاناً فأسلُحُ فِي الْفِرَاشِ عَلَى مَكَانِي
ولكنني المُبَارِزُ حينَ أدعى إلى أَكْلِ الْعَصِيدَةِ وَالْفِرَانِي
وما عمروُ هناكَ أَشدَّ مِنِّي ولا الْعَبْسِيُّ عَنْتَرَةُ الطَّعَانِ

(١) رواه البخاري: مظلماً ٨ والترمذي: بر ٨٢.

(٢) المهر: الحصان الغر.

ولا زِيدَ الفوارسِ حينَ أدنو
تراني عندها ليشاً نفيراً
أشدُّ على الخيصةِ لا أبالي
وكم طبق رَدَدْتُ وليس فيه
فألقي بالكلاكل والجِران^(١)
إذا ما اصطكَّ مني الماضغان
بأيِّ جنوبها وقعتْ بناني^(٢)
من البقلِ المحصلِ حبتان

الخلق من الثياب

قال الحمدوني^(٣):

طالَ تردَّأه إلى الرِّفْوِ حتى
لو بعثناه وَحْدَه لتهدَّى
وقال آخرُ:

قال غَسَّالِي لما جئته قولاً صحيحاً
يا عزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحاً
وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر:
يا بن حربِ كسوتني طيلساناً
إن تنحنت فيه ينحز عيراً
ملٌّ من صُحبةِ الزَّمانِ وصدّاً
أو تحركت فيه ينقدُّ قدّاً

من أحب لبناته الموت

قال بعض الأعراب:

إني وإن سيقَ إليَّ المهرُ
ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهاري إليَّ القبرُ
وقال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر^(٤):

لكلِّ أبي بنتٍ يُراعي شؤونها
ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلُ يُراعيها وخدرٌ يكنها
وقبرُ يُوارِيها وخيرُهما القبرُ^(٥)

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار، فإنه نعم الصهر في الستر. كلام الملحدين لعنهم الله:
فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي:

هي الدنيا وقد نعيموا بأخرى
وتسويفُ النفوسِ من السوافي
فإن كذبوا أمنت وإن أصابوا
فإن المبتليكَ هو المُعافي

(١) الكلاكل: الجماعات من الناس.

(٢) الخيصة: ضرب من الطعام من السمن والتمر.

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه، أبو علي بصري مليح الشعر اشتهر بقوله في طيلسان ابن حرب. وفيات الوفیات: ١٧٣/١.

(٤) هو الأمير، أبو أحمد، والي بغداد بعد أخيه، وكان رئيساً جليلاً وشاعراً محسناً ومتربلاً بليغاً، مات سنة ٣٠٠ هـ.

(٥) الخدر: البيت الذي يستر. يكنها: يسترها.

وأصدق ما أبثك أن قلبي بتصديق القيامة غير صافي

وقال ابن أبي البغل:

بأخ ضميري بمُضمَر الأمر
وليس بعد الممات حادثة
وقال آخر:

ها ناظراً في الدين ما الأمر
ما صحّ عندي من جميع الوري
لا قدّر صحّ ولا جبر
يُذكر إلا الموت والقبر

قبّحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة في الدنيا والآثم في الآخرة. وإنما
أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجهه. ونحوه قول ابن الرومي وأجاد:

أيا رب إن سوّيت بيني وبينه
فكيف وقد أعليتُه وخفضتني
لما كان عدلاً أن نكون سواء
فكنت له أرضاً وكان سماء

فصل آخر

كتب^(١) أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه:

يا صديقي وأخي في كل ما يعرفون وشده
ليت شعري هل زرعتم بذر كتان المخدّة

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه، عن أحمد بن أبي طاهر، قال أهدى بعض العمال إلى
دعبل بن علي الخزاعي بردونا^(٢) زمناً فردّه وكتب إليه:

وأهديته زمناً فانيا فلا للركوب ولا للثمن^(٣)
حملت علي زمن شاعراً فسوف يكافي بشعر زمن
أبا الفضل ذمّاً وغرماً معاً فما كنت ترجو بهذا الغين^(٣)

ووعد رجل دعبل نعلأ يهديها إليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي:

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شتما وقذفا
فإن لم تُهد لي نعلأ فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفا

وأخبرني أبو أحمد، عن أبيه، عن أحمد بن أبي طاهر، قال: كتب إليّ أبو علي البصير
يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني، والأبيات:

(١) ديوانه: ٤٨.

(٢) البرذون: من الدواب. الزمن: ذو العاهة.

(٣) الغرم: الدّين.

يا شقيقى ويا خليلي إباءاً أنت من أطيب الأنام بخوراً
المرجى لكل خير ومير غير أنى شممته عند غيري
وهو جمٌ لديك فابعث بدرج منه إن لم أكن تعديت طوري
فكتبت إليه :

قد بعثنا إليك منه بدرج بين ندى وبين عود مطراً
وأزرناك منه أطيب زور ماله مشبه بنجد وغور^(١)
أنت منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيب ونور^(٢)
ما تعديت فيه طورك عندي فتبخر منه بأيمن طير

وحدثني أبو أحمد، عن أبيه عن أحمد، قال : حدثني أبو دلامة الشاعر قال : كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراءة بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره، وإن ابن عمك من عم نفعه، وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك، وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك، وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك، ولذلك أقول :

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ووصلت ما قطعوا من الأسباب^(٣)
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب
قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمينه هذا الكتاب وبالله التوفيق والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

(١) السند : عود البخور . النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : ما انخفض منها .

(٢) العرف : الرائحة . النور : الزهر .

(٣) بلوت : اختبرت ، وسبرت .

الفهرست

٣	مقدمة المحقق
٥	ترجمة المؤلف
٥	مؤلفاته
٦	مكانته
٧	شعره

كتاب المبالغة

الباب الأول من كتاب ديوان المعاني

١٩	الفصل الأول في المديح
٧٦	الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار
٩١	الفصل الثالث من الباب الأول في التهاني

الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني

	في أوصاف خصال الإنسان المحمودّة من: الجود والشجاعة،
١٠١	والعلم والحلم، والحزم والعقل، وما يجري مع ذلك
١١٤	أصدق بيت قالته العرب
١٢٧	أحسن ما قيل في الصبر

الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني

١٥٢	الفصل الأول في المعائبات
١٦٥	الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء
١٩٤	اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها في الأخلاق
٢٠٩	الفصل الثالث في الاعتذار

الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني

٢١٤ في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك

الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني

٢٧٥ الفصل الأول في ذكر النار

٢٨٠ الفصل الثاني من الباب الخامس في ذكر ألوان الطعام

٢٩٤ الفصل الثالث في ذكر الشراب وما يجري معه من رقيق المعاني

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني

٣٢٠ الفصل الأول في ذكر النجوم

..... الفصل الثاني في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري

٣٣١ مع ذلك من سائر أوصافه

٣٤٣ الفصل الثالث في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

٣٤٣ أجود ما قيل في الصباح من شعر الأعراب

الباب السابع من كتاب ديوان المعاني

٣٥٥ الفصل الأول في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب

٣٦٤ الفصل الثاني في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك

٣٩٥ الفصل الثالث في ذكر النسيم

الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني

٣٩٨ في صفات الحرب والسلاح والظعن والضرب وما يجري مع ذلك

الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني

٤٢٢ الفصل الأول في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

٤٣٣ الفصل الثاني في ذكر البلاغة

٤٣٦ جمل من بلاغات المعجم

٤٣٩ ومن كلام الفلاسفة

٤٤١ محاسن كلام العرب والأعراب والخطباء والكتاب

٤٤٦ أمثلة في البلاغة الكتابية

٤٤٨ ومن جيد الأدعية

٤٥٠ المديح

٤٥٢ فأما الذم والتهجين

الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني

- ٤٥٥ الفصل الأول في صفات الخيل
 ٤٦٩ الفصل الثاني في ذكر الإبل وسيرها وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها
 ٤٧٩ الفصل الثالث في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك
 ٤٨٢ الفصل الرابع في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك
 ٤٨٧ الفصل الخامس في ذكر الطيور
 الفصل السادس في ذكر بقية الحيوان من النسور والقنفذ والفأرة
 ٤٩٥ والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك

الباب الحادي عشر من كتاب ديوان المعاني

- ٥٠٣ الفصل الأول في الشباب والشيب والخضاب وما يتصل بهما
 ٥١٥ الفصل الثاني في ذكر العلل والأمراض والمراثي والتعازي والزهد

الباب الثاني عشر من كتاب ديوان المعاني

- ٥٣٤ القول في الحنين إلى الأوطان
 ٥٤٢ فصل في مدح الاخوان
 ٥٤٦ في ذم الاخوان والرفقاء وما يجري مع ذلك
 ٥٥٢ فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الإنجاز
 ٥٥٤ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال
 ٥٥٦ فصل في تعمية الأشعار
 ٥٦١ أحسن ما قيل في تقبيل اليد
 ٥٦٢ الحض على السلام
 ٥٦٣ السلام على الكفار
 ٥٦٣ رد السلام بالإشارة
 ٥٦٤ ما جاء في المصافحة
 ٥٦٥ حياك الله وبياك
 ٥٦٥ قولهم مرحبا
 ٥٦٧ ما جاء في أطال الله بقاءك
 ٥٦٨ جعلت فداك
 ٥٦٨ دعاء المكاتب
 ٥٦٩ كيف أصبحت

٥٧٣	ما جاء في الدعاء للخارج إلى السفر
٥٧٤	الدعاء للقادم من السفر
٥٧٤	الدعاء للمهزوم
٥٧٥	الدعاء للمعزول
٥٧٦	دعاء الأعياد
٥٧٦	ما قيل في القيام للأجلاء
٥٧٧	ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال
٥٧٩	فصل في معان مختلفة
٥٨١	التفاضل بين الإخوان
٥٨٢	الحث على موافقة الناس
٥٨٢	إغباب الزيارة
٥٨٣	في ذم العجائز
٥٨٣	ما ورد في فضل الحمام
٥٨٤	الشطرنج - قلت فيه
٥٨٥	ما ورد في النرد
٥٨٥	وأما القدح
٥٨٥	انتظار الفرج
٥٨٦	معنى آخر
٥٨٦	معنى آخر
٥٨٦	ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم
٥٨٧	ومما قيل في خطل الرأي
٥٨٧	إفساد المعروف بالمن
٥٨٧	من يعيب غيره وهو معيب
٥٨٨	معنى آخر
٥٨٨	معنى آخر
٥٨٨	معنى آخر
٥٨٩	ما ورد في حظ الجاهل
٥٩٠	الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة
٥٩٠	معنى آخر
٥٩٠	الاعتداء بالقرين
٥٩٠	المأخوذ بذنب غيره
٥٩١	في النهي عن الظلم

٥٩١ ما ورد في الجين
٥٩١ ومن المضحكات قول الآخر
٥٩٢ الخلق من الثياب
٥٩٢ من أحب لبناته الموت
٥٩٣ فصل آخر